

تفسير

المسيح الموعود عليه السلام

للقرآن الكريم

(المجلد الخامس)

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

ترجمة: عبد المجيد عامر

تفسير المسيح الموعود عليه السلام للقرآن الكريم - المجلد الخامس
الطبعة الأولى: ١٤٤٨ هـ / ٢٠٢٦ م

An Arabic rendering of

Tafseer Hazrat Masih-e-Mauood ^{as} (Urdu)

A Collection of the Commentary of the Holy Quran

Compiled from the writings and sayings of

Hazrat Mirza Ghulam Ahmad (peace be on him),
The Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Ahmadiyya
Muslim Community

Volume:5

Translated from Urdu by: Abdul Majeed Amir

First Arabic translation published in the UK in 2026

© Islam International Publications Ltd.

Published by:

Islam International Publications Ltd
Unit 3, Bourne Mill Business Park,
Guildford Road, Farnham, Surrey, GU9 9PS
United Kingdom

Printed at:

For further information please contact:

Phone: +44 1252 891330

www.alislam.org
www.islamahmadiyya.net

ISBN: 978-1-83596-402-6 (Set of Vol: 1-8)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	كلمة الناشر
ج	مقدمة الطبعة الأولى الأردنية
خ	مقدمة الطبعة الأردنية الأخيرة
١	تفسير سورة إبراهيم
١٥	تفسير سورة الحجر
٥١	تفسير سورة النحل
٩٥	تفسير سورة الإسراء
١٩١	تفسير سورة الكهف
٢٥٥	تفسير سورة مريم
٢٧٥	تفسير سورة طه
٢٩٥	تفسير سورة الأنبياء
٣٦٣	تفسير سورة الحج
٤١٣	فهرس المواضيع
٤٢٧	فهرس الآيات المفسرة



بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

كلمة الناشر



غير خاف على من اطلع على كتابات وأقوال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام المباركة ما تضمنته من دقائق معرفية لا يكاد أي مجتهد ينالها إلا بشق الأنفس، ثم لا يبلغ منها إلا قدر ما تحمله إبرة دقيقة تُغمس في بحر مَواج.

وإذا شئنا أن نقدم دعوة المسيح الموعود عليه السلام في كلمات موجزة سنقول إنها تعليم الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ. وهل جاء سيدنا محمد بغير القرآن؟! فدعوة المسيح الموعود عليه السلام بما تضمنته من كتابات منشورة وملفوظات ومواقف مسجلة وسيرة حياتية عملية، كانت تفسيراً واضحاً للقرآن الكريم المُنزَّل من لدن حكيم خبير على قلب أكمل الخلق قاطبة، محمد ﷺ خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين.

وثمة اتفاقٌ ضمنيّ بين الناس عموماً والمسلمين خصوصاً أن الوحي لا يمكن الإحاطة بدلالته القطعية إلا بوحى، ويُفهم هذا من قول الله جل في علاه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وما دام قائل الكلام هو خير من يحيط بدلالته على الوجه الأكمل والأتم، كان تفسير القرآن الكريم مهمة مستحيلة، إلا أن يكون مفسره مُؤيَّداً من منزل القرآن نفسه، الله ﷻ، وذلك لأن الله تعالى هو نفسه القائل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة: ١٨-٢٠)

وإننا على مستوى التلقي الطبيعي للقرآن الكريم نجد أن من يحب هذا الكتاب الكريم، ويبدل من أجله كل نفيس ورخيص، بغاية صونه والدفاع عنه، فإن الله ﷻ

يفتح أمامه سبل العرفان، ويؤتیه كنوز معارف الفرقان، فيكون أقدر الناس على فهم هذا الكتاب العظيم، فإنه كتاب لا يعلم تأويله إلا الله العليم، ولا يمسه إلا المطهرون بيد الله الكريم، وهو وحده سبحانه الذي يستطيع أن يؤتي ذلك التأويل الصحيح، والتفسير الفصيح، لمن شاء من عباده الذين ملأ حب القرآن قلوبهم، وأثار بنوره الوضأ ظاهريهم وباطنهم.

ولكي يُبَيِّنَ سيدنا أحمد عليه السلام على صدقه مقابل تكذيب الخصوم إياه، وأنه قد قام فعلاً بأمر الله تعالى، وأن الله تعالى قد جعله من المطهرين، الذين آتاهم سبحانه علوم القرآن المبين، فقد دعا العلماء من الهند وديار العرب أن يباروه في تقديم تفسير لأولى سور القرآن، أي الفاتحة التي هي أم الكتاب. لا يسعنا القول إلا أن المسيح الموعود عليه السلام في ذلك الحين ما كان ينافس إلا نفسه، فما كان لأي من علماء الدين ومشايخه أن ينبري لخوض تحدٍ الخصم فيه مبعوث من الله. فكتب عليه السلام تفسيراً لهذه السورة الجامعة، فكان التفسير ظللاً لكلام الله تعالى، بما حواه من معان لم يُشر إليها أحد من قبل في كافة التفاسير المنشورة. ويتضح منه كيف أنه يستنتج المعاني العميقة، من الكلمات التي طالما نلناها خلال إقامة صلواتنا المفروضة والمسنونة، دون أن يفطن أحد إلى أنها تشتمل على تلك اللآلئ من المعاني وكنوز الحكم، فأثبت بما لا يدع للعقل المنصف مجالاً للاعتراض أنه مبعوث من الله تعالى، فكان مطهراً بيد الله من كل شائنة وشائبة، وليكون مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٨-٨٠)، ومن هذا المنطلق وحده يثبت تلقائياً صدق كافة ادعاءات المسيح الموعود عليه السلام، بعد أن ثبتت طهارته، وذلك حكم القرآن نفسه، والذي من المفترض أن تخضع له رقبة كل مسلم. وفي المقابل يثبت تحافت التهمة الداحضة التي افترها أهل الدنيا وتجار الدين ضد المسيح الموعود عليه السلام من أنه جاء، والعياذ بالله، بكتاب غير القرآن، وقد دعوه بـ "الكتاب المبين"، بهتاناً منهم وزوراً، فكانت تفاسير المسيح الموعود عليه السلام المنشورة

في كتب وملفوظات حضرته بمثابة صفعات تلو الصفعات على أقفية هؤلاء الكذابين المكذّبين المزورين، بما شعت بنور الصدق واليقين.

إن تناول المسيح الموعود عليه السلام للآية القرآنية لا يضاهيه عنايةً تناوُلُ أمهر المنقّبين عن الكنوز وأبرع صاغة المجوهرات، وهو عليه السلام يتعامل بالفعل مع أي التنزيل الحكيم كجواهر ثَمَانٍ وُزُوْدٍ حسان، حتى إنه في معرض حديثه في "البراهين الأحمدية" عن مزايا القرآن وبراهين صدقه وحقّيته بإزاء سائر الكتب المقدسة الأخرى، قد وصف سورة الفاتحة بالوردة. لم يكن هذا الوصف مجرد تعبير أدبيّ مُغرِقٍ في الخيال، بل كان هو عين الحق والحقيقة، إذ تتصف سورة الفاتحة بكل الصفات التي تتصف بها الوردة، وذلك على مستوى الحقيقة الروحانية التي هي الأصل والغاية.

ومما نَجَّبُ الإشارة إليه أنَّ سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لم يُصنّف كتابًا في تفسير القرآن، وكل مادة هذا الكتاب الذي نضعه بين أيدي القراء اليوم، إنما هي مجموعة من ثنايا كتب حضرته ومقالاته وإعلاناته وملفوظاته في شتى المواقف، وذلك خلال فترة زمنية امتدت من قُبَيْلِ وقت بعثته المباركة إلى يوم وفاته عليه السلام في السادس والعشرين من مايو عام ١٩٠٨ م.

وقد حظي تعريب الأجزاء المكتوبة بغير العربية الأستاذ الداعية عبد المجيد عامر، وعاونه في المراجعة فريق من الإخوة الأفاضل، ونخص بالذكر السادة: المهندس خالد عزام، غسان النقيب (رحمه الله)، جمال أغزول، الدكتور وسام البراقي، الداعية مرزا خليل أحمد بيك، والسيد معتز القزق، والمهندسة لبنى أمة الخبير الجاوي، والدكتورة نور البراقي. نسأل الله تعالى أن يجزي كل من أسهم بجهده في إخراج هذا العمل حسن الثواب، ونسأله تعالى أيضا لمن يقبل عليه راغبًا في دُرِّهِ ومعارفه عظيم الفائدة، آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

مقدمة الطبعة الأولى الأردنية



عندما تحدى المسيح الموعود عليه السلام في ٢٠/٧/١٩٠٠م معارضيه لكتابة تفسير القرآن الكريم، قال:

"يثبت من القرآن الكريم أن الذين هم عباد الله في الحقيقة يحالفهم تأييد الله من ثلاثة أنواع... (منها) أنهم يُعطون من علم معارف القرآن ما لا يُعطى غيرهم كما تشهد عليه الآية: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾".

إن معارف القرآن الكريم هذه مذكورة في كتب المسيح الموعود عليه السلام بالأردنية والعربية والفارسية التي يربو عددها على ٨٠ كتاباً. وفي عام ١٩٦٧م أمر سيدنا الخليفة الثالث رحمه الله بجمع هذه المعارف القرآنية والنقاط التفسيرية المنعشة للأرواح، فأُنجز المولوي سلطان أحمد الفاضل (البير كوتي) هذا العمل القيم في وقت قصير جداً ببذل الجهود المضنية والمتواصلة وقدم المسودة لحضرته رحمه الله في كانون الثاني عام ١٩٦٨م.

وفي حزيران عام ١٩٦٩م نُشر المجلد الأول من هذه السلسلة، وها نحن نقدم المجلد الأخير بمناسبة اليوبيل المئوي للجماعة.

وقد حثّ سيدنا الخليفة الثالث رحمه الله في ٧/٣/١٩٨٠م على أن تكون جميع مجلدات هذا التفسير في كل بيت.



بسم الله الرحمن الرحيم
نحمده ونصلي على رسوله الكريم
وعلى عبده المسيح الموعود

مقدمة الطبعة الأردنية الأخيرة



يقول المسيح الموعود عليه السلام: "لقد أُعطيتُ آية بيان حقائق القرآن الكريم ومعارفه، ولا يقدر أحد على مبارزتي فيها." (ضرورة الإمام، الخزان الروحانية المجلد ١٣، ص ٤٩٦)

لقد تحدى المسيح الموعود عليه السلام في ٢٠/٧/١٩٠٠م معارضيه في كتابة تفسير سورة الفاتحة ولكن لم يبارزه أحد. ثم كتب عليه السلام تفسيرها بحسب الشروط ونشره وقال: "ما كتبته من حولي، وإني ضعيف وكمثلي قولي، بل الله وألطافه أغلاق خزائنه، ومن عنده أسرار دفائه. جمعت فيه أنواع المعارف وربت." (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٥٥-٥٦)

إن حقائق القرآن الكريم ومعارفه التي بينها المسيح الموعود عليه السلام مذكورة في كتبه وملفوظاته، وقد جُمعت منها وطُبعت للمرة الأولى بصورة كتاب في ٨ مجلدات بعنوان: "تفسير المسيح الموعود عليه السلام".

وعند الطبعة الثانية نُشرت تلك المجلدات الثمانية في أربعة مجلدات، وكانت قد طُبعت بالأسلوب التقليدي القديم الذي تبدو الكتابة فيه كخط اليد.

ثم أمر سيدنا الخليفة الخامس أيده الله تعالى بنصره العزيز بطباعة تفسير المسيح الموعود عليه السلام تنصيذاً على الحاسوب. ولما رأى، نصره الله، كبر حجم المجلدات الأربعة وصعوبة التعامل معها عند القراءة، مع ضرورة أن يكون هذا التفسير قيد

القراءة لدى القراء باستمرار، وجّه نصره الله إلى بسط محتوى المجلدات الأربعة في ثمانية مجلدات.

١- لقد قمنا للتثبت من صحة المقتبسات، بمقارنتها مجدداً مع الطبقات الأولى لكتب المسيح الموعود عليه السلام.

٢- كانت النصوص من قبل مصحوبة باسم الكتاب ورقم الصفحة، أما الآن فقد أضيفت إليها كلمة: "الخزائن الروحانية" أو "الملفوظات" أيضاً.

٣- وأثناء العمل عثرنا على بعض المقتبسات الأخرى أيضاً فأضفناها إلى الطبعة الحالية.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "إن القرآن هو الذي قد فتح سبل النجاة الحقيقية والكاملة، أما ما سواه فليس إلّا ظلٌّ له، لذلك فاقروا القرآن بتدبرٍ، وأحبّوه حبّاً جمّاً، حبّاً ما أحببتموه أحداً، لأن الله تعالى قد خاطبني وقال: "الخيرُ كُلُّه في القرآن". (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٧)

ووفقنا الله جميعاً لنجعل هذه النصيحة جزءاً من حياتنا لا يتجزأ ولنعمل بها باستمرار، ووفقنا أيضاً لتنوير قلوبنا بمعارف القرآن الكريم وأنواره الروحانية. وجزى الله تعالى خير الجزاء الدعاة الذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، آمين.



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة إبراهيم



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾

... وفي ذلك إشارة إلى أن القرآن الكريم يزيل كافة أنواع الوسوس والشكوك والشبهات التي تنشأ في قلوب الناس، ويمحو الأفكار الفاسدة من كل نوع ويهبهم نور المعرفة الكاملة؛ بمعنى أنه يهب الناس كل ما يحتاجونه من المعارف والحقائق من أجل الرجوع إلى الله تعالى والإيقان به. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٢٥، الحاشية رقم ١١)

﴿...لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ وقد سَمَّى الله ذلك العصر عصرا

مظلمًا. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ٦٤٨)

الآية ٥: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

يعترض البعض جهلا منهم أنه قد جاء في القرآن الكريم أنه يجب أن ينزل الإلهام في لسان كل قوم كما ورد فيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ (إبراهيم: ٥) ولماذا يوحى إليك بالعربية حصرا؟

جوابه الأول هو أن عليكم أن تسألوا الله تعالى لماذا يفعل ذلك. والسر الحقيقي وراء ذلك هو أن الوحي ينزل بالعربية لإظهار العلاقة فقط لأي تابع للنبي ﷺ الذي كان عربيا وإن عملي كله ظلّ لعمله ولوجه الله، فلو لم يُلهم إلي باللغة نفسها لما بقيت العلاقة قائمة. لذلك يُلهمني الله بالعربية من أجل التعظيم ويريد أن يحمي دينه. الأمر الذي نحسبه ذوقا يعترض هؤلاء الناس عليه. لا يهمل الله تعالى لغة النبي المتبوع. وما دام كل ذلك من أجل النبي ﷺ وتأيدا له فكيف يمكن قطع العلاقة معه. وفي بعض الأحيان يوحى إلي بالإنجليزية والأردية والفارسية أيضا ليثبت الله أنه يعلم اللغات كلها.

لقد اعترض على النبي ﷺ أيضا: لماذا لا يوحى إليه في لغة أخرى، فأوحى الله إليه بالفارسية: "اين مش خاك را گر نه بخشم چه کنم" معناه: ماذا أفعل إن لم أغفر لهذه الحفنة من التراب. إن رحمة الله هي التي تغلب في نهاية المطاف. (بدر، مجلد ١، رقم ١٠، عدد ١٩٠٣/١/٢م، ص ٧٦-٧٧)

الآية ٨: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾

.... اعلّموا أن الله تعالى ما دام قد سمى هذه الأمة أمة مرحومة وشرفها بالعلوم الدنية الروحانية فيجب عليها أن تشكره على ذلك شكراً عمليا. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٤٨)

قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٨)، أخبروني الآن أليس تكذيب آيات الله والإعراض عنها وطلب آية جديدة بحسب رغبتهم بمنزلة استنزال العذاب من الله. (بدر مجلد ٨، رقم ١٨، عدد ٣١/٥/١٩٠٤م، ص ٢)

... حين تنزل منن الله على الإنسان فعليه أن يشكره عليها، ويهتم برفاهية الناس، ومن لم يفعل ذلك وبدأ المظالم على عكس ذلك فإن الله يسلبه تلك النعم. (بدر، مجلد ٧، رقم ١٦، عدد ٢٣/٤/١٩٠٨م، ص ٦)

الآية ١١: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾
أفنى وجود الله أي نوع من الشك من فطر السماوات والأرض بهذه الطريقة.
(فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٧٠)

.... إنه لمن الأمور البديهية البينة أنه لا مناص من الاعتراف بوجود الصانع برؤية صنعته. فبرؤية حذاء جيد أو صندوق لا يسع المرء إلا الاعتراف الفوري بصانعه، فمن العجب العجاب أن ينكر أحد مع ذلك وجود البارئ تعالى. كيف يسع أحداً إنكار وجود صانع نجد الأرض والسماء مليئة بملايين صنائعه؟ (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٦٢)

الآية ١٦: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾

لقد طلب الأنبياء الفتح ملقين أنفسهم في نار الابتلاء، فهلك كل ظالم متمرد عنيد. وإلى ذلك يشير بيت شعر -بالفارسية- تعريبه: "ما أخزى الله قوما ما لم يُعذَّب قلبُ عبده." (حقيقة الوحي الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٢٤)

من سنة الله تعالى بخصوص مبعوثيه أنهم يتعرضون للمضايقات والأذى، ويواجهون محنة بعد أخرى، ولكن لا ليهلكوا بل ليجذبوا نصره الله تعالى، ولأجل

ذلك كانت المرحلة المكية من حياة النبي ﷺ أطولَ من المرحلة المدنية، إذ قضى في مكة ثلاثَ عشرةَ سنةً وفي المدينة عشرَ سنوات. إن كل نبي وكل مبعوث رباني يعامل وفق هذه السنة الإلهية كما هو واضح من هذه الآية، فيتعرض للأذى في بداية أمره، ويُعتَب بالمكار والخادع والخائن وما إلى ذلك، وما من اسم سيئ إلا ويُنادى به. ولكن الأنبياء والمبعوثين من الله يصبرون على كل شيء ويتحملون كل أذى، وعندما يبلغ السيلُ الرُّبى تظهر القوة الإلهية ثانية إشفاقاً على البشر. كذلك أُوذِيَ رسول الله ﷺ بكل نوع الإيذاء وسُمي بكل اسم سيئ. وفي النهاية اشتد ابتهاله ودعاؤه على الأشرار حتى بلغ ذروته كما هو واضح من قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾، وكانت النتيجة أن ﴿خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾. أي قُضِيَ على كل شرير وعلى كل مكيدة وخطة شريرة.

هذا الابتهاال والدعاء يبلغ ذروته عندما يبلغ شر المعارضين منتهاه، لأنه لو تم مثل هذا الدعاء في بداية الدعوة لهلكوا جميعاً. فحياته ﷺ المكية مليئة بالتضرع والابتهاال في حضرة الله حتى إن كل مَنْ رآه ﷺ في هذه الحالة أصيب برعدة شديدة. ولكن انظروا إلى الجلال في حياته في المدينة، حيث هلك كل أولئك الذين كانوا عاكفين على إيذائه ونسج المكائد لقتله ونفيه من الوطن. ومن نجا منهم من الهلاك فقد اضطر للاعتراف بأخطائه وطلب العفو منه ﷺ في غاية الذل والهوان. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠١م، ص ٤)

يتبين من هنا أنه عندما يأتي الأنبياء والرسل يصبرون إلى مدة معينة، وعندما تبلغ معارضة المعارضين منتهاها يأتي وقت يطلبون فيه الحكم من الله بتوجُّه تام وإقبال عليه، وتكون النتيجة: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾. إن كلمة: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ تبين سنة الله تعالى بأنهم يطلبون الحكم حينذاك، وأن أمنية طلب الحكم لا تنشأ فيهم إلا حين يكون القرار قد اتُّخذ في الحقيقة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠٢م، ص ٦-٧)

أي حين يأتي الوقت الذي لا يستجيب فيه الناس للأنبياء والرسل فهم يلتفتون إلى الدعاء، الأمر الذي يؤدي إلى خيبة كل متكبر ومتمرد، وفشلهم في نهاية المطاف. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠٤م، ص ٥)

كل نبي يصبر في البداية، ثم حين تكون مشيئة الله لهلاك قوم تتولد في قلب النبي حالة من الألم فيدعو وتيسر أسباب دمار قوم أو أسباب الخير لهم. انظروا إلى نوح مثلاً، فقد صبر في البداية وتحمل إيذاء القوم إلى مدة طويلة، ثم عندما شاءت مشيئة الله دمارهم نشأ الألم في قلبه وصعد منه صوت: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح: ٢٧)

ما لم تكن مشيئة الله لا تتولد تلك الحالة. لقد صبر رسول الله ﷺ إلى ١٣ عاماً، ثم حين تولدت حالة الألم نزل على المعارضين عذاب بواسطة القتال. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٩، عدد ٩/٥/١٩٠٧م، ص ٤)

حين لاحظ الرسل أن الوعظ والتبليغ لم يفد شيئاً انقطعوا عن كل شيء وتوجهوا إلى الله، وسألوه الحكم، فصدر الحكم. (بدر المجلد ٣، رقم ٧، عدد ١٦/٢/١٩٠٤م، ص ٥)

الآية ٢٥-٢٦: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

الكلمات الطيبات تشبه الأشجار الطيبة التي أصولها قوية وفروعها في السماء وتؤتي ثمارها الطازجة كل حين. (الكحل لعيون الآرية الخزان الروحانية المجلد ٢، ص ١٥٨)

ألم تر أن الله تعالى قد ضرب هنا مثلاً للدين الكامل بشجرة طيبة. والمراد من: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ هو أن تكون أصولها الإيمانية ثابتة ومتحقة، وتبلغ درجة اليقين

الكامل، وتؤتي ثمارها كل حين، ولا تبيس في حين من الأحيان. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٤١، عدد ٣٠/١١/١٩٠٦م، ص ٥)

... أي أن الكلمة الإيمانية الخالية من كل إفراط وتفريط، ونقص وخلل، وكذب وهزل، والكاملة من جميع الوجوه، تماثل الشجرة الطيبة السليمة من كل العيوب، المتأصلة جذورها في الأرض وفروعها عالية في السماء، والتي تؤتي ثمارها دائما، ولا يأتي عليها وقت تخلو فيه أغصانها من الثمر.

وبتشبيه الكلمة الإيمانية بشجرة دائمة الثمر، ذكر الله هنا ثلاث علامات للإيمان: الأولى: أن يكون أصل الإيمان، أي معناه الحقيقي، ثابتا في أرض القلب. وذلك يعني أن تكون الفطرة الإنسانية والضمير قد سلّما بحقائيقه وأصالته.

والعلامة الثانية: أن تكون فروعها في السماء، بمعنى أن يكون الإيمان مقرونا بالبراهين العقلية بحيث توافقه السنن السماوية التي هي من أفعال الله تعالى. والمراد أن يكون بإمكاننا التدليل على صحته وأصالته بأدلة مستنبطة من النواميس الطبيعية، وأن تكون تلك الأدلة من السمو وكأنها في السماء، ولا يمكن أن تصل إليها يد الشبهات.

والعلامة الثالثة: أن تكون ثمارها الصالحة للأكل دائمة غير منقطعة. والمراد أن تكون للإيمان -بعد العمل به- تأثيرات محسوسة وبركات مشهودة دائما أبدا، وفي كل زمن، وليس أن تظهر هذه البركات في زمن معين ثم تنقطع. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية المجلد ١٠، ص ٣٩١)

..... لقد بين الله تعالى في هذه الآيات أن كمال الكلام المقدس يعتمد على ثلاثة أمور. أولا: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: أي أن تكون أصوله الإيمانية ثابتة ومتحققة، وبالغة درجة اليقين الكامل في حد ذاتها وأن تقبلها فطرة الإنسان لأن المراد من ﴿الأرض﴾ هنا هو فطرة الإنسان كما يدل عليه لفظ ﴿مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ﴾ بصراحة تامة....

فملخص الكلام أنه يجب أن تكون الأصول الإيمانية متحققة ومنسجمة مع فطرة الإنسان. ثم يبين الله ﷻ العلامة الثانية للكمال في قوله: ﴿فَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾. بمعنى أن الذين يرفعون أنظارهم إلى السماء أي يتدبرون في الكون تنكشف عليهم الحقيقة. وأن تكون فروع ذلك التعليم مثل بيان الأعمال، وبيان الأحكام، وبيان الأخلاق بالغة مرتبة كمالٍ لا يُتصوّر المزيد عليه. كما أن شيئا إذا بدأ من الأرض وبلغ عنان السماء فلا يُتصور المزيد عليه.

والعلامة الثالثة للكمال التي بينها ﷻ هي: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ أي يجب أن تُعطي ثمارها دائما وألا يصير يوما من الأيام كشجرة يابسة خالية من الثمار والأزهار تماما.

لاحظوا الآن يا سادتي أن الله تعالى قد شرح بنفسه قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾ (المائدة: ٤) بأن وجود هذه العلامات الثلاث فيه أمر محتوم. فقد بين هذه العلامات الثلاثة ثم أثبتها أيضا. إن الأصول الإيمانية التي هي العلامة الأولى ويراد بها شهادة "لا إله إلا الله" قد ذكرت في القرآن الكريم مفصلة بحيث لو كتبتُ جميع الأدلة لما وسعتها بضعة أجزاء الكتاب أيضا، فسأكتب قليلا منها على سبيل المثال. يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٥) أي إن جميع الأشياء المذكورة هنا هي آيات على وجود الله وتوحيده وإلهامه وكونه مدبرا بالإرادة.

لاحظوا الآن كيف استدل الله جلّ شأنه على المبدأ الإيماني هذا بواسطة قانونه في الطبيعة أي بواسطة خلقه الذي يوجد في الأرض والسماء وبالتدبر فيهما يتبين بجلاء بحسب منطوق هذه الآية أن لهذا العالم خالقا أزليا وكاملا وواحدا لا شريك له ومدبرا بالإرادة ومرسل رسوله إلى الدنيا. والسبب في ذلك أن جميع أنواع خلق الله

وسلسلة نظام العالم الذي نراه بأمر أعيننا يوحي بجلاء أن هذا العالم لم يأت إلى حيز الوجود من تلقاء نفسه بل له موجد وخالق، ومن صفاته الضرورية أن يكون رحمانا ورحيما ومدبرا بالإرادة وواحدا لا شريك له، أزليا وأبديا وجامعا لجميع الصفات الكاملة ومنزّل الوحي أيضا.

والعلامة الثانية أي: ﴿فَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، فيستطيع أن يراها الناظرون إلى السماء أي الذين يتدبرون قانون الطبيعة، ويجب أن يحتل هذا التعليم درجة عليا. إن جزءا من هذا الإثبات يتبين من الآية المذكورة آنفا لأنه وَعَلَىٰ بَيْنَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٢-٤) ومعناه أنه جلّ شأنه ربّ العالمين جميعا وعلة العلل لكل أنواع الربوبية، وأنه "الرحمن" أيضا أي يعطي خلقه أنواع الآلاء والنعم دون أن يحتاج إلى أيّ عمل منهم. وهو "الرحيم" أيضا أي ينصر الذين يعملون الصالحات ويبلغ أهدافهم مبلغ الكمال. وهو "مالك يوم الدين" أيضا، أي في يده الأجر والعقاب فيعامل عباده كما يشاء. فله أن يعاقب العبد إذا شاء بما يناسب عمله السيء أو يهّيه له أسباب المغفرة إذا شاء ذلك. وكل هذه الأمور تتبين بجلاء بالنظر إلى هذا النظام الذي أقامه الله جلّ شأنه.

ثم بين سورة النحل العلامة الثالثة فقال: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ أي من علامات الكتاب الكامل أن الثمار التي يعد بإعطائها يجب ألا تبقى وعودا بحتة بل ينبغي أن تؤتي ثمارها كل حين وأن. وقد أراد الله من الثمار لقاءه جلّ شأنه مع كافة مستلزماته مثل البركات السماوية ومكالمات الله، والقبول والخوارق من كل نوع كما يقول سورة النحل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (حم السجدة: ٣١-٣٣) ... أي قد وجدتم الآن تلك الجنة، وبذلك بدأت حياة الجنة

من الآن، ولكن كيف بدأت؟ فقال: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ...﴾، وفي كلمة ﴿نُزِّل﴾ أشار إلى ثمرة ذكرت في الآية: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾.

لقد فاتني أن أذكر عن الآية: ﴿فَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أمرا آخر وهو: ما المراد من كمال هذا التعليم نظرا إلى بلوغه أعلى درجات الارتقاء؟ فبيان ذلك أن كافة التعاليم التي جاءت قبل القرآن كانت مثل قانون خاص بقوم أو بزمان معين، ولم تملك قوة للإفادة العامة. أما القرآن الكريم فقد جاء لتعليم جميع الأقسام والأزمان وتكميلها. فيمكن القول على سبيل المثال أن تعليم موسى يتضمن تأكيدا شديدا على العقوبة والانتقام، كما يتبين من الفقرات مثل السن بالسن والعين بالعين. أما تعليم المسيح ففيه تركيز شديد على العفو والصفح، ولكن كِلا هذين التعليمين ناقص كما هو معلوم، إذا لا يفيد الانتقام دائما ولا ينفع العفو كل حين بل ينفع اللين في محله وتفيد القسوة في محلها المناسب كما يقول الله جلَّ شأنه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤١)، أي الأصل في الموضوع أن جزاء السيئة سيئة مثلها ولكن الذي يعفو - وكانت نتيجته الإصلاح وليس الفساد، أي يكون العفو في محله المناسب وليس في غير محله - فأجره على الله، أي هذا هو الطريق الأحسن.

لاحظوا الآن، أيّ تعليم يمكن أن يكون أفضل منه إذ وضع العفو في محله والانتقام في محله. ثم يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ (النحل: ٩١) أي أن الله يأمر أن اعدلوا، بل تزيدوا على العدل وأحسنوا، بل ينبغي أن تزيدوا على الإحسان أيضا وعاملوا الناس باللطف كأنهم ذوو القربى والأحباء لكم. يجب الانتباه إلى أن المراتب ثلاثة فقط. أولا: أن يعدل الإنسان، أي يتمنى الحق مقابل الحق. وإذا زاد على ذلك فتليه مرتبة الإحسان. وإذا تقدّم على ذلك فيغض بصره عن المنة أيضا ويواسي الناس بحبّ كما تواسي الأم ولدها بحماس

طبيعي وليس بنية المنة. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٢٣ - ١٢٧)

لقد ضرب الله هنا مثل الكلمة الطيبة بالشجرة. وبيانه أن الإيمان بمنزلة البذرة والشجرة، والأعمال بمنزلة السقي والري. لقد ورد في القرآن ضرب المثل بالفلاح ذلك أن الإيمان أيضا يُزرع كما تُزرع البذرة. ففي الزراعة هناك حاجة للري، وكذلك مع الإيمان لا بد من الأعمال.

تذكروا جيدا أن الإيمان من دون الأعمال كحديقة من دون أنهار، فلو لم يُعنى صاحب الحديقة بالأشجار التي يزرعها ليست يوما من الأيام، كذلك هو حال الإيمان. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ (العنكبوت: ٧٠)، أي لا ترضوا بالأعمال الخفيفة بل هناك حاجة إلى مجاهدات عظيمة في هذا السبيل. (بدر، مجلد ٧، رقم ٢٥، مجلد ٢٥، عدد ٢٥/٦/١٩٠٨ م ٥)

إن كلمات القرآن تماثل شجرة أصلها ثابت وفروعها ممتدة إلى السماء، تؤتي ثمارها دوما في موعدها. أي أن فطرة الإنسان السليمة تقبله. والمراد من فروعها في السماء أنه يحتوي على معارف عظيمة، تنسجم مع قانون الطبيعة. ومعنى إيتائها الثمار كل حين أنه يتمتع بتأثير روحاني دائم. (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٥٣)

... فالكلمة الطيبة تماثل الشجرة الطيبة، فكما أن أي شجرة طيبة رائعة لا يمكن أن تنمو بدون الماء كذلك فإن كلمات الإنسان الصادق الطيبة التي تخرج من فمه لا تنمو ولا تزدهر ما لم يبللها النبع الطيب عن طريق ساقية الاستغفار، فحياة الإنسان الروحانية تتوقف على الاستغفار، الذي يسيل في ساقيته ماء ينبوع الحقيقي، فيصل إلى أصول الإنسانية وينقذها من الجفاف والموت. (نور القرآن، رقم ١، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٥٧-٣٥٨)

الآية ٢٧: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ

مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾

أي أنها كلمة لا تقبلها الفطرة البشرية، ولا تستقيم هي بحال من الأحوال أبداً، أمام البراهين العقلية أو القوانين الطبيعية، أو أمام صوت الضمير، بل إن هي إلا روايات أو أقاصيص.

وكما شبه القرآن المجيد أشجار الإيمان الطيبة بالعنب والرمان وغيرهما من الفواكه الطيبة، وذكر أنها ستمثل في عالم الآخرة وتترأى في صور هذه الثمرات، كذلك شبه كلمة الكفر الخبيثة بشجرة الزقوم في الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ (الصافات: ٦٣). (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية المجلد ١٠، ص ٣٩١-٣٩٢)

الآية ٢٨: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾

القول الثابت... أي أن القول المتحقق والمدعوم بالأدلة مدعاة لتثبيت صاحبه في هذه الدنيا وفي الآخرة أيضاً... فالذين يختارون الظلم يضلهم الله، والظالم لا ينال نصرة على هداية الله تعالى ما لم يطلبها بنفسه. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية المجلد ٦، ص ١٢٣)

الآية ٣٤: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾

فليكن معلوماً أيضاً أن مرتبة الملائكة الخواص بحسب الشرع الإسلامي ليست أعلى من خواص البشر، بل إن الخواص من البشر أفضل من خواص الملائكة. وكوّنهم الوسائط في النظام المادي أو النظام الروحي لا يدل على أفضليتهم، بل هم مسخّرون للخدمة كالحدم حسب توجيه القرآن الكريم. إذ يقول جلّ شأنه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي لقد سخّر الله تعالى الشمس والقمر لخدمتكم. فمثلاً إذا

كان ساعي البريد، يوصل رسائل المَلِك إلى إقليم أو حاكم، فهل يثبت من ذلك أن ساعي البريد الذي كان واسطةً بين الملك والحاكم العام أفضل من الحاكم نفسه؟ فاعلموا أن هذا هو حال الوسائط الذين يبلغون مشيئة الله إلى الأرض ويعكفون على تنفيذها. لقد قال الله تعالى بكل صراحة في عدة مواضع من القرآن الكريم بأن كل ما خُلق في السماء من الأشياء فإنها قد خُلقت لفائدة الإنسان فقط. والإنسان أعلى وأرفع مرتبة من كل شيء، فقد سُخِّر كل شيء لخدمته كما يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...﴾ أي سخر لكم الشمس والقمر اللذين لا يبقيان على حالة واحدة من حيث الكيفية والخواص؛ فمثلا الصفات التي تتحلى بها الشمس في أشهر الربيع لا تتحلى بها في الخريف قط. فمن هذا المنطلق تكون الشمس والقمر في حركة ظاهرية مستمرة، وبحركتهما يحل فصل الربيع حيناً ويحل فصل الخريف في حين آخر. وفي فترة تظهر لهما صفات وخواص معينة ثم تظهر في فترة أخرى على عكس ذلك تماماً. ثم قال: ﴿سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾. (توضيح المرام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٧٤-٧٥)

الآية ٣٥: ﴿وَاتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾

وَاتَاكُم مِّن كُلِّ شَيْءٍ مَا سَأَلْتُ فطرتكم، أي كل ما تحتاجون له فقد أعطاكم إياه، وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَن تَسْتَطِيعُوا أَن تُحْصُوهَا (توضيح المرام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٧٥)

نرى بوضوح بإلقاء نظرة على السماء والأرض أن الله ﷻ لا حدود لكرمه، وإن إحصاء نعمه مستحيل حقاً كما قال نفسه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ أن نعم الله تخرج عن نطاق العد والإحصاء. (شحنة الحق، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ٤٠٥)

إن عطاء الله ونعمه كثيرة جدا لدرجة إن أردتم إحصاءها فإن ذلك يفوق طاقتكم وقدرتكم. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢١)

الآية ٤٢: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾

لقد علّمت الأدعية في القرآن الكريم بكلا الأسلوبين، بصيغة المفرد مثل: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ (نوح: ٢٩) وفي صيغة الجمع أيضا مثل: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠٢) وفي معظم الأحيان تُستخدم صيغة المفرد ويُراد بها الجمع. (بدر، مجلد ١، رقم ٩، عدد ٢٦/١٢/١٩٠٢م، ص ٦٩)

الآية ٤٧ و ٤٨: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ فَلَا تَخَسِبَنَّ اللَّهَ يَخْلِفُ وَعْدَهُ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾

لقد حاكوا مكرهم جهد المستطيع ولكن مكرهم كله في قبضة الله وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال. (البراهين الأحمديّة الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٧-٢٥٨، الحاشية رقم ١١)

الآية ٤٩: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾

يتبين لنا من النظر إلى هيئة العالم أنه قد ظهر في الألف السادس انقلاب عظيم في الأرض، وقد ظهر بالأخص تغييرٌ صريحٌ على صفحة الوجود في الستين سنة الماضية - أي بما يعدل عمري تقريبا - فلم تبق المراكب نفسها ولا أسلوب التمدن ولا سعة في الملوك لأقدار الحكم، فلم يبق ذلك الطريق ولا المركبة، فكأن العالم أصبح غير الذي كان؛ فلا المراكب بقيت نفسها ولا أسلوب التمدن ولا حكم الملوك بات

نفسه، فلا ذلك الطريق بقي ولا تلك المركبة. وقد تجدد كل شيء وكأن أساليب الحياة القديمة كلها قد ألغيت، وكأن الأرض وأهلها قد لبسوا زيا جديدا في كل مجال، ومثل أمام الأعين مشهد "بُدِّلَت الأرض غير الأرض." (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٨٦)



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الحجر



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ١٠: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

إن صدق هذه النبوءة لا يزال يتحقق منذ ١٣٠٠ عام، إذ لم يتطرق إلى القرآن الكريم تعليم الشرك من أي نوع كما حدث للكتب الأخرى، ولا يستسيغ العقل أن يختلط به تعليم الشرك أيا كان نوعه في المستقبل أيضا، لأن هناك مئات الألوف من حفاظ القرآن الكريم، ويوجد آلاف من كتب التفسير، وتُتلى آياته في الصلوات الخمس كل يوم، ويُتلى كل يوم. كما أن انتشاره في البلاد كلها، ووجود ملايين النسخ منه في العالم، وإطلاع كل الأمم عليه؛ يجعل العقل حدوث أي نوع من التغير والتبدل فيه مستحيلا ويفرضه قطعاً في المستقبل أيضا. (البراهين الأحمدية، الأجزاء

الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١٠٢، الحاشية رقم ٩)

لقد قال تعالى بأنه سيحفظ كلامه بنفسه. وانظروا الآن، أليس صحيحاً أن التعليم نفسه الذي بلغه النبي ﷺ بأمرٍ من الله تعالى نتيجة وحي منه ﷻ، لا يزال محفوظاً في كلامه، إذ يوجد مئات الألوف من حفاظ القرآن الكريم ومنذ القدم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦٩-٢٧٠، الحاشية رقم ١١)

...أي سيبقى القرآن الكريم على صورته الأصلية سواء من حيث صورته الظاهرية أو من حيث الخواص، وأن حماية الله تعالى ستظلّله. (الرد على ثلاثة أسئلة لمسيحي، الخزائن الروحانية المجلد ٤، ص ٤٣٠)

لقد أنزلنا نحن هذا القرآن وسنحافظ نحن على عزته وعظمته وتعليمه من صولات الأعداء. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٢٦٥، الحاشية) إن ذلك الوعد المقدس الذي تتضمنه الكلمات الطيبات: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ يتعلق بالأيام الراهنة ويخبر بجلاء أنه كلما يأتي على الإسلام زمن بلاء شديد ويواجهه عدو لدود ويهيج طوفان شديد سوف يتصدى الله له بنفسه، وسيهب سفينة للخلاص من ذلك الطوفان، وأن هذه السفينة هي دعوتي أنا. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٢٦٤، الحاشية)

"فنظر الرب الكريم إلى الأرض ورآها مملوءة من المهلكات، ومرتعة من المفسدات، ورأى الخلق مفتونا بنوادرها، ورأى المتنصرين ضلوا ويضلّون، ورأى فلاسفتهم اختلبوا الناس بعلومهم ونوادر فنوئهم، فوقعت تلك العلوم في قلوب الأحداث بموقع عظيم كأنهم سُحروا فجذبوا إلى الشهوات واستيفاء اللذات، والتحقوا بالبهائم والحشرات، وعصوا ربهم وأبويهم وأكابرهم، وأُشربوا في قلوبهم الحرّية، وغلبت عليهم الخلاعة والمجون. فأراد الله أن يحفظ عزة كتابه ودين طلابه، من فتن تلك النوادر كما وعد في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. فأنجز وعده، وأيد عبده، فضلاً منه ورحمة، وأوحى إليّ أن أقوم بالإنذار، وأنزل معي نوادر النكات والعلوم والتأييدات

من السماء، ليكسر بها نوادر المتنصرين وصليهم". (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٤٧٩-٤٨٠)

كيف سيكون حفظ القرآن؟ يقول الله تعالى بأني سأرسل خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم بين حين وآخر. ولقد اختيرت كلمة "ال خليفة" للإشارة إلى أنهم يكونون نواب النبي وسينالون نصيبا من بركاته كما حدث في الأزمنة الحالية. وعلى يدهم يزدهر الدين ويتمكن، ويبدل الخوف أمنا. أي سيأتون في وقت يكون الدين فيه عرضة للفرقة. ومن كفر وتمرد بعد مجيئهم فأولئك هم الفسقة والفسجة. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٣٩)

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وفي ذلك تصريح أن هذا الكلام سيبقى حيا إلى الأبد، وسيوجد دائما من يحافظ على نضرة تعليمه ويفيد به الآخرين. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٣٨)

فماذا عسى أن يكون معنى الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ إلا أن القرآن لن يُمحى من الصدور كما نُحيت التوراة والإنجيل من صدور اليهود والنصارى. مع أن التوراة والإنجيل كانا في أيدي اليهود والنصارى وصناديقهم ولكنهما نُحيا من قلوبهم، أي لم تعد قلوبهم ثابتة عليهما، ولم يقيموا التوراة والإنجيل في قلوبهم.

إذن، هذه الآية تعلن بأعلى صوتها أنه لن يضيع ولن يُمحى شيء من تعليم القرآن أبدا، وكما غرس غراسه في القلوب من أول يوم ستبقى هذه السلسلة جارية إلى يوم القيامة. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٥١)

"فإن القرآن كتاب قد كفل الله صحته، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وإنه لا يتغير بتغيرات الأزمنة ومرور القرون الكثيرة، ولا ينقص منه حرف ولا تزيد عليه نقطة، ولا تمسه أيدي المخلوق، ولا يُخالطه قول الآدميين". (حماسة البشرى، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢١٦)

"وكذلك قال في آية أخرى لقوم يسترشدون: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فأمعنوا فيه إن كنتم تفكرون. فهذه إشارة إلى بعث مجدد في زمان مفسد كما يعلمه العاقلون. ولا معنى لحفاظة القرآن من غير حفاظة عطره عند شيوع نتن الطغيان، وإثباته في القلوب عند هب صراصر الطغيان، كما لا يخفى على ذوي العرفان والمتدبرين". (سر الخلافة، الخزائن الروحانية، المجلد ٨، ص ٣٦١-٣٦٢)

قد ورد في القرآن الكريم وعد أن الله في زمن الفتن والأخطار سيحفظ دين الإسلام كما يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فبناء على هذا الوعد قد حافظ الله تعالى على كلامه من أربعة جوانب.

أولاً: حافظ على كلمات القرآن الكريم وترتيبه بواسطة الحفّاظ، فخلق في كل قرن مئات الآلاف من الحفاظ الذين احتفظوا بكلامه المقدس في صدورهم بحيث إذا سُئلوا عن كلمة واحدة استطاعوا أن يبينوا سياقها وسبقها. وبذلك حفظ الله تعالى القرآن الكريم من التحريف اللفظي في كل زمن.

ثانياً: بواسطة الأئمة والأكابر الذين أُعْطُوا فهم القرآن الكريم في كل قرن، ثم فسروا مواضع مجملة من القرآن الكريم في ضوء الأحاديث النبوية الشريفة، وحفظوا كلام الله تعالى الطاهر وتعليمه المقدس من التحريف المعنوي في كل زمان.

ثالثاً: بواسطة المتكلمين الذين استخدموا الأدلة العقلية للتوفيق بين تعاليم القرآن والعقل، فحفظوا كلام الله تعالى من استخفاف الفلاسفة السطحيين.

رابعاً: بواسطة الحائزين على الإنعامات الروحانية الذين صانوا كلام الله الطاهر في كل زمان من هجمات منكري المعجزات والمعارف.

فإن هذه النبوءة لا تزال تتحقق في كل العصور بشكل أو بآخر. وكلما تكاثرت في عصر من العصور هجمات المعارضين على جانب معين من القرآن خلقت غيرة الله تعالى وحميته شخصاً مناسباً للدفاع عنه. ولكن في هذا الزمن الذي نحن

فيه قد شن المعارضون هجمات على النواحي الأربعة المذكورة، فجاءت أيام طوفان عظيم لم يشهد الإسلام مثيلها منذ انتشار القرآن الكريم في هذا العالم، فقد أثار الأشقياء العميان اعتراضات على صحة ألفاظ القرآن ونشروا الترجمات الخاطئة لمعانيه ونشروا تفاسيره المختلفة. وأراد الكثيرون من المسيحيين والطبيعيين وبعض قليلي الفهم من المسلمين أيضا فتح باب التحريف المعنوي^١ من خلال تفاسيرهم وتراجهم لمعاني القرآن الكريم على هواهم. وركز الكثيرون على أن القرآن يُخالف في نصوصه العلوم العقلية والمسائل المسلّم بها والثابتة من ناحية علم الطبيعة والهيئة، وادّعوا أن كثيرا من دعاوى القرآن تُخالف البحوث العقلية، وأنه يُعلّم أساليب الجبر والظلم وعدم التوازن وعدم الاعتدال، وأن كثيرا من أموره تخالف الصفات الإلهية وتنافي قوانين القدرة وصحيفة الفطرة. وقد أصرّ الكثير من القساوسة والآريا على إنكار معجزات نبينا ﷺ وآيات صدق القرآن الكريم ونبوءاته، وقد صوّروا كلام الله الطاهر والإسلام ونبينا ﷺ بصورة سيئة، وافتروا افتراء كبيرا من أجل أن ينفر منها كلُّ طالب للحق. فافتضى هذا الزمن بالطبع -الذي أطل فيه سيلُ فتنة المعارضين بكل شدة من النواحي الأربعة- أن يشمل الدفاع أيضا النواحي الأربعة المذكورة. وكان قد بدأ القرن الرابع عشر للهجرة في الفترة نفسها، لذلك فقد بعث الله تعالى بموجب وعده: ﴿إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ على رأس القرن الرابع عشر مجدداً لإصلاح هذه الفتنة. ولكن بما أنّ لكل مجدد اسماً خاصاً عند الله تعالى، وكما أنّ من يؤلف كتاباً يختار له اسماً ملائماً مع مضامينه.. كذلك سمى الله تعالى هذا المجدد مسيحاً نظراً إلى مهماته التي فوّضت إليه. وكان قد قُدّر أن يقضي المسيح على الفتن الصليبية في آخر الزمان، فمن عُهدت إليه هذه المهمة لا بد أن يُسمى مسيحاً موعوداً. فتفكروا إلى من فوّض مهمة كسر الصليب.

^١ لقد خدع الكثيرون العالم بإدراج الإسرائيليات -التي لا أصل لها- في تفاسيرهم. منه

وهل هذا هو الزمن المذكور أم غيره؟ فكروا، هداكم الله. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٨٨-٢٩٠)

تبين هذه الآية بكل صراحة أنه كلما أراد قوم أن يحو هذا الذكر من العالم سيحييه الله تعالى بواسطة مبعوث من السماء. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧ ص ٢٦٧ الحاشية)

لقد أنزلنا هذا الذكر وسنحفظه نحن لذلك بقي القرآن الكريم محفوظا من التحريف. (تذكرة الشهادتين؛ الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٤)

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ هي إشارة أيضا إلى زمن المسيح الموعود. وهناك تشابه - بحسب القرآن الكريم - بين زمن المسيح الموعود وزمن أبي بكر رضي الله عنه. إن في هذا الدليل القرآني كفاية لاطمئنان العقلاء الذين يتدبرون. وإن لم يكن ذلك كافيا في نظر جاهل، فلا بد له من الاعتراف بأنه لا يوجد في التوراة نبوة بحق عيسى عليه السلام ولا بحق نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله لأن كلمات تلك النبوءات أيضا مجملة، مما أدى إلى عثار اليهود فلم يؤمنوا بهما... النبوءات عن الأنبياء تكون دقيقة دائما لتمييز الشقي من السعيد. (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٨٧-١٨٨)

من سنة الله القديمة أنه حين يمنع قوما من عمل يكون مقدرا عنده حتما أن بعضا منهم سيرتكبونه لا محالة. كما منع اليهود في التوراة من أن يحرفوها وغيرها من كتب الله، فقام بعضهم بالتحريف في نهاية المطاف. ولكن القرآن الكريم لم ينه عن تحريفه بل قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. (نزل المسيح، الخزائن الروحانية المجلد ١٨، ص ٤١٩)

لو كان مقدرا عند الله أن يهلك الإسلام وتلتهمه البلايا من الداخل والخارج لما بعث أحدا. أين وعده: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. لقد جاء المجددون على التوالي وبكثرة، لكن عندما بدأ انحطاط المسلمين حيث تزايد سلوكهم السيئ

ولم تبقى فيهم السعادة والصلاح وأوشك الإسلام على الهلاك رفع الله يده! كلما ننبههم إلى ذلك يقولون: قد ورد في الحديث أنه سيأتي ثلاثون دجالاً، فهذا أيضاً دجال وأنت أحدهم. (بدر، مجلد ٢، رقم ٨، عدد ١٣/٣/١٩٠٣م، ص ٦٠)

الأحاديث لا تحمل ختم الله تعالى ولا رسوله ﷺ بينما قال الله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ولذلك أقول وهذا هو مذهبي أنه يجب العمل بكل حديث لا يعارض القرآن الكريم مهما كان ضعيفاً. أما إذا كانت قصة قد ذُكرت في القرآن الكريم وورد في الحديث ما يعارضها - كأن يقول القرآن الكريم مثلاً أن إسحاق كان ابن إبراهيم عليه السلام ويقول حديث خلاف ذلك - فكيف يمكن الاعتماد على مثل هذا الحديث؟ (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٩، عدد ١٦/١٠/١٩٠٣م، ص ٣٠٦)

لقد سمى الله تعالى القرآن هنا "الذكر"، ذلك لأنه يذكر بالشرعية الكامنة في فطرة الإنسان. علماً أن استعمال المصدر مكان اسم الفاعل يفيد المبالغة، ومثاله قولنا: زيدٌ عدلٌ، أي أنه جدُّ عادل. الواقع أن القرآن الكريم لم يأت بشرع جديد وإنما يذكرنا بالشرع الكامن في الفطرة الإنسانية على شاكلة شتى القوى والكفاءات من حِلْم وإيثار وشجاعة وجبر وغضب وقناعة وغيرها. باختصار، إن القرآن جاء ليذكرنا بفطرتنا الكامنة في جبلتنا كما قال الله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ (الواقعة: ٧٩)، أي أنه ذلك الكتاب الكامن في صحيفة الفطرة الإنسانية، ولكن لم يكن بوسع كل إنسان أن يراه. كذلك قد جاء في وصف هذا الكتاب أنه "الذكر"، وذلك ليذكر الإنسان عند قراءته بما أُودعت فطرته من قوى باطنية وروحانية ونور قلب، هبةً من السماء. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٩٤)

القرآن الكريم - الذي اسمه الآخر هو الذكر - نزل في العصر الأول لتذكير الناس بما في فطرتهم من قوى كامنة وحقائق منسية، كذلك في هذا العصر أيضاً وبحسب وعد الله الموثق ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ قد جاء معلّم من السماء، وهو المصدق لوعده الله تعالى في قوله: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾

(الجمعة: ٤)، وهو ذلك الذي يتكلم بين ظهرانيكم الآن. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٩٥)

لقد وعد الله تعالى بحماية القرآن والإسلام في: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وعصم المسلمين من المصيبة وأنقذهم من الوقوع في الفتنة. فمباركون أولئك الذين يقدرّون هذه الجماعة ويستفيدون منها. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٩٣)
إن هناك مطراً ينزل لبذر البذور، وهناك مطراً آخر ينزل لتنمية البذور واخصرارها. وبالمثل إن مطر النبوة ينزل من أجل بذر البذرة، أما مطر المحدثين والمجددين المذكور في قول الله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فينزل لتنمية البذرة وإثمارها. (الحكم، مجلد ٥، عدد ٢١، عدد ١٠/٦/١٩٠١م، ص ٤)

إن الإله الحي القيوم قد تولى حماية الإسلام حيث قال: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. ففي كل زمان يُحيا هذا الدين على يد الأحياء ويُحيي الأموات. اعلموا أن الأحياء يظهرون في هذا الدين مرة بعد أخرى. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/١٩٠٢م، ص ٨)
فبعثني الله على رأس القرن الرابع عشر لإرساء عظمة القرآن الكريم من جديد لإرساء عظمة الإسلام وفقاً لوعده: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠١م، ص ٥)

ليس لتابع أي ديانة أخرى نصيب من صنوف تأييدات الله ونصرته التي تحالفنا. وإننا نتحدى الجميع ونقول هل في أي ديانة سوى الإسلام أحد يستطيع أن يقدم لنا التأييدات السماوية الدالة على صدق ديانته. لقد أقام الله تعالى هذه الجماعة وفقاً لوعده بالحفظ الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٥، عدد ١٠/٧/١٩٠١م، ص ٢)

لا شك أن الإسلام قد أوشك على الانقراض بسبب ما آل إليه اليوم. ولكن حاجت غيرة الله واقتضت رحمته ووعد حمايته أن ينزل بروز رسول الله ﷺ لإحياء نبوته ﷺ في هذا الزمن مجدداً، فأسس ﷺ هذه الجماعة وأرسلني مأموراً

ومهديا.... ولكن الله تعالى كان قد وعد: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وكان من مقتضى وعد الحفظ هذا أن يتدارك الله تعالى الإسلام عند تعرضه للهجمات. من واجب الحراس أن يتصدوا للسارقين، ويقوموا بواجبهم ضد المجرمين الآخرين أيضا، ولذلك لما اجتمعت الفتن في هذه الأيام وأراد الأعداء جميعا مهاجمة حصن الإسلام مدججين بكل أنواع الأسلحة، أراد الله تعالى أن يقيم منهاج النبوة. كانت هذه الفتن ضد الإسلام تغلي في الداخل منذ فترة طويلة، وقد أطلت برأسها الآن في نهاية المطاف. فكما تكون في البداية نطفة ثم يتولد الطفل عند موعد محدد، كذلك خرج ولد عداوة الإسلام، وقد بلغ أشده وهو الآن في شبابه وقوته، فأنزل الله حرية من السماء لتدميره، وأسس هذه الجماعة لإجاحة الشرك البغيض الذي نشأ في الداخل والخارج، ولإقامة وحدانية الله وجلاله. هذه الجماعة هي من عند الله تعالى، وأقول بكل تحدٍ وبصيرة إنها من عند الله تعالى دون أدنى شك، وقد أقامها بيده، وقد أظهر ﷺ ذلك بتأييداته ونصرته لهذه الجماعة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٨، عدد ١٠/٨/١٩٠٢م، ص ٦)

إن رسول الله ﷺ كان قد أنبأ بأن الله تعالى سوف يرسل على رأس كل قرن مجدداً يحدد ما فسد من الدين من أمور. وإن عملية إرسال المجددين هذه مستمرة بحسب وعد الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. فوفقاً لوعد الله تعالى هذا وطبقاً لنبوءة رسول الله ﷺ التي تنبأ بها بناءً على وحي الله، كان ضرورياً أن يُبعث على رأس هذا القرن الذي قد انقضى منه ١٩ عاماً، مجدداً لإصلاح الدين وتجديد الملة. وقبل أن يعلن أحد بناءً على وحي الله وإلهامه بأنه مأمور من الله، كان ضرورياً لذوي الطبائع النشيطة السعيدة، قبل أن يأتي رأس هذا القرن، أن يبحثوا عن هذا الرجل السماوي بمنتهى القلق والاضطراب، وأن يصغوا لسماع هذا الصوت الذي يشهرهم بأني قد جئت من الله تعالى بحسب وعده. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١، عدد

هناك شهادات كثيرة على أنني مبعوث من الله تعالى. فأولا: الشهادة الداخلية، وثانيا: الشهادة الخارجية، وثالثا: الحديث الصحيح عن بعثة مجدد على رأس كل قرن، ورابعا: وعد الحفظ من عند الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٣م، ص ٢)

اعلموا أن الله غيور على دينه وقد قال وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. فقد حفظ الله ذكره بحسب وعده هذا، وبعثني من عنده وجعلني مجدد القرن الرابع عشر بحسب وعد نبيه ﷺ بأنه سيأتي مجدد على رأس كل قرن، وقد سماني كاسر الصليب أيضا. فلو كنتُ مخطئا في دعواي هذا، فتصير سلسلة النبوة كلها باطلة، وتُعدّ وعود الله كلها زائفة، والأغرب من ذلك أن الله تعالى سيعدّ ناصرا للكاذبين -والعياذ بالله- إذ أحظى بتأييدات الله ونصرته. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٤، ٣١/١/١٩٠٣م، ص ٣)

لقد أصابت الإسلام صدمة خطيرة لا نظير لها في ألف عام مضى، هذه آخر هجمة للشيطان، فهو يريد أن يقضي على الإسلام بكل قوة، لكن الله ﷻ أنجز وعده وأرسلني لكي أسحق رأسه للأبد. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٣، عدد ٢٤/٦/١٩٠٣م، ص ٣)

إنهم يسمّون نبي الله الصادق وأفضل الرسل ﷺ ... فكيف ترضى غير الله بأن تطلق الشتائم على هذا النحو، ولا ينصر الإسلام ولا يؤيده؟ مع أنه نفسه قد وعد ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، كان مستحيلا أن يصل العصر إلى هذا الحال، ويظل الله صامتا رغم هذا الوعد.

إن النصارى المتجاسرين المزهدين يسيئون إلى القرآن الكريم لدرجة أنهم يستنجون به، ويفترون على النبي ﷺ أنواع المفتريات ويطلقون عليه الشتائم. ومعظم هؤلاء هم أولئك الذين وُلدوا وترَبُّوا في بيوت المسلمين، ثم ارتدّوا واتخذوا دأبهم الاستهزاء بالتعليم الطيب للإسلام. هذا ما يعانیه الإسلام من الخارج حيث

ترمى إليه السهام من كل طرف وصوب. إذن أفلم يكن هذا الوقت ليثير غيرة الله لنبيه المقدس ﷺ، كلا بل ثارت غيرته وبعثني بحسب الوعد الذي قطعه في: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١١، عدد ٣/٣١/١٩٠٤م، ص ٣)

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، أي قد أنزلنا هذا القرآن الكريم وسوف نحفظه نحن شخصيا، ثم انظروا كيف حفظه، حيث لم تتغير أي كلمة ولا نقطة، ولم يقدر أحد على تحريفه وتبديله. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١، عدد ٤/١٠/١٩٠٤م، ص ٤)

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، أي عندما تحدث الأخطاء في معانيه سيأتي المبعوثون منا لإصلاحها. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٨-٣٩، عدد ١٠-١٧/١١/١٩٠٤م، ص ٧)

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، إن وعد حفظ القرآن الكريم الذي وعد به الله تعالى لم يأت بحق التوراة أو أي كتاب آخر، لذلك عملت فيها أيدي البشر عملها. الوسيلة العظمى لحفظ القرآن الكريم هي أن الأدلة على تأثيراته المتجددة تتيسر دائما. وما دام اليهود تركوا التوراة كلياً فلم يبق فيهم تأثير ولا قوة، وهذا يدل على موتهم. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠، عدد ١٧/١١/١٩٠٥م، ص ٧-٨)

إن حالة الإسلام الحالية ليست خافية على أحد، وقد أجمع أن المسلمين مصابون بجميع أنواع الضعف والزوال والانحطاط من كل ناحية. لهم ألسنة ولكن لا تحالفها قلوبهم، والإسلام صار يتيماً؛ ففي هذه الحالة أرسلني الله تعالى لأسعف الإسلام وأتكفله، وقد أرسلني بحسب وعده كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. فإن لم تتم حمايته ونصرته وحفظه في هذا الوقت؛ فمتى؟! لقد آلت الحالة في هذا القرن الرابع عشر إلى ما كانت عليه في بدر. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٣٦، عدد ١٧/١٠/١٩٠٦م، ص ٥)

ثابت من القرآن الكريم أن الله حافظ على دينه ﷺ دائما وسيحفظه في المستقبل أيضا كما يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. إن عبارة: "إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" تدل بجلاء على أنه سيأتي على رأس كل قرن دائما رجال ليستعيدوا المتاع المفقود ويدكروا به الناس. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠٦م، ص ٣)

هذا ما أراده الله، وقد نصر دينه في وقت مناسب بحسب وعده: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. هو الذي أقام الإسلام في العالم ونشر تعليم القرآن وحمل مسؤولية حمايته أيضا. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٤/٧/١٩٠٨م، ص ١٣)

إن الحديث (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها- من الناقل) شرح للآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. والقرن هو عمر إنسان عادي، لذلك قال النبي ﷺ في حديث "مَا مِنْ نَفْسٍ مَّنْقُوسَةٍ يَوْمَ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةٌ سَنَةٍ وَهِيَ حَيَّةٌ يَوْمَئِذٍ" (مسلم). كما أن القرن يُمَيِّت الجسم كذلك هناك موت روحاني أيضًا، لذا يأتي جيل جديد بعد قرن. وكما ترون اليوم حقول الغلة مخضرة وستيبس يوما ما نهائيا. ثم تنمو من جديد وتستمر السلسلة على هذا النحو إذ يموت الأكابر السلف خلال مائة سنة، ويدبر الله عند بداية كل قرن نظامًا جديدًا كتدبيره الرزق. فهذا الحديث يحظى بحكم التواتر بسبب تأييد القرآن الكريم. نرتدي الملابس ونحتاج إلى تجديدهما بعد فترة. فعلى هذا المنوال تستمر سنة الله لتجديد الجيل الجديد بأن يأتي على رأس كل قرن من يجدد الدين. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٧، عدد ٢١/٢/١٩٠٣م، ص ٧)

لقد وصلت حالة الإسلام إلى هذه الدرجة، فهل هذا يعني أن وعد الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ بطل كليًا؟ ألم يكن ضروريا أن يُحَفَظ الإسلام في هذا الوقت. أقول صدقا وحقا بأن هذا القوم قد تحمّل صدمة الخريف بالكامل ومن الضروري الآن أن ينال نصيبا من الربيع وأن تزهر شجرة الإسلام

الطاهرة وتثمر. الصدمة التي تلقاها الإسلام في عهد السيخ كانت قاسية جدا، فقد هُدمت المساجد، وقد بلغت حالة الوحشية إلى درجةٍ مُنع فيها الأذان والصلاة. وقبلما كان مسلم يعلم قراءة القرآن الكريم، وقد حذوا حذو السيخ إذ لبسوا شعائرهم وطوّلو الشوارب وحلّت تحية السيخ محل التحية الإسلامية. هذه كانت الحالة في زمن السيخ، أما الآن حين ساد السلام والوئام فقد تقدموا في الفسق والفجور. ومن ناحية أخرى حاول المسيحيون تنصير الناس بشتى الأطماع ولم يخطئوا الهدف. فتجدون في كل كنيسة فتيات وشبابا من أشرف القوم قد ارتدّوا وانضموا إلى المسيحية. كم هو مؤلم أن تُعوى فتاة من عائلة شريفة وتراها تتجول دون حجاب وترتكب كل نوع من المعاصي. فلا بد -بالنظر إلى هذه الظروف- أن يقول كل من يملك قليلا من العقل أيضا بأن هذا الزمن يقتضي بالطبع أن تأتي النصرّة من الله. لا نستطيع أن نُلزم الذين يقولون بأنه لم يفسد شيء في الإسلام ولا في المسلمين. بل لن يفسد عندهم شيء وإن أُلحد الجميع! والحق أن الإسلام بأمر حاجه الآن إلى نصرّة الله.

ما أسعد هذه الفرصة إذ لم يترك الله تعالى الإسلام بلا نصرّة في هذا الوقت العصيب، وأرسلني لإحيائه بحسب سُنّته. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣، عدد ١٩٠٧/١/٢٤م، ص ٨)

يقترح العقل أيضا أن هذا هو زمن مجيء المسيح. قد ضعف الإسلام كثيرا لدرجة أنه كان إذا ارتد شخص واحد قامت قيامة، أما الآن فقد ارتد مئات من الألوف من الناس. تؤلّف الكتب ضد الإسلام ليل نهار وتُنسج أنواع الخطط لاستئصال الإسلام. لا يقبل العقل أن يسكت الآن الإله الذي وعد بحماية الإسلام قائلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ولا يحميه. أما أكبر مصيبة على الإسلام في العصر الراهن فهي أن أولاد المسلمين الأشراف يتوجهون إلى الكنائس معادين للإسلام ويسيتّون إلى النبي ﷺ علنا، ويطلقون عليه ﷺ كل أنواع السباب والشتائم.

لو نظرنا إلى هذه الأمور معا لأفتى العقل أن هذا هو وقت تأييد الله تعالى. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣١، عدد ١٦/٨/١٩٠٤م، ص ٥)

هناك اعتراض آخر تقدمونه وهو أنه سيأتي في هذه الأمة ثلاثون دجالا. أيها الأشقياء، ألم يبق في نصيبكم إلا الدجالون؟ هل بقي نقص في دمار الإسلام إثر ظهور دجال واحد ليأتي الثاني والثالث والرابع حتى يأتي الثلاثون دجالا لكيلا يبقى للإيمان أدنى أثر؟ كانت أمة موسى أفضل من هذه الناحية إذ قد جاء فيها أربعمئة نبي على التوالي. وقد كلم الله النساء أيضا في زمن موسى عليه السلام. أما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يستحق رجالها أيضا ليكلّمهم الله! فقولوا الآن كيف صارت هذه الأمة أمة مرحومة؟ بل يجب أن تسمى شقية. لقد مضى على بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ١٣٠٠ عام وصارت الفيوض والبركات كلها في حكم السماع فقط. لو لم يجددها الله الآن فمن سيقبلها وهي في صورة القصص والحكايات إن لم تحالفها نصره الله المتجددة. وما معنى حفظ الله إن لم تكن هناك نصره منه؟ مع أنه قد وعد: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣٤-٣٦، عدد ٨-١٦/٩/١٩٠٤م، ص ٨)

إنها معجزة القرآن الكريم الذي كل حرف منه محفوظ والذي أخذ الله تعالى مسؤولية حفظه حين قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣١، عدد ١٧/٩/١٩٠٤م، ص ٥)

لو قرئت كتب العلماء قبل دعوي لتبين مدى الانتظار أو التشوق، كأهم كانوا مضطربين من علامات القرن الثالث عشر. لكن حين آن الأوان صاروا هم أول الكافرين. كانوا يعرفون جيدا وكانوا يقولون دوما إن مجدداً يبعث على رأس كل قرن لإصلاح المفسد، وأن طبيا روحانيا يرسل لإصلاح المفسد السائدة. كان واجبا عليهم أن ينتظروا على رأس القرن ويتربوا مجددا يكسر الصليب نظرا إلى الضرورة، لأن ذلك هو أكبر فتنة في العصر الراهن.

فأخبروني أين وعدُ: ﴿إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ والحالة هذه؟ (الحكم، مجلد ٧، رقم ٧، عدد ٢١/٢/١٩٠٣م، ص ٣-٤)

باختصار، في وقت هذه الفتنة كاد الأعداء يتحدون فيردّوا المسلمين عن دينهم دفعة واحدة، ولكن يد الله القوية ظلت تساند الإسلام، وهذا في حد ذاته دليل آخر على صدق الإسلام. الحق أن التقدم العلمي المعاصر يشكّل معجزة للإسلام. انظروا كيف بذل الأعداء كلّ ما عندهم من قوة وشوكة بل بكل نفس ونفيس للقضاء على الإسلام، ولكن الله تعالى أنقذه من الهلاك وفقاً لوعده: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، أي أن الله بنفسه سوف يذكر الناس بتلك النقوش المنقوشة في فطرتهم، وأنه هو الذي سينقذ الإسلام من الخطر. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٩٧)

لقد منّ الله في هذا العصر منّة عظيمة إذ بعث إنساناً لتأييد دينه غيراً على دينه ونبيه ﷺ، وهو الذي يتحدث بين ظهرائكم، لكي يهدي الناس إلى هذا النور. لولا هذا الفساد والفتنة وهذه المحاولات للقضاء على الدين في هذا العصر لما كانت ثمة أدنى حاجة لبعثه. ترون كيف أن الملل كلها تسعى جاهدة من اليمين واليسار للقضاء على الإسلام. أتذكر جيداً، وقد سجلت هذا في "البراهين الأحمدية" أن ستين مليون كتاب قد أُعدّت وأُشيعت ضد الإسلام. والغريب أن عدد المسلمين في الهند يبلغ ستين مليوناً، والكتب المعادية للإسلام أيضاً تبلغ ستين مليوناً. ولو تركنا الكتب الإضافية الأخرى المنشورة في هذه الفترة جانباً، فإن معارضينا قد وضعوا في يد كل مسلم كتاباً. ولولا غيرة الله التي قد ثارت اليوم ولولا وعده الحق الذي سبق: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، لُقضي على الإسلام اليوم حتماً واندرست آثاره نهائياً. ولكن هذا محال، فإن يد الله الخفية تحميه. (تقرير

الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٧٧-٧٨)

الآية ٢٢: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾

يتبين من هذه الآية أن كل ما يوجد في الدنيا من الأشياء ينزل من السماء، بمعنى أن الأسباب الضرورية لوجود هذه الأشياء، هي من ذلك الخالق الحقيقي ﷻ، وأنها تأتي إلى الوجود بإلهامه وإلقائه وتفهمه، وكل شيء يُكْتَشَف؛ إنما يتم اكتشافه نتيجة العقل والفهم الذي أعطاه ﷻ للناس، ولكن لا يُكْتَشَف شيء يزيد عن حاجة العصر. وأن كل مبعوث من الله يُعْطَى سعة في العلم أيضا بحسب ضرورة العصر. وعلى المنوال نفسه تُكشَف دقائق القرآن الكريم ومعارفه وحقائقه أيضا بحسب ضرورة العصر. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية المجلد ٣، ص ٤٥٠-٤٥١) مما يتنافى مع الحكمة الإلهية أن يُعْطَى نبي لإصلاح أمة علوما لا تتناسب معها. بل هذا القانون الإلهي ساري المفعول في الحيوانات أيضا. (حقيقة الوحي الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٥٥-١٥٦)

إن الإنجيل قانون خاص بالمقام والزمان والقوم. نجد الإنجيليز أيضا يستون بعض القوانين التي تكون مختصة بمكان وزمان ولا يكون لها أثر فيما وراء ذلك. وكان الإنجيل قانوناً مختصاً بعصره ولم يكن عاماً. أما القرآن فنطاق تعاليمه واسع جدا، فهو قانون أبدي لن يتبدل إلى يوم القيامة، وهو لكل قوم ولكل زمان ومكان. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾، أي إنما ننزل من كنوزنا بقدر معلوم. جاء الإنجيل لسد حاجة ذلك العصر فقط، ولذلك يمكن تلخيصه في صفحة واحدة فقط.

أما القرآن الكريم فكانت غايته إصلاح العصور كلها. كان هدفه الارتقاء بالإنسان من حالته الوحشية ليكون إنساناً، ثم إنساناً مهذباً متحلياً بالآداب الإنسانية، لكي يكون قادراً على العمل بحدود الشرع وأحكامه، ثم ليكون إنساناً ربانياً. إنها كلمات موجزة إلا أن لها آلاف الفروع والشُعَب. لما كان اليهود والطبيعيون والمجوس وغيرهم من الأمم يعيشون عيشة انحراف وسوء، فخطبهم النبي

ﷺ جميعا بإعلام رباني وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٩)، فكان لزاما أن يكون القرآن الكريم جامعاً للأحكام الصادرة في الماضي من حين لآخر، وشاملاً لكافة الحقائق التي وصلت من السماء إلى أهل الأرض على أيدي الأنبياء عبر العصور الغابرة. لقد أخذ القرآن الكريم في الحسبان جميع البشرية، لا أمة معينة أو بلداً خاصاً، أو عصراً خاصاً، أما الإنجيل فكان جُلُّ اهتمامه بأمة معينة، ولذلك قال المسيح ﷺ مرارا: "لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافٍ بَيَّتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةَ". (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٨٦)

الآية ٢٨: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾

يمكن الاستنباط من قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٤١) أن تكون أمة قبله أيضاً، وفي موضع آخر يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ أن أمة "الجان" كانت موجودة قبل آدم. (بدر مجلد ٢، رقم ٢٤، عدد ١٩٠٣/٧/٣م، ص ١٨٧)

الآية ٣٠: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾

إن (الإنسان) عالم صغير من حيث الروح، ومظهر تام لروح الله من حيث الشؤون والصفات الكاملة والظلية التامة. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٧٨-١٧٩، الحاشية في الحاشية)

أي إذا أتممتُ قلبه ووضعتُ جميع مظاهر التجليات في مواضعها ونفخت فيه من روحي وجب عليكم جميعاً أن تخروا له على الأرض ساجدين. فالآية تشير إلى المعنى نفسه، أي أنه عندما يكتمل قلب الأعمال، تتجلى فيه تلك الروح التي نسبها الله إلى ذاته. وبما أن هذا القلب لا يتكون إلا إذا طرأ الفناء الكامل على حياة الإنسان المادية، لذلك يُشرق فيه النور الرباني دفعة واحدة بعد أن كان ضئيلاً. عندها يجب على كل من يشاهد هذه العظمة الإلهية أن يسجد لله وينجذب إليه.

وهكذا يسجد الجميع عند رؤية هذا النور ويُقبلون عليه بطبعهم إلا إبليس اللعين الذي يحب الظلام. (فلسفة تعاليم الإسلام الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٢٢) لقد خلقت حكمة الله آدم على هذا النحو وأنشأت في فطرته علاقتين منذ البداية. أي من ناحية أنشأت علاقته مع الله تعالى كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾؛ فيتبين من هذه الآية بجلاء أن الله تعالى نفخ في آدم روحه بعد خلقه فوراً وأنشأ وَجْكَ عِلَاقَةً مع فطرته. وفعل ذلك كي تكون للإنسان علاقة مع الله وَجْكَ فِطْرِيًّا. كذلك كان ضرورياً من جانب آخر أن تكون له علاقة فطرية مع الذين يسمّون بشراً لأنه عندما يكون وجودهم مستمداً من آدم أي عظامهم من عظامه ولحمهم من لحمه فسينالون حتما نصيباً من هذه الروح التي نُفِخَتْ في آدم. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ١، رقم ٥، ص ١٧٧-١٧٨، عدد: مايو ١٩٠٢م)

في هذه الآية إشارة إلى سر عميق يمثّل علامة الكمال البالغ منتهاه، وهو أن الإنسان في البداية يملك صورة الإنسان فحسب ولكنه يكون بلا حياة روحانياً ولا روحانية فيه من أي نوع. ففي هذه الحالة لا يخدمه الملائكة لأنه لا يزال قشراً دون مغزى. ثم يأتي رويدا رويدا على الإنسان السعيد زمن يتقرّب فيه إلى الله كثيراً. وحين تصبح نفسه مقابل نور الله ذي الجلال تماماً ولا يبقى بينهما حجاب ليحجب هذا النور، يدخل الإنسان دون أدنى تأخير نور الألوهية الذي يمكن أن نسميه روح الله بتعبير آخر. وتلك هي الحالة الخاصة التي قيل عنها في كلام الله بأن الله تعالى نفخ روحه في آدم. وفي هذه المرحلة يؤمر الملائكة - ليس تكلفاً ولا كأمر من أوامر الشريعة - أن يسجدوا له أي يطيعوه طاعة كاملة وكأنهم له ساجدون. هذا الأمر من فطرة الملائكة وليس مستحدثاً. أي أن الملائكة بطبيعتهم يشعرون أن من واجبهم أن يخزّوا لخدمة الشخص الذي يأتي متصبغاً بصبغة الله تعالى، وهذه الأمور ليست قصصاً محضاً بل هي حقيقة ناصعة. وقد جرت عادة الله في القرآن الكريم أن تكون

تحت هذه القصص حقيقة علمية دائما. فهذه هي الحقيقة العلمية هنا أن الله تعالى أراد أن يبين في هذه القصة علامة الإنسان الكامل. فقال: إن علامة الإنسان الكامل ألا يكون محروما في أي مرحلة من مراحل خلق الإنسان، وتكون أعضاؤه الروحانية والجسدية قد نالت حظا وافرا من حيث الخلق البشري وتكون فطرته حائزة على اعتدال كامل.

(٢) العلامة الثانية هي أن تكون الروح الإلهية قد دخلته. (٣) العلامة الثالثة هي أن يسجد له الملائكة. أي يكون جميع الملائكة المسخرين في السماوات والأرض كخادم له ويعملوا بحسب رغبته.

الحق أنه عندما يكون الله تعالى مع عبده يرافقه أيضا جيش ملائكته جميعا ويخضعون له. فينصرونه في كل موطن وعند مواجهته أي موقف صعب، ويكونون على أتم الاستعداد لطاعته في كل حين وأن، وكأنهم ساجدون له دائما لأنه خليفة الله. ولكن لا يفقه هذه الأمور أناس ذوو أفكار أرضية لأنهم لم يُعطوا نصيبا من الروح السماوية. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ١، رقم ٥، ص ١٧٧-١٧٨، عدد: مايو ١٩٠٢م الحاشية)

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (ص: ٧٢-٧٥). أي أنه تعالى (الذي أنت مظهره الأتم) يقول للملائكة: إذا خلقت هذا الإنسان بكمال الاعتدال ونفخت فيه من روحي؛ فقعوا له ساجدين؛ أي انصرفوا إلى خدمته بكل تواضع واخدموه كأنكم تسجدون له ... ليكن معلوما أن أمر السجدة لا يتعلق بالزمن الذي خلق فيه آدم، بل هذا أمرٌ منفصلٌ أمر به الملائكة بأنه كلما وصل إنسانٌ مرتبة الإنسانية الحقيقية وحظي بالاعتدال الإنساني، وسكنته روح الله تعالى؛ فليسجدوا لذلك الإنسان الكامل. أي انزلوا عليه بالأنوار السماوية وصلوا عليه. فهذه إشارة إلى السُّنة القديمة التي يُعامل بها

الله تعالى عباده الأصفياء دائما. فكلما يحرز أحدُ تسوية روحانية في عصر من العصور وتسكنه روح الله تعالى - أي يفني نفسه وينال مرتبة البقاء بالله - يبدأ نزول الملائكة عليه بوجه خاص. مع أن الملائكة يُسَخَّرُونَ لنصرتهم وخدمته في المرحلة الابتدائية من سلوك ذلك الإنسان أيضا، ولكن هذا النزول يكون أتم وأكمل حتى يدخل في حكم السجود. ولقد بين الله تعالى باستخدام كلمة السجود أن الملائكة ليسوا أفضل من الإنسان الكامل، بل يسجدون للإنسان الكامل تعظيما وتبجيلا له مثل الخدم في بلاط المليك. (توضيح المرام، الخزائن الروحانية المجلد ٣، ص ٧٦-٧٧)

الآية ٣٧-٣٨: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾

إن الذي سُمِّي في الأحاديث دجالا ذُكر في القرآن الكريم باسم الشيطان، كما يقول حكايةً عن الشيطان: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ أي التمس الشيطان من الله تعالى ألا يُهلك ما لم يُحْيَ مرة أخرى الأموات الذين ماتت قلوبهم. فقال تعالى: إنك من المنظرين. فالدجال الذي ورد ذكره في الأحاديث ليس إلا شيطانا سَيُقْتَل في الزمن الأخير، وهذا ما قاله النبي دانيال كما تبينه بعض الأحاديث أيضا. ولما كانت النصرانية هي المظهر الأتم للشيطان، لذا لم يرد في سورة الفاتحة ذكر الدجال قط وإنما ورد أمر الاستعاذة بالله من شر النصارى. فلو كان الدجال مفسدا وهو غيرهم لقال الله تعالى في فاتحة القرآن الكريم: "ولا الدجال" بدلا من: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وليس المراد من آية: ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ بعثة الأجساد لأن الشيطان لن يحيا إلا ما دام بنو آدم أحياء. وصحيح أيضا أن الشيطان لا يقوم بأي عمل بنفسه بل يعمل بواسطة مظاهره. وهؤلاء المظاهر هم الذين أهوا الإنسان. وبما أنهم يشكلون حزبا لذا سَمِّي هذا الحزب دجالا لأن "الدجال" في اللغة العربية يُطلق على الحزب أيضا. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤١)

"وإن آدم هوى من قبل في مَصَافٍّ، وهزمه الشيطان فما رأى الغلبة إلى ستة آلاف، ومَزَقَتْ ذُرِّيَّتُهُ وفُرِّقَتْ في أطراف، فإلى كم يكون الشيطان من المنظرين؟ ألم يُعْوَ الناس أجمعين، إلا قليلا من عباد الله الصالحين؟ فقد أتم أمره وكَمَّلَ فعله وحن أن يُعان آدم من رب العالمين. ولا شك ولا شبهة أن إنظار الشيطان كان إلى آخر الزمان، كما يُفْهَم من القرآن، أعني لفظ "الإنظار" الذي جاء في الفرقان، فإن الله خاطبه وقال ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ * إِلَى يَوْمِ الْوَفَاتِ الْمَعْلُومِ، يعني يوم البعث الذي يُبعث الناس فيه بعد موت الضلالة بإذن الحي القيوم. ولا شك أن هذا اليوم يوم يشابه يومَ خَلْقِ آدم بما أراد الله فيه أن يخلق مثل آدم، ثم يبت في الأرض ذُرِّيَّتَهُ الروحانية ويجعلهم فوق كل مَنْ قُطِع من الله وتَجَذَّم. واشتدَّت الحاجة إلى آدم الثاني في آخر الزمان، ليتدارك ما فات في أول الأوان، وليتم وعيد الله في الشيطان، فإن الله جعله من المنظرين إلى آخر الدنيا وأشار فيه إلى إهلاكه، وإخراجه من أملاكه. وما معنى الإنظار من غير وعيد القتل بعد أيام الإمهال وعيَّته في الديار؟ وكان الإهلاك جزاءه بما أهلك الناس بالفتن الكبار. وكان الألف السابع لقتله أجلاً مسمًى، فإنه أدخل الناس في جهنم من سبعة أبوابها ووفَّى حق العمى، فالسابع لهذه السبعة أنسب وأوفى. وكتب الله أنه يُقتل في آخر حصّة الدنيا، ويُحْيى هناك أبناءُ آدم رحمةً من حضرة الكبرياء، ويُجعل عليه هزيمة عظمية كما جعل على آدم في الابتداء. فهناك تُجْزَى النفس بالنفس والعرض بالعرض، وتُشرق الأرض بنور ربّها، وتهوي عدوُّ صفيّ الله، وكذلك جزاء عداوة الأصفياء. وكان هذا الفتح حقاً واجبا لآدم بما أزلّه الشيطان في حُلْيَةِ الثعبان، وألقاه في مغارة الهوان وهَدَم، بعدما أعزّه الله وأكرم. وما قصد إبليس إلا قتله وإهلاكه واستيصاله، وأراد أن يُعِدِمَهُ وذُرِّيَّتَهُ وآلَهُ، فكتب عليه حُكْم القتل من ديوان قضاء الحضرة بعد أيام المهلة، وإليه أشار سبحانه في قوله ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ كما يعلمه المتدبرون. وما غني بهذا القول بعث الأموات، بل أُريدَ فيه بعث الضالّين بعد الضلالات. ويؤيده قوله تعالى في القرآن ﴿لِيُظْهِرَهُ

عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴿الصف: ١٠﴾، كما لا يخفى على أهل العقل والعرفان. فإن إظهار الدين على أديان أخرى، لا يتحقق إلا بالبينّة الكبرى، والحجج القاطعة العظمى، وكثرة أهل الصلاح والتقوى. ولا شك أن الدين الذي يعطي الدلائل الموصلة إلى اليقين، ويزكي النفوس حق التزكية وينجيهم من أيدي الشيطان اللعين، هو الدين الظاهر الغالب على الأديان، وهو الذي يبعث الأموات من قبور الشك والعصيان، ويحييهم علماً وعملاً بفضل الله المنان. وكان الله قد قدر أن دينه لا يظهر بظهور تام على الأديان كلها، ولا يُرزق أكثرُ القلوب دلائل الحق، ولا يُعطى تقوى الباطن لأكثرها إلا في زمان المسيح الموعود والمهدي المعهود. وأمّا الأزمنة التي هي قبله فلا تعمّ فيها التقوى ولا الدراية، بل يكثر الفسق والغواية.

فالحاصل أن الهداية الوسيعة العامة، والحجج القاطعة التامة، تختص بزمان المسيح الموعود من الحضرة، وعند ذلك الزمان تنكشف الحقائق المستترة، وتُكشّف عن ساق الحقيقة، وتهلك الملل الباطلة والمذاهب الكاذبة، ويملك الإسلام الشرق والغرب، ويدخل الحق كل دارٍ إلا قليل من المجرمين، ويتم الأمر، ويضع الله الحرب، وتقع الأمانة على الأرض، وتنزل السكينة والصلح في جذور القلوب، وتترك السباع سبعيتها والأفاعي سُميتها، وتبين الرشد وتهلك الغي، ولا يبقى من الكفر والشرك إلا رسم قليل، ولا يلتزم الفسق والفاحشة إلا قلبٌ عليل، ويُهدى الضالون، ويُبعث المقبورون. فهذا هو معنى قوله ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾، فإن هذا البعث بعثٌ ما رآه الأوّلون ولا المرسلون السابقون ولا النبيون أجمعون. وإن دين الله وإن كان غالباً من بُدّ أمره على كل دين من حيث القوة والاستعداد، ولكن لم يتفق له من قبل أن يباري الأديان كلّها بالحجة والإسناد، ويهزمها كلّ الهزم ويثبت أنها مملوءة من الفساد، ويخرج كالأبطال بأسلحة الاستدلال، حتى يعمّ في جميع الديار والبلاد. وكان ذلك تقديراً من الله الودود، بما سبق منه أن الغلبة التامة والصلاح الأكبر الأعم يختص بزمان المسيح الموعود،

ولذلك استمهل الشيطانُ إلى هذا الزمان المسعود، فمهله الله ليتِمَّ كل ما أراد للعالمين. فأغوى الشيطان مَنْ تبعه أجمعين، فتقطَّعوا بينهم أمرهم، وكان كل حزب بما لديهم فرحين. وما بقي على الصراط إلا عباد الله الصالحين. والسرّ فيه أن الزمان قُسِّم على ستّة أقسام، مِنْ الله الذي خَلَقَ العالم في ستة أيام. فهو زمان الابتداء، وزمان التزايد والنماء، وزمان الكمال والانتهاء، وزمان الانحطاط وقَلَّةِ التعلُّق بالله وقَلَّةِ الارتباط، وزمان الموت بأنواع الضلالات، وزمان البعث بعد الممات. فإنَّ مثل الناس عند الله مِنْ وقت آدم إلى آخر الزمان كزُرِّعٍ أُخْرِجَ شَطْأُهُ فَازَرَهُ فاستغلظ فاستوى على سوقه، ثم اصفرَّ فطفق يتساقط بإذن الله، ثم حُصِدَ فبقيت الأرض خاوية، ثم أحيّاها الله بعد موتها فإذا هي راوية، وأنبتَ فيها نباتًا مترعرًا مخضرًا، وعيونَ الرُّزَّاعِ أَفْرَ، كذلك ضرب الله مثلاً للعالمين. فثبت من هذا المقام أن زمان الموت الروحاني كان مقدَّرًا من ربِّ العالمين، وكان قُدِّرَ أن الناس يضلُّونَ كلهم في الألف السادس إلا قليل من الصالحين، فلاجل ذلك قال الشيطان لأغويّتهم أجمعين، ولو لم يكن هذا التقدير لما اجترأ على هذا القول ذلك اللعين. ولما كان يعلم أن الله قفَى هذه الأزمنة بزمان البعث والهداية والفهم والدراية، قال ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾. فالحاصل أن آخر الأزمنة زمان البعث كما يعلمه العالمون. فكأنَّ الله قسَّم الألف الستّة على الأزمنة الستّة، وأودَعَ بعضَ حصص السابِع للقيامة، ولما جاء الألف السادس الذي هو زمان البعث من الله الكريم، تمَّ أمرُ الإضلال وصار الناس فِرَقًا كثيرة من الشيطان اللئيم، وزاد الطغيان وتموجَ الفرق كتموج الأمواج الثقالة، وشمخ الضلالة كالجبال، ومات الناس بموت الجهل والفسق والفواحش وعدم المبالاة، وعمّ الموتُ في جميع الأقوام والديار والجهات. فهناك رأى الله أن وقت البعث قد أتى، ووقت الموت بلغ إلى المنتهى، فأرسل رسوله كما جرت سُنَّتُهُ في قرون أولى، ليحيي الموتى، وكان وعدًا مفعولاً من ربِّ الوَرَى.

(الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ٣٢٠-٣٢٣)

الآية ٤١: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾

أَوَّلَ الْمُحَقِّقُونَ حديثاً ورد في صحيح البخاري: "ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، إلا مريم وابنها"، لأنهم رأوه يخالف آيات القرآن الكريم: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر: ٤٣)، وقوله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ (مريم: ١٦)، فقالوا إن المراد من مريم وابن مريم هم أناس يحملون صفاتهما، كما قال شارح البخاري في شرح هذا الحديث: "قد طعن الزمخشري في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته وقال: إن صح، فمعناه كل من كان في صفتهما". (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٦٠٩-٦١٠)

الآية ٤٣: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾

هذه الآية تدل بوضوح أن الحماية من مس الشيطان ليست خاصة بابن مريم. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٩٣)

... أي يا أيها الشيطان لن تغلب عبادي الذين يسلكون مسالك مرضاتي. فما لم يختر الإنسان على عتبات الله متخلياً عن كل أنواع الاعوجاج والأفكار الفاسدة والطرق السخيفة، كان له انسجام مع عادة من عادات الشيطان، وبسبب هذا الانسجام يتوجه الشيطان إليه ويسعى إليه. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٣٥٤)

أما القول بأن القرآن الكريم جعل بعض الناس أهل جهنم قهراً وفرض عليهم سلطان الشيطان فرضاً، فهو خطأ مخجل. يقول الله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾. انظروا كيف يبين الله تعالى حرية الإنسان. هذه الآية وحدها تكفي منصفاً إذا كان في قلبه شيء من العدل. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٣٢)

أي؛ أيها الشيطان مسبب الشر لن تتسلط على عبادي. وتعني هذه الآية أن الله تعالى خلق أسباب كل شيء شرًا كان أم خيرا. فمثلا لولا مقومات الخمر من أين سيعصر السكارى خمرا ويشربونها؟ فإذا كنت تريد الاعتراض فقط فلتعترض أولا على عبارة: "صَانِعُ السَّلَامِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هَذِهِ." (إِسْعِيَاء ٤٥ : ٧) (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٤١)

الأسف كل الأسف أن بعض القساوسة تجاسروا إلى درجة أنهم كتبوا في مصنفاتهم تفسيراً لحادثة اختبار الشيطان المسيح وأخذ به إلى الجبل؛ فقالوا: لم يكن هذا الأمر على الحقيقة حتى يراه العالم ويشاهده اليهود أيضا، بل كان ذلك مجرد إلهام الشيطان الذي تلقاه المسيح ثلاث أو أربع مرات؛ ولكنه لم يستجب له. تقشعر أبداننا لدى سماعنا مثل هذا التفسير للإنجيل. فهل يُتوقع أن المسيح كان يتلقى وحي الشيطان؟ أمّا إذا لم نسلّم بأن هذه المكالمة مع الشيطان كانت إلهاماً شيطانياً، بل تمثل الشيطانُ بشراً ثم لقي المسيح؛ فبنشأ الاعتراض أن الشيطان - وهو الثعبان القديم في الحقيقة - قد أظهر نفسه في صورة متجسدة وتمثل في جسده الظاهري، ثم جاء ووقف عند المعبد المقدس لليهود الذي يقطن حوله ألوف من الناس، ولا بد أن نسلّم أن ألوفاً من الناس قد اجتمعوا لرؤيته، ففي هذه الحالة كان ينبغي للمسيح أن ينادي اليهود ويربهم الشيطان الذي كانت بعض فرقهم تنكر وجوده، فكان بالإمكان أن تُعتبر آية عظيمة للمسيح وتؤدي إلى هداية الكثيرين، وكان لا بد أن يتبع المسيح كثيرٌ من أصحاب المناصب العليا في المملكة الرومية بعد رؤيتهم الشيطان رأي العين ثم طيرانه من هناك في نهاية المطاف، إلا أن هذا لم يحدث على أرض الواقع، مما يوصلنا إلى يقين أنها كانت مكالمة روحانية يمكن وصفها بكلمات أخرى بالوحي الشيطاني. ويخطر ببالي أمر آخر أيضا وهو أن كثيراً من الناس قد وُصفوا في كتب اليهود بالشيطان، وقد استخدم المسيح نفسه هذا التعبير؛ إذ وصف أحدَ أجلّ حواريه بالشيطان، الذي ورد عنه في الإنجيل -بعد واقعة اختبار الشيطان

بأسطرٍ قليلة- أنه أعطي مفاتيح الجنة أيضا. وعليه فيمكن أن يكون أحد اليهود قد جاء المسيح ساحراً ومستهزئاً به فوصفه بالشیطان كما وصف به حواريه بطرس، لأن اليهود كانوا دائبين على مثل هذه الأعمال الشريرة ويطرحون مثل هذه الأسئلة. كما أن هناك احتمالا آخر؛ وهو أن تكون هذه القصة كلها ملفقة عمداً أو كُتبت انخداعاً، لأن الأناجيل ليست أناجيل المسيح ولا هي مصدقة منه، بل كتبها الحواريون أو بعض الناس الآخرين بناءً على ظنهم؛ ومعتمدين على عقولهم، ولأجل ذلك هناك اختلاف فيما بينها. فيمكننا القول إن بعض كُتّاب الأناجيل قد أخطأوا في كتابة هذه الأفكار، كما أخطأوا بظنهم أن المسيح مات على الصليب. كان الحواريون مجبولين على مثل هذه الأخطاء، لأن الأناجيل نفسها تخبرنا أن تفكير هؤلاء الكُتّاب لم يكن دقيقاً، كما أن المسيح نفسه شهد على حالتهم الروحانية الناقصة وعلى ضعف فهمهم ودرايتهم وقوتهم العملية. فالحق أن الطائف الشيطاني لا يمكن أن يقرّ في قلوب الأبرار، بل إذا مس قلوبهم طائف عابر من الوسوسة الشيطانية دُفعت فوراً وأزيلت ولا يمكنها أن تلوث ذيلهم الطاهر. لقد سُميت مثل هذه الوسوسة التي تشبه الظن غير الناضج بالطائف، وهو ما يسمى في لغة العرب بالطائف والطوف والطيف والطيف أيضا. وتكون علاقة مثل هذه الوسوسة مع القلب ضئيلة جداً وكأنها غير موجودة أصلاً، أو بعبارة أخرى إنها تقع كالظل اللطيف الضئيل للشجرة من مكان بعيد. وعليه فمن الممكن أن يكون الشيطان اللعين قد أراد أن يوقع في قلب المسيح ﷺ مثل هذه الوسوسة الخفيفة، ولكن المسيح قد دفعها بقوة نبوته. لقد اضطررنا لهذا القول لأن هذه القصة لم ترد في الأناجيل فحسب، بل وردت في الأحاديث الصحيحة أيضاً، فقد ورد... عن طاوس عن أبي هريرة قال: جاء الشيطان إلى عيسى، قال: ألسنت تزعم أنك صادق؟ قال: بلى؛ قال: فأوف على هذه الشاهقة فألق نفسك منها؛ فقال: ويلك ألم يقل الله: يا ابن آدم لا تبليني بهلاكك؛ فإني أفعل ما أشاء."

فواضح من هنا أن الشيطان قد أتى المسيح كما يأتي جبريلُ الأنبياء، لأن جبريل لا يأتي مثل الإنسان راكباً عربّةً أو حصاناً مُستأجراً عاصباً عمامته أو مرتدياً رداءه، بل إن مجيئه يكون بصورة أخرى. فكيف للشيطان - الذي هو الأحقر والأذل - أن يتمثل بالإنسان بصورة واضحة؟ على أية حال؛ هذا البحث يضطرننا أن نسلم بما توصل إليه "دراير"^١، ولكن نستطيع القول بأن عيسى عليه السلام - بسبب قوة النبوة ونور الحقيقة - لم يدعُ إلقاء الشيطان يقربه مطلقاً، بل انشغل فوراً في دفع هذه الوسوسة وذبحها. فكما أنه لا يمكن أن تقف الظلمة في وجه النور؛ كذلك لم يستطع الشيطان الوقوف أمامه عليه السلام بل لاذ بالفرار، وهذا هو المعنى الحقيقي لـ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾، لأن سلطان الشيطان ليس إلا على الذين يقبلون وساوسه ووحيه، ولكن الذين يرمون فيصيبون الشيطان من بُعدٍ بسهام نورهم، ويضربون وجهه بنعال زجرهم وتوبيخهم، ولا يتبعونه مهما أمرهم بكلامه؛ فإنهم استثناء من سلطان الشيطان.

يريد الله تعالى أن يري هؤلاء الكُمل ملكوت السماوات والأرض، ولما كان الشيطان من ملكوت الأرض لذلك كان ضرورياً أن يروا وجه هذا الخلق العجيب الذي سُمي بالشيطان، ويسمعوا كلامه لتكتمل عندهم دائرة مشاهدة المخلوقات. فلا يصم ذلك عصمتهم وبراءتهم. (ضرورة الإمام، الخزائن الروحانية المجلد ١٣، ص ٤٨٤-٤٨٧)

إن الذين يصلون في صدقهم ووفائهم وحبهم لله تعالى درجة الكمال فلا يمكن أن يكون للشيطان عليهم سلطان، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ

^١ هو الكاتب الشهير جون وليام دراير (John William Draper) الذي ولد في ١٨١١ في إنجلترا ثم انتقل إلى أميركا عام ١٨٣٢ حيث توفي في ١٨٨٢. كان خبيراً في الكيمياء الضوئية ومدرساً في جامعات أميركية عديدة. ألّف كتباً شتى في العلوم والتاريخ والأديان. أما الذي أشار إليه المسيح الموعود عليه السلام من رأيه ففحواه مذكور في كتابه: History of the intellectual development of Europe أي: تاريخ التطور الفكري في أوروبا. (المترجم)

عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣-٤)

الذي ليس فيه للشيطان نصيب، وتخلّى عن الحياة السفلية كأنه مات وصار صادقاً وعبدًا وفيًّا وأتى الله، فلا يقدر الشيطان أن يصول عليه، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾. والذين هم للشيطان ويكنّون في بواطنهم عادات الشيطان، يجري الشيطان إليهم لأنهم فريسته. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٤٢)

جميع السعداء والصلحاء الذين جاء بحقهم في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ هم أبناء روح القدس. يثبت من القرآن الكريم نوعان من المخلوق، أولهما أبناء روح القدس، والثاني أبناء الشيطان، فليست فيه أي خصوصية للمسيح. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٠، عدد ٣١ / ٥ / ١٩٠٣ م، ص ٣)

الآية ٤٥: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾

جرى الحديث ذات يوم أن لجهنم سبعة أبواب وللجنة ثمانية، فما السر في ذلك، فألقي في روعي دفعة واحدة أن أصول الجرائم أيضا سبعة، وأصول الحسنات أيضا سبعة. أما الباب الثامن للجنة فهو باب فضل الله ورحمته.

أصول الجرائم السبعة تقابلها سبعة أبواب لجهنم ومنها سوء الظن فالإنسان يهلك نتيجة سوء الظن أيضا، فقد ضلّ جميع عبدة الباطل بسبب سوء الظن فقط. المبدأ الثاني هو التكبر، فالتكبر ينفصل عن أهل الحق، ولا يوفّق للإقرار بالحق كالسعداء.

والمبدأ الثالث هو الجهل، فهو الآخر يؤدي إلى الهلاك.

المبدأ الرابع، اتباع الهوى.

والمبدأ الخامس هو التقليد الأعمى.

باختصار؛ مثل ذلك للجرائم أيضا سبعة مبادئ، وكلها مستنبطة من القرآن

الكريم. وقد وهب الله ﷻ لي علم هذه الأبواب. فكل ذنب يندرج تحت هذه، فالذنوب الكثيرة تندرج تحت التقليد الأعمى واتباع الهوى. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣٠، عدد ١٧/٨/١٩٠٣ م، ص ١٠)

الآية ٤٨: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾
هذه نبوءة أنه ستكون هناك خصومات متبادلة في المستقبل ولكننا سننزع "الغل" من صدورهم، وسيجلسون على سُرُرٍ إخواناً. (بدر، مجلد ١، رقم ٢، عدد ٧/١١/١٩٠٢ م، ص ١٥)

القرآن الكريم زاخراً بمدح الصحابة وقد كَمَلُوا لدرجة لا نظير لهم في أي قوم آخر. ثم جزاهم الله تعالى أيضاً جزاء كبيراً، فمثلاً لو حدث بينهم نزاع بسيط أيضاً قال الله تعالى عنه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ...﴾. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢٧، عدد ٣١/٧/١٩٠٦ م، ص ٤)

إنما هو مذهب الشيعة بأن الصحابة رضي الله عنهم كانت بينهم عداوة شديدة، وهذا القول باطل، وقد فنده الله تعالى في قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾. بين الأقارب أيضاً تكون العداوة أحياناً، ولكنهم يجتمعون بمناسبة الزيجات أو الوفيات. الأخيار لا تكون بينهم عداوة دموية أبداً. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠١ م، ص ٨)

الآية ٤٩: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾

أي أن الذين يدخلون الجنة لن يُخْرَجُوا منها، علماً أن القرآن الكريم لا يصرح بدخول المسيح الجنة، ولكن وفاته مذكورة في ثلاث آيات. والحق أن وفاة العباد الأطهار ودخولهم الجنة في حكم واحد، لأنهم يدخلون الجنة فوراً حسب مفهوم الآية: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ (يس: ٢٧) و﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: ٣١). والآن يجب على المسلمين والمسيحيين أن يفكروا جيداً؛ هل يمكن أن يُخرج عبد مقرب عند الله مثل المسيح من الجنة بعد أن يدخلها؟ ألا يستلزم ذلك إخلاف وعد

الله الوارد في جميع كتبه المقدسة بالتواتر والصراحة بأن الذين يدخلون الجنة لا يُخرجون منها. ألا يُحدث نقضُ هذا الوعد الكبير والقاطع زلزالاً شديداً في كافة وعود الله تعالى؟

اعلموا يقينا أنكم باعتقادكم هذا لا تجلبون مصيبة كبيرة لا مبرر لها للمسيح فقط، بل تحطّون أيضاً من شأن الله، وترتكبون إساءة شديدة في حقه تعالى بسبب هذه الأفكار العبثية. عليكم أن تنظروا بعين التدبر والإمعان إلى أن الحقائق الدينية العظيمة تفلتُ من أيديكم نتيجة معتقد سخيف مع أن سبيل الاستعارة والمجاز مفتوح أمامكم للتخلص منه. والحق أن هذا الاعتقاد فاسد وتصحبه آلاف المثالب المعقّدة، ويتيح للمعارضين فرصةً للاستهزاء والسخرية. (توضيح المرام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ٥٤-٥٥)

لقد وعد الله أهل الجنة، بحسب اعتقادنا، أنهم لن يُخرجوا منها أبداً. فاستغرب جداً لماذا يريد المشايخ أن يُخرجوا المسيح عليه السلام من الجنة؟ ثم إنهم بأنفسهم يقولون إن إدريس عليه السلام حين دخل الجنة بإذن من ملك الموت، أراد ملك الموت بعد ذلك أن يخرج منه مرةً، ولكن إدريس عليه السلام رفض ذلك وقرأ عليه آية: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾. فأتساءل هنا: ألا يحق للمسيح عليه السلام أن يستفيد من هذه الآية؟ هل صارت هذه الآية بحكم المنسوخ في حقه؟ وإذا قيل بأنه سيُرسل إلى الدنيا بعد الانحطاط في مرتبته لأن الناس أهّوه بغير حق، قلتُ: هذا ليس خطؤه: ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٥). وبالإضافة إلى ذلك هناك أمر آخر جدير بالتأمل: إن الفكرة بخروج المسيح ابن مريم من الجنة ومجيئه إلى الدنيا حقيقةً؛ تنافي بتصريحات القرآن الكريم تماماً. إن القرآن الكريم قد بيّن وفاة المسيح عليه السلام في ثلاث آيات بكل صراحة ويعذر من خطأ تأليه المسيحيين إياه، ويقول إن المسيح ليس مخطئاً في ذلك، لأنه قد مات قبل زمن ضلالهم هذا. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ١٤٨-١٤٩)

لقد نجا الداخلون في الجنة من كل نوع من الحزن والألم، ولن يُخْرِجُوا مِنْهَا أَبَدًا.
(إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٨٠)

هنا ينشأ اعتراض في الظاهر أنه إذا كان المؤمنون الطيبون والظاهرهون الذين ليس عليهم عبء ذنبٍ ومعصية يدخلون الجنة دون تأخير، فهذا يستلزم إنكار حشر الأجساد والمستلزمات الأخرى المتعلقة به، لأن الخروج من الجنة بعد دخولها مرة مستحيل بحسب الآية: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ وبذلك تبطل فكرة حشر الأجساد وأمور المعاد كلها. فجوابه أن الاعتقاد بدخول المؤمنين المطهرين الجنة دون تأخير ليس من بنات أفكاره، بل هو مما علّمه القرآن الكريم. أما التعليم الثاني للقرآن عن حشر الأجساد وقيام الموتى فهو أيضا حق ونؤمن به. والفرق الوحيد هو أن هذا الدخول في الجنة سيكون بصورة إجمالية فقط، والأجساد التي يُعطاهها المؤمنون بعد موتهم فوراً تكون أيضا ناقصة. أما يوم حشر الأجساد فهو يوم تجلّي أعظم، وتُعطى يومئذ أجساد كاملة، وإن علاقة أهل الجنة لن تنقطع مع الجنة بحال من الأحوال؛ فمن وجه يكونون في الجنة ومن وجه يمثلون أمام الله. هل الشهداء الذين يأكلون من ثمار الجنة كعصافير خضراء لن يحضروا أمام الله بخروجهم من الجنة؟ فتدبر. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ٣٨٧، الحاشية)

الآية ٨٨: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾

أي قد أعطيناك سبع آيات لسورة الفاتحة التي تشمل بالإجمال مقاصد القرآن الكريم، وأعطيناك مقابلها القرآن العظيم أيضا الذي يفصل المقاصد الدينية. فمن هذا المنطلق سمّيت هذه السورة "أم الكتاب" وسورة "الجامع". لقد سمّيت بأم الكتاب لأن جميع مقاصد القرآن الكريم تُستنبط منها، وسمّيت سورة "الجامع" لأنها تشمل علوم القرآن الكريم بجميع أنواعها بصورة مجملة. فمن هذا المنطلق قال النبي ﷺ: من

قرأ الفاتحة فقد قرأ القرآن كله. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية المجلد ١، ص ٥٨٠-٥٨١، الحاشية رقم ١١)

الآية ٩٥: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾

يقوم الرسول بما يؤمر فقط، كما قال الله ﷻ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾، أما الذي لم يؤمر به فالقول أو العمل ضده نوع من الإساءة. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٠، عدد ١٤/٨/١٩٠٣م، ص ٢٣٤)

حين ينزل الوحي الإلهي عن أمر ما، فلا يبالي المبعوثون بشيء في تبليغه، ويعُدُّون إخفاؤه شركا، كما يعدون نشر أي أمر قبل تلقي الوحي شركا. فحين يبين المبعوث أمرا لم يتلق عنه الوحي الإلهي فهو يظن أنه يخطر بباله ما لم يخطر ببال الله أيضا، ونتيجة هذه الإساءة يصبح مشركا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣١، عدد ٢٤/٨/١٩٠٣م، ص ٢)

الآية ٩٦: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾

والذين يسخرون منك ومن إلهامك نحن نكفيهم، أي يجب عليك أن تصبر. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦٩، الحاشية)

الآية ١٠٠: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

يقول المفسرون إن اليقين هنا يعني الموت، ولكن الموت الروحاني. أما ما هو المقصود الذي أمرنا بالبحث عنه في هذه الإشارة القرآنية فهو واضح؟ وأقول: سواء أكان المراد من اليقين هو الموت الروحاني، أو نذر الحياة في سبيل الله، فمن واجب المؤمن ألا يملّ العبادة ولا يتهاون فيها إلى أن تصبح هذه الحياة الباطلة رمادا، وتبدأ مكانها حياة جديدة وسعيدة وأبدية.

واعلموا يقينا أن إيمان المرء لا يكون كاملا وسليما ما لم تُزل عنه حرقه هذه الحياة الدنيوية الفانية ولوعتها، وما لم تتولد في إيمانه لذة وفي روحه سكينه وسعادة، ومن

أجل ذلك قال الله تعالى هنا: اعْبُدْ رَبَّكَ إِلَى أَنْ تَتَّبِعَ رِيبَ الْيَقِينِ الْكَامِلِ، وَتَنْزِلَ الْحُجُبَ وَالْأَسْتَارَ الْمَظْلَمَةَ كُلَّهَا، وَتَعْلَمَ أَنَّكَ لَمْ تُعَذِّمْ كَمَا كُنْتَ مِنْ قَبْلُ، بَلْ هُنَاكَ مُلْكٌ جَدِيدٌ، وَأَرْضٌ جَدِيدَةٌ، وَسَمَاءٌ جَدِيدَةٌ، وَصَرَتْ أَنْتِ أَيْضًا خَلْقًا جَدِيدًا. هَذِهِ الْحَيَاةُ الْجَدِيدَةُ، وَهِيَ نَفْسٌ مَا يَسْمِيهِ الصُّوفِيَّةُ الْبَقَاءَ. وَإِذَا بَلَغَ الْإِنْسَانُ هَذَا الْمَقَامَ نُفِخَتْ فِيهِ رُوحُ اللَّهِ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ.

هذا هو السر في قول النبي ﷺ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَيِّتٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، وَأَنْ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَبْلُغْ هَذَا الْمَقَامَ بِأَعْمَالِهِ الظَّاهِرَةِ، بَلْ بِمَا فِي قَلْبِهِ. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٣١، عدد ١٩٠٠/٨/٣١، ص ٣)

يقول الصوفية أن كل من يريد لقاء الله عليه أن يمر من باب الموت. وقد وردت بهذا الشأن حكاية جاء فيها: كان عند شخص ببغاء وذات يوم أراد أن يخرج في سفر طلب منها أن تسأله شيئاً، فقالت له الببغاء: إذا مررت بالمكان الفلاني فسترى شجرة ضخمة تجلس فيها ببغاوات كثيرة، فأرجو أن توصل إليهن رسالتي: إنكن سعيدات جداً حيث تعشن في الهواء الطلق بكل حرية، أما أنا الشقية ففي السجن. فحين مر الرجل قرب الشجرة بلغ الببغاوات تلك الرسالة، فسقطت إحداهن من الشجرة ولفظت أنفاسها متقلبة. فحزن كثيراً على أنه تسبب في موت حيوان، إلا أنه لم يكن يملك غير الصبر. فحين عاد من السفر قصَّ على ببغائه قصة تلك الببغاء بأسرها، وأبدى حزنه. فعند سماع تلك القصة تقلبت تلك الببغاء في القفص ولفظت أنفاسها، فزاد حزن الرجل أكثر أن بسببه هلكت اثنتان. فأخيراً ألقى جثتها خارج القفص، فطارَت الببغاء التي حُسِبَتْ مَيِّتَةً وَوَقَفَتْ عَلَى الْجِدَارِ، وَقَالَتْ لِلرَّجُلِ: تِلْكَ الْبِبْغَاءُ لَمْ تَكُنْ قَدْ مَاتَتْ وَمَا مِتُّ أَنَا أَيْضًا. إِنَّمَا كُنْتُ سَأَلْتُهَا طَرِيقَ التَّخْلُصِ مِنْ هَذَا السِّجْنِ، فَأَخْبَرْتَنِي أَنَّ الْحَرِيَّةَ لَا تُنَالُ إِلَّا بِالْمَوْتِ، فَاتَّخَذْتُ أَنَا أَيْضًا الْمَوْتَ وَسِيلَةً لِلْحَرِيَّةِ فَتَحَرَّرْتُ. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٠، عدد

(١٤/٨/١٩٠٣م، ص ٢٣٤-٢٣٥)

فالحق أن الإنسان الموثوق في أسلاك النفس الأمانة يستحيل عليه التخلص منها إلا بالموت.

مقام ﴿اعملوا ما شئتم﴾ وإشارة إلى هذا الموت نفسه قال الله في القرآن الكريم ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾. المراد من اليقين هنا الموت أيضا، أي حتى يرد الفناء الكامل على أهواء الإنسان وشهواته ويبقى عنده طاعة الله فقط، ثم يتقدم حتى لا يصدر منه أي تصرف في معصية الله تعالى.

يقول السيد عبد القادر الجيلاني رحمته الله:

حين يرد هذا الموت على الإنسان تسقط عنه جميع العبادات. ثم طرح نفسه سؤالا: هل يصبح الإنسان متحررا، إباحيا، ويجوز له كل شيء؟ ثم رد بنفسه على التساؤل وقال: كلا فأنا لا أعني أنه يصبح إباحيا ومتحررا وإنما الحق أن أوزار العبادة تُرفع عنه، فهو لا يعبد الله تكلفا وتصنعا، بل تصبح العبادة غذاء حلوا شهيا له، ويستحيل أن تصدر منه معصية الله ومخالفته. ويجد في ذكر الله لذة وراحة، ففي هذا المقام يقال: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ (حم السجدة: ٤١). وهذا لا يعني أنه سمح له بارتكاب ما نهى الله عنه، كلا بل لا يقدم عليها بطبعه. مثال ذلك أنه لو أذن لأي محصي أن يفعل ما يريد، فما الذي يمكن أن يفعله؟ إذن فلاستنتاج منه أن الفسق والفجور صار مباحا له لمن الحقم المتناهي والوقاحة الشنيعة. بل هو مقام سام حيث تكشف الحقائق، يقول الصوفية أنه عند نهايته يتلقى المرء الإلهام بحيث يكون رضاه رضا الله تعالى وعندها يتلقى هذا الإذن.

فأوزار العبادة تزول عنه وتصبح العبادة غذاء حلوا له، ونظرا إلى ذلك قيل: ﴿هذا الذي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ (البقرة: ٢٦). (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣١، عدد ٢٤/٨/١٩٠٣م، ص ٣-٤)

على الإنسان أن يواصل السير على سبيل الله حتى يموت، وهذا ما تعنيه الآية

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ فحين يأتي هذا الموت يأتي معه اليقين، فالموت واليقين شيء واحد. (بدر، مجلد ٣، رقم ١١، عدد ١٦/٣/١٩٠٤م، ص ٨)

إذا نشأت لذة اليقين في الإنسان فإنه يتخلى عن الأطماع الدنيوية بنفسه لأنه ما من لذة أكبر من أن يعلم الإنسان بتجربته أن الله موجود فعلا وهو قادر يفعل ما يريد. وهو كريم ورحيم ولا يضيع الذين يخرون على عتباته. (مكتوبات أحمد عليه السلام، مجلد ٢، ص ٤١٤)



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة النحل



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٦: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾

قال عليه السلام مخاطباً المناظر المسيحي عبد الله آثم:

لا أفهم ملخص فكرتك عن الرحم بغير مقابل إلا أن العدل يقتضي المعاقبة، والرحم يقتضي العفو والصفح. ولكن لما لم يكن الرحم والعدل سيان وعلى درجة واحدة من حيث مظاهرها، وثبت أن ظهور رحمة الله ليس بحاجة إلى أن يكون أحد صالحاً بل ظلت رحمانيته وَعَلَيْكَ تُلقَى بتأثيراتها منذ القدم على الصالحين والطارحين على السواء فكيف ثبت إذًا أن الله لا يريد أن يذيق الطالحين شيئاً من رحمته؟ ألا يشهد قانون الطبيعة المائل أمام أعيننا بصوت عالٍ أن الذنب والغفلة والتقصير لا يعرقل سبيل الرحمة؟ وإذا كان الأمر كذلك لاستحالت الحياة

على الإنسان حتى لحظة واحدة. فما دامت سلسلة نزول الرحمة سارية في الدنيا دون شرط تقوى الناس وبراءتهم وكسبهم الحسنات، ويشهد قانون الطبيعة أيضا على ذلك بكل صراحة فكيف ينكره المرء ويؤمن بمعتقد جديد يعارض الطبيعة، ويقول بأن رحمة الله منوطة بصلاح الناس؟ لقد أورد الله تعالى في القرآن الكريم عدة آيات كمثال تثبت كيف تفيض رحمة الله على الخلق على نطاق واسع جدا. فيقول جل شأنه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَأَنَا كُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٣-٣٥) ثم يقول: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (النحل: ٦). ويقول أيضا: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ (النحل: ١٥) كما يقول: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (النحل: ٦٦).

ففي هذه الآيات كلها قد أثبت الله تعالى بواسطة كلامه قانونه في الطبيعة أن الرحمة غير مشروطة، وأن صلاح أحد ليس شرطا لنزولها، غير أن سلسلة الجرائم تظهر للعيان بعد وجود القانون، كما تعترفون أنتم أيضا، وعندها يبدأ زمن ظهور صفة العدل. مع أن العدل أيضا صفة أزلية ولكن لو تأملتم في الموضوع أكثر لفهمتم أنه لا بد من التقدم والتأخر في ظهور الصفات بناء على وقوع الأحداث. فلما بدأ الذنب منذ أن نزل كتاب الله في الدنيا وأثبت صدقه بالخواص والآيات، فأين الرحم دون مقابل؟ ذلك لأن سلسلة الرحم جارية سلفا دون الشرط أن يكون أحد صالحا. أما الذنوب التي ذكرها كتاب الله فمشروطة بشروط، بمعنى أن تكون الأوامر حجة على الذي وصلته الأوامر بشرط ألا يكون مختلا عقليا أو مجنوناً. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢١٩-٢٢١)

الآيات ٢١-٢٢: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾

لاحظوا كيف تبرهن هاتان الآيتان بصراحة تامة على موت المسيح وغيره ممن اتخذهم اليهود والنصارى وبعض فرق العرب آلهة وكانوا يدعونهم! فلو كنتم مع كل ذلك غير جاهزين للاعتراف بموت المسيح، فلم لا تقولون بصراحة: إن لدينا تحفظات على الإيمان بالقرآن الكريم؟ (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣١)

قولوا الآن، إذا اعترض عليكم أي مسيحي وقال إن بيان القرآن هذا يُنافي الحقائق بحسب معتقداتكم؛ وذلك لأن القرآن يعدّ المسيح ابن مريم ضمن "من دون الله" ويعدّ جميع من كان يُعبد "من دون الله" ميتًا دون أيّ استثناء، وأنتم تصفون المسيح ابن مريم بالحيّ، مع أن القرآن يقول بأنه ما من معبود "من دون الله" حيّ. فإن كنتم صادقين فليس القرآن على حق، أما إذا كان على حق فليست صادقين في ادّعاءكم بحياة المسيح. فما هو جواب هذا الاعتراض؟ فالجلي أن عيسى ﷺ حصرا هو أول مصداق لقول القرآن الكريم بأن كل ما يُعبد من دون الله ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾، لأنه هو الأكثر من عُبد من بين الناس على الأرض، وإن حزنه هو السباق من بين عبدة البشر في القوة والشوكة والنشاط والدعوة إلى الشرك. لاحظوا إن عدد عبدة عيسى ﷺ قد بلغ أربع مائة مليون إنسان، وليست هناك جماعة أكبر منها من عبدة البشر، فإذا كان القرآن الكريم قد استثناه من هذه الآية فيُستنبط منه والعياذ بالله أنه لم يكن من "غير الله" عند منزل القرآن الكريم. وإن لم يكن مستثنى، فهذا يخالف عقيدتكم لأن عيسى بن مريم ليس معدودًا في الأموات في رأيكم بل ما زال حيًّا في السماء بحياة مادية، فقولوا الآن، إذا أُثير هذا الاعتراض من قبل النصارى فما هو جوابكم؟ (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٣٨٧-٣٨٨)

يجب التأمل في هذا المقام كيف تُثبت هذه الآيات بكل صراحة وقوة وفاة المسيح وغيره من الناس الذين كان بعض فرق اليهود والنصارى وبعض فرق العرب يؤلّهُونهم

ويدعوهم. اعلّموا أن هذا تصريح من الله، وسبحان الله وتعالى عن القول غير الحق. فما دام الله ﷻ قد قال بألفاظ صريحة وواضحة أن جميع الناس الذين تعبدهم الفرق المختلفة وتوَلَّهم قد ماتوا كلهم، وما من واحد منهم حيٍّ، فما أشنعه من تمرد وعدوان ومعضية لأمر الله اعتبار عيسى ﷺ حيًّا! أليس عيسى من الذين أَلَّهوا؟ أو ممن يُدْعَوْنَ من أجل حل المشاكل؟ بل هو يحتلّ مقام الصدارة من بين الذين يؤلَّهون، إذ إن الإصرار والغلو اللذين يؤلَّه بهما أربع مائة مليون نسمة لا نظير لهما في أية فرقة قط. (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٩٨-٣٩٩)

هناك آية أخرى تبرهن بصراحة كبيرة على موت عيسى ﷺ وهي ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ أي أن جميع الآلهة الباطلة التي يعبدها الناس في العصر الحاضر، كلهم قد ماتوا، وليس أحد منهم على قيد الحياة. أخبروا الآن، ألم تتولّد فيكم خشية الله؟ أو قد أخطأ الله ﷻ والعياذ بالله حين وصف جميع مَن يُعْبَدُونَ باطلا، أمواتا؟ (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٩١)

لقد بيّن الله تعالى في هذه الآيات أن المسيح ابن مريم وغيره من الناس الذين يُعْبَدُونَ آلهة بالباطل وبغير الحق كلهم ميتون. والحق أن هذا الدليل وحده أقوى من ملايين الأدلة لإبطال عبادة الخلق ويقول بأن الصلحاء وغيرهم الذين اتخذهم الناس آلهة قد ماتوا كلهم وليسوا أحياء. ولو كانوا آلهة لما أصابهم الموت. (مجموعة الإعلانات، مجلد ١، ص ١٨٨)

الآية ٢٩: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

لقد ورد في تفسير معالم التنزيل تحت تفسير الآية: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَزَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٦) " أن علي بن طلحة روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن آية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ تعني: "إني مميتك".

وتدل على ذلك آيات أخرى منها: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ (السجدة: ١٢)، و﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ (النحل: ٣٣)، و﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ إذن، كان ابن عباس عليه السلام يعتقد أن عيسى عليه السلام قد مات. ولا بد أن يكون واضحاً للقراء الكرام أن ابن عباس كان ممن يحتلون مقام الصدارة في فهم القرآن الكريم، وقد دعا له النبي ﷺ أيضاً لذلك. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٢٤-٢٢٥)

الآية ٤٤: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

أي إذا كنتم لا تعلمون بعض الأمور التي تنشأ فيكم فارجعوا إلى أهل الكتاب واقرأوا الأحداث المذكورة في كتبهم حتى تنكشف عليكم الحقيقة. فحين عدنا بناء على ما تأمرنا به هذه الآية إلى كتب أهل الكتاب (أي اليهود والنصارى) لنعلم إذا كان فيها وعد بمجيء نبي سابق، وهل سيأتي بنفسه، أو هل لعبارات من هذا القبيل معانٍ أخرى، علمنا أنه قد سبق أن حَكَمَ المسيح ابن مريم عليه السلام بنفسه في قضية مماثلة للقضية المتنازع فيها، وهذا الحكم يتلاءم مع حُكْمنا. انظروا سفر الملوك، وسفر النبي ملاخي، والإنجيل لتعلموا كيف بينَ المسيح عليه السلام عودة إيليا من السماء. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣٣)

يجب على المسلمين أن يخافوا في قضية نزول عيسى عليه السلام العاقبة الوخيمة التي واجهها اليهود عند إصرارهم على التمسُّك بالنص الحرفي. الأمر الذي لم يسبق له نظير في الأزمنة السابقة، بل وُجِدَت نظائر على بطلانه، فالإصرار عليه من عمل أشد الناس غباء. يقول الله ﷻ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي اسألوا اليهود والنصارى نموذج سنن الله وعاداته إن كنتم لا تعلمون. (كتاب البراءة، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٣)

"أينتظرون عيسى وقد ثارت بسببه فتنة وهو في السماء؟ فما بال يوم إذا نزل في الغبراء؟ وكانت اليهود قبل ذلك ينتظرون، كمثّل قومنا، إلياس، فما كان مآل أمرهم إلا ياس. فمن عقل المرء أن يعتبر بالغير ويجتنب سبل الضير، وقد قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. فليسألوا النصارى هل نزل إلياس قبل عيسى من السماء كما كانوا يزعمون؟ وليسألوا اليهود هل وجدتم ما فقدتم أيها المنتظرون؟ فثبت من هذا أن هذه العقائد ليست إلا الأهواء، ولا يجيء أحد من السماء وما جاء. فمن كان يبنى أمره على العادة المستمرة والسنة الجارية، هو أحق بالأمن من رجل يأخذ طريقا وسبيلا غير متوارث من السابقين، ولا يوجد نظيره في الأولين." (مواهب الرحمن، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٣١١-٣١٢)

إن الله ﷻ يحثنا في القرآن الكريم ويرغبنا في أن نبحث في الأمم السابقة عن نظير كل ما علّمنا من الأمور والأحداث، فسوف نجده عندهم. فأين نبحث عن نظير اعتقاد عودة الإنسان من السماء إلى هذا العالم بعد الموت، وعند من نلتمس باكين أن يدلنا على هذا النموذج في سنن الله القديمة؟ فليخبرنا المعارضون من فضلهم هل حدث مثل هذا الحادث في الماضي أيضا؟ وهل عاش أيُّ إنسان في الماضي أيضًا في السماء ألف عام أو ألفي عام، ثم نزل واضعًا كفيه على أكتاف الملائكة؟ فلو كان ذلك من سنة الله لوجد نظيره حتما في القرون الماضية، لأن الدنيا بقي منها القليل ومضى كثير منها، وليس في المستقبل أيُّ حادث لم يسبق له نظير في الماضي، مع أن الأمر الذي من سنة الله يجب أن يكون له نظير. يقول الله ﷻ لنا صراحة: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي كل جديد يُقال لكم فاسألوا أهل الكتاب عنه فسوف يُخبرونكم عن نظائره. أما هذا الحادث فليس عند اليهود والنصارى أيُّ نظير له سوى قصة إيليا. وقصة إيليا تشهد على ما يُخالف هذه العقيدة وتبين أن البعثة الثانية تكون بروزية. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية،

يتبين ذلك بكل صراحة من كتب سابقة نزلت على أنبياء بني إسرائيل، بل قيل بذكر الاسم أيضا بأن المراد من يأجوج ومأجوج هم الأقوام المسيحية الأوروبية. وهذا البيان المذكور في تلك الكتب بصراحة بحيث لا يمكن إنكاره أبدا. أما القول بأن تلك الكتب محرفة لذا لا يمكن الثقة ببيائها، فلن يقوله إلا من يجهل القرآن الكريم، لأن الله جلّ شأنه يقول في القرآن الكريم للمؤمنين: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٤) أي اسألوا أهل الكتاب كذا وكذا إن كنتم لا تعلمون. فإذا كانت شهادة الكتب السابقة غير صحيحة في كل شيء لما قال الله تعالى للمؤمنين أن اسألوا أهل الكتاب إن كنتم لا تعلمون. وإذا كانت الاستفادة من كتب الأنبياء حراما بتاتا لكان غير جائز كذلك في تلك الحالة أن تقدّم نبوءاتها بحق النبي ﷺ على سبيل الاستدلال. بينما ظل الصحابة رضي الله عنهم والتابعون بعدهم يقدمون هذه النبوءات حجة. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٨٣، الحاشية)

صحيح أننا نقول الآن عن تلك الكتب: "لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم"، ومع ذلك لا بد أن نتذكر أن الله تعالى قال لنا في القرآن الكريم: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٥، عدد ١٩٠٣/٢/٧، ص ١)

لا بد من وجود النظائر لكل شيء، فالذي ليس له نظير، فهو خطير. فالنزاع الذي يوجد في العصر الراهن فينا وفي خصومنا قد سبق نظيره في أهل الكتاب من قبل أيضاً، وهي قضية إلياس، فكان قد ورد في كتبهم أن المسيح لن ينزل ما لم ينزل إيليا من السماء ثانية. وبناء على ذلك حين جاء المسيح ودعا اليهود إلى الإيمان رفضوا صراحة قائلين أنه قد وردت في كتبهم علامة بعثة المسيح أن إيليا سوف ينزل من السماء ثانية حتماً قبل بعثته. لكن المسيح كان قد أوّل ذلك قائلاً: إن هذا الرجل أي يوحنا (يحيى) هو إلياس وجاء على سيرته (إلياس) فأمنوا بإيليا هذا إذ لن يأتي أحد من السماء، فالذي كان سيأتي قد أتى، فأمنوا به إن شئتم واكفروا إن

شئتم. باختصار كان عيسى عليه السلام قد واجه مصيبة، وإن حكمه يفيدنا في قضيتنا هذه. فإذا كان عيسى عليه السلام على حق مقابل اليهود فإن قضيتنا أيضا واضحة بينة، وإلا يجب أن يكذبوا نبوة عيسى عليه السلام أولا وبعده تأتي قضيتنا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٧، عدد ١٠/٥/١٩٠٣ م، ص ١٦)

الآية ٥١: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

لقد سمي هؤلاء العشرة آلاف صحابي ملائكة في الكتب السابقة، والحق أن شأنهم كان كشأن الملائكة تماما. إن القوى البشرية أيضا بمنزلة الملائكة من وجه، إذ ورد في صفتهم أنهم: ﴿يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، كذلك فمن خاصية القوى البشرية أنها تفعل ما تؤمر، وإن جميع القوى والجوارح البشرية تابعة لأوامر الإنسان. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣٠، عدد ١٧/٨/١٩٠١ م، ص ٢)

إن كمال العابد أن يتخلق بأخلاق الله، أي يتصبغ بصبغة الله، وألا يسأم ولا يمل ما لم يبلغ هذا المقام. بعدها سينشأ فيه الجذب التلقائي الذي يجذبه إلى عبادة الله ويصبح مصداقا لقول الله تعالى: ﴿يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٩، عدد ٢٤/٥/١٩٠١ م، ص ٤)

إن نصيحتي هي أن تداوموا على بذل المساعي لتقدموا أسوة حسنة ورائعة. فما لم تكن حياة الإنسان كالملائكة كيف يمكن أن يقال إنه تطهر، وصار من الذين ﴿يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾. يجب التفاني في الله والتمسك بمشيئة الله وأوامره وحده بالتخلي عن جميع رغباتكم وأمانيتكم، بحيث تكونوا رحمة لأنفسكم وذريعتكم وزوجتكم وأولادكم وأقاربكم ولنا أيضا. يجب ألا تهينوا للمعارضين أبداً فرصة للاعتراض. يقول الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ (فاطر: ٣٣)، فالصفتان الأوليان أدنى درجة، يجب أن تكونوا من السابقين بالخيرات. فالثبات على صفة واحدة ليست خصلة حميدة. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١٦، عدد ٢/٣/١٩٠٨ م، ص ٦)

إن ما وصف الله تعالى به الملائكة ينطبق أيضاً على كل ذرة كما يقول تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٥)، وقال عن الملائكة بوجه خاص: ﴿يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾. لقد شرحت هذا الأمر في كتابي: "نسيم الدعوة" بالتفصيل. الحق أن كل ذرة تدخل في الملائكة. فإن كنتم لا تستوعبون الملائكة العظام فانظروا إلى الملائكة الصغار أولاً. إن إنكار الملائكة يجعل الإنسان ملحدًا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣م، ص ٩)

يقول أهل الله: حين يصبح الإنسان عابداً كاملاً تسقط عنه جميع العبادات، ثم يشرحون هذه الجملة بأنفسهم أنها لا تعني أنه يعفى من الصوم والصلاة، بل المراد أن التكاليف تسقط عنه، أي أنه يؤدي العبادات كأنه يتناول وجبتين. تصبح تلك التكاليف مدركة الحلاوة ومحسوسة اللذات. فأنشئوا الحالة حيث تسقط عنكم التكاليف. ثم تصبح الاستجابة لأوامر الله والامتناع عن المنهيات من طبعكم. فحين يبلغ الإنسان هذه الدرجة فكأنه ينضم إلى زمرة الملائكة الذين هم مصداق: ﴿يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٦، عدد ٣٠/٤/١٩٠٣م، ص ٥)

الآية ٥٨: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾

يقول بعض الناس: اتخذ الله بنات، والحق أنه منزّه عن مثل هذا النقص. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ٥٢٠، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ٦٠: ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

﴿يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ أي إن المشرك يدفن بنته حيّة، ويقول: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: ٩-١٠)، أي ستُسأل البنات الموءودات يوم

القيامة بأي ذنب قُتلن؟ فهذه إشارة إلى الوضع الذي كان قائما في البلد، وهو أن هذه الأعمال السيئة تصدر. (نور القرآن رقم 1 الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ١، ص ٣٣٧-٣٣٨ الحاشية)

الآية ٦٤: ﴿تَاللّٰهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

أي أقسم بالوحي التي هي مبدأ فيض الهداية والتربية، والجامعة لجميع الصفات الكاملة بأني أرسلتُ الرسل في كثير من الفرق والأمم قبلك، ففسدوا بإغواء الشيطان وبدا لهم سوء أعمالهم حسنة. فالشيطان رفيقهم الذي يضلّهم عن جادة الاستقامة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٢٥-٦٢٦، الحاشية رقم ١٠)

الآية ٦٥: ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

أي أنزلنا هذا الكتاب لثرفه كافة الخلافات التي نشأت بسبب العقول الناقصة أو بسبب الإفراط أو التفريط المتعمد، ولكي يبين السبيل السوي للمؤمنين. ففي ذلك إشارة أيضا إلى أن إصلاح الفساد الذي انتشر بسبب أقوال بني آدم المختلفة، إنما يتوقف على هذا الكلام، بمعنى أنه لإصلاح الفساد المنتشر بسبب الأقوال السخيفة والخطئة، هناك حاجة إلى كلام منزّه من كل العيوب؛ لأنه من البديهي تماما أن الذي يضل الطريق بسبب الكلام لا يعود إلى الطريق إلا بالكلام. ولا تستطيع إشارات قانون الطبيعة أن تحكم في النزاعات الكلامية، ولا أن تدين الضال على ضلاله بقوة وشدة. فمثلا: إن لم يدون القاضي إفادات المدعي ولم ينقض أعدار المدعى عليه بأدلة قاطعة، فأتى للفريقين أن يجدا أجوبة على أسئلتها واعتراضاتها واستفساراتها بإشاراته فقط؟ وكيف يمكن أن يترتب الحكم النهائي على تلك الإشارات المبهمة التي

لم يُدخض بسببها استفسار أحد الفريقين بشكل مقنع؟ كذلك لا تتم حجة الله على العباد أيضا إلا إذا التزم وَعَلَى -بواسطة كلامه الصادق والكامل- تجاه الذين وقعوا في معتقدات خاطئة بسبب الكلام الخاطيء، بأن ينبههم على أخطائهم، وأن يؤكد لهم بيان قوي وواضح أنهم ضالون؛ لكي يستحقوا العقاب إن لم يرتدعوا عن ذلك بعد الاطلاع على خطئهم وأصروا عليه. فلو بطش الله وَعَلَى بأحد بعد مجرما واستعدَّ لمعاقبته دون أن يثبت ببيان واضح خطأ الأدلة التي يقدمها على براءته، ودون أن يحو بكلامه البين ما يحتلج في قلبه من شبهات، فهل سيكون حكمه ذلك مبنيا على العدل والإنصاف؟ (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٢٤-٢٢٥ الحاشية رقم ١١)

لقد أنزلنا هذا الكتاب لثبّين للمؤمنين فيه بصورة كاملة التعاليم التي كانت ناقصة في الكتب السابقة لكي يكون رحمة كاملة. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦٦-٢٦٧)

الآية ٦٦: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾

هذه آية صدق هذا الكتاب، ولكن للذين يسمعون أي يتحرّون الحق. والآن يجب التأمل كيف ذُكرت في هذه الآية بأسلوب جميل ولطيف الأدلة الثلاثة المذكورة آنفا التي استنتجنا منها أن النبي ﷺ هادٍ صادق: فأولا شبه قلوب الناس الضالين -الذين كانوا واقعين في الضلالة منذ مئات السنين- بالأرض القاحلة والميتة، وشبهه كلام الله بماء المطر الذي ينزل من السماء، وبذلك أشار إلى السنّة القديمة بأن رحمة الله تتدارك بني آدم دائما من الدمار عند إمساك المطر كليّا. وقد بين أن قانون الطبيعة هذا لا يقتصر على الماء المادي، بل الماء الروحاني أيضا ينزل حتما عند الشدة والصعوبة.. أي عند انتشار الضلال بوجه عام. ففي هذه الحالة أيضا تنزل الرحمة الإلهية لتكسر غلبة آفة القلوب.

وقال أيضا في هذه الآيات بأن أهل الأرض كانوا قد ضلوا كلهم قبل بعثة النبي ﷺ. وبيّن في الأخير أن ذلك الكلام المقدس قد أحيا هؤلاء الموتى روحانيا. وقال في نهاية الآيات بأن في ذلك لآية على صدق هذا الكتاب، وبذلك وجه طلاب الحق إلى الاستنتاج أن الفرقان المجيد هو كتاب الله تعالى.

فكما يتبين من هذا الدليل أن سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ نبي صادق.. كذلك أيضا يتبين أنه أفضل الأنبياء جميعا لأنه ﷺ واجه العالم كله. والمهمة التي وُكِّلت إليه ﷺ كانت في الحقيقة جديدة بأن توكل إلى ألف نبيٍّ أو ألفين. ولكن لما كان مقدرا عند الله أن يصبح بنو آدم قوما واحدا وقبيلة واحدة وتزول المغايرة من بينهم تماما، وأن تنتهي هذه السلسلة إلى الوحدة كما بدأت من الوحدة؛ فقد أرسل الهداية الأخيرة للعالم كله. وكان الوقت قد حان لظهور بواذر الاتحاد بين البلاد إلى حدٍّ ما بسبب فتح الطرق والتعارف بين الأقوام، وبدأت أفكار بعض البلاد تؤثر في البلاد الأخرى بسبب كثرة اللقاءات. وما زال هذا الأمر في تقدم مستمر إلى الآن، وتُكتشف في كل يوم جديد اكتشافات جديدة؛ مثل القطار والباخرة ونظام البرقية وغيرها التي توحى بجلاء أن من مشيئة الله القدير أن يجعل العالم كله قوما واحدا في يوم من الأيام. على أية حال، قام الأنبياء السابقون بمحاولات محدودة في هذا المجال لأن رسالتهم أيضا كانت محدودة وخاصة بقوم معين. أما سعي النبي ﷺ فكان واسع النطاق وغير محدود، لأن رسالته كانت عامة وشاملة. لهذا السبب يوجد في القرآن الكريم ردّ على جميع الأديان الباطلة، ولا يوجد في الإنجيل إلا ذكر سوء تصرفات اليهود.

إذن، فإن كون النبي ﷺ أفضل من الأنبياء الآخرين يثبت أيضا من جهوده الجبارة. وإضافة إلى ذلك فمن أجلى البديهيات أن إزالة الشرك وعبادة المخلوق وتوطيد وحدانية الله تعالى وجلاله في القلوب هي أفضل الأعمال وأعلى الحسنات كلها. فهل يسهل أحدا أن ينكر أن هذه الحسنة لم تظهر من أيّ نبي كما ظهرت على يد النبي ﷺ؟ هل من كتاب في العالم سوى القرآن الكريم أقام وثبت عشرات

الملايين من الناس على التوحيد؟ والمعلوم أن مَنْ يحدث هذا الإصلاح على يده فلا بد أنه هو الأفضل من الجميع. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١١٥-١١٨، الحاشية رقم ١٠)

الآية ٦٩: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾

التمييز بين الوحي التشريعي وغير التشريعي ضروري، بل يجب مراعاة الوحي النازل على الحيوانات أيضا. فقل لي أنت بخصوص ما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾، هل في رأيك قد انقطع الوحي النازل على الحيوانات أيضا أم مستمر؟

.... إذا لم ينقطع الوحي النازل على النحل، فكيف انقطع الوحي النازل على الناس، إلا أن هناك فرقا، وهو أن يفصل بين الوحي التشريعي وغير التشريعي بواسطة الألف واللام، وإلا قد مضى في المسلمين أناسٌ كما سيكون في المستقبل أيضا على الدوام مَنْ ينزل عليهم الوحي. إن حضرة مجدد الألفية الثانية والشاه ولي الله أيضا يؤمنان بهذا الوحي، فلو سُلِّم بأن كل أنواع الوحي قد انقطعت، فهذا يستلزم إنكار الأمور المشهودة والمحسوسة. الآن كما هو ثابتٌ من تجربتنا أن وحي الله ينزل. فإذا كان حديثٌ يعارض الشهود وما هو ملموس فسيقال إن في ذلك مبالغة. فقد نشر الغزنويون أيضا مؤخرا كتابا سجلوا فيه إلهامات عبد الله الغزنوي. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٣، عدد ٤/٩/١٩٠٣ م، ص ٢٥٨)

الآية ٧٠: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

هذه الكلمة مشتقة من لفظة "الشَّهْد" أيضا، لأن الذين يشقون على أنفسهم بالعبادة ويستعدون للصبر على كل أنواع المرارة والعناء في سبيل الله، يجدون في ذلك

حلاوة كحلاوة الشَّهْد، وكما أن الشَّهْد مصداق لقول الله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، فإن هؤلاء أيضا يكونون بمنزلة الترياق، والذين يحضرون صحبتهم ينجون من أمراض كثيرة. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١١، عدد ٢٤ / ٣ / ١٩٠١ م، ص ١)

يتبين من ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ أن الله ﷻ قد أودع الأدوية أيضا خواص شفاء الأمراض. فقد ورد في الحديث أن في الأدوية تأثيرات وعلاجا للأمراض. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٢، عدد ٣١ / ٣ / ١٩٠٣ م، ص ٧)

قال حضرته عليه السلام عند ذكر العسل:

لقد كتب الأطباء عن سائر الحلويات أنها تولد العفونة، لكن العسل ليس منها، ولقد أجريت التجربة على المانجو والفواكه الأخرى حيث وُضعت فيه لسنين طويلة ولم تفسد ولم تتعفن بل بقيت صالحة كما هي.

قال: ذات مرة جربته على البيض فتعجبت أن محّها (صفارها) ظل كما هو، لكن أحها (بياضها) تجمد وصار كالحجر، فكما يصعب كسر الحجارة تعذر كسره أيضا.

لقد قال الله ﷻ في صفته ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ فإنما قال ذلك لأنه في الحقيقة شيء عجيب ومفيد. والصفة نفسها قد وردت عن القرآن الكريم أيضا. فغالبية المرتاضين الروحانيين الذين يقومون بالمجاهدات الشاقة يتناولونه، ويبدو أنه يقوي العظام... وغيرها. ويبدو من لام التعريف في كلمة "الناس" أن فيه شفاءً لعباد الله الخواص الذين يجاهدون ويقومون بالرياضات الروحانية الشاقة في سبيله، لأن الله ﷻ دوما يحب الخواص دون العامة. (بدر، مجلد ٣، رقم ٧، عدد ١٦ / ٢ / ١٩٠٤ م، ص ٣)

قال عند ذكر داء السكري: كنت أعاني منه كثيرا، ويقول الأطباء إن استخدام السكر في حالة الإصابة بالسكري مضر جدا. كنت أفكر اليوم أن السكر الذي يوجد في الأسواق يصنعه الفساق والفجار عادة فلا غرابة إذا كان مضرًا، أما العسل فيُصنع بوحى من الله تعالى، لذا يجب ألا يكون تأثيره مثل تأثير الأنواع المختلفة للسكر قط. إذا كان العسل أيضا مثل بقية أنواع السكر، لقليل عنها كلها أيضا أن

فيها: ﴿شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾، ولكن العسل ذُكر هنا بوجه خاص. فهذه الخصوصية تدل على نفعه. ما دام العسل يُصنع بالوحي فلا بد أن تنتقي النحل أجزاء مفيدة فقط عندما يجمع رحيق الأزهار. فبناء على ذلك تناولت قليلا من العسل بخلطه بدواء شعبي آخر "كيورا" وتحسنت بعد قليل، حتى وجدت نفسي قادرا على المشي، ثم ذهبت مع أهل بيتي إلى الحديقة واصلت هناك صلاة الضحى عشر ركعات. (بدر، مجلد ٣، رقم ٤٤-٤٥، عدد ٢٤، ١١/١-١٢/١، ١٩٠٤م، ص ٣)

الآية ٧١: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾

لا نستطيع أن نتصور مطلقا كيف تبقى الروح على حالتها الكاملة إذا حُرمت تماما من علاقتها بجسد ما، مع أنها -على ما نعلم عنها- تضطرب عند كل خلل ولو بسيط يطرأ على الجسد. أفلا توضح لنا التجارب اليومية أن صحة الجسم ضرورية لصحة الروح؟ عندما يصبح الإنسان شيخا فانيا تشيخ روحه أيضا وتهرم ويختلس سارق الشيخوخة منه بضاعة علمه كما يقول الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ أي عندما يصير الإنسان شيخا هرمًا يبدو -رغم دراسته وقراءته- كأنه صار جاهلا. لذلك فمشاهدتنا تشكل دليلا قاطعا على أن الروح لا شيء بدون الجسم. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٠٤)

الآية ٧٥: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

يقول القرآن الكريم إن الله يرى ويسمع ويعلم ويتكلم.. فإنه من ناحية أخرى يُنزهه عن مماثلة المخلوق ويقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ أي لا أحد شريك لله لا في ذاته ولا في صفاته تعالى، فلا تضربوا لله الأمثال من مخلوقاته. إنما الطريق الوسط هو عدُّ ذات الله بين التشبيه والتنزيه. (فلسفة تعاليم

الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٧٦-٣٧٧)

الآية ٨٩: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾

أي سنعذبهم في الدنيا أيضا إضافة إلى عذاب الآخرة وسينالون جزاء فسادهم. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١ ص ٢٥٣، الحاشية رقم ١١)

الآية ٩٠: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾

أي قد أنزلنا عليك هذا الكتاب ليبين الحقائق الدينية كلها، ولكي يكون بياننا الكامل هذا هدى ورحمة للذين يطيعون الله حق الطاعة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١ ص ٢٢٥، الحاشية رقم ١١)

أكشف عليك مكررا وبصوت عال أن الأحاديث التي عملت بها الأمة بالتواتر أي السنن المتوارثة والمعمول بها بالتواتر التي كانت في علم العاملين والأمين وظلت معمولا بها في ممارسات المسلمين الدينية على قدر مراتبها من حيث التأكيد قرناً بعد قرن وعصرا بعد عصر ليست محل نقدي قط، ولا حاجة إلى جعل القرآن معيارا لها. وإذا أدّت إلى شيء من الإضافة إلى تعاليم القرآن فلا أنكر ذلك. مع أن مذهبي هو أن القرآن الكريم كامل في تعليمه ولم تبق حقيقة خارجه لأن الله جلّ شأنه يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، ويقول أيضا: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٩)، ولكن إلى جانب ذلك أعتقد أيضا أنه ليس بوسع كل مجتهد أو شيخ أن يستخرج ويستنبط من القرآن الكريم جميع المسائل الدينية أو أن يقدر على تفسير صحيح لمجملاته بحسب مشيئة الله، بل هذه المهمة موكلة إلى الذين نُصروا بالوحي الإلهي بصورة نبوة أو ولاية عظمى. فالصراط المستقيم للذين لا يقدرّون على استخراج المعارف القرآنية واستنباطها لكونهم غير ملهمين هو أن يقبلوا

دون تردد وتوقف التعاليم التي وصلت بواسطة السنن المتوارثة والمعمول بها دون أن يتوجَّهوا إلى استخراجها واستنباطها من القرآن. أما الذين نُورُوا بنور وحي الولاية العظمى، ويدخلون في حزب: ﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٠)، فقد جرت سُنَّة الله معهم بلا شك أنه ﷺ يكشف عليهم بين حين وآخر دقائق القرآن الكامنة، ويثبت لهم أن النبي ﷺ لم يُعْطِ تعليماً إضافياً قط، بل الأحاديث الصحيحة تتضمن تفصيلاً لمجملات القرآن الكريم وإشاراته. فبعد تلقيهم هذه المعرفة ينكشف عليهم إعجاز القرآن الكريم ويتبين لهم صدق آياته البينات كما يقول الله جلَّ شأنه بأنه لا يوجد شيء خارجه. مع أن علماء الظاهر أيضاً يؤمنون بهذه الآيات بشيء من الانقباض لكيلا يستلزم تكذيبها، ولكن اليقين الكامل والسكينة والطمأنينة الكاملة التي ينالها الملهم الكامل بعد مشاهدة تطابق الأحاديث الصحيحة وموافقتها مع القرآن الكريم، وبعد الاطلاع على إحاطة القرآن التامة الحقيقية بجميع الأحاديث؛ لا ينالها علماء الظاهر بحال من الأحوال. بل بعضهم يزعمون أن القرآن الكريم ناقص وغير مكتمل، وينكرون الحقائق والمعارف غير المحدودة التي يتأسس عليها إعجاز القرآن الكامل والأبدي. ثم لا يقتصر الأمر على الإنكار فقط بل بسبب إنكارهم هذا يكذبون جميع الآيات البينات التي قال الله جلَّ شأنه فيها بصراحة تامة إن القرآن الكريم جامع لجميع التعاليم الدينية. (الحق مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٨٠-٨١)

الآية ٩١: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

يأمر الله تعالى أن تقوموا بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى في محله دائماً. فليكن معلوماً أن تعليم الإنجيل أدنى من مرتبة الكمال التي فيها تتوثق عرى نظام العالم بقوة. وإن عدّه تعليماً كاملاً خطأ كبير، إذ لا يمكن أن يكون تعليم مثله كاملاً

قط. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٢٦-٤٢٧، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أي أدّوا حقوق الله وحقوق العباد بالعدل، وإذا استطعتم أكثر من ذلك فلا تكتفوا بالعدل بل أحسنوا، أي أحرزوا أكثر من الفرائض، واعبدوا الله بإخلاص كأنكم ترونه، وعاملوا الناس بلطف ورفق أكثر مما يستحقون. وإذا استطعتم أكثر من ذلك فاعبدوا الله واخلدوا الخلق دون أي غاية أو سبب كما يقوم أحد بحماس القرابة. (شحنة الحق، الخزائن الروحانية المجلد ٢، ص ٣٦١-٣٦٢)

فمن المنطلق الأول تعني الآية أن عليكم أن تراعوا العدل في طاعة خالقكم ولا تكونوا من الظالمين. فكما لا يستحق غيره العبادة قط، كذلك ما من أحد يستحق الحب والتوكل من دونه، لأن كل ذلك من حقه هو وحده ﷻ من حيث الخالقية والقيومية والربوبية الخاصة. كذلك لا تشركوا أحدا في عبادته وحبه وربوبيته. فلو فعلتم ذلك فهذا هو العدل الواجب عليكم رعايته.

وإذا أردتم أن تتقدموا على ذلك فهناك مرتبة الإحسان؛ وهي أن تعتقدوا بعظمته وتأدّبوا في عباداتكم في حضرته، وتفنوا أنفسكم في حبه كأنكم رأيتم عظمته وجلاله وحسنه الأبدي. ثم تأتي درجة إيتاء ذي القربى؛ وهي أن تكون عبادتكم وطاعتكم منزّهة ومبرأة تماما من التكلف والتصنع، وتذكروه ﷻ بعلاقة قلبية كذكركم آباءكم، وأن يكون حبكم له كحب الولد لأمه الحبيبة.

ومعنى الآية من المنظور الثاني أي من منطلق مواساة البشر، هو أن اعدلوا مع إخوانكم وبني البشر بوجه عام، ولا تتعرضوا لهم أكثر من حقكم، وتمسكوا بالعدل. أما إذا أردتم أن تتقدموا أكثر من هذه الدرجة أيضا فهناك درجة الإحسان بعدها؛ وهي أن تحسن إلى أخيك الذي أساء إليك، وترجحه مقابل إيذائه لك، وتأخذ بيده مواساة له وإحسانا.

ثم تأتي درجة إيتاء ذي القربى؛ وهي أن كل ما أحسنت إلى أخيك وإلى بني البشر، يجب ألا يكون نابعا من نية المنّ عليهم، بل ينبغي أن يصدر بصورة طبيعية دون أن يكون هناك مطلب مستقبلي في الحسبان، بل ينبغي أن يصدر منك على غرار إحسان قريب إلى قريبه نتيجة حماس ناتج عن قرابة متينة.

إذن، فهذه هي ذروة كمال التقدم الأخلاقي؛ ألا يكون للإنسان مصلحة شخصية أو مطلب أو غرض شخصي في مواساته الخلائق، بل ينبغي أن ينمو حماس الأخوة والقرابة الإنسانية على مستوى عالٍ، بحيث تصدر من الإنسان الحسنة تلقائيا بحماس فطري دون أدنى تكلف، وبغير أن يتوقع شكرا أو دعاء أو عوضا من أي نوع في المستقبل. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٥٠-٥٥٢) إن الله يأمر أن اعدلوا، بل تزيدوا على العدل وأحسنوا، بل ينبغي أن تزيدوا على الإحسان أيضا وعاملوا الناس باللطف كأنهم ذوو القربى والأحباء لكم. يجب الانتباه إلى أن المراتب ثلاثة فقط. أولا: أن يعدل الإنسان، أي يتمي الحق مقابل الحق. وإذا زاد على ذلك فتليه مرتبة الإحسان. وإذا تقدّم على ذلك فيغض بصره عن المنّة أيضا ويواسي الناس بحبّ كما تواسي الأم ولدها بحماس طبيعي وليس بنية المنّة. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٢٧)

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أي قد أمركم الله أن تعدلوا تجاه العامة، بل أحسنوا إليهم بل أكثر من ذلك ينبغي أن تبدوا لهم المواساة كما يواسي القريب قريبه. (الرد على ثلاثة أسئلة لمسيحي، الخزائن الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٦٩-٣٧٠)

إن الله يأمرنا بأن نقابل الحسنة بالحسنة، وذلك هو العدل، وأن نزيد فوق العدل إحسانا إن كان في محله، ونزيد على الإحسان إذا اقتضى الموقف فنفعل الخير خالصا بعاطفة فطرية كعاطفة ذي القربى. وينهانا الله عن الفحشاء.. أي أن نتجاوز حدود الاعتدال، أو أن يصدر منا من الإحسان ما ينكره العقل.. أي أن تأتي الإحسان

في غير محله، أو نكف عن الإحسان في محله، أو نقصر في العمل بمقتضى "إيتاء ذي القربى" مع أن الموقف يتطلب ذلك، أو نفرط فيه متجاوزين الحد المناسب.

هذه الآية الكريمة تتضمن ثلاث درجات من إيصال الخير، الأولى: أن تُقابل الحسنة بحسنة، وهذه أدنى درجة لإيصال الخير، ويستطيع أن يتخلق بهذا الخلق أي واحد ذو صلاحٍ عادي فلا ينفك يحسن إلى من أحسن إليه.

أما الدرجة الثانية فهي أصعب منها نيلاً، وهي أن يبدأ الإنسان بالحسنة من تلقاء نفسه، وأن ينفع غيره تفضلاً منه دون أي حق له. وهذا الخلق وسط بين الدرجتين، وكثير من الناس يحسنون إلى الفقراء، بيد أن هذا الإحسان يشوبه عيب خفي.. وهو أن المحسن تحدثه نفسه بأنه قد أحسن.. فيبتغي على إحسانه كلمة شكرٍ أو دعاءً على الأقل، وإذا خالفه المحسن إلى إياه اتهمه بأنه ناكِرٌ للجميل، أو حملة أحياناً ما لا يحتمل.. ومنّ عليه بصنيعه. ولذلك يُحذر الله المحسنين بقوله: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (البقرة: ٢٦٥) أي لا تضيعوا بالمنة والإيذاء صدقاتكم التي يجب أن تكون عن صدق، لأن كلمة "الصدقة" مشتقة من الصدق. فإذا خلا قلب المرء من الصدق والإخلاص فلا تبقى صدقته صدقةً، وإنما تكون عملاً من الرياء. وملخص القول: إن في المحسن ضعفاً، إذ قد يمن بإحسانه إذا ما أخذته ثورة الغضب، فلهذا حذر الله المحسنين هنا.

وأما الدرجة الثالثة من إيصال الخير فقد سماها الله باسم "إيتاء ذي القربى".. وهو ألا يكون في قلب المحسن أي شعور بالإحسان، ولا أي رجاء لتلقي الشكر عليه، بل يجب أن تصدر الحسنة بدافع الشفقة التي تكون بين ذوي القرابة القريبة، كما تحنو الأم على فلذة كبدها. وهذه هي أسمى درجات إيصال الخير، وليس وراءها درجة.

غير أن الله تعالى قد جعل جميع أقسام إيصال الخير هذه منوطةً بمراعاة المحل والمقام، وصرح في الآية المذكورة بكل وضوح أن كل هذه الحسنات إن لم توضع في

مواضعها تصبح سيئات. فسيتحول العدل فحشاء.. أي تتجاوز الحد لدرجة يُستقبح فيها؛ وسيعود الإحسان منكرًا.. أي ما يرفضه العقل والوجدان؛ ويصبح "إتاء ذي القربى" بغيًا.. أي أن ظهور عاطفة الشفقة في غير موضعها سيؤدي إلى مواقف مكروهة؛ ذلك أن البغي في الحقيقة هو المطر الذي يتجاوز الحد ويدمر الزرع، أو البغي هو تجاوز الاعتدال في أداء الحق. وبالجملة فإن أي قسم من الأقسام الثلاثة إذا صدر في غير محله كان خُلُقًا سيئًا، ولهذا يُشترط أن يكون كل في محله.

وينبغي ألا يغيبن عن الذهن هنا أن مجرد العدل أو الإحسان أو الشفقة التي هي كشفقة ذوي القربى، لا يكون خُلُقًا في حد ذاته، وإنما هي حالات طَبِيعِيَّة ومَلَكَات فطرية توجد حتى في الأطفال قبل نضوج العقل فيهم. وأما الخُلُق فهو مشروط باستخدام العقل، كما أنه مشروط بأن تستعمل كل قوة في موضعها.

وهناك في القرآن المجيد تعليمات ضرورية أخرى عن خُلُق الإحسان، قد ذكرها الله كُلُّهَا مُعَرَّفَةً بـ "ال" ليشير إلى أهمية مراعاة مقتضى الظروف والأحوال عند العمل بها. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٣-٣٥٤)

...أي ينبغي أن تكون مواساتكم لبني البشر ناتجة عن حماس طبعي كما تواسي الأم ابنها، ولا تكون بدافع المنّ. (كتاب البراءة، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٨٤)

هذه الآية تتحدث عن حق الله وحق العباد، وكمال بلاغتها أن الله تعالى صرح فيها عن نوعي الحقوق كليهما. أما حق العباد فقد سبق أن تكلمنا عنه، وأما معنى الآية بخصوص حق الله ﷻ فهو أن تطيع الله ﷻ مراعيًا العدل، لأن الذي خلقك ورباك ولا يزال يربيك كل حين وآن يستحق أن تطيعه. ولو كانت عندك بصيرة أكبر فعليك أن تطيعه ليس لمجرد مراعاة الحق بل بمراعاة الإحسان، لأنه ﷻ محسن، وإحساناته ومننه لا تعد ولا تحصى. وواضح أن فوق العدل درجة يُراعى فيها الإحسان أيضًا عند الطاعة، ولما كان المرء يلاحظ كل حين وآن صورة المحسن وشمائله وخصاله ويطَّلَع عليها وهي تظل ماثلة أمام ناظره،

لهذا من تعريف الإحسان أن يعبد الله كأنه يراه ﷻ. وإنّ مطيعي الله ﷻ ينقسمون في الحقيقة إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: الذين لا يلاحظون الإحسان الإلهي جيداً لكونهم محجوبين وغير ناظرين إلا إلى الأسباب، ولا يتولد فيهم الحماس الذي ينشأ نتيجة النظر إلى عظمة الإحسان، كما لا يتحرك فيهم الحب الذي ينشأ نتيجة تصور المنن العظيمة للمحسن، ويسلمون بحقوق الخالق لمجرد النظرة الإجمالية إليه، ولا يلاحظون أبداً تفاصيل الإحسان الإلهي التي إذا ألقى المرء عليها نظرة دقيقة يصبح ذلك المحسن الحقيقي ماثلاً أمام عينيه، ذلك لأن حجاب عبادة الأسباب يمنعهم من رؤية الوجه الكامل لذلك المسبب الحقيقي، فلا تتوفر لهم النظرة النقية التي يمكن أن يروا بها جمال المعطي الحقيقي بالكامل، فمعرفتهم الناقصة تكون مشوبة بكدر مراعاة الأسباب. فبسبب ذلك وعدم قدرتهم على مشاهدة من الله لا يعيرون الله ﷻ التفاتاً تتطلبه مشاهدة المنن، التي بها تمثل صورة المحسن أمام العين بل تكون معرفتهم غامضة. وسبب ذلك أنهم يتكلمون على جهودهم وأسبابهم بالإضافة إلى إيمانهم تكلفاً بأن حق الله واجب عليهم لكونه خالقهم ورازقهم، ولما كان الله ﷻ لا يكلف نفساً إلا وُسْعها من الفهم، لهذا يطالبهم بأن يشكروا حقوقه ما داموا في هذه الحالة، وإن المراد من العدل في: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ هذه الطاعة بمراعاة العدل.

لكن هناك درجة أكبر لمعرفة الإنسان، وهي كما بينا آنفاً أن يتمكن نظر الإنسان فيها من رؤية يد فضل الله ومنته منزّها وطاهرًا من رؤية الأسباب كليا. وفي هذه المرتبة ينسلخ الإنسان عن حُجُب الأسباب تماماً، وتبدو باطلة تماماً كما الأقوال التالية: كانت مزرعتي جيدة وكان الحصاد جيداً بسبب سقايتي، أو قد حققت نجاحاً وأرباحاً بقوة ساعدي، أو بفضل فلان تحقق لي المطلب الفلاني، وبفضل اعتناء فلان نجوت من الهلاك... ويرى الإنسان ذاتاً واحدة وقدره وحيدة ومحسناً وحيداً ويذا وحيدة، وعندئذ يتمكن المرء من مشاهدة من الله بنظرة صافية لا تشوبها أدنى

شائبة من الشرك في الأسباب. وهذه المشاهدة يقينية وصافية بحيث لا يظن المرء أن ذلك المتأن غائب عن عينه عند عبادته، بل يعبدّه يقينا منه بأنه حاضر، وهذه العبادة سُميت في القرآن الكريم إحسانا، وهذا هو المعنى الذي بيّنه النبي ﷺ نفسه للإحسان حصرا في الصحيحين.

وبعد هذه الدرجة هناك درجة أخرى تسمى "إيتاء ذي القربى" وتفصيل ذلك أن الإنسان حين يلاحظ من الله نازلةً عليه لمدة من الزمن دون مشاركة الأسباب، ويظل يعبدّه إيمانا منه بأنه موجود ومحسن بلا واسطة، فهذا التصور والخيال يؤدي أخيرا إلى أن ينشأ لديه حبّ ذاتي لله ﷻ، لأن ملاحظة من الله المتواترة بانتظام تؤثر في قلب الشخص الممتنّ تدريجيا، فيمتلئ بالحب الذاتي للذي غمرته منهُ غير المحدودة، ففي هذه الحالة لا يعبدّه بدافع الامتنان فحسب بل يترسّخ في قلبه حبُّه الذاتي، تماما كما يحب الطفل أمّه حبا ذاتيا، ففي هذه المرحلة لا يتمكن - عند العبادة - من رؤية الله فحسب بل يتمتع بالنظر إليه ﷻ كالعشاق الصادقين، وتنعدم جميع الأغراض النفسانية ويتولد فيه حبُّه الذاتي. وهذه المرتبة عبّر عنها بلفظ: "إيتاء ذي القربى"، وإلى ذلك قد أشار الله ﷻ في آية ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة: ٢٠١) باختصار؛ هذا هو تفسير آية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾. وقد بيّن الله فيها المراتب الثلاثة لمعرفة الإنسان، وسمّى المرتبة الثالثة مرتبة الحب الذاتي. وهذه المرتبة التي تحترق فيها جميع الأغراض النفسانية ويمتلأ القلب بالحب امتلاء الزجاجة بالعطّر. وإلى هذه المرتبة أشير في آية ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة: ٢٠٨) .. أي أن الله رؤوف بمثل هؤلاء العباد. وقال: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١١٣) أي سينال النجاة أولئك الذين يسلمون نفوسهم لله ﷻ ويعبدونه لنعمه وكأنهم يرونه، فهؤلاء يأخذون أجرهم من الله ولا يخافون ولا يحزنون. إن هدفهم الوصول إلى الله والفوز بحبه،

وأَجْرُهُمُ الرَّعْمُ عند الله. ويقول في آية أخرى: ﴿يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الدهر: ٩-١٠). فالجدير بالتأمل هناكم يتبين جليا من هذه الآيات أن القرآن الكريم وصف أسمى درجة لعبادة الله والأعمال الصالحة بأن يبتغي المرء حبَّ الله ورضوانه بصدق القلب. (نور القرآن رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٣٦-٤٤١)

إن مرتبة إيتاء ذي القربى تنشأ إثر ملاحظة المنن المتتالية، ففي هذه المرتبة ينشأ في قلب العابد حبُّ ذات البارئ كاملا، وتختفي رائحة الأغراض النفسانية وبقيتها نهائيا. والحقيقة أن أصل الحب الذاتي ومنبعه شيئان:

(١) أولهما أن يُكثر المرء من مطالعة جمال أحد بالتأمل في جماله وأساير وجهه وملامحه وشمائله كل حين وأن ويتصوره مرارا.

(٢) والثاني أن يُكثر من التأمل في مننٍ متتاليةٍ من أحد، وذكر أنواع الطافه ومننه وتعظيمها. (نور القرآن رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٣٩، الحاشية)

ماذا يريد الله منك؟ إنما يريد أن تعامل جميع البشر بالعدل، وفوق ذلك أن تحسن إلى من لم يحسن إليك، ثم فوق ذلك أن تواسي خلق الله كأقربك الأقربون؛ وتعاملهم كما تعامل الأمهات أولادهن؛ ذلك أن الإحسان يشوبه شيء من الزهو والكبر، ولأن المحسن قد يمتن بإحسانه، ولكن الذي يفعل الخير بدافع طبيعي كما تفعل الأم فلا يمكن أن يزدهي أبداً، لذا فمنتهى درجات الخير هو ما كان بدافع طبيعي كدافع الأم.

واعلم أن الآية المذكورة لا تخص المخلوق فقط، بل تخص ذات الله أيضاً، فأما عدلُك مع الله تعالى فيعني أن تطيعه بذكر نعمه، وأما إحسانك إليه وَعَلَيْكَ فهو أن توقن به وَعَلَيْكَ كأنك تراه، وأما "إيتاء ذي القربى" في حق الله تعالى فهو أن تعبدَه لا طمعاً في الجنة ولا خوفاً من الجحيم، بل حتى ولو افترضنا جدلاً أن ليس هناك جنة ولا نار، فيجب أن لا يفتربك وطاعتك لله وَعَلَيْكَ. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٣٠-٣١)

يأمركم الله أن تقوموا بالعدل والإنصاف. وإذا أردتم أن تكونوا أكمل من ذلك فأحسنوا، أي أحسنوا إلى الذين لم يحسنوا إليكم قط. وإذا أردتم أن تنالوا الكمال أكثر من ذلك فأحسنوا إلى بني البشر بمواساة ذاتية ودافع طبيعي كما تحسن الأم إلى ولدها بدافع طبيعي دون أن تتوقعوا شكرا من أحد أو تثنُّوا على أحد. ثم قال: إن الله تعالى ينهاكم أن تعتدوا أو تثنُّوا أو تكفروا بنعمة الذي واساكم بمواساة صادقة. (محاظرة لاهور، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٥٥)

في هذه الآية ذكر الله تعالى ثلاث مراتب يجب على الإنسان الحصول عليها. المرتبة الأولى هي العدل. والمراد من العدل أن يُحسن الإنسان إلى غيره مقابل الأجر. والمعلوم أن هذا النوع من الحسنات ليس أعلى درجة، بل الحق أن الدرجة الدنيا هي أن تعدلوا. ولو تقدمتم أكثر لوصلتم إلى درجة الإحسان، أي أحسنوا إلى الناس دون مقابل. ولكن الإحسان إلى المسيء، أو إدارة الخدّ الآخر إلى مَنْ لطم الخدّ الأول ليس صحيحا، أو قولوا بتعبير آخر إن العمل بهذا التعليم بوجه عام ليس ممكنا. يقول شيخ سعدي:

نکوئی بابدال کردن چنان است که بد کردن برائے نیک مردان
أي: "إن مثل الإحسان إلى الأشرار كمثل الإساءة إلى الأبرار".

فلا يسع دينا أن يجاري تعليم الإسلام الأسمى فيما يتعلق بحدود الانتقام؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٤١). أي أن عقوبة السيئة يجب أن تكون مثلها. ويمكن العفو أيضا ولكن بشرط أن يكون ذلك للإصلاح. فقد علّم الإسلام العفو عن الخطأ ولكن دون أن يؤدي إلى انتشار الشر.

فالمرتبة الثانية بعد العدل هي الإحسان، أي المعاملة الحسنة دون مقابل. ولكن هذا السلوك أيضا يتضمن نوعا من الأنانية، وهي أن الإنسان يمنّ أحيانا بإحسانه أو معاملته الحسنة على مَنْ أحسن إليه. لذا فقد أعطى ﷺ تعليمًا أعلى منه وهو درجة

"إيتاء ذي القربى". فالمعاملة التي تقوم بها الأمّ تجاه ولدها، لا ترجو مقابلها أجراً أو إنعاماً أو إكراماً، بل تكون معاملتها الحسنة معه ناتجة عن حبها الفطري له، حتى لو أمرها الملك ألا ترضعه، وطمأنها بأنه لو مات الولد نتيجة غفلتها فلن تُعاقب بل ستنال إنعاماً وإكراماً؛ لما خضعت لأمره، بل لسبّته على أنه عدو لأولادها. والسبب في ذلك أنها تتعامل مع ولدها بحب فطري لا يشوبه طمع أو جشع.

هذا هو التعليم السامي الذي يقدمه الإسلام. الآية المذكورة آنفاً تشمل حقوق الله وحقوق العباد معاً. فمن منطلق حقوق الله تعني الآية أن أطيعوا الله مراعين مقتضى العدل، واعبدوه وَعِبَادَتُكُمْ وهو الذي خلقكم ويربيكم. والذي يتقدم على هذا المقام في طاعة الله، عليه أن يطيعه ملتزماً بالإحسان؛ لأنه وَعِبَادَتُكُمْ "المحسن" وإحساناته لا تُعدّ ولا تُحصى. ولما كان الإنسان يتذكر إحسانات المحسن بالنظر إلى شمائله وخصائله، فقد قال النبي ﷺ "الإِحْسَانُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"^١. ففي هذا المقام أيضاً يبقى الإنسان محجوباً نوعاً ما. والمرتبة الثالثة هي درجة "إيتاء ذي القربى" حيث يتولد فيه الحب الذاتي الخالص لله تعالى. وقد سبق أن وضّحت معنى ذلك من منطلق حقوق العباد، وقلت إن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي أعطى هذا التعليم دون غيره، وهو تعليم كامل لا يسع أحدا الإتيان بنظيره. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٣٧، عدد ٢٤/١٠/١٩٠٦م، ص ٣)

الدين الحق ما يربي القوى الإنسانية، ولا يستأصلها. إن إلغاء قوة الرجولة أو الغضب التي قد أودعها الله فطرة الإنسان إنما هو حرب على الله تعالى. كذلك فإن ترك الدنيا والرهبانية وما إلى ذلك من أمور إنما هو إتلاف لحقوق العباد. لو كان الأمر كما يظنون لوقع الاعتراض على الله الذي خلق فينا هذه القوى. فمثل هذه التعاليم الإنجيلية التي تستلزم القضاء على القوى الإنسانية تؤدي إلى الضلال في

^١ صحيح البخاري، كتاب الإيمان. (المترجم)

نهاية المطاف. إنما يأمر الله تعالى بتعديلها ولا ينبغي إهدارها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾. العدل شيء ينبغي أن ينتفع به الجميع. (تقرير الجلسة السنوية ١٨٩٧م، ص ٤٧-٤٨)

البر أن ينشئ المرء علاقته الطيبة بالله ويسعى لكي يسري حبه الذاتي في عروقه كما يقول الله ﷻ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾، فالعدل مع الله أن تعرفوه وتطيعوه تذكراً لآلائه، ولا تشركوا به شيئاً، وإذا أردتم أن تتقدموا في ذلك فهناك إحسان، وهو أن توقنوا بالله كأنكم ترونه، وأن تحسنوا إلى الذين لم يحسنوا إليكم. وإذا أردتم المعاملة أكثر من هذا أيضاً فهناك درجة أخرى للحسنة وهي أن تحبوا الله بعاطفة حب طبيعي لا طمعا في الجنة ولا خوفاً من الجحيم، بل لو افترض أنه ليست ثمة جنة ولا نار فينبغي أن لا يطرأ أي فتور على حماس الحب والطاعة، فحين يتحقق هذا الحب مع الله ينشأ فيه جذب، ولا يصيبه أي فتور.

وتعاملوا مع خلق الله كأنكم أقاربهم الحقيقيون وهذه الدرجة تفوق كل درجة، وذلك لأن الإحسان تشوبه شوائب إظهار النفس، بحيث حين ينكر أحد جميله يقول له فوراً، لقد أحسنتُ إليك كذا وكذا، بينما الحب الطبيعي الذي لدى الأم لولدها، لا يكون فيه أي إظهار للنفس، بل لو أمر الملك الأم بقتل ابنها دون أن تحمل جريمة ذلك لرفضت الاستماع لمثل هذا القول بل ولسبت الملك أيضاً، ومع أنها تعلم أنها ستموت قبل بلوغه سن النضج، فإنها لا تترك تربية الولد بسبب العاطفة الطبيعية. في أحيان كثيرة ينجب الوالدان في الكبر، مع ذلك يريان أولادهما ويحبانهما مع أنهما لا يتوقعان أي فائدة ظاهرة منهم. فهذا أمر طبيعي، والحب الذي يبلغ هذه الدرجة هو الذي قد أشير إليه في الآية ﴿إِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أي يجب أن يكون لكم حبٌّ مع الله من هذا النوع بحيث لا طمع في المراتب ولا خوف الذلة. (بدر،

الأخلاق نوعان، أحدهما ما يقدمه الحائزون على ثقافة حديثة، إذ يدهنون ويتملقون باللسان أثناء اللقاء وقلوبهم مليئة بالحق والنفق، فهذه الأخلاق تنافي القرآن الكريم. والقسم الثاني للأخلاق أن يقوم الإنسان بمواساة حقيقية، دون ذرة نفاق أو تملق أو مداينة، كما يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾، فهذا طريق كامل، وكل طريق كامل والهدى موجود في كلام الله، فالذين يعرضون عنه لا يمكن أن ينالوا الهدى عند غيره. فتأثير التعليم الطيب يتطلب طهارة القلوب، فالذين يبتعدون عنه إذا رأيتموهم بنظرة عميقة فستجدون فيهم خبثا حتما. لا ضمان للحياة، فأحرزوا التقدم في أداء الصلاة والصدق والصفاء. (بدر، مجلد ٦، رقم ٢٤، عدد ٨/١٢/١٩٠٣ م، ص ٣٦٣)

أنصحكم مرة بعد أخرى ألا تضيقوا دائرة مواساتكم واتبعوا في سبيل المواساة تعليمًا أعطاكم الله تعالى إياه، أي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾، أي كونوا عادلين أولا عند الإحسان، وأحسنوا إلى من أحسن إليكم. الدرجة الثانية هي أن تحسنوا أكثر مما أحسن إليكم أحد، وهذا إحسان. الإحسان أعلى من العدل وهو حسنة كبيرة، إلا أنه يمكن أن يمنّ المحسن بإحسانه في وقت من الأوقات. وفوق هاتين الدرجتين هناك درجة وهي أن يحسن المرء بحب ذاتي لا تشوبه شائبة المن؛ كما تربي الأم ولدها ولا تطمع في ذلك بأدنى أجر أو إنعام، بل تتحلى بحماس طبيعي وبسببه تضحي بكل راحتها وسعادتها من أجل ولدها لدرجة لو أمرها ملك ألا ترضع ولدها وإن هلك الولد نتيجة ذلك لن تعاقب قط؛ فهل تفرح الأم بسماع ذلك وستعمل به؟ كلا! بل تسخط على الملك على إصداره أمراكهكذا. إذن، يجب أن تبلغ الحسنة مرتبة طبيعية لأنه عندما يبلغ الشيء في تقدمه مرتبة كماله الطبيعي يصبح كاملا. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠٥ م، ص ٤)

قد جعل الله تعالى للمواساة المتبادلة ثلاث مراتب ذكرت في الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾. وقد عُدَّ العدل هنا حسنة صغرى أي إذا

عاملكم أحد بالحسنى فعاملوه بالمعاملة نفسها. ثم تأتي درجة الإحسان وهي أعلى من العدل ولكن مع ذلك يوجد فيه شيء من العيب وهو أنه من الممكن أن يتطرق الرياء أو الأنانية إلى المحسن وقد يمرّ في وقت من الأوقات على من أحسن إليه فائلاً بأنني قد أحسنت إليك بكذا وكذا. ولكن لا توجد في "إيتاء ذي القربى" أدنى شائبة رياء، تماماً كما تربي الأم ولدها بصورة طبيعية دون أن تعرف إلى متى سيعيش ومتى يمكن أن تصيبه المنية كما أنها لا تتوقع منه نفعاً ولا ضراً ولكن الله تعالى قد أودع قلبها حماساً فتراها تضحي براحتها واستراحتها من أجل ولدها. كذلك سميت مواساة البشر بدافع الحماس الطبيعي "إيتاء ذي القربى". لقد أراد الله من هذا الترتيب القول بأنكم إن كنتم تريدون أن تكونوا صالحين كاملين فبلّغوا حسنتكم درجة: "إيتاء ذي القربى". إذ ما لم يتقدم الشيء رويداً رويداً ويبلغ كماله الطبيعي فإنه لا ينال درجة الكمال. (بدر، مجلد ٤، رقم ٢، عدد ١٠/١/١٩٠٥م، ص ٤)

ذات مرة أصيبت ابنتي بالكوليرا فكانت زوجتي تتلقى قيئها على يديها. الأم تشارك الأولاد في كافة معاناتهم. هذا هو الحب الطبيعي الذي لا يضاهيه حب آخر. هذا ما أشار الله إليه في القرآن الكريم في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾.

الدرجة الدنيا من العدل هي أن يعيد المرء بقدر ما أخذ. وإذا تقدم على ذلك فهناك درجة الإحسان، أي يعيد بقدر ما أخذ ويزيد عليه، وتفوقها درجة إيتاء ذي القربى، أي ليُحسن إلى الآخرين كما تحب الأم ولدها بطبيعتها دون أن تتوقع أجراً أو مقابلاً. يتبين من القرآن الكريم أن أولياء الله يتقدمون ويستطيعون أن يبلغوا هذه الدرجة من الحب. إن آفاق الإنسان ليست ضيقة وتتسنى له هذه الأمور بفضل الله تعالى بل هي من مستلزمات سعة الأخلاق. أقول بأن أولياء الله يتقدمون لدرجة أنهم يحبون البشر أكثر من حب الأم. (بدر، مجلد ١، رقم ٩، عدد ١٠/٦/١٩٠٥م، ص ٢)

إن الله تعالى يأمر بالعدل، وإذا تقدمتم على ذلك فيأمركم بالإحسان، وإذا تقدمتم أكثر فيأمركم بإيتاء ذي القربى.

المراد من العدل هو أن المتقي مأمور بالعدل لإصلاح حالة النفس الأمارة. عندها يضطر لمعارضة النفس، فمثلاً إذا كان على المرء تسديد دين أحد ولكن النفس ترغبه في غصبه بأي طريقة ممكنة، وإذا انقضى ميعاده أيضاً، تتجاسر النفس أكثر لأن المؤاخذه القانونية أصبحت الآن غير ممكنة. ولكن هذا لا يجوز لأن العدل يقتضي أن يُسدّد الدين الواجب وألا يُغصب بالحيل والأعذار.

أقول متأسفاً إن بعض الناس لا يهتمون بهذه الأمور، وبعض من جماعتنا أيضاً لا ينتبهون إلى تسديد ديونهم إلا قليلاً، وهذا يخالف العدل. ما كان النبي ﷺ يصلي على أمثالهم. فليتذكر كل واحد منكم جيداً أنه يجب ألا يتهاون في تسديد الديون ويجب الفرار من كل نوع من الخيانة، لأن التهاون في ذلك يخالف أمر الله تعالى الوارد في هذه الآية.

ثم تأتي درجة الإحسان. الذي يراعي العدل ولا ينقض حدوده يوفقه الله تعالى ويعطيه القوة فيتقدم في الحسنات أكثر لدرجة لا يعدل فقط بل يقوم بحسنة أكبر بكثير مقابل حسنة بسيطة. ولكن مع ذلك يرافق الإحسان شيء من الضعف وهو أن صاحبه يمن بحسنته في وقت من الأوقات؛ فمثلاً يُطعم شخصاً إلى عشر سنوات وإن لم يطعمه المطعم مرة واحدة يقول له المطعم: أنت تعيش على طعامي منذ عشر سنوات! وبذلك يضيّع حسنته. الحق أن في المحسن أيضاً يكمن نوع من الرياء. ولكن المرتبة الثالثة نزيهة من الشوائب كلها، وهي درجة إيتاء ذي القربى.

إن درجة إيتاء ذي القربى حالة طبيعية؛ أي في هذه الدرجة تصدر الحسنات من الإنسان كأنها مقتضى طبعه. ومثل ذلك كمثل أم ترضع ولدها وتربيه ولا يخطر ببالها أبداً أن ولدها سيكسب الأموال بعد أن يكبر ويخدمها، حتى لو قال لها ملك بأنك إن لم ترضعي ولدك ومات الولد نتيجة ذلك لن يؤخذك أحد، بل ستنالين تكريماً

عظيما، ولكنها مع ذلك لن تترك الرضاعة بل ستشتم ملكا مثله، لأن تربيته ولدًا مقتضى طبعها وليست مبنية على رجاء أو خوف. كذلك عندما يظل الإنسان يتقدم في الحسنات ويبلغ هذا المقام تصدر منه الحسنات كأنها مقتضى طبعه. هذه الحالة تسمى "المطمئنة". (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٣، عدد ١٩٠٦/١/٢٤، ص ٤)

قال ﷺ: أولاً أن اعدلوا، وبعد ذلك أمركم بالإحسان، أي لا تحسنوا فقط إلى الذي قد أحسن إليكم، بل يجب أن تحسنوا حتى إلى الذي لا يستحق أن يُبرَّ ويُحَسَّن إليه. إلا أن الإحسان تشوبه شائبة من وفيه نقص دقيق، حيث تبقى العلاقة الخفية بالمحسن إليه، لأنه أحيانا إذا صدر منه تصرفٌ ينافي طبع من أحسن إليه أو عصاه، فيسخط عليه المحسن ويتهمة بنكران الجميل وغير ذلك، وحتى لو سعى أن يكظم ذلك فمع ذلك يبقى فيه نقص يظهر منه أحيانا، ولذلك ولتدارك ذلك النقص والعيب قال الله ﷻ تقدّموا وتجاوزوا درجة الإحسان وأحرزوا حسنة وكأنها بمنزلة إيتاء ذي القربى، أي كما تحسن الأم إلى ولدها، فهي تحب ولدها بعاطفة طبيعية ومقتضى فطرتها، لا طمعا في شيء. فانظروا أن الأم أحيانا يكون عمرها ستين عاما ولا تتوقع من ابنها أي خدمة، إذ لا يخطر ببالها أبدا أنها ستعيش إلى أن يكون ابنها شابًا. باختصار، يكون حب المرأة لأولادها نتيجة عاطفية طبيعية لا طمعا في أي خدمة. فالأم تتحمل الألم والمعاناة وتسعى لتوفير الراحة واليسر لأولادها، فهي تنام على موضع مبلول من الفراش وتلقي صبيها على موضع جاف من الفراش، وإذا مرض وليدها فتسهر على راحته الليلي، وتواجه أنواع المعاناة. فقولوا لي الآن هل ثمة أي تصنع أو تكلف في تصرفها تجاه ابنها؟

فإن الله ﷻ يقول اجتازوا درجة الإحسان وأحرزوا درجة إيتاء ذي القربى، وأحسنوا إلى خلق الله بحماس فطري دون أي طمع في الفائدة أو الخدمة. يجب أن تحسنوا إلى خلق الله دون أي شائبة من التصنع أو التكلف. وقال ﷻ: في موضع آخر، ﴿لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (الإنسان: ١٠)، أي من دأب الواصل إلى الله

والحائز على أعلى درجات الرقي أن يخلص برّه لله، ولا يخطر بباله أبداً أن يدعو له أحد، أو يشكره أحد، فهو يحسن إلى بني جلدته بمقتضى الحماس الفطري الذي أودع قلبه لخدمة البشر، لم نجد هذا التعليم الطيب في التوراة ولا في الإنجيل، فقد تصفحنا هذه الكتب ورقة ورقة ولم نجد لمثل هذا التعليم الطيب الكامل أثراً. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٤/٧/١٩٠٨م، ص ١٠-١١)

الإحسان شيء جميل جداً، وبواسطته يستطيع الإنسان أن يذلل أكابر معانديه. فمثلاً كان في سيالكوت شخص يخاصم الجميع، ولم يكن هناك شخص راضياً عنه لدرجة أنّ إخوته وأقاربه أيضاً كانوا منزوعين منه جداً. فأحسنْتُ إليه ذات مرة إحساناً بسيطاً فلم يعاملني بالسيئة بعد ذلك أبداً بل كلما لقيني كلّمني بكثير من الاحترام. كذلك جاءني ذات مرة شخص من العرب وكان يعادي السلفيين بشدة متناهية لدرجة أنه إذا ذُكر السلفيون أمامه بدأ بالشتائم والسباب، حتى بدأ بكيّل شتائم قدرة للسلفيين هنا أيضاً وبالإساءة إليهم. فلم نبال بذلك وخدمناه وأحسنّا ضيافته. فكان ذات يوم يشتم السلفيين بشدة مستشيطاً غضباً فقال له أحد: إن صاحب البيت الذي أنت نازل فيه ضيفاً أيضاً سلفي، فلزم الصمت. الحق أن اعتبار القائل إياي سلفياً ما كان خطأ لأنني أرى العمل بالأحاديث الصحيحة أيضاً بعد القرآن واجبا. على أية حال، غادر هذا الشخص بعد بضعة أيام، ثم لقيني ذات مرة في لاهور وعاملني بكل حب واحترام مع أنه كان يعارض السلفيين بشدة لدرجة أنه ما كان يتحمل أن يرى وجههم أيضاً. ولكن لما كنتُ قد أحسنت ضيافته فهدأت ثورته كلها وعاملني بلطف وحب شديد حتى ذهب بي إلى مسجد صغير كان يعمل إماماً فيه وأجلسني فيه وبدأ بتهويتي كالخدام وبدأ يمدحني كثيراً وقال: يجب أن تشرب الشاي قبل المغادرة وما إلى ذلك. فانظروا كيف يسخر الإحسان القلوب. (بدر، مجلد ٦، رقم ٢٧، عدد ٤/٧/١٩٠٧م، ص ٧)

إن الله يأمركم أن تعدلوا، وفوق العدل يجب أن تحسنوا كما تحسن الأم إلى ولدها، أو كما يواسي أحد أحدا بحماس مبني على القراية. (الحكم، مجلد ٣، رقم ٣٤، عدد ٢٣/٩/١٨٩٩م، ص ٤)

....اعدلوا مع الناس جميعا أي خذوا بقدر حَقِّكم وعاملوا البشر بالعدل. وقد جاء أمرٌ فوق ذلك أن أحسنوا إلى بني البشر أي عاملوهم بما ليس فرضا عليكم بل هو من قبيل الإحسان فقط. ولكن لما كان في الإحسان أيضا عيب مخفي إذ يسخط المحسن أحيانا على مَنْ أحسن إليه ويمتُّ عليه بإحسانه لذلك قال في نهاية الآية المذكورة أن الحسنة الكاملة هي أن تحسنوا إلى البشر كما تحسن الأم إلى طفلها لأن إحسانها يكون ناجما عن حماس طبيعي وليس طمعا في جزاء إذ لا يخطر ببالها أن يعطيها الطفل شيئا مقابل برِّها. فالدرجة الكاملة للمواساة التي يقوم بها المرء تجاه بني البشر هي الدرجة الثالثة والمذكورة في: ﴿إِنِّي إِتَيْنَاكَ الذِّكْرَ﴾. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٨٨)

الآية ٩٨: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

لو رُبِطت هذه الآية بالمستقبل فقط لكان المعنى بأن الذين يعملون الصالحات لا نجزيهم في زمن الحال ولم نجزمهم في الماضي أيضا بل سنجزئهم في المستقبل فقط. فمن منطلق هذا المعنى نضطر إلى الإقرار بأن الله تعالى لم يرزق أحدا حياة طيبة قبل نزول هذه الآية، بل كان ذلك وعدا للمستقبل فقط. ولا يخفى على عاقل الفساد الذي يحتوي عليه هذا المعنى. (الحق، مناظرة دلهي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٤)

الآية ١٠٤: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يِقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾

هذا هو حال الذين كانوا أهل علم وإنصاف من اليهود والنصارى؛ إذ كانوا يرون من ناحية أنه ﷺ أمِّيٌّ محض لم يتلق من التعليم والثقافة شيئا، ولم يعاشر قوما

متحضرين ولم يحضر مجالس علمية، ومن ناحية ثانية لم يجدوا في القرآن الكريم قصص الكتب السابقة فحسب، بل كانوا يجدون فيه مئات الحقائق الدقيقة التي كانت مكتملة ومتمة للكتب السابقة، فكانت نبوته ﷺ تبدو لهم أظهر من الشمس بالنظر إلى أُمِّيَّة النبي ﷺ، وكذلك بالنظر إلى ما جاء به من الكمالات العلمية والأنوار الظاهرية والباطنية في ذلك الزمن المظلم. والمعلوم أنه لو لم يكن هؤلاء العلماء المسيحيون موقنين يقينا كاملا بكونه ﷺ أُمِّيًّا ومؤيِّدا من الله تعالى، لما أمكنهم أن يهجروا - بناء على الشكوك والشبهات - دينا تقوم على نصرته وحمانيته سلطنة عظيمة (سلطنة قيصر الروم) وما انتشر في آسيا فقط، بل في بعض مناطق أوروبا أيضا، وكان مفضلا جدا لدى عبدة الدنيا بناء على تعاليمه الشريكة، ويختاروا دينا كان المشركون كلهم يستأوون منه بسبب تعليمه المبني على التوحيد، وكان المؤمنون به معرضين للهلاك والبلاء من كل حذب وصوب. فالأمر الذي وجّه قلوبهم إلى الإسلام هو أنهم وجدوا النبي أُمِّيًّا محضا ومؤيِّدا من الله ﷻ بكل معنى الكلمة، ووجدوا القرآن الكريم يفوق قدرات البشر. وكانوا بأنفسهم يقرأون في الكتب السابقة بشارات عن بعثة هذا النبي الأخير، فشرح الله تعالى صدورهم للإيمان، فصاروا مؤمنين لدرجة أنهم أهرقوا دماءهم في سبيل الله. والذين كانوا جهلاء وأشرارا وخبثي الطوية من الدرجة القصوى من بين هؤلاء العرب واليهود والنصارى يتبين من النظر إلى أحوالهم أيضا بأنهم كانوا يعدّون النبي ﷺ أُمِّيًّا يقين كامل. لذلك حين كانوا يسألونه ﷻ عن بعض قصص التوراة امتحانا لنبوته ويجدون إجابات صائبة تماما، ما كان في وسعهم أن يقولوا بأنه ﷺ متعلّم ويُجيب علينا بعد قراءته الكتب. بل كانوا يقولون على استحياء ونادمين - كمن لا يسعفه جوابٌ فيقدم أعذارا واهية - لعلّ عالما مسيحيا أو يهوديا قد أطلعه على قصص الكتاب المقدس خفية.

فمعلوم أنه لو لم يكن اليقين الكامل بأُمِّيَّة النبي ﷺ متمكنا من قلوبهم، لبذلوا قصارى جهدهم ليثبتوا أنه ﷺ ليس أُمِّيًّا، بل درس في كتاب أو مدرسة كذا وكذا، ولم

تكن بهم حاجة ليتفوّهوا بكلام هراء يفضح حقهم، لأن الاتهام أن بعض علماء اليهود والنصارى يصادقون النبي ﷺ ويعاونونه في الخفاء كان بديهي البطلان، لأن القرآن الكريم يُعَدّ في آيات عديدة وحي أهل الكتاب ناقصا، وكتبهم محرّفة ومبدّلة، ومعتقداتهم فاسدة وباطلة، ويعدّهم ملعونين ومن أهل جهنم لو ماتوا بغير الإيمان، وينقض مبادئهم الزائفة بأدلة قوية. فكيف كان ممكنا لهؤلاء القوم، والحالة هذه، أن يهينوا للقرآن الكريم بأنفسهم فرصة ليشجب دينهم، ويردّ على كتبهم، وبذلك يتسببوا في استئصال دينهم بأيديهم؟ والحق أن عبدة الدنيا هؤلاء اضطروا ليهذوا بمثل هذا الكلام الهراء لأنهم لم يجدوا مجالا لاختيار سبيل معقول، ولأن شمس الصدق كانت تنشر أشعتها النورانية بقوة هائلة في كل حذب وصوب، فكانوا يختفون هنا وهناك كالخفافيش، ولم يثبتوا قط على قول واحد، بل تركّهم التعنت والعناد الشديد كالمجانين والمخبولين: فأولوا، لما سمعوا قصص القرآن الكريم التي تضمنت ذكر أنبياء بني إسرائيل، توهموا أن أحدا من أهل الكتاب يعلمه هذه القصص سرّا، كما أورد القرآن الكريم قولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾. ثم حين رأوا أن القرآن الكريم لا يشمل القصص فقط، بل فيه حقائق عظيمة، أبدوا رأيا آخر فقالوا: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ (الفرقان: ٥).. أي أن تأليف القرآن الكريم ليس فعل شخص واحد، بل قامت به جماعة كبيرة مجتمعين. وحين رُدّ عليهم في القرآن الكريم بأنه إذا كان القرآن من صنع جماعة من العلماء والأدباء والشعراء فلهم أيضا أن يأتوا بنظيره مستعينين بجماعة مثلها حتى يثبت صدقهم. ولكنهم لزموا الصمت والوجوم وتخلوا عن هذا الرأي أيضا وأبدوا رأيا ثالثا وهو أنه قد ألّف بمساعدة الجن وليس ذلك من فعل البشر. ولقد ردّ الله تعالى على ذلك ردّا مفحما حتى عجزوا عن أن ينبسوا تجاهه ببنت شفة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٧٨-٥٨٤)

قال الله تعالى عن الفصاحة والبلاغة: "هذا لسان عربي مبين"، ثم طلب مثاله وقال هاتوا نظيره إن كنتم على ذلك من القادرين. فماذا عسى أن يكون معنى

كلمة: "عربي مبين" سوى الفصاحة والبلاغة، خاصة إذا كان المتحدث يتحدث بأنه يتحدث بلسان فأتوا بنظيره، فماذا يمكن أن يفهم من ذلك إلا أنه يدعي كمال البلاغة. وهذا ما تقتضيه الكلمة، "مبين". (مجموعة الإعلانات، المجلد ١، ص ٣٥٤)

الآية ١٠٧: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

سئلُ بالكافرين في العذاب إلا مَنْ مَوَّرَس عليه الإكراه.. أي قد مُنِع من أداء شعيرة من شعائر الإيمان بعذاب لا يقاوم، وقلبه مطمئن بالإيمان فهو معذور عند الله. والمراد أنه إذا أصاب أيُّ ظالم أيُّ مسلم بجروح مؤلمة غير عادية لا تُحتمل، وأثناء ذلك التعذيب إذا تفوَّه بكلمة تُعدّ في نظر الكافر كفرا دون أن يقصد كلمة الكفر بل كان قلبه فياضا بالإيمان وإنما قصد كتمان إيمانه للتخلص من اضطهاد لا يُحتمل، ولا يكون ذلك عن قصد وإنما حين أصابه عذابٌ لا يُطاق تحمُّله يُفقد الصواب، فسوف يغفر الله - لأنه غفور رحيم - ذلك الذنب عند توبته بحسب الشروط الآتية: (انظر تفسير الآية ١١١). (نور القرآن رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤١٢)

الآية ١١١: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

أي إن الذين يُخفون إسلامهم عند تعرُّضهم لاضطهاد شديد فسوف يُغفر لهم بشرط أن يهاجروا بعد تحمُّلهم الآلام، أي أن يتخلوا عن عادة معينة أو يخرجوا من بلد يمارس فيه الإكراه في الدين ثم يجاهدوا في سبيل الله كثيرا ويصبروا على الأذى، فسوف يغفر الله لهم ذنبهم بعد ذلك لأنه غفور رحيم. (نور القرآن رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤١٢)

الآية ١١٦: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

اعلموا أن التعامل بالربا ذنب عظيم. ألا يعرفون أن الله ﷻ أجاز أكل الخنزير في اضطرار، فقد قال: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٤٦)، لكنه لم يقل ذلك بحق الربا بل قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة: ٢٧٩-٢٨٠). إن مذهبي أن الذي يتوكل على الله لا يحتاج (إلى الربا). إذا كان المسلمون يواجهون هذا الابتلاء فهو عقاب لأعمالهم السيئة، إن الهندوس حين يرايون يغتنون، أما المسلمون فحين يرتكبون هذا الذنب يهلكون وهم مصداق ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ (الحج: ١٢). أفليس من الضروري أن يكف عنه المسلمون؟ (بدر، مجلد ٧، رقم ٥، عدد ١٩٠٨/٢/٦، ص ٦)

الآية ١١٧: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾

اعلموا أن القياس المحض في الدين ممنوع بشدة، إنما القياس الجائز ما استنبط من القرآن والحديث، إن ديننا وصل إلينا نقلا، فإذا ثبت من حديث أن النبي ﷺ فعل ذلك أو أجازَه فحيد، وإلا ما الداعي لخلق الخلل في الإيمان من أجل قروش معدودة. ﴿لَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾. (بدر، مجلد ٧، رقم ١٩-٢٠، عدد ١٩٠٨/٥/٢٤، ص ٤)

الآية ١٢١: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ "وإن العبد إذا انسلخ عن إراداته، وتجرّد عن جذباته، وفنى في الله وفي طريقه وعباداته، وعرف ربّه الذي ربّاه بعناياته، حمده في سائر أوقاته، وأحبّه بجميع قلبه

بل بجميع ذراته، فعند ذلك هو عالمٌ من العالمين، ولذلك سُمِّي إبراهيم أُمّةً في كتابِ
أَعْلَمَ الْعَالَمِينَ. (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨ ص ١٣٨)

الآية ١٢٦: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾
وليس المراد من الآية ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أن نبدي اللين إلى درجة
المداهنة، ونصدّق ما يتنافى مع واقع الأمر. هل يمكن أن نصدّق مَنْ يدّعي الألوهية
ويتنبأ بكذب رسولنا الأكرم ﷺ ويسمي موسى ﷺ سارقاً؟ هل هذه مجادلة
بالأحسن؟ كلا، بل هي شيمة المنافقين وشعبة من شعبِ عدم الإيمان. (ترياق
القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٣٠٥، الحاشية)

إن معناه أنه ينبغي جدال النصارى بأسلوب حسن مفيد وحكيم وينبغي التمسُّك
بأسلوب النصح حتى يستفيدوا. (كتاب البراءة الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٣١٧)
والله أعلم أنني لم أترك الرفق واللفظ يفلت من اليد عند الرد، بل استخدمت
كلمات لينة دائماً إلا حين كتب المعارضون عبارات قاسية ومثيرة للفتن إلى أقصى
الحدود، عندها استخدمت بعض الشدة حكمةً ليجد القوم فيها بعض التعويض
فيكتبوا ثورةً الهمجية. وهذه الشدة ليست ناجمة عن ثورة النفس أو الغضب بل
استُخدمت حكمةً عملاً بأمر الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. وذلك أيضاً حين بلغ المعارضون أقصى درجات
الإساءة والتحقير وبذاءة اللسان واستخدموا بحق سيدنا ومولانا سيد الكونين فخر
الكائنات كلمات سيئة شريفة كادت تؤدي إلى الإخلال بالأمن. (البلاغ، الخزائن
الروحانية، المجلد ١٣، ص ٣٨٥)

عندما تخوض مع المسيحيين في نقاش ديني فناقشهم بالأدلة العقلية وبالحكمة.
وليكن وعظك مبني على أسلوب مُرضٍ. (البلاغ، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣ ص ٣٩١)

يُفهم من هنا أنه ما دام المهاجمون يهاجمون الإسلام فإنه يجب أن تستمر سلسلة الدفاع عنه أيضا. (البلاغ، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤١٢)

...عندما تخوض في النقاش مع معلّم مسيحي فناقشه بالحكمة والمواظ الحسنه والتحضر. صحيح تماما أن كثيرا من المشايخ الجهال والأغبياء المعاصرين يزعمون لغبائهم أن نشر الدين بالقوة والجهاد العدواني مدعاة للثواب - وإنهم يعيشون عيشة النفاق سرًا- ولكنهم مخطئون جدا في هذه الأفكار. ولا يقع اعتراض على القرآن الكريم بسبب غبائهم هذا. الحقائق الحقة ليست بحاجة إلى الجبر والإكراه بل الجبر يدل على ضعف الأدلة الروحانية. الله الذي قال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٧)، وقال أيضا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، أي ناقش المسيحيين بالحكمة والموعظة الحسنه، وقال أيضا: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٣٥) أي المؤمنون الحقيقيون هم الذين يكتبون غضبهم ويعفون عن هجمات الهاذين الظالمين ولا يردون السخف بالسخف، هل يمكن لإله مثله أن يعلم بأن اقتلوا منكري دينكم، وانهبوا أموالهم وخربوا بيوتهم؟ بل إن ما قام به الإسلام -وهو يتوافق مع أمر الله تعالى تماما- أن الذين رفعوا السيف ظلما قُتلوا بالسيف، ونالوا مغبة أعمالهم. هل ورد في أيّ مكان أن اقتلوا المنكرين بالسيف؟ هذه فكرة المشايخ الجاهلين والقسس الأغبياء التي لا أصل لها. (مجموعة الإعلانات، مجلد ١، ص ٤٥٩-٤٦٠، الحاشية)

الذي تريدون نصحه فانصحوه باللسان. الكلام نفسه بأسلوب معين يجعل الإنسان عدوًا وإذا قيل الكلام نفسه بأسلوب آخر يجعل الإنسان صديقا. اجعلوا أعمالكم تابعة لـ ﴿وَجَادِثُهُمْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. فقد سمى الله هذا الأسلوب للكلام حكمة، فقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٧٠). (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠٣م، ص ٨)

لقد علّم الله تعالى: ﴿اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ليتحول العدو إلى صديق نتيجة المرونة والمعاملة الحسنة، وليسمع الكلام بالهدوء والسكينة. (الحكم، مجلد ١٠، عدد ١٧/١٠/١٩٠٦م، ص ٤)

الآية ١٢٧: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾

وإن لاحقتموهم فلاحقوا بمثل ما لاحقوكم ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. (الحرب المقدسة، الخزانة الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٥٥-٢٥٦)

الآية ١٢٩: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾

عندما يعمى الإنسان لفرط العناد يبدو له كل قول من كلام الصادق كذبا. ولكن الله تعالى يرزق الصادق عاقبة حسنة ويمحو آثار الكاذب نهائيا: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾. (مرآة كمالات الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ٥، ص ٣٠٧)

إن الله مع الذين يخشونه ومع من كان كسب الحسنات مبدأهم. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٧٤)

وللتقوى عناصر عديدة، فالكفّ عن العُجب والزهو وأكل المال الحرام وسوء الخلق كلها شعب التقوى. إن صاحب الخلق الحسن يصبح أعداؤه أيضا أصدقاء له. قال الله تعالى: ﴿اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٨٣)
إن الله تعالى لا يحب ثثرة اللسان والكلام الفارغ، إنما يريد التقوى الحقيقية ويجب الطهارة الحقة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٦٩)

المتقي هو الخائف الحذر. هناك أمران: ترك الشر، وإفاضة الخير، والمتقي هو من يترك الشر، والمحسن هو من يفيض الخير.... يجب على المتقي اجتناب السيئات.

وتليها مرحلة إفاضة الخير، وقد عبّر عنها هنا بلفظ (المحسنين)، أي أن من واجب المتقي بعد ذلك أن يفعل الخيرات أيضا. إذ لا يكون المرء صالحا كامل الصلاح إلا أن يجتنب السيئات أولاً ثم يرى ما هي الحسنات التي كسبها. (الحكم، مجلده، رقم ٢٨، عدد ١٩٠١/٧/٣١، ص ٣)

اعلموا أن لفظ "التقوى" ورد في القرآن الكريم مرات كثيرة، ويفسّر في ضوء الكلمة التي تسبقه، وقد وردت هنا كلمة "مَعَ" قبل "الَّذِينَ اتَّقَوْا"، وعليه فالمعنى: أن الذين يؤثرون الله تعالى يؤثروهم الله وينقذهم من كل أنواع الخزي والهوان. إنني أؤمن أن المرء إذا أراد النجاة من كل أنواع الذلة والشدة فليس أمامه إلا سبيل واحد، ألا وهو أن يصبح متقيا، وعندها لن ينقصه شيء. (الحكم، مجلده، رقم ٢٣، عدد ١٩٠١/٦/٢٤، ص ٢)

اعلموا أن التقوى ضرورية للمرء لكي تفتح عليه أبواب الحقائق والمعارف. فاتقوا الله، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾. (الحكم، مجلده، رقم ٢٢، عدد ١٩٠١/٦/١٧، ص ٢)

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا...﴾ أي ينصر الذين اتقوا، وإن معية الله تتحقق بنصرته. (الحكم، مجلده، رقم ١١، عدد ١٩٠١/٣/٢٤، ص ٣)

التقوى تعني أن يجتنب المرء الطرق الدقيقة للسيئة، لكن تذكروا أن التقوى لا تنحصر في أن يعد المرء نفسه صالحا بناء على أنه لم يغصب مال أحد ولم ينقب بيت أحد، ولم يسرق ولا يسيء النظر ولا يزني، فهذه الحسنات في نظر العارف مدعاة للضحك، لأنه إذا ارتكب هذه السيئات وسرق أو قطع الطريق لواجه العقوبة، فهذه الحسنات ليست في نظر العارف جدية بالإكرام، وإنما البر الحقيقي أن يخدم بني البشر، ويظهر في سبيل الله كامل الصدق والوفاء، ويستعد للجدود بحياته أيضا في سبيل الله، ولذلك قال الله ﷻ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ أي أن الله مع الذين يجتنبون السيئات وليس ذلك

فحسب بل يحرزون الحسنات أيضا. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٤م، ص ٣)

إن الله يحمي وينصر الذين يتقون. المراد من التقوى هو اجتناب السيئة. والمحسنون هم الذين لا يكتفون باجتناب السيئة فقط بل يكسبون الحسنات أيضا. ثم يقول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ (يونس: ٢٧)، أي للذين يكسبون الحسنات على أتم وجه. لقد تلقيت وحيا: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ مرارا كثيرة لدرجة أنني لا أستطيع إحصاءها، لعله نزل ألفي مرة. والهدف من ذلك هو ليعلم أفراد الجماعة أنه يجب ألا يعتزوا بانضمامهم إلى هذه الجماعة فقط وألا يرضوا بالإيمان الفكري والجاف فحسب، بل لن تحالفكم معية الله ونصرته ما لم تتحلوا بالتقوى الصادقة إلى جانب الحسنات. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢٢، عدد ٢٤/٦/١٩٠٦م، ص ٢-٣)

الذين يختارون التقوى والطهارة والتركية يكونون تحت ظل حماية الله، ويخافون ارتكاب المعصية دوما. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٤، عدد ١٨/٥/١٩٠٨م، ص ٢)

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، أي إن الله يَجْعَلُ يُعَدُّ الحساب اليومي لأعمال الإنسان، وعلى الإنسان أيضا أن يُعَدَّ يوميات أعماله، ويتدبر فيها إلى أي مدى تقدّم في الحسنات، يجب ألا يستوي يوم الإنسان وأمسّه، فمن استوى يومه وأمسّه من ناحية التقدم في الحسنات، فقد خسر. إذا كان الإنسان مؤمنا بالله إيمانا كاملا فلا يضاع أبداً، بل من أجله وحده تُعصم مئات الألوف من الأرواح.

فقد ورد عن أحد أولياء الله أنه كان مسافرا في البحر فهاج البحر وكادت السفينة تغرق، لكنها أنقذت ببركة دعائه، وعند الدعاء تلقى الإلهام: لقد أنقذنا الجميع من أجلك. لكن كل. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١٦، عدد ٢/٣/١٩٠٨م، ص ٥-٦)

أوصي الجماعة مرة أخرى بألا يهتموا بمعارضة الناس، بل يتقدموا في التقوى والطهارة فسيكون الله معهم وسيحاسب الأعداء بنفسه فهو يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣٥، عدد ١٦/٩/١٩٠٤م، ص ١)

ما هي التقوى؟ هي إنقاذ المرء نفسه من السيئات. يقول الله تعالى بأن الإنعام الأول للأبرار هو شراب الكافور. وبشره تفتر قلوبهم تجاه كسب الأعمال السيئة فلا تنشأ فيها بعد ذلك رغبة أو حماس لكسب السيئات والمنكرات. يمكن أن يخطر ببال أحد أن عملا كذا وكذا ليس جيدا، حتى إن اللص ليخطر بباله ذلك أيضا، ولكنه مع ذلك يرتكب السرقة مدفوعا بأهواء نفسه. أما الذين يُسْقَوْنَ شراب الكافور فلا ينشأ في قلوبهم ميلٌ إلى السيئة بل تأنف نفوسهم المنكرات وتكرهها فتُكَبِت مواد الرغبة في الذنوب كلها. وهذا لا يتسنى دون فضل من الله تعالى. عندما يتحرى الإنسان فضل الله تعالى بعزيمة قوية ويسعى جاهدا للتغلب على نفسه تجذب هذه الأمور فضل الله تعالى فيُسْقَى شرابا كافوريا. والذين يخلقون في نفوسهم تغيرا مثله يُدخلهم الله في زمرة الأبدال، وهذا هو التغير الذي يكشف حقيقة الأبدال.

لوحظ أيضا بوجه عام أن معظم الناس عندما يسمعون كلاما كهذا في مجلس تتأثر قلوبهم ويستحسنونه وعندما يخرجون من المجلس ويخلون إلى أصدقائهم وأحبّتهم يتصبّغون بصبغتهم وينسون كليا ما سمعوه من قبل ويعودون إلى تصرفاتهم السابقة. يجب على المرء أن يجتنب هذا التصرف ويتنحى عن الصحبة والمجالس التي تجرى فيها الأحاديث من هذا القبيل. وإلى جانب ذلك لا بد من التذكر أيضا أن يكون المرء مطلعا على جزئيات الأعمال السيئة لأن العلم ضروري أولا وقبل كل شيء لطلب شيء. فما لم يكن لدى المرء علم بشيء أتى له أن يحصل عليه؟ لقد تناول القرآن الكريم هذا الأمر بالتفصيل مرارا.

أُتِلُوا القرآن الكريم بكثرة وسجّلوا تفاصيل الأعمال السيئة ثم اسعوا جاهدين لأنْ تنأوا بأنفسكم عنها بفضل الله وتأييده. هذه هي المرحلة الأولى للتقوى. عندما تسيرون على هذا النحو يوفقكم الله وتُعطون شرابا كافوريا تبرد به عواطف الذنب عندكم تماما ولن تصدر منكم بعدها إلا الحسنات. ولا يُسْقَى أحد هذه الكأس ما لم يكن تقيا، ولا تُقبل عباداته وأدعيته لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مَنَ

الْمُتَّقِينَ ﴿المائدة: ٢٨﴾. صحيح تماما أن العبادات والصلاة والصيام تُقبل من المتقين فقط. ولكن ما معنى قبول العبادات وما المراد من ذلك؟... فالمرحلة الأولى والصعبة للذي يريد أن يكون مؤمنا هي أن يجتنب السيئات، هذا ما يسمى التقوى. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢٤، عدد ١٠/٧/١٩٠٦م، ص ٢)



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الإسراء



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

... منزلة عن كل عيب ونقص من أوصل عبده من لدنه إلى مقامات المعرفة واليقين في زمن الضلال والغواية الذي يشبه الليل. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٠٠، الحاشية رقم ٣)

المعراج لم يكن بالجسم المادي بل كان كشفا من الدرجة العليا، والأحرى أن يُسمى يقظة. ففي مثل هذا الكشف يتنقل الإنسان في السماوات بجسم نوراني يناله على قدر كفاءته. فلما كانت كفاءات النبي ﷺ عالية جدا وكانت بالغة الغاية، فوصل أثناء معراجه إلى أعلى نقطة في هذا العالم، تسمى: العرش العظيم. فذلك كان معراجا

روحانيا في الحقيقة أشبه ما يكون باليقظة، بل كان نوعاً من اليقظة بعينها. لا اعتبره خلماً قط، ولا أراه من أدنى درجات الكشف أيضاً، بل هو أسمى أنواع الكشف. وهذه الحالة أصفى وأجلى من اليقظة الكثيفة (التامة). وأنا صاحب تجربة في هذا النوع من الكشف. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ١٢٦ الحاشية)

"وأما معراج رسولنا ﷺ فكان أمراً إعجازياً من عالم اليقظة الروحانية اللطيفة الكاملة، فقد عرج رسول الله ﷺ بجسمه إلى السماء وهو يقظان لا شك فيه ولا ريب، ولكن مع ذلك ما فقد جسمه من السرير كما شهد عليه بعض أزواجه - رضي الله عنهن - وكذلك كثير من الصحابة. فأنت تعلم وتفهم أن قصة المعراج شيء آخر لا يضاهيه قصة صعود عيسى ﷺ إلى السماء، وإن كنت تشك فيه فارجع إلى البخاري، وما أظن أن تبقى بعده من المرتابين." (حمامة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢١٩-٢٢٠)

الآية القرآنية: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (الإسراء: ٢)، تشمل المعراج من حيث المكان والزمان كليهما، لأنه يبقى ناقصاً بدونهما. فكما أوصل الله تعالى النبي ﷺ من حيث السير المكاني من المسجد الحرام إلى البيت المقدس كذلك أوصله ﷺ من حيث السير الزمني من زمن شوكة الإسلام الذي كان زمن النبي ﷺ إلى زمن بركات الإسلام وهو زمن المسيح الموعود.

فمن هذا المنطلق الذي هو زمن سير النبي ﷺ في الكشف إلى نهاية زمن الإسلام إن المراد من المسجد الأقصى هو مسجد المسيح الموعود الكائن في قاديان الذي جاء عنه كلام الله في "البراهين الأحمدية" ما نصه: "مباركٌ ومباركٌ، وكل أمر مبارك يُجعل فيه". إن كلمة مبارك التي جاء بصيغة المفعول والفاعل أيضاً تطابق آية القرآن الكريم: "باركنا حوله". فلا شك أن قاديان المذكورة في القرآن الكريم كما يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى

الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ». هناك معنى لهذه الآية معروف بين العلماء وهو أن الآية تبين معراج النبي ﷺ المكاني، ولكن مما لا شك فيه أنه كان أيضاً للنبي ﷺ معراج زماني سواء. وكان الغرض منه أن يتبين كمال نظر النبي ﷺ الكشف، ولكي يثبت أن بركات زمن المسيح هي أيضاً بركاته ﷺ في الحقيقة، ونشأت بسبب تركيزه وعزيمته. لذا فإن المسيح ظلّه الكامل من وجه. وإن ذلك المعراج (أي بلوغ نظر الكشف الذي كان إلى نهاية العالم) يعبر به عن زمن المسيح. وأما سيره ﷺ في هذا المعراج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فالمراد منه هو هذا المسجد الأقصى الكائن في الجانب الشرقي في قاديان والذي سماه الله تعالى: "مبارك" في كلامه. لقد شُيّد هذا المسجد بصورة مادية بأمر من المسيح الموعود، أما من الناحية الروحانية فهو صورة متجسدة لبركات المسيح الموعود وكمالاته التي هي هبة من النبي ﷺ. وكما أن روحانية المسجد الحرام إنما هي كمالات آدم وإبراهيم عليهما السلام وروحانية البيت المقدس تعبر عن كمالات أنبياء بني إسرائيل، كذلك إن مسجد المسيح الموعود هذا الذي ذُكر في القرآن الكريم صورة متجسدة لكمالاته الروحانية.

فتبين من هذا البحث أن في معراج النبي ﷺ صعوداً إلى الزمن السابق ونزولاً إلى الزمن المستقبل. وحصيلة هذا المعراج هي أن النبي ﷺ هو خير الأولين والآخرين. وفي بدء المعراج من المسجد الحرام إشارة إلى أن جميع كمالات صفي الله آدم وخليل الله إبراهيم كانت موجودة في النبي ﷺ. ومن هنالك سارت قدم النبي ﷺ إلى البيت المقدس من حيث المكان. وفي ذلك إشارة إلى أن النبي ﷺ يجمع في نفسه كمالات جميع أنبياء بني إسرائيل أيضاً. ومن هنالك سار النبي ﷺ من حيث الزمن إلى المسجد الأقصى الذي هو مسجد المسيح الموعود؛ أي بلغ نظره الكشف في الزمن الأخير الذي يسمى زمن المسيح الموعود. وفي ذلك إشارة إلى أن ما أُعطيه المسيح الموعود موجود في شخص النبي ﷺ. ثم سارت قدماه ﷺ إلى الأعلى بصورة السير إلى السماء ونال مرتبة "قاب قوسين". وفي ذلك إشارة إلى أنه ﷺ كان مظهرًا أتم وأكمل لصفات الله تعالى.

باختصار، إن معراج النبي ﷺ هذا (أي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) الذي كان يشمل السير من حيث الزمان والمكان كليهما، وكان السير إلى الله تعالى الذي هو بريء من المكان والزمان كليهما، كان الهدف من هذا المعراج بأسلوب جديد أن النبي ﷺ هو خير الأولين والآخرين، وأن سيره إلى الله تعالى كان إلى أرفع نقطة ليس بوسع الإنسان بلوغ أكثر منها. ولكن ما أقصد بيانه في هذه الحاشية هو أنه كما كُتب في البراهين الأحمدية قبل عشرين عاما كشفنا أن قاديان مذكورة في القرآن الكريم، فكان ذلك الكشف صحيحا تماما لأن معراج النبي ﷺ وسيره إلى المسجد الأقصى من حيث الزمن بدأ من المسجد الحرام، ولا يمكن اعتباره صحيحا ما لم يُعترف بسيره ﷺ إلى مسجد هو المسجد الأقصى من حيث البعد الزمني. والمعلوم أن زمن المسيح الموعود هو الشاطئ الآخر لبحر الإسلام مقارنة مع زمن النبي ﷺ. لقد ذُكرت بداية السير من المسجد الحرام ونهايته إلى المسجد الأقصى الذي بورك حوله، ففي هذه البركة إشارة إلى أن شوكة الإسلام ظهرت في زمن النبي ﷺ وحرّم أن تمحو الإسلام يد الكفار المعتديّة كما يتبين من الآية: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (آل عمران: ٩٨). أما في زمن المسيح الموعود الذي اسمه الثاني هو المهدي أيضا سَتُبَّتْ بركات الإسلام على الأمم كلها ويُثَبَّتْ أيضا أن الإسلام هو الدين المبارك الوحيد. وكما قيل من قبل بأن ذلك الزمن يكون مباركا تنتشر فيه بركات الصلح وسيُري الإسلام بركاته مصحوبة بالآيات السماوية، وستنتشر في الأرض بسبب الثمار بركات وأسباب الراحة المتنوعة التي لم تنتشر من قبل. لهذا السبب سُمِّيَ زمن المسيح الموعود والمهدي المعهود في الأحاديث بزمن البركات. فترون كيف نَشَرَتْ آلاف الاكتشافات الجديدة بركات وأسباب الراحة في الأرض إذ يمكن أن تُجمع الثمرات من الشرق والغرب في مكان واحد بواسطة القطار، وبواسطة البرقية تصل الأخبار من آلاف الفراسخ. وقد زالت دفعة واحدة مصائب السفر التي كانت موجودة في الأزمنة الغابرة.

باختصار، إن هذا الزمن الذي نحن فيه زمن البركات، أما زمن نبينا الأكرم ﷺ فكان زمن التأييدات ودفع الآفات. وكانت حكمة الله الكبرى في ذلك الزمن هي رفع الشر، لذا فقد أنقذ الله تعالى الإسلام من الأعداء بيده القوية وطرد الأعداء كما يطرد شخص قوي الكلاب بعصاه. فلما كان زمن المسيح والمهدي زمن البركات لذا قال الله تعالى في حقه: "باركنا حوله" أي حيثما تنظرون حول مقر إقامة المسيح الموعود تجدون البركات في كل حذب وصوب. فترون كيف عمّرت هذه الأرض وكيف كثرت الحقائق وجرت القنوات بكثرة، ووُجدت أدوات التمدن بكثرة؛ فكل هذه بركات أرضية. فكما ظهرت بركات أرضية وسماوية في هذا الزمن بكثرة كذلك كان نهر التأييدات جاريا في زمن النبي ﷺ.

"فحاصل البيان أن الزمان زمان التأييدات ودفع الآفات وزمان البركات والطيبات، وإليه أشار عز اسمه بقوله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ فاعلم أن لفظ المسجد الحرام في قوله تعالى يدل على زمان ظهرت فيه عزّة حرّات الله بتأييد من الله وظهرت عزّة حدوده وأحكامه وفرائضه وتراءت شوكة دينه وهيبه ملته، وهو زمان نبينا ﷺ، والمسجد الحرام هو البيت الذي بناه إبراهيم عليه السلام في مكة، وهو موجود إلى هذا الوقت؛ حرسه الله من كل آفة. وأما قوله عزّ اسمه بعد هذا القول (أعني المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) فيدل على زمانٍ تظهر فيه بركات في الأرض من كل جهة كما ذكرنا آنفاً، وهو زمن المسيح الموعود والمهدي المعهود، والمسجد الأقصى هو المسجد الذي بناه المسيح الموعود في القاديان، وسمّي أقصى لبعده من زمان النبوة ولأنه وقع في أقصى طرفٍ من زمن ابتداء الإسلام. فتدبر هذا المقام؛ فإنه أودع أسراراً من الله العلام."

فملخص الكلام أن معراج النبي ﷺ منقسم على ثلاثة أقسام: (١) السير من حيث المكان، (٢) والسير من حيث الزمن، (٣) والسير بغير المكان والزمان. ففي السير من حيث المكان إشارة إلى الغلبة والفتوحات، أي أن ملك الإسلام سيمتد

من مكة إلى البيت المقدس. وفي السير الزمني إشارة إلى التعاليم والتأثيرات، أي أن زمن المسيح الموعود أيضا سيتربى في كنف تأثيرات النبي ﷺ كما قال في القرآن الكريم: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٤). وفي السير بغير الزمان والمكان إشارة إلى أعلى درجة قرب من الله تعالى والدنو إليه التي تنتهي عليها دائرة إمكانية القرب. (الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ٢٥-٢٦ الحاشية)

"وإن في لفظ ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ولفظ ﴿الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ الذي جُعِلَ مِنْ وَصْفِهِ جملة ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ إشارة لطيفة للمتفكرين، وهو أن لفظ ﴿الحرام﴾ يدل على أن الكافرين قد حُرِّم عليهم في زمن النبي ﷺ أن يضرّوا الدين بالمكائد أو يأتوه كالصائد، وعصم الله نبيه ودينه وبيته من صول الصائتين وجور الجائرين، وما استأصل الله في ذلك الزمن أعداء الدين حق الاستيصال، ولكن حفظ الدين من صولهم وحرّم عليهم أن يغلبوا عند القتال. فُبْدِئَ أمرُ تأييد الدين من المسجد الحرام أعني من ذبِّ اللُثَام، ثم يتم هذا الأمر على المسجد الأقصى الذي يبلغ فيه نور الدين إلى أقصى المقام كالقدر التام، ويلزمه كلُّ بركة يُتَوَقَّع ويُتَصَوَّر عند كمالٍ ليس فوقه كمال، وهذا وعدٌ من الله العلامة. فكان المسجد الحرام يُبَشِّر بدفع الشر والحفظ من المكروهات، وأما المسجد الأقصى فيشير مفهومه إلى تحصيل الخيرات وأنواع البركات والوصول إلى أعلى الترقّيات، فُبْدِئَ أمرُ ديننا من دفع الضر، ويتم على استكمال الخير، وإن فيه آيات للمتدبرين.

ثم إن آية الإسراء تدل على نُكْتة وجب ذكرها للأصدقاء ليزدادوا علماً ويقينا، وإن خير الأموال العلم واليقين. وهو أن الإسراء من حيث الزمان كان واجبا كوجوب الإسراء من حيث المكان، ليتّم سيرُ نبيّنا زماناً ومكاناً، وليكمّل أمرُ معراج خاتم النبيين. ولا شك أن أقصى الزمان للمعراج الزماني هو زمان المسيح الموعود، وهو زمان كمال البركات ويقبله كلُّ مؤمن من غير الجحود. ولا شك أن مسجد المسيح الموعود هو أقصى المساجد من حيث الزمان من المسجد الحرام، وقد مُلِئَ من كل

جنب بركةً ونورًا كالبدر التام، ليكمل به دائرة الدين، فإن الإسلام بُدئَ كاهلال من المسجد الحرام، ثم صار قمرًا تامًا عند بلوغه إلى المسجد الأقصى، ولذلك ظهر المسيح في عِدَّة البدر إشارةً إلى هذا المقام.

ثم هنا دليل آخر على وجوب الإسراء الزماني من الأمر الربّاني، وهو أن الله تعالى قد أشار في قوله ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٤) إلى أن جماعة المسيح الموعود عند الله من الصحابة من غير فرقٍ في التسمية، ولا يتحقق هذه المرتبة لهم من غير أن يكون النبي ﷺ بينهم بقوته القدسية والإفاضة الروحانية كما كان في الصحابة، أعني بواسطة المسيح الموعود الذي هو مظهرٌ له أو كالحلّة. فقد ثبت من هذا النصّ الصريح من الصحف المطهّرة أن معراج نبيّنا كما كان مكانيًا كذلك كان زمانيًا، ولا يُنكره إلا الذي فقد بصره وصار من العمين. ولا شك ولا ريب أن المعراج الزماني كان واجبًا تحقيقًا لمفهوم هذه الآية، ولو لم يكن لبطل مفهومها كما لا يخفى على أهل الفكر والدراية.

فثبت من هذا أن المسيح الموعود مظهرٌ للحقيقة المحمدية، ونازل في الحُلل الجلالية، فلذلك عُدَّ ظهوره عند الله ظهورَ نبيّه المصطفى، وعُدَّ زمانه منتهى المعراج الزماني للرسول المجتبي، ومنتهى تجلّي روحانية سيدنا خير الورى، وكان هذا وعدًا مؤكدًا من رب العالمين". (الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ٢٨٩-٢٩٧ الحاشية)

إنما حدد للمعراج الليل لكونه من ضروب الكشف، وأن الكشف والرؤيا تناسب الليل، فلو كان الأمر يتعلق باليقظة لكان في النهار. (التحفة الغورية الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣١٠، الحاشية)

"فإن المعراج على المذهب الصحيح كان كشفًا لطيفًا مع اليقظة الروحانية كما لا يخفى على العقل الوهّاج، وما صعد إلى السماء إلا روحٌ سيدنا ونبيّنا مع جسم نوراني الذي هو غير الجسم العنصري، الذي ما حُلِق من الثّربة، وما كان لجسمٍ أرضي أن يُرفع إلى السماء، وعدُّ من الله ذي الجبروت والعزّة. وإن كنت في ريب

فاقرأ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ (المرسلات: ٢٦-٢٧). (الهدى، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٣٦٤)

كان المعراج انقطاعا تاما إلى الله، وكان السر فيه إظهار النقطة النفسية لرسول الله ﷺ. علما أن لكل روح نقطة نفسية في السماء لا تتجاوزها. وكانت لرسول الله ﷺ العرش. وليس المراد من "الرفيق الأعلى" إلا الله تعالى، فلا أحد هو أعز وأكرم من رسول الله ﷺ. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠١ م، ص ٧)

المعراج حق كله، ولكنه لم يكن باليقظة المادية الفانية ولا بالأشياء المادية الفانية، بل كان بصبغة أخرى. كان جبريل يأتي النبي ﷺ وينزل عليه، فكان صعود النبي ﷺ على النحو الذي كان نزول جبريل عليه. فما كان أحد يرى النازل عند نزوله، وما كان أحد يرى العارج عند عروجه. وقد ورد في صحيح البخاري في حديث المعراج: "ثم استيقظ". (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠١ م، ص ٣)

يتبين من: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ أنه عندما تكتمل معرفة المرء يُجعل ليزور مقامات غريبة. إنهم أناس يخفون أمنياتهم أدبا. هذا ما يدل عليه منهج النبوة كله. لا تظهر المعجزات أيضا في البداية بل تأتي الابتلاءات. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٣ م، ص ٩)

لقد سمى الله تعالى مسجدنا هذا أيضا المسجد الأقصى لأن "الأقصى" إما يفيد البعد الزماني أو البعد المكاني. وفي الإلهام: "المسجد الأقصى الذي باركنا حوله" ذكرت تأثيرات النبي ﷺ المتعلقة بالزمان، وتؤيد ذلك الآية: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٤) ومن العبارة: "باركنا حوله" تتبين بركات هذا العصر مثل السهولة في السفر بسبب القطارات والطائرات، وسهولة التواصل والمراسلة بسبب البرقية والبريد، وتيسير كافة أسباب الراحة والرفاهية نتيجة اختراع شتى الأدوات. والسلطنة أيضا يسود فيها الأمن. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢ م، ص ٧)

إن نبينا ﷺ سُمِّيَ "عَبْدًا" أيضا، فسماه الله "العبد" لأن أصل العبودية خضوع وذلٌّ، وإن الحالة الكاملة للعبودية تخلو من كل أنواع الغلو والتعالي والعُجب، ويرى صاحب هذه الحالة إكماله العملي من الله وحده، ولا يرى أيَّ يد وسيط. * فالتعبير العربي الشائع: مُؤرَّعٌ معبَّد وطريق معبَّد؛ فالطريق الذي يُسَوَّى جيِّداً ويمهَّد ويقوَّم يُقال له طريق معبَّد. فالنبي ﷺ يُقال له عبدٌ لأن الله ﷻ بتصرُّفه المحض وتعليمه خلق فيه الكمال العملي وسوَّى نفسه كطريقٍ وقوَّمها ومهداها مرور تجلياته، وخلق فيه بتصرفه الاستقامة التي هي شرط العبودية. فهو المهدي من ناحية الحالة العلمية، وعبدٌ انطلاقاً من الكيفية العملية التي نشأت فيه بعمل إلهي، لأن الله عمل بيده في روحه كما يعمل بآلات التسوية والتنظيف في الطريق الذي أريدتْ تسويته ونظافته. ولما كان المهدي الموعود قد نال مرتبة العبودية بواسطة النبي ﷺ فقد عُبرَ عن كيفية العبد في المهدي الموعود بكلمة العُلام، أي قد نودي "غلام أحمد". فكلمة الغلام هذه تشير إلى العبودية التي ينبغي أن تكون في المهدي الموعود ظلياً. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٣٩٤-٣٩٥، الحاشية)

إن مرتبة العبودية الكاملة هذه حيث يلاحظ المرء إكماله العلمي يتحقق من الله وحده، لا يتيسر لأحد سوى ذلك المهدي الكامل الذي حصل إكماله العلمي على يد الله فقط، لأن فكرة تأثير الجهد والسعي الشخصي يخلق حتماً فكرة تناهي العبودية التامة؛ لهذا فإن مرتبة العبودية الكاملة أيضاً - لكونها تابعة لمرتبة المهدوية الكاملة - لم تتحقق على وجه الكمال لأحد سوى النبي ﷺ. ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (الجمعة: ٥)، فاشهدوا إنا نشهد أن محمداً عبد الله ورسوله. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٣٩٤، الملحوظة)

يقول البعض بأن النبي ﷺ صعد إلى السماء ليلة المعراج بجسده المادي، ولا يرون أن القرآن الكريم يدحض هذه الفكرة، وقد اعتبرته السيدة عائشة رضي الله عنها أيضاً رؤيا.

الحقيقة أن المعراج كان كشفا عظيما وجليا وأتم وأكمل. الكشف لا يحتاج إلى الجسد المادي لأن الجسد الذي يُعطى في الكشف لا يكون فيه أي حجاب بل تصحبه قوى عظيمة. وقد عُرج بالنبي ﷺ بذلك الجسد الذي يملك قوى عظيمة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠٥/١١/١٩٠٢م، ص ٥)

نؤمن بأن النبي ﷺ قد عُرج به. ولكن اعتقاد بعض الناس أن المعراج كان حلما عاديا فقط ليس صحيحا، كذلك الذين يعتقدون أنه ﷺ صعد إلى السماء بجسده المادي أيضا فهذا الاعتقاد أيضا خاطئ. بل الحقيقة والمعتقد الصائب هو أن المعراج كان كشفا وبوجود نوراني. كان ذلك وجودا ولكنه كان نورانيا، وكانت يقظة ولكن كانت يقظة كشفية ونورانية لا يفقهها الناس من هذه الدنيا إلا الذين طرأت عليهم تلك الحالة. وإلا فقد طلب اليهود معجزة الصعود إلى السماء بالجسد المادي وفي اليقظة الظاهرية فقيل في القرآن الكريم في الجواب: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (بني إسرائيل: ٩٤) أي أن الناس لا يطيطرون إلى السماء هكذا. هذه هي سنة الله الجارية منذ القدم. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢١، عدد ١٠٦/٦/١٩٠٦م، ص ٤)

الآية ٥: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾

"قال الله ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾، فهل أنتم تتذكرون؟ وكان المفسدة الآخرة الموجبة لغضب الرب تكفير المسيح وإرادة صلبه." (الخطبة الإلهامية الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ٢٠٢)

الآية ٦: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾

سيطر نبوخذ نصر على اليهود، ولكن الله تعالى لم يسمه ملعوناً في أي مكان، بل قال: ﴿عِبَادًا لَنَا﴾، فمن سنة الله أن أمة إذا صارت فاسقة وفاجرة

سَلَّطَ عَلَيْهَا قَوْماً آخَرِينَ. (بدر، مجلد ٢، رقم ١-٢، عدد ٢٣-٣٠/١/١٩٠٣ م، ص ٣)

الآية ٩: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُثِرْتُمْ عُذْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾

أي أن الله يريد أن يرحمكم، أما إذا عدتم إلى الإثم والتمرد فسوف نعود إلى العقاب والعذاب، وقد جعلنا جهنم سجناً للكافرين. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٠١، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ١٠: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾

أي هذا القرآن يدل إلى الطريق الذي هو مستقيم و لل غاية. (إزالة أوهام، الخزائن الروحانية، مجلد ٣، ص ٤٥٤)

أي هذا القرآن يهدي إلى التعليم الذي مستقيم وكامل لل غاية. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، مجلد ٦، ص ٨٦)

أي القرآن يهدي إلى الصراط المستقيم والكمال، بمعنى أنه كامل في الهداية والإرشاد وتوجد فيه جميع مستلزمات الهداية مثل الأدلة العقلية والبركات السماوية. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٩٨)

أي القرآن يهدي إلى الطريق الأصوب. (الحق مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية المجلد ٤، ص ٣٠)

إن هذا القرآن يهدي إلى طريق قويم لا عوج فيه، وهو يلائم فطرة الإنسان تماماً. ومن أعظم مزايا القرآن الكريم في الحقيقة أنه يحيط بجميع قوى البشر مثل دائرة كاملة. والمراد من الطريق القويم في الآية الكريمة ذلك الطريق الذي هو أقرب إلى فطرة الإنسان، أي إظهاره الكمالات التي خُلق الإنسان من أجلها، وتيسير تلك

الطرق له التي فُطر على السلوك فيها، ووهبت له القدرة عليه. وإنما المراد من "أقوم" في الآية ﴿يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾. (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٥٣-٥٤)

الآية ١٣: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾: أي انتشار الضلال الذي يشبه الليل، وانتشار الهداية الذي يشبه النهار. إن بلوغ الليل أوجه يدل على طلوع النهار، وعندما يبلغ النهار كماله يدل على قرب الليل. ثم قال: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾: أي حين يطلع النهار يُعلم أن الظلام كان سائداً من قبل. فإن آية النهار مبصرة ومضيئة تنكشف بها حقيقة الليل أيضاً. وقد جعلت آية الليل أي زمن الضلال لكي تتبين بها ميزات وجمال آية النهار أي زمن انتشار الهداية، لأن قدر الجميل وروعته تتبين برؤية الدميم. لذا فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يحل بالدينا الظلام والنور بالتناوب. لبدء الظلام بعد وصول النور كماله، ولِيُظهر النور وجهه الجميل حين يبلغ الظلام منتهاه. لذا فإن طغيان الظلام دليل على ظهور النور، وإذا عمَّ النور فذلك دليل على قدوم الظلام.

كما أن هناك مثل معروف ومعناه: لكل كمال زوال. فلقد أشير في هذه الآية إلى أنه حين بلغ الظلام ذروة كماله ومُلئ به البر والبحر، جعلنا آية النور مبصرة بحسب قانوننا القديم لكي يلاحظ العقلاء قدرة الله البارزة ويزدادوا يقينا ومعرفة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٣٥-٦٣٧)

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾، أي قد فُصِّلَ في هذا الكتاب كل نوع من علوم الدين، ولا ينال الناس بسببه تقدما جزئيا، بل إنه يُطلعهم على الوسائل والعلوم

الكاملة التي تُحدث تقدما كليًا. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ١ ص ٢٢٥، الحاشية رقم ١١)

الآية ١٤: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾

يقول القرآن الكريم مرة بعد أخرى إنّ عالم الآخرة ليس شيئًا جديدًا، بل إنّ جميع مظاهره هي آثار هذه الحياة الدنيا وظلالها، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ أي أننا ربطنا برقبة كل إنسان آثار أعماله، وأنا سوف نُظهر له هذه الآثار الخفية يوم القيامة، وسوف نريه إياها في شكل كتاب مفتوح.

وليكن معلوما عن كلمة "الطائر" الواردة في الآية أن معناها الأصلي هو الطير، ثم استُعيرت لمعنى العمل أيضًا. ذلك لأن العمل، خيرا كان أو شرا، يطير ويختفي بعد وقوعه مثل الطير وتندعم مشقته أو لذته بعد قليل، ويخلف في القلب أثره لطيفا أو كثيفا.

يؤكد القرآن المجيد أن كل عمل يترك أثرا خفيا في نفس عامله، وأن الله يقابل هذا العمل - سواء أكان خيرا أم شرا- بعمل من عنده ﷻ، فلا يدع ذلك العمل ليضيع، بل تُرسم آثاره على القلب والوجه والعيون والأيدي والأرجل. وهذه الرسوم هي صحيفة الأعمال الخفية التي تنكشف جليا في الحياة الثانية. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٠٠-٤٠١)

الآية ١٦: ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

القرآن الكريم لا يقدم أي تضحية لعينة، بل لا يُجيز في حال من الأحوال أن تلقى لعنة أحد من الناس أو ذنبه على غيره، ناهيك عن تعليق لعنات مئات الملايين من

الناس في عنق أحد، فقد قال القرآن الكريم بصراحة ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزان الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٢٧-٣٢٨) قال شخص أمام عائشة رضي الله عنها بأنه جاء في الحديث أن الميت يعذب ببعض بكاء أهله فقالت: يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠٠/١١/١٩٠٢م، ص ٥)

إن الله تعالى لا يخسر شيئا إذا ارتكب أحد ذنبا، ولا وجود للذنوب قبل نزول القانون أصلا. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ وعندما يأتي الرسول ويبين طريق الشر وسبيل الخير عندها يكون العمل بالوعود والوعيد الواردين في ذلك القانون. الخوض في البحث عن الكفارة مدعاة للضحك. هل للكفارة أن تنقض الوعود؟ بل الوعد يُستبدل بالوعد فقط، وليس بطريق آخر. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٨١)

الحق أن النبي لا يجلب العذاب، بل إن كون الناس يستحقون العذاب يستنزله النبي ليقيم عليهم الحجة، ويولد الضرورة لبعثته. ولا يمكن أن ينزل العذاب الشديد قبل أن يُبعث نبي، حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾. (التجليات الإلهية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٤٠٠)

لا نُنزل على أية قرية عذابا غير عادي ما لم نرسل إليهم رسولا لإتمام الحجة عليهم. (التجليات الإلهية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٤٠١)

لقد جرت سنة الله تعالى أن يبعث من عنده أحدا عندما يرتكب أهل الدنيا أنواع الذنوب وتتراكم ذنوبهم، فيكذبه جزء من الدنيا فتصبح بعثته سببا لعقوبة الأشرار الآخرين الذين قد صاروا مجرمين من قبل. والذي ينال عقوبة ذنوبه السابقة لا يُشترط له أن يكون على علم أن نبيا أو رسولا من الله موجود في ذلك الزمن أم لا، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾. (حقيقة الوحي،

الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٦٤-١٦٥)

إن الله تعالى لا ينزل العذاب في الدنيا حتى يرسل رسولا قبله هذه هي سنة الله.
(حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٨٧)

لو لم آتٍ لكان من الممكن أن يتأخر حلول تلك المصائب لبعض الوقت، ولكن بعد مجيئي ظهرت التدابير الخفية لغضب الله تعالى التي كانت خافية منذ أحقاب طويلة، كما يقول تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾. إنّ التائبين سوف ينالون الأمان، والذين يخافون قبل البلاء سوف يُرحمون. (حقيقة الوحي الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢ ص ٢٦٨)

من هنا يثبت أن النبوة عن المسيح الموعود موجودة في القرآن الكريم بكل جلاء، لأن من يقرأ القرآن الكريم بإمعان وأمانة يتبين له أن معظم بقاع الأرض سيُجعل عاليها سافلها عند حلول العذابات الشديدة في الزمن الأخير، وسيشفشى طاعون جارف، وسيُحمى وطيس الوفيات من مختلف الأنواع. عندها سيتحتم مجيء رسول كما يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، فما دام الرسل قد بُعثوا عند عذابات بسيطة كما يتبين من أحداث الأزمنة الغابرة فكيف يمكن إذن ألا يُبعث من الله رسولٌ عند هذا العذاب العظيم الذي هو عذاب الزمن الأخير وسيحيط بالعالم كله، والذي سبق أن أنبأ عنه الأنبياء كلهم؟ فإن ذلك يستلزم تكذيبا صريحا لكلام الله تعالى. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٩٩)

يتبين من الآية القرآنية: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ أن رسولا من الله يُبعث حتما قبل نزول عذاب الله الشديد من هذا القبيل وينذر الخلق من عذاب مقبل. ويكون ذلك العذاب كآيات قاهرة لتصديقه. وفي هذا العصر أيضا يوجد فيكم رسول الله ويخبركم عن العذابات القادمة ففكروا وآمنوا لتنجوا. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٦٤١، الحاشية)

لا ننزل العذاب قبل أن يأتي الرسول أي أن نزول العذاب الشديد على العالم دليل على أن الرسول قد جاء. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٧١٩)

يبدو بوضوح تام أن مجيء رسول في هذا العصر ضروري. والقول بأن عذابا كذا وكذا حلّ في زمن رسول كذا وكذا، وأن سلسلة العذاب بدأت في العالم كله بحسب زعمهم ولم يأت إلى ذلك الحين أيّ رسول، فكيف يمكن اليقين أن العذابات التي حلت في الأزمنة السابقة كانت بسبب إنكار هؤلاء الرسل فقط؟ فجوابه أن القضية واضحة تمام الوضوح أن العذابات القاسية ستحل في الزمن الأخير، وقيل أيضا إلى جانب ذلك: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ فماذا عسى أن تكون النبوءة أوضح وأجلى من ذلك؟ (الحكم، مجلد ١١، رقم ٢٣، عدد ١٠/١٠/١٩٠٧ م، ص ٨) يثبت من القرآن الكريم أنه لا يحل بقرية عذاب ما لم يرسل الله رسولا قبله، ولكنه من الغريب حقا أن عذابا عالميا قد حلّ بالأرض ومع ذلك يرى الناس أنه لم يأت من الله نذير، ولا يرون حاجة إلى مجيئه. (بدر، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ٣/١٠/١٩٠٧ م، ص ٦) ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، الحكمة في ذلك أن الله غنيّ وصمدٌ وليس بحاجة إلى أحد. فعندما يُبعث نبي ويدعو الله تعالى فإن العذاب يتنزل بتأثير أدعيته. فيكون هذا العذاب نتيجة أدعية النبي وإن كان العذاب أصلا يمثّل مغبة أعمال القوم السابقة. كذلك إذا كان أحد لا يعرفني ويسكن في أوروبا أو أميركا فستكون أدعيتي سببا لحلول العذاب به. ولا يحل ذلك العذاب ما لم تستنزه أدعيتي، هذا هو معنى الآية: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾. (الفضل، مجلد ١، رقم ٢٩، عدد ٣١/١٢/١٩١٣ م، ص ٩)

الآية ١٧: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾

من سنة الله منذ القدم أنه ما دام الكافر أو المنكر لا يخلق بيده أسباب الهلاك بمنتهى التجاسر والتمادي في التباهي فلا يهلكه الله تعالى بعذاب، وحين يحين نزول العذاب على أي منكر تتولد فيه تلك الأسباب فيُكتب له الهلاك بموجبها. هذا هو

القانون القديم لنزول العذاب الإلهي، وهذه هي السنة المستمرة، وهذه القاعدة غير المتبدلة التي ذكرها الكتاب الإلهي. (أنوار الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٣) إن سبب العذاب في الدنيا ليس الكفر، وإنما الشر والتمادي في الاستكبار ما يستنزله العذاب. فالإنسان الذي يتجاوز حدود الظلم والإيذاء والاستكبار وينسى عظمة الله فسوف يتوجه إليه العذاب حتما حتى لو كان مؤمنا، وإذا تمسكن الكافر وأصابه الفزع والذعر فلن يصيبه العذاب في هذه الدنيا وإن كان يجدر دخوله جهنم بسبب ضلاله الديني. فهذه هي الفلسفة القديمة والمحكمة لنزول العذاب في الدنيا وهذه هي السنة الإلهية التي نجدها في جميع الكتب السماوية كما يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ أمرنا مترفيها ... أي نلفت انتباه الأغنياء والمترفين إلى أن يتجاوزوا حد الاعتدال في ارتكاب السيئات. فيحق عليهم القول أي يوصلون مظالمهم منتهاها فندمرهم تدميرا (أنوار الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ١٥) أن العذاب الإلهي لا ينزل على أحد في الدنيا ما لم يوصل شره وظلمه واستكباره وعلوه وغلوّه منتهاها. فلا يحدث أن يكون الكافر يهلك خوفا ومع ذلك تحل عليه الصاعقة عذابا من الله، ويكون المشرك يكاد يهلك خوفا من العذاب ومع ذلك لا ينجو من مطر الأحجار. إن الله ﷻ رحيم وحليم، فهو لا يهلك أحدا بعذابه في هذه الدنيا إلا من هيا أسباب هلاكه بيده. (أنوار الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ١٦)

الآية ٢٤: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾

... أي قل لهما قولاً فيه كرامتهما وعظمتهما. (الرد على ثلاثة أسئلة لمسيحي،

.... ما أعظم الربوبية في الحقيقة! إذ يكون الإنسان طفلاً صغيراً في بداية الأمر لا حول له ولا قوة، فكيف تخدمه الأم بكل أسلوب ممكن، وكيف يتكفل الأب مهمات الأم في تلك الحالة. أي قد خلق الله تعالى شخصين بفضله المحض لرعاية خلق ضعيف، وألقى عليهما ظل الحب من أنوار حبه. ولكن يجب الانتباه إلى أن حب الوالدين مؤقت، وحب الله هو الحب الحقيقي. فلا يستطيع أحد أن يحب أحداً - سواء أكان صديقاً أو مساوياً له في المرتبة، أو حاكماً - ما لم يُلْقِ الله تعالى الحب في القلوب. وإنه من سرِّ كمال ربوبية الله أن الوالدين يجبان الأولاد فيتحملان كل نوع من الآلام بصدر منشراح في سبيل كفالتهم لدرجة لا يدرخان جهداً في التضحية بحياتهما أيضاً من أجل حياتهم. (وقائع جلسة الدعاء، الخزان الروحانية، المجلد ١٥، ص ٦٠٣)

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾؛ الخطاب في هذه الآية موجه إلى النبي ﷺ ولكن مقصده الحقيقي هي الأمة لأن والدي النبي ﷺ قد ماتا في صغره. والحق أن في ذلك سرّاً، وهو أن كل عاقل يستطيع أن يفهم من الآية أنه إذا كان النبي ﷺ قد أمر أن يُكرم والديه ويقول لهما قولاً كريماً، فكم بالحري بالآخرين أن يكرموا آباءهم! وإلى هذا الأمر تشير آية أخرى وهي: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ففي هذه الآية قد وُضِحَ لعبدة الأوثان أن الأوثان ليست شيئاً ولا مئة لها عليكم إذ لم تخلقكم ولم تكفلكم في صغركم. ولو أجاز الله أن يُعبد معه أحد لأمر أن تعبدوا آباءكم لأنهم أرباب لكم بصورة مجازية، أي هم الذين ربوكم. ومن الطبيعي أن كل شخص يحمي أولاده من الضياع في الصغر، حتى الدواب والطيور تفعل ذلك، وهكذا فإنها تقوم بالربوبية نوعاً ما بعد ربوبية الله رب الأرباب. وإن الحماس للربوبية أيضاً يأتي من الله تعالى. (حقيقة الوحي الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٢١٣-٢١٤)

الآية ٢٦: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾

... لقد واجه صحابة النبي ﷺ أيضًا مثل هذه المواقف الصعبة، حيث حصل النزاع بينهم وبين الوالدين بسبب الاضطراب الديني. باختصار، ينبغي أن تبقى دومًا جاهزًا للاعتناء بهما، ولا تفوت أي فرصة لذلك. فسوف تثاب على نيتك حتمًا، فإذا انفصلت عنهما لتقديم رضوان الله فقط فهذا اضطراب. توحَّ الإصلاح دومًا، وانتبه إلى أن تكون نيتك صادقة، واذع لهما على الدوام. فالقضية ليست جديدة، فقد تعرَّض سيدنا إبراهيم عليه السلام أيضًا للموقف نفسه. على كل حال إن حق الله مقدَّم، فقدَّم الله واسعًا جاهدا لأداء حقوق الوالدين قدر المستطاع، وداوم على الدعاء لهما، وراع أن تكون نيتك صادقة. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١٦، عدد ٢/٣/١٩٠٨م، ص ٤)

الآية ٢٧: ﴿وَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا﴾

أي أدِّوا للفقراء حقوقهم، وآثروا المساكين، وادخدموا المسافرين، وتجنَّبوا الإسراف بكل صوره.. أي اجتنبوا التبذير الذي تُهدر فيه الأموال بلا طائل في تقاليد وطقوس مختلفة.. كحفلة عرس أو ميلاد طفل وغيرها من طرق اللهو واللعب. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٨)

الآية ٣٣: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾

أي ابتعدوا عن كل ما يدفعكم حتى إلى التفكير في هذه الفاحشة، ولا تسلكوا طرقًا فيها خطر الوقوع في هذه المعصية، فإن الذين يرتكبون الزنى يبلغون السيئة ذروتها. إن سبيل الزنى سيئ جدا إذ يحول دون غايتكم ويُشكل خطرا شديدا على هدفكم الأخير. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٢)

الآية ٣٦: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ أي وزنوا بالموازين المستقيمة دون خلل. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٧)

الآية ٣٧: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

إن التقوى تقتضي ألا يُصدّر الحكم بإثبات شيء أو عدم إثباته ما لم تتسّنّ الفراسة الكاملة والبصيرة الصحيحة. (الحق مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ١٩)

لا تتجاوزوا الحدود في سوء الظن وحذار أن تؤاخذوا بما تفوهت به أفواهكم. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣ ص ١٠٤)

لم يذكر في القرآن الكريم الذنوب التي يرتكبها الإنسان بِيَدَيْهِ وأقدامه فحسب، بل قد ذكر ذنوب الأُذن والعين والقلب أيضا كما يقول ﷺ في كلامه المجيد ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾. انظروا كما ذكر الله ﷻ ذنب السمع والبصر، كذلك ذكر ذنب الفؤاد أيضا، لكن ذنب الفؤاد ليس تلك الأفكار والأخيلة لأنه لا سيطرة للقلب على نشوئها، وإنما ذنب القلب عقد العزم على ارتكابه، فمجرد الأفكار التي لا يقدر الإنسان على منعها لا تعدّ إثما، إلا أنها ستعدّ إثما عندما يعزم الإنسان عليها، ويعقد العزم على ارتكابها. (نور القرآن الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٢٧-٤٢٨)

الإسلام دين ليس من مبادئه سباب مقتدى أي أمة لأنه من معتقداتنا أننا نؤمن بالرسول الذين ذكرهم القرآن الكريم كما نؤمن أيضا بأن مصلحا ما قد خلا في كل أمة، كما علّمنا أن لا نبدي رأيا حاسما عن أمر دون الحصول على علم شامل عنه.

كما يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ فهذه العقائد الطيبة تعصمنا من البداءة الباطلة والانتقاد الناجم عن التعصب، لكن لما كان معارضونا بعيدين كل البعد عن طرق التقوى، ومتحررين وخليعي الرسن، ويغضون كلهم بطبعهم القرآن الكريم الذي جاء بعد الكل، فيميلون عاجلا إلى الإساءة والكلام الفاحش والبداءة ويوظفون الافتراءات مقابل الحقائق. (الديانة الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ٩٨-٩٩)

لا تقف ما ليس لك به علم ناطق، واحذر أن كل الأعضاء من الأذن والعين والقلب وغيرها تستسل عنها جميعا. (الديانة الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ٩٩) من أجل تسيير جميع الأعضاء على جادة الاستقامة، قال تنبيهها وإنذارا كلمة جامعة فيها كفاية لتنبيه الغافلين وملؤها التهديد: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٧) أي كل ما يوجد عند الإنسان من أعضاء؛ مثل الأذن والعين والقلب وغيرها من القوى التي يتمتع بها الإنسان، فهو مسؤول عن استخدامها في غير محلها، وسيُسأل عن الإفراط والتفريط في استخدامها.

فانظروا الآن إلى مدى التأكيدات والتصريحات الموجودة في كلام الله ﷻ لاستعمال كافة الأعضاء والقوى بما فيه الخير والصلاح، ولا حظوا أيضا بأي وضوح قيل لوضع كل عضو من الأعضاء في مركز الاعتدال وعلى الخط المستقيم بحيث لم يبق أي إبهام أو إجمال! هل يمكن الاطلاع على هذا التصريح والتفصيل بقراءة صفحة من صفحات صحيفة الفطرة؟ كلا. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ٢١٠، الحاشية رقم ١١)

لا ترموا أحدا بما لا تملكون دليلا عليه، وتذكروا أنكم تُسألون عن كل عضو لكم من أذن وعين وقلب وغيرها. (فلسفة تعاليم الإسلام الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٠)

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، المراد من العلم هنا هو اليقين. (بدر، مجلد ٢،

رقم ٥، عدد ٢٠/٢/١٩٠٣م، ص ٣٦)

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، المراد من العلم هو اليقين. الظنون لا تُعدّ

علما، إن هؤلاء الناس يتبعون الظن فقط. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٥، عدد ٢٠/٢/١٩٠٣م، ص ١٤)

لا تقل عما ليس لك به علم. (بدر، مجلد ١، رقم ٣٦، عدد ١٧/١١/١٩٠٥م،

ص ٧)

كان من واجب معارضينا أن يحسنوا الظن ويعملوا به: ﴿لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، ولكنهم تسرعوا. اعلّموا أن الأمم السابقة قد هلكت للسبب نفسه. العاقل إذا علم أنه كان مخطئا؛ تحلّى عن خطئه وإن كان من المعارضين. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٤١، عدد ٣٠/١١/١٩٠٦م، ص ٥)

هناك سيئات كثيرة تنشأ من سوء الظن وحده؛ فمثلا يسمع المرء شيئا عن شخص ويستيقن به فورا. هذا تصرف مكروه جدا. يجب ألا تلقوا بالآلما لا تعلمون عنه علم اليقين وما لستم عنه بمستيقنين. فمن الضروري لاجتناب سوء الظن (١) ألا يستيقن الإنسان شيئا ولا يتفوه به ما لم يشاهده بنفسه. هذا الأصل يهدف إلى درأ سوء الظن. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢٢، عدد ٢٤/٦/١٩٠٦م، ص ٣)

اعملوا بما قاله الله وقال الرسول ولا تنفوهوا بما لا تعلمون. (الحكم، مجلد ١١،

رقم ٤١، عدد ١٧/١١/١٩٠٧م، ص ١٣)

لو كان فيهم شيء من خشية الله لاتَّقوا وعملوا به: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

عِلْمٌ﴾، ولأصغوا لكلامي ولتدبروه ثم كان من حقهم أن يقولوا بعد ذلك ما شاؤوا. ولكنهم لم يأبجوا بأي شيء ولم يتقوا الله بل قالوا ما شاؤوا. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠،

عدد ١٧/١١/١٩٠٥م، ص ٨)

الآية ٤٥: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾

السموات السبع والأرض وكل ما فيهما يسبح الله ويقدّسه، وليس هناك شيء لا يقدّسه ولكنكم لا تفقهون تقديسه. بمعنى أن التفكير في السماء والأرض يُثبت كمال الله تعالى وتقديسه وتنزيهه عن الأبناء والشركاء، ولكن للذين يفقهون. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢٠، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

كل شيء يقده ويبين محامده، فلو لم يكن الله خالق هذه الأشياء فمن أين هذا الانجذاب إليه ﷺ؟ ليدركن كل متدبر أن سبب هذا الجذب صلة خفية. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٩٦-٢٩٧)

الإله الذي يكشفه القرآن الكريم لا يملك سلطة جبرية على ما أوجده بل تخضع لحكمه كل ذرة بطبعها وروحانيتها بحسب الآية الكريمة ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ (الأعراف: ١٧٣). وفي كل طبع يوجد انجذاب للإنابة إليه، فلا تخلو أية ذرة من هذا الانجذاب. وهذا يشكّل برهانا عظيما على أنه خالق كل شيء لأن نور القلب يقبل أن الميل الذي يوجد في كل شيء للخضوع له ﷺ هو بلا شك منه ﷺ. كما قد أشار إليه القرآن الكريم في قوله: ﴿إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ أي كل شيء يقده ويبين محامده، فلو لم يكن الله خالق هذه الأشياء فمن أين هذا الانجذاب إليه ﷺ؟ ليدركن كل متدبر أن سبب هذا الجذب صلة خفية. (معيان المذاهب، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٨٦-٤٨٧)

كل ذرة في السماء والأرض تسبح بحمد الله وتقّده له، وأن كل ما فيهما من كائن مشغول في تكميده وتقديسه ﷻ، فالجبال تذكره والأنهار تذكره والأشجار تذكره، وكثير من الأبرار مشغولون بذكره، أما الذي لا يذكره بقلبه ولسانه ولا يتواضع

له، فقضاء الله وقدره يُرغمه على الخضوع له بأنواع البلاء والعذاب. لقد وصف كتابُ الله القرآن الكريم الملائكة بأنهم يطيعون الله غاية الطاعة، وقد ورد الوصف نفسه في القرآن لكل ذرة وكل ورقة في الأرض حيث ورد أنه ما من شيء إلا وهو قانتٌ له وَعَبَّكُ، فيستحيل أن تسقط ورقة إلا بإذنه، ويشفي دواء إلا بإذنه، ويطيّب غذاء إلا بإذنه، فكلُّ شيء يخضع على أعتابه بغاية التذلل والعبودية ويتفانى في طاعته وَعَبَّكُ. إن كل ذرة من الجبال والأرض، وكل قطرة من الأنهار والبحار، وكل ورقة من أوراق الأعشاب والأشجار وكلّ جزء من أجزائها، وكل ذرة من الإنسان والحيوان، لتعرف الله وتطيعه وتنشغل في تحميده وتقديسه وَعَبَّكُ. (سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٣٩٢-٣٣، ص ٣٢-٣٣)

إن تعريف الملائكة الذي بينه الله ينطبق على كل ذرة كما قال: ﴿إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ...﴾ فكل ذرة تدخل في قائمة الملائكة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤٤/٤/١٩٠٣ م، ص ٩)

إن الهواء والماء والنار وغيرها أيضاً أنواع من الملائكة، إلا أن الملائكة العظام هم من سمّاهم الله، لكن الأشياء المفيدة أيضاً ملائكة، فكلام الله يصدق ذلك، حيث قال ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٥)، أي أنّ جميع الأشياء تسبح لله تَعْبُدُ اللَّهَ، وإنما التسبيح يعني أنها تنجز ما تؤمّر به وبحسب مشيئة الله. ومعلوم أن كل أمر يحدث بحسب مشيئته وإرادته، ولا يحدث شيء في العالم مصادفة، إذا لم يكن لله تصرف تام وسيطرة على كل ذرة في العالم فكيف يسمّى إلهاً، وكيف يرجى منه قبول الدعاء؟ فالحقيقة أنه يُجري الرياح حيث يشاء ومتى يشاء، ويمسكها متى يريد، فيبيده المياه والبحار الزاخرة بالمياه، فمتى أراد هيّجها، ومتى أراد هدأها. فهو الإله القادر المقتدر على كل ذرة من الكون، لا يخرج شيء من سيطرته. فالذين ينكرون الدعاء أصلاً فإنما لأنهم لم يعدّوا الله قادراً مطلقاً على كل شيء وآمنوا بأن معظم الأحداث وليدة المصادفات. فالمصادفة ليست بشيء، بل كل ما يحدث فبأمر

من الله وحكمته حتى الورقة التي تسقط من الشجرة. وكل هذه هي من الملائكة، إذ تعمل بإشارة وأمر من الله، وهي تسخر للذين يستجيبون لله ويريدون رضوانه فقط، فالذي يكون لله فإن الله يرزقه كل شيء: ﴿تَوَلَّوْا مِيرَاهُورْ هِي سَبْ جَك تِيرَاهُو أَي: "إذا كنت لي فالعالم كله لك" من كان لله كان الله له.

وبعد الفوز بهذه المرتبة يجد الإنسان رعية لا تكون متمردة، بينما تتمرّد رعية الملوك الماديين أحياناً، أما رعية الملائكة فلا تثور ولا تتمرّد أبداً. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠٣ م، ص ٦-٧)

إن الذين يرفضون وجود الملائكة، على خطأ كبير، فهم لا يعرفون أن اسم الملائكة يُطلق على كل ذرة وكل شيء في العالم، وأنا أؤمن بأنه لا شيء يقدر على التأثير دون إذن منه ﷺ، حتى لا تقدر قطرة الماء أيضاً على دخول الجسم، ولا يسعها التأثير. وهذا هو معنى قول الله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠٣ م، ص ١٢)

الآية ٤٨: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾

إن القول بأن السحر انطلى على النبي ﷺ، والعياذ بالله، يضيع الإيمان. يقول الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ أي أن القائلين بمثل هذه الأقوال ظالمون وليسوا بمسلمين. فالقول بوقوع السحر على النبي ﷺ هو قول عديمي الإيمان والظالمين. ألا يفكرون أنه إذا كان هذا هو حال النبي ﷺ -والعياذ بالله- فما بالك بالأمّة؟ إنها ستغرق لا محالة. لا أدري ماذا حدث لهؤلاء القوم إذ يقولون مثل هذه الأقوال بحق نبي معصوم ﷺ ظل جميع الأنبياء يحسبونه بريئاً من مس الشيطان. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٤٠،

الآية ٥٧: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾

أي قل للمشركين ومنكري وجود الله إنه إذا كان هناك شركاء آخرون في ما خلق الله ﷻ، أو كانت الأسباب الموجودة وحدها كافية فادعوا - حين تغلبون مقابل دلائل صدق الإسلام وعظمته وقوته- هؤلاء الشركاء لينصروكم، واعلموا جيدا أنهم لن يقدرُوا على أن يكشفوا ضُرَّكم ولن يقدرُوا على أن يكشفوا الغمة التي أنتم فيها. وقل أيها الرسول للمشركين أن ادعوا مقابلي شركاءكم الذين تعبدونهم، ثم كيدوا لإفشالي كل كيد ولا تُهلوني قط. واسمعوني جيدا وعُوا أن وكيلي ونصيري ووليي هو الله الذي أنزل القرآن وهو يتولَّى رسله الصادقين والصالحين. والأشياء التي تدعوها لنصرتكم لن تقدر على ذلك كما لا تستطيع أن تنصر أنفسها. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ٥١٩، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ٥٩: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

"فالحاصل أن الطاعون قد لازم هذه الديار ملازمة الغريم، أو الكلب لأصحاب الرقيم. وما أظنّ أن يُعَدَم قبل سنين، وقد قيل: عمر هذه الآفة إلى سبعين. وإنها هي النار التي جاء ذكرها في قول خاتم النبيين، وفي القرآن المجيد من رب العالمين، وإنها خرجت من المشرق كما زُوي عن خير المرسلين، وستحيط بكل معمورة من الأرضين، وكذلك جاء في كتب الأولين، فانتظر حتى يأتيك اليقين. فلا تسأل عن أمرها فإنه عسير، وغضبُ الرب كبير، وفي كل طرف صراخ وزفير، وليس هو مرض بل سعي. وتلك هي دابة الأرض التي تكلم الناس فهم يجرحون، واشتد تكليمها فيُغتال الناس ويُقَعَصون بما كانوا بآيات الله لا يؤمنون، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾، فذلك

تشاهدون. وذلك بأن الناس كانوا لا يتقون، وكانوا يشيعون الفسق في أرض الله ولا يخافون، ويزدادون إثما وفحشاء ولا ينتهون. وإذا قيل: اسمعوا ما أنزل الله لكم فكانوا على أعقابهم ينكصون. فأخذهم الله بعقابه هذا لعلمهم يرجعون." (مواهب الرحمن، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٤٥-٢٤٦)

لقد ورد النبأ عن الطاعون بصراحة في القرآن الكريم كما يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾. أي سينتشر الطاعون الجارف قبل القيامة بفترة، وستُحمى به بعض القرى نائيا، وسينجو بعضها بعد مكابدة العذاب إلى حد ما. (محاضرة سيالكوت، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٤٠)

...لقد ذكر هنا العصر الراهن، إذ يهلك الناس بالطاعون والزلازل والطوفانات وثوران البراكين والحروب فيما بينهم. وقد اجتمعت في هذا العصر دواعي الموت، ووقعت بشدة بحيث لا نظير لها بصورة جماعية في أي عصر خلا. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٢٠٦-٢٠٧)

هناك نبأ آخر في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي سينزل في الزمن الأخير عذاب شديد. وقال أيضا: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٦) فمن هنا أيضا يتضح ظهور رسول في الزمن الأخير وهو المسيح الموعود. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٥٠٠)

لن تكون قرية لا نهلكها أو نعذبها قبل تلك المدة أي قبل الزمن الأخير الذي هو زمن المسيح الموعود. (نزول المسيح الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٣٩٦)

﴿إِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾ باختصار إنه آية إنذارية، ولقد رأى الناس آيتي الخسوف والكسوف ضاحكين، ورأوا آية الطاعون باكين.

بعض الأغبياء يعترضون لماذا يموت أفراد جماعتكم؟ لكن هؤلاء السفهاء لا يعرفون أن الناس في زمن النبي ﷺ حين طلبوا آية العذاب أوتوا آية السيف وكان نوعاً من العذاب. وقد استشهد عدد من الصحابة أيضاً بالسيف. لكن هل قُتل أمثال أبي بكر وعمر أيضاً؟ فكل من كان الله ﷻ يريد أن يستخدم يده أو دماغه فقد سلم. وفي المقابل هلك جميع زعماء الكفار ووصلوا جهنم، وهلكوا كلهم صغيراً وكبيراً.

فإذا كان شخص قد سُرق منه قرش واحد، وفي المقابل تُهب بيت غيره كاملاً فهل يستطيع الأخير أن يقول لصاحبه أنا وأنت سيّان. تدبروا قليلاً أنه إذا لم يمت أحد منا خلال سبعين سنة فهل سيمتنع أحد من الانضمام إلى جماعتنا؟ لكن الله ﷻ لا يحب هذا الأمر ولم يحدث ذلك قط، فالإيمان يجب أن يكون بالغيب، فما لم تتحلّ جماعتنا بالتقوى لن تنجو، ولن يعصمهم الله بحمايته. ولهذا السبب قد عصم الله ﷻ جميع الصحابة -الذين كان سيستخدمهم في المهمات الكبيرة- حتى في أشدّ المواقع خطورة جداً. أما الآخرون فنقلهم الله عاجلاً إلى الجنة. الجاهل لا يعرف الحقيقة ويتفوه بما يحلو له فقط. فهذا قد حدث في زمن كل نبي. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٢، عدد ١٧/٦/١٩٠٣ م، ص ١٨)

هذا الأمر يخص الزمنَ الراهن بالذات لأن الهلاك والعذاب فيه يظهر بأشكال متنوعة؛ ففي بعض المواضع طوفان، وفي الأخرى زلازل، وفي أماكن أخرى نشوب حرائق. وصحيح أن هذه الأمور كلها ظلت تحدث في العالم إلا أنها في العصر الراهن تحدث بكثرة خارقة للعادة، وبسبب ذلك تعد آية، وفي هذه الآية لم يذكر الطاعون، وإنما ذكر الهلاك أيّا كان نوعه.

ويتبين أيضاً أن الناس وظفوا القوة والاهتمام الكامل في تقديم الدنيا ووسائلها غير المشروعة، وأفرغوا القلوب من عظمة الله، وليس من شأن المواظ

أن تعالجها، بل ثمة حاجة إلى العذاب الإلهي. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠٤م، ص ٢)

كان من علامات زمن المسيح الموعود تفتشي الطاعون، فقد ذكرت هذه الآية في التوراة والإنجيل، ويتبين من القرآن الكريم أيضاً أن الله ﷻ كان قد عدّه آيةً للمسيح الموعود فقد قال ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾. إن هذه الأمور ليست عادية بسيطة، بل تتطلب الفهم والتدبر. لاحظوا الآن هل تفتشي الطاعون في البلد أم لا؟ لا يقدر أحد على إنكار ذلك. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٦، عدد ١٧/٧/١٩٠٣م، ص ٢)

لقد ذكرت في القرآن الكريم آية أخرى تشير إلى أن الطاعون سيتفشى في ذلك العصر بشدة. لقد ورد هذا النبأ في الأحاديث أيضاً. وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وقال في آية أخرى بكل وضوح بأنها دابة الأرض وسيموت بسببها أناس كثيرون. فليقل الآن أحد هل من شك في تحقق هذه الآية؟ (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠٧م، ص ٨)

يتبين من ذلك بكل وضوح أن باب الموت سيفتح بوجه عام قرب القيامة. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢٧، عدد ٣١/٧/١٩٠٦م، ص ٣)

معناه أن الطاعون سيجول ويصوب في العالم كله في الأيام الأخيرة. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣١، عدد ٣١/٨/١٩٠٧م، ص ١٢)

قال عليه السلام عند الحديث عن الطاعون: لقد أنبأ الله تعالى سلفاً في القرآن الكريم عن هذا العذاب فقال: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾. وقال ﷺ أيضاً إلى جانب ذلك: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٦). وإذا قرئت هاتان الآيتان معا تبين بجلاء أن هناك نبوءة عن

مجيء رسول، ويبدو بوضوح تام أن مجيء رسول في هذا العصر ضروري. والقول بأن عذابا كذا وكذا حلّ في زمن رسول كذا وكذا، وأن سلسلة العذاب بدأت في العالم كله بحسب زعمهم ولم يأت إلى ذلك الحين أيّ رسول، فكيف يمكن اليقين أن العذابات التي حلت في الأزمنة السابقة كانت بسبب إنكار هؤلاء الرسل فقط؟ فجوابه أن القضية واضحة تمام الوضوح أن العذابات القاسية ستحل في الزمن الأخير، وقيل أيضا إلى جانب ذلك: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ فماذا عسى أن تكون النبوءة أوضح وأجلى من ذلك؟ (بدر، مجلد ١١، رقم ٣٦، عدد ١٠/٩/١٩٠٧م، ص ٨)

إن عذاب الطاعون سيكون على قسمين ولن تسلم منه قرية من القرى. نهلك بعضها كلياً أي تخرب تماماً وتصبح غير مأهولة ولن يبقى لها أي أثر. وسوف يبحث الناس عنها ويقولون: هنا كانت قرية عامرة، ولكنهم لن يجدوا لها أثراً. وكأن الطاعون سيكنس الأرض وينظفها ولن يترك لها أي أثر. أما بعض القرى الأخرى فتترك بعد أن تُعذَّب قليلاً أو كثيراً ولكن لن تُمحي آثارها من وجه المعمورة بل سيُنزل عليها العذاب تنبيهاً فقط ثم يُرفع بعد عقابٍ بسيط. ستبقى مدن أخرى كثيرة، وأما هذه فلا. وقد أدخل الله تعالى قاديان أيضاً في هذا القسم. والمراد من الوحي: "إنه آوى القرية" هو أن الطاعون الجارف لن يبيد قريتنا تماماً مثل القرى الأخرى حتى يضطر الناس إلى البحث أين كان موقع قاديان. فقد وعد الله تعالى أنه لن يدمرها مثل القرى الأخرى بل ستكون مصونة، وستُنقذ بعد عقابٍ بسيط. (بدر المجلد ٣، رقم ٢٥، عدد: ١٠٤/٧/١٩٠٤م، ص ٣)

لا شك أننا نهلك القرى كلها قبل يوم القيامة في كل الأحوال أو ننزل عليها عذاباً شديداً. هذا ما قد كُتب في الكتاب. (الرد على ثلاثة أسئلة لمسيحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٣٦)

الآية ٦٠: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾

لا ننزل حاليا بعضا من آيات الغضب التي نزلت على الأمم السابقة بصورة العذاب لأن الأمم السابقة قد أنكرتها من قبل... فأعطينا ثمود الناقة آيةً تهدي إلى الحق وكانت علامة عذابٍ مقبل، فظلموا بها.. أي الناقة التي بسبب كثرة أكلها وشربها لم يبق لسكان مدينة "الحجر" الذين كانوا من قوم ثمود بركة ماء للشرب ولم يبق لدواهم مرعى. وبذلك واجه القوم معاناة شديدة وأصيبوا بحزن ومصيبة قاسية... إن آيات الغضب تكون للتخويف فما الفائدة من طلب آيات العذاب التي كذبتها أمم سابقة ولم يخافوا لرؤيتها؟

فليكن واضحا هنا أن الآيات نوعان.

(١) آيات التخويف والتعذيب التي يمكن أن نسميها آيات الغضب أيضا.

(٢) آيات التبشير والتسكين التي يمكن أن نسميها آيات الرحمة أيضا.

تُظهر آيات التخويف للكفار شديدي الكفر وذوي القلوب المعوجّة والعصاة وعديمي الإيمان وذوي الطباع الفرعونية لكي يخافوا ولتستولي على قلوبهم هيبة غضب الله وجلاله. أما آيات التبشير فتظهر لطلاب الحق والمؤمنين المخلصين والباحثين عن الحق الذين يتحرّون اليقين الكامل والازدياد في الإيمان بقلوب ملؤها المسكنة والتواضع. ولا يريد الله من آيات التبشير التخويف والتهديد بل ليطمئن عباده المطيعين ويزيدهم إيمانا ويقينا ويهدئ قلوبهم المضطربة ويهبها السكينة. فالمؤمن يتلقى آيات التبشير دائما بواسطة القرآن الكريم ويزداد إيمانا وإيقانا. يطمئن قلب المؤمن بآيات التبشير ويزول منه الاضطراب والقلق الذي يوجد في طبيعة الإنسان وتنزل السكينة على قلبه. فهو يتلقى آيات التبشير إلى آخر يوم من حياته ببركة اتباع كتاب الله، وتنزل عليه آيات تهبه السكينة والراحة لكي يتقدم في اليقين والمعرفة التي لا حدود لها، ويصل إلى حق اليقين. والمتعة الأخرى في آيات التبشير هي أن

المؤمن يزداد يقينا ومعرفة وقوة في الإيمان بنزولها وكذلك يزداد حبا وعشقا يوما فيوما نتيجة مشاهدته آلاء الله عز اسمه ونعمه وإحساناته الظاهرية والباطنية والجلية والخفية المليئة بآيات التبشير. فالحق أن الآيات العظيمة الشأن والقوية الأثر والبركة والموصلة إلى المقصود هي آيات التبشير وحدها التي توصل السالك من المعرفة الكاملة والحب الذاتي مقاما هو منتهى المقامات لأولياء الله. وقد ورد في القرآن الكريم ذكر آيات التبشير بكثرة لدرجة لم يجعلها محدودة بل أعطى وعدا دائما أن أتباع القرآن الكريم الصادقين سيحظون بها باستمرار، حيث يقول تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يونس: ٦٥).. أي أن المؤمنين سيتلقون آيات التبشير في الحياة الدنيا والآخرة دائما، وبسببها يظنون يتقدمون بلا حدود في الدنيا والآخرة في ميادين المعرفة والمحبة. وإن نيل آيات التبشير هو الفوز العظيم، أي هذا هو الأمر الذي يوصل المرء إلى منتهى مقام الحب والمعرفة.... لو حصرنا آيات الله كلها في آيات العذاب واستنبطنا من هذه الآية أننا نرسل بالآيات كلها تخويفا فقط ولا هدف سواه من ورائها فهذا المعنى باطل بالبداهة. فكما ذكر آنفا أن الآيات تنزل لسببين اثنين، تخويفا أو تبشيرا. فيتناول القرآن الكريم والكتاب المقدس أيضا ذكر هذين النوعين مرارا وتكرارا. فلما كانت الآيات قسمين، فالتفسير الصحيح لكلمة "الآيات" في الآية المذكورة آنفا هو أن المراد منها هو آيات العذاب لأنه لو لم يؤخذ هذا المعنى للزم أن تنحصر جميع الآيات الصادرة عن قدرة الله في قسم التخويف فقط، وحصر جميع الآيات في قسم التخويف يخالف واقع الأمر تماما، ولا يصح بحسب كتاب الله ولا من حيث العقل ولا يجيزه ضمير أي شخص طيب القلب.

والآن، وقد تبين جليا أن الآية المذكورة لا تتناول إلا ذكر آيات التخويف فقط من قسمي الآيات، فقد بقي الأمر الآخر الجدير بالبحث أنه هل يجب أن يفهم من كلمة: ﴿مَا مَنَعَنَا...﴾ الواردة في الآية أن الله تعالى لم يُظهر آية التخويف على

يد النبي ﷺ مطلقاً؟ أو يجب أن يفهم أنه لم تُظهر من آيات التخويف تلك الآيات التي أظهرت للأمم السابقة؟ أو المعنى الثالث وهو الأجدر بالاعتداد أن آيات التخويف من كِلا النوعين ظلت تظهر على يد النبي ﷺ إلا بعض الآيات من نوع خاص التي شهدتها أمم سابقة فكذبوها، ولم يعتبروها معجزة؟

فليكن واضحاً أن الإمعان في الآيات المتنازع فيها يوحي بجلاء تام أن المعنى الأول والثاني ليسا صحيحين قطعاً لأن الاستنباط من الآية أن آيات التخويف التي نستطيع أن ننزلها وكذلك آيات التعذيب بكل أنواعها وأقسامها، وكذلك التي ما زالت في الخفاء ونحن قادرون على إنزالها بلا حدود؛ لم نرسلها لأن الأمم السابقة قد كذبت، استنباط باطل تماماً؛ إذ من المعلوم أن الأمم السابقة قد كذبت آيات رأتها، فالتكذيب يستلزم أولاً رؤية ما يُكذَّب. أما الآية التي ما شوهدت من قبل فلا معنى لتكذيبها أصلاً، مع أن في قدرة الله آيات عظيمة الشأن من الآيات غير المشهودة أيضاً التي لا يسع أحداً تكذيبها بل تعنو لها رقاب الناس جميعاً لأن الله تعالى قادر على أن يُري الآيات من كل نوع. ثم ما دامت آيات قدرة الله غير محدودة وغير متناهية فكيف يصح القول إذاً بأن الناس شاهدوها كلها في زمن محدود فكذبوها، إذ لا يمكن في زمن محدود رؤية إلا ما كان محدوداً في حد ذاته.

على أية حال، المعنى الصحيح للآية هو أن بعض الآيات التي شاهدتها الكفار من قبل وكذبوها اعتُبر إنزالها مرة أخرى عبثاً كما تدل القرينة أيضاً على هذا المعنى، أي أن ذكر الله تعالى ناقةً ثمود بهذه المناسبة يمثل قرينة قوية على أن الحديث هنا يدور حول آيات التخويف التي رُفضت من قبل. وهذا المعنى الثالث هو الأصح والأصوب. ثم هناك أمر آخر جدير بتأمل المنصفين وسيتبين من ذلك أن الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ...﴾ تدل على إثبات المعجزات وليس على إنكارها لأن "ال" في "الآيات" لا يخلو من أحد الأمرين وفق قواعد النحو؛ إما أن تعطي معنى "الكل"،

أو معنى "الخاص". فإذا كانت بمعنى "الكل" فسيكون المراد: ما منعنا من إنزال كل المعجزات إلا أن كذّبتها الأولون. وإذا كانت بمعنى "الخاص" فسيكون المراد: ما منعنا من إرسال الآيات الخاصة (التي يطلبها المنكرون) إلا أن كذّبتها الأولون. على أية حال، يثبت نزول الآيات في كلتا الحالتين لأنه لو كان المعنى بأننا لم نرسل جميع الآيات لأن الأمم السابقة كذّبتها لثبت من ذلك إنزال بعضها. فمثلا إذا قال أحد: لم أعط زيدا جُلّ مالي لثبت من ذلك جليا أنه أعطاه قدرا من ماله حتما. وإذا استنبطنا المعنى بأننا لم ننزل بعض الآيات الخاصة لثبت أيضا إنزال بعضها الآخر. فمثلا لو قال أحد: لم أعط زيدا بعض الأشياء الخاصة، لكان واضحا من ذلك أنه أعطاه بعض الأشياء الأخرى حتما.

على أية حال، من تأمل أولا في سياق الآية التي نحن بصدددها ورأى كيف تبين نزول العذاب من كلا النوعين، ثم رفع نظره مرة ثانية إلى جانب آخر وفكر هل يصح القول، أو هل هو أقرب إلى القياس، أن الأولين كذّبوا في زمنهم المحدود بكافة آيات الله وأعماله العجيبة واللامتناهية التي تمثل للعيان بين حين وآخر نتيجة قدراته غير المحدودة؟ ثم فكر بالعدل مرة ثالثة بنظر الإنصاف هل ذكرت هنا آيات التخويف فقط بوجه خاص أو ذكرت آيات التبشير والرحمة أيضا؟ ثم إذا تأمل للمرة الرابعة في "ال" الواردة في "الآيات" وأمعن النظر في معناها فلا بد من أن يجد في نفسه بعد هذا التفكير الرباعي -إلا من كان بعيدا كل البعد عن الحق والصدق عنادا منه- أن هناك آلاف الشهادات لا شهادة واحدة على أن حرف النفي قد ورد هنا لينفي الآيات من قسم واحد خاص فقط، ولا يؤثر في آيات من الأقسام الأخرى قط، بل يُثبت وجود تلك الآيات بكل جلاء. ويوضح الله تعالى في هذه الآيات بجلاء تام أن آيات التخويف التي يطالب بها هؤلاء الناس الآن لم ننزلها لسبب وحيد، وهو أن الأمم السابقة قد كذّبتها. فإن تكرار إنزال الآيات التي رُفضت

من قبل يدل على الضعف ويبيد عن الله ذي القدرات اللامتناهية. ففي هذه الآيات إشارة واضحة إلى أن آيات العذاب ستنزل حتما ولكن بأساليب مختلفة. ما الحاجة إلى أن يعاد إنزال آيات أنزلت لموسى أو التي أنزلت لنوح أو قوم لوط وعاد وشمود؟ (الرد على ثلاثة أسئلة لمسيحي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٣٦-٤٤١)

الآية ٦١: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾

لقد ورد في البخاري الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله الباري بعد ذكر وقائع المعراج كلها: "واستيقظ". يمكن أن تفهموا من ذلك حقيقة شخصيا. فقد وصفه القرآن الكريم أيضا بالرؤيا حيث ورد: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾. (بدر، مجلد ٧، رقم ١٩-٢٠، عدد ٢٤٤/٥/١٩٠٨ م، ص ٥)

الآية ٦٥: ﴿وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾

الأولاد في العالم على نوعين، (١) أحدهما من يؤثر فيهم نفخ روح القدس، وهؤلاء الأولاد هم أولئك الذين تكون أمهاتهم عفيفات وطاهرات الأفكار عندما تستقر في أرحامهن النطفة. فهؤلاء الأولاد يكونون أطهارا، ولا يكون للشيطان نصيب فيهم. (٢) النوع الثاني أولئك النساء اللاتي أوضاعهن في أغلب الأحوال سيئة وخبيثة، فيتخذ الشيطان من أولادهن نصيبا كما تشير إلى ذلك الآية: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ بحيث وجه الخطاب إلى الشيطان أن يكون شريكهم في الأموال والأولاد. أي سوف يجمع أموال الحرام وينجب أولادا خبيثين. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٩٧-٢٩٨)

اعلموا أن الولادة نوعان؛ إحداهما تتجلى فيها روح الله والثانية يكون فيها نصيب للشيطان كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ فالخطاب فيه موجّه إلى الشيطان. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٦، عدد ٣٠٤/٤/١٩٠٣ م، ص ٨)

لا يمكننا تسمية أرواح الفاسقين والفاجرين "روح منه" بسبب فسقهم وفجورهم ونجاسة شركهم، بل هم "روح الشيطان" كما قال الله تعالى: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، فنعتقد أن البعض يكونون روح الشيطان والبعض ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾. يكون بعض الناس فاسدين إلى درجة أنهم سيئو الطبع وذوو تصرفات شيطانية ولا يتوقع منهم أن يرجعوا إلى الله بأي حال، فلا تُطلق عليهم كلمة ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ بل هم روح الشيطان. (الحكم مجلد ١١، رقم ٣٩، عدد ٣١٠/١٠/١٩٠٧ م، ص ٦)

الآية: ٦٦: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾

ورد في الأحاديث أن عيسى وأمه عليهما السلام منزّهان من مسّ الشيطان، وفسر المشايخ الجهلة أن كل من سوى عيسى وأمه ليس منزّها من مسّ الشيطان سواء كان نبيا أو رسولا، أي ليس بريئا، ونسوا آية ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾... كان هدف هذا الحديث هو ذبّ اليهود ودفع اعتراضهم، إذ لما كانوا يلصقون بمریم وعيسى عليهما السلام أشنع التهم فقد شهد رسول الله المقدس ﷺ أنه لم يكن أحد من اليهود محفوظا من مسّ الشيطان، فإذا كان أحد منهم بريئا فكان عيسى عليه السلام وأمه. وليس المراد من الحديث والعياذ بالله أن عيسى عليه السلام وأمه حصرا معصومان من مسّ الشيطان، أما من سواهما فليس بمعصوم منه سواء كان نبيا أو رسولا! (أيام الصلح، الخزانة الروحانية، المجلد ١، ٣٥٤-٣٥٥)

القرآن الكريم... قد أعطى جميع الأنبياء والرسل نصيبا من العصمة من مسّ الشيطان على سواء حين قال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾. (أيام الصلح، الخزانة الروحانية، المجلد ١، ص ٣٩١)

إن ما ورد في صحيح البخاري هو أنه ما من مولود محفوظ من مسّ الشيطان إلا عيسى ابن مريم. فقد كُتب في هذا الموضع في "فتح الباري"، وكتب العلامة الزمخشري أيضاً أن اعتبار عيسى بن مريم وحده معصوماً من بين سائر الأنبياء مخالف لنصوص القرآن الكريم الصريحة. إن الله ﷻ قد وصف جميع الأنبياء معصومين في قوله في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الإسراء: ٦٦)، فما ميزة عيسى بن مريم؟ لذا فإن هذا الحديث يعني أن جميع الذين هم على صفة عيسى بن مريم بروزا، أي الحائزين على نصيب من روح القدس والعاقدين علاقة طيبة بالله ﷻ، كلهم معصومون، وكل واحد منهم عيسى بن مريم. وإنما ذكرت عصمة عيسى بن مريم على وجه خاص، لأن اليهود كانوا يعترضون أن ولادة عيسى بن مريم حصلت بمسّ الشيطان، أي أن حمل مريم بعيسى عليه السلام كان غير شرعي والعياذ بالله. فكان لا بد من دحض هذا الاعتراض الخبيث. (التحفة الغولروية، الخزان الروحانية المجلد ١٧، ص ٣٠٨، الحاشية)

جميع السعداء والصلحاء الذين جاء بحقهم في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ هم أبناء روح القدس. يثبت من القرآن الكريم نوعان من المخلوق، أولهما أبناء روح القدس، والثاني أبناء الشيطان، فليست في الولادة بغير أب أي خصوصية. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤٤، عدد ١٩٠٨/٧/٢٦، ص ٣) لقد ورد في القرآن الكريم أن الله تعالى قال للشيطان: "إن عبادي ليس لك عليهم سلطان". (بدر، مجلد ٦، رقم ٤٣، عدد ١٩٠٧/١٠/٢٤، ص ٧)

الآية ٧١: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، فهل يعني ذلك في الحقيقة أن الله تعالى حاملهم في حضنه؟ كلا، كذلك لا يجوز أن يُحمل وضع اليدين على أجنحة ملكين أيضاً على الحقيقة. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية المجلد ٣، ص ٤٧٦)

فالملائكة تلازم كلَّ إنسان وهي تُظِلُّ بأجنحتها طلبة العلم حسب الحديث النبوي الصحيح، فإذا حملوا المسيح فأَي نذرة في ذلك؟ فقد ثبت من القرآن الكريم أن الله ﷻ حامل كل إنسان، حيث ورد ﴿حَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (الإسراء: ٧١)، فهل يتراءى الله لأحد؟ هذه كلها استعارات. (كتاب البراءة، الخزائن الروحانية المجلد ١٣، ٢٢٦، الحاشية)

﴿حَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ كذلك تحمل الأرض أيضا كل شيء. فالأرض هي المستقر الدائم لكل شيء فإن. فهي تُحَلِّ من تشاء محل الإكرام وترمي بمن تشاء مقام الذلة. (نسيم الدعوة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤١٦-٤١٧) لا تظنوا أن الأرض أو سفن البحر تحملكم، بل نحملكم نحن. (نسيم الدعوة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٢٦)

الآية ٧٣: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾

من كان أعمى في هذا العالم سيكون أعمى في العالم الثاني أيضا بل أسوأ من العميان أيضا. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٨٩، الحاشية رقم ٥)

أي من بقي أعمى في هذه الدنيا وما نال البصيرة في علم الله، سيكون أعمى في العالم الآخر أيضا بل أسوأ مما كان عليه في الدنيا أيضا. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٠١-٥٠٢)

المراد هنا... هو العمى الروحاني. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية المجلد ٣ ص ٣٦٩) يقول (باوا نانك) في بيت شعره ما تعريبه: "إن الذين ينظرون إلى الله في هذا العالم سينظرون إليه ﷻ في ذلك العالم أيضا، أما الذين لا يتمتعون بذلك فيبقون محرومين من رؤية الله في كلا العالمين." وهذا البيت أيضا ترجمة للآية القرآنية: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ١٢٧)

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾. أي أن الأبرار الذين يحبون الله لفي نعيم في الآخرة، ينظرون إلى الله، من حظي بقاء الله في هذا العالم سيحظى به في الآخرة أيضا. أما الذي لا يراه هنا في هذا العالم فسيكون محروما من العز والمرتبة في العالم الآخر أيضا. (القول الحق، الخزان الروحانية المجلد ١٠، ص ٢٢٤)

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ في ذلك إشارة إلى أن الصالحين يتشرفون في هذه الدار برؤية الله، وأنهم في هذا العالم يحظون بقاء محبوبهم الذي ضحوا لوجهه الكريم بكل شيء.

فالمراد من الآية أن الحياة الفردوسية إنما يوضع أساسها في هذا العالم نفسه، كما أن أصل العماية الجهنمية إنما هو العيشة النجسة العمياء في نفس هذا العالم. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٨٩-٣٨٠)

معنى الآية أن العماية الروحانية التي يصاب بها أحد في الدنيا تكون محسوسة مشهودة في عالم المعاد. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠ ص ٤٠٩) فالذي حُرِمَ من رؤية الله في هذا العالم سيسقط يوم القيامة أيضا في الظلام. (كتاب البراءة، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٦٥)

مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا، بل أسوأ حالا من العميان. أي أن العيون للنظر إلى الله ﷻ وكذلك الجوارح لمعرفة ﷻ تُنال في هذا العالم نفسه. فالذي لم يُفْزَ بها في هذا العالم فلن يفوز بها في ذلك العالم أيضا، فالصادقون الذين سوف ينظرون إلى الله يوم القيامة يأخذون تلك الحواس من هذا العالم، أما الذي لم يسمع صوت الله في هذا العالم فلن يسمعه في ذلك العالم أيضا. إن معرفة الله حقا، والتمكن من عرفان ذاته وصفاته في هذا العالم على وجه حقيقي وصحيح هو منبع النور كله. (كتاب البراءة، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٨٠)

تعرفون أنكم حين تفتحون النافذة تجاه الشمس فإن أشعة الشمس تدخل من خلالها، كذلك حين يستقيم الإنسان إلى الله ﷻ ولا يبقى بينهما أي حجاب فعندئذ تنزل عليه فجأة شعلة نورانية لتنوره، وتغسل جميع أقداره وأدراجه الداخلية، فينقلب إنسانا جديدا، ويظهر فيه تغيير عظيم، وعندئذ يقال إن هذا الرجل نال الحياة الطاهرة.

وإن مكان الحصول على هذه الحياة الطاهرة هي الدنيا كما يشير الله جلّ شأنه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي مَنْ كان أعمى في هذه الدنيا وحُرْم من نور لرؤية الله فسيكون أعمى في الآخرة أيضا. باختصار؛ إن الإنسان يأخذ معه الحواس لرؤية الله— في الآخرة— من هذه الدنيا، وإن الذي لم يكسب هذه الحواس وكان إيمانه مبنيًا على القصص والأساطير فحسب، فسوف يقع في الظلام الدائم. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزان الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٤٥)

هنا ينشأ بطبيعة الحال سؤال: لما كانت النجاة مستحيلة دون الوصول إلى درجة حق اليقين كما يقول الله تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ فكيف يمكن إذاً نوال النجاة من دون اليقين الكامل؟ وإذا كان اتباع دين ما لا يؤدي إلى النجاة فما الفائدة منه أصلا؟ ففي زمن الصحابة رضي الله عنهم كانت ينابيع اليقين دفاقة وكانوا يرون آيات الله بأم أعينهم، وبواسطة تلك الآيات نالوا اليقين بكلام الله فصارت حياتهم مطهرة تماما. ثم ولّى هذا الزمن ومضى عليه مئات السنين، ولم يبق في أيدي المسلمين وسيلة لنوال اليقين. صحيح أن القرآن الكريم كان موجودا عندهم، وهو كسيف ذي حدين، حدّ يقطع كدر المؤمنين الداخلي وحدّ آخر يقضي على الأعداء. ومع ذلك كان ذلك السيف بحاجة لأن يكون في يد بطل شجاع لقوله تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (الجمعة: ٣) فلم يذكر الله تعالى التزكية الحاصلة بواسطة القرآن منفصلة بل ذكرها

مقرونة بصفات النبي. لذا لم ينزل كلام الله من السماء وحده قط، بل جاء معه دائماً، لاستخدام هذا السيف، بطل يُحسن استخدامه. إذن، فكانت هناك دائماً حاجة إلى يد بطل لخلق اليقين الصادق والحي بالقرآن الكريم ولإظهار ميزاته وإتمام الحاجة به، وكانت هذه الحاجة على أشدها في الزمن الأخير، لأن هذا الزمن زمن الدجال، وهناك حرب دائرة بين الأرض والسماء. فلما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ وجب على كل طالب حق أن يبحث عن نور عينيه في هذه الدنيا ويبحث عن دين توجد فيه أنوار الإله الحي بصورة بارزة. إنه لدينٌ مَيِّتٌ ذلك الذي لا تستمر فيه سلسلة الوحي؛ لأنه يسد الطريق إلى اليقين في وجه الناس، ويتركهم يتيهون في متاهات القصص والحكايات، ويجعلهم يقنطون من الله، ويتركهم في الظلمات يعمهون. وأنى لدين أن يهدي إلى الله، وكيف يمكنه أن يخلص من الذنوب ما لم يملك وسيلة اليقين؟ وكيف يمكن طلوع النهار ما لم تطلع الشمس؟ فالدين الحق في الدنيا هو ذلك الذي يستطيع أن يهدي أتباعه إلى صراط اليقين بالآيات الحية. أما الآخرون فهم واقعون في جهنم في هذه الدنيا. قولوا بالله عليكم، هل الظن شيء يستحق الاعتداد به؟ والظن بتعبير آخر هو ألا يكون صاحبه متأكداً من صحة شيء أو عدم صحته.

اعلموا يقينا أن التخلص من الذنوب مستحيل دون اليقين، كما أن حياة كحياة الملائكة ليست ممكنة سوى باليقين. وإن التخلي عن مغريات الدنيا الزائفة لا يمكن دون اليقين أبداً. وإن إحداث التغيير الحسن في النفس والانجذاب إلى الله تعالى يجذب خارق للعادة مستحيل من دون اليقين. إن هجر الأرض والصعود إلى السماء لا يمكن إلا باليقين. وإن خشية الله الكاملة لا تتأتى بغير اليقين أبداً. كذلك السلوك على سبيل التقوى الدقيقة وتطهير الأعمال من شوائب الرياء مستحيل من دون اليقين. كذلك إن لعن ثروات الدنيا ومغرياتها، والاستغناء عن قرب الملوك، واعتبار الله هو الكنز الوحيد مستحيل من دون اليقين.

والآن قولوا بالله، يا مَنْ تسمّون أنفسكم مسلمين: كيف يمكنكم الخروج من ظلمات الشك إلى نور اليقين؟ إن وسيلة اليقين هو كلام الله الذي: ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٨). فما دام قد مضى على عهد النبوة ١٣٠٠ عام، ولم تجدوا زمناً كان فيه القرآن الكريم ينزل بمئات الأنوار الساطعة، بل وجدتم زمناً يوجّه فيه المسيحيون والملحدون والآريون وغيرهم إلى كتاب الله ورسوله ودينه آلاف الاعتراضات، وليس في يديكم دليل سوى بضعة أوراق مكتوبة لا تدركون قوتها الإعجازية. أما المعجزات التي تقدمونها فليست إلا قصصاً، فأخبروني كيف يمكنكم الوصول إلى منارة اليقين العليا؟ وبأي طريقة يمكنكم أن تؤكّدوا للعدو أنكم تملكون اليقين بالله واجتناب الذنب ما لا يملكه العدو حتى يدخل دينكم بمقتضى عدله؟ ماذا يفيد عاقلاً أن يترك روثاً ويأكل روثاً آخر؟ إن كل ذي قلب سليم لديه استعداد لاستقبال الصدق والحق، ولكن بشرط أن يثبت الصدق نوره. إنّ الإسلام الذي يقدمه اليوم المشايخ المعارضون لنا وأشباعهم أمام أتباع الأديان الأخرى إنما هو قشر وما هو بلب، وخيال ما هو بحقيقة. فأنتي لأحد أن يقبله؟ إذا وجد الإنسان الممرض نفسه - الذي غير دينه للتخلص منه - في الدين الآخر أيضاً فماذا استفاد من هذا التغيير؟ إن البراهمة أيضاً يدعون أنهم يعتقدون بوحداية الله، غير أن القائل بوحداية الله حقا هو ذلك الذي فُتحت عيون يقينه. ولا يجتنب الإثم إلا الذي يرى الله تعالى بعين اليقين. وما دون ذلك فكله قصص زائفة. وكذلك الكفارة باطلة بكل أنواعها. فذلك الإله الحي يقدم نفسه في هذا الزمن الأخير ليؤمن به الناس ولا يهلكوا. لا شك أن القرآن الكريم كلام الله، بل هو الكلام الأعظم على الإطلاق، ولكنه بعيد عنكم كل البعد فلا تراه عيونكم، وهو في أيديكم الآن كالتوراة في أيدي اليهود. فلو عدلتهم لشهدتم أنه لذلك السبب صارت الأنوار اليقينية لهذا الكلام الطاهر خافية عن أعينكم فلا تستطيعون الاستفادة من قدسيته الباطنية. وإذا كانت شهادة الأحداث الخارجية شيئاً يعتدّ به فلکم أن تشهدوا بالعدل على حالتكم

المعاصرة؛ قولوا صدقا وحقا هل تخافون الذنوب وكافة التصرفات التي تتنافى مع التقوى خوف المرء تناول السمّ القاتل؟ قولوا صدقا، هل أنتم ثابتون على التقوى التي أكد القرآن على التمسك بها؟ ثم قولوا مراعين مقتضى الصدق؛ هل توجد فيكم آثار اليقين التي تظهر بعد نشوء اليقين الصادق؟ لا تكذبوا بل اصدّقوا القول، هل تحبون الله كما هو حقّه؟ وهل يوجد فيكم ذلك الصدق والثبات الذي يجب إظهاره في سبيله؟ قولوا حالفين بالله وَعَلَيْكُمْ: هل تركتم هذه الدنيا الميته بكل معنى الكلمة وكما يجب؟ وهل تفرون إلى الله تعالى بالإخلاص والتوحيد والتفريد نفسه الذي يجب الفرار به إليه؟ لا تلجأوا إلى الرياء في الكلام ولا تسعوا لإرضاء الناس بالتباهي والتبجح، لأن الله الذي يرى كل أفعالكم وأقوالكم موجود حقاً. ضَعُوا في البال عند الكلام ذلك القادر الذي غضبه نارٌ أكوّل، وهو قادر على أن يجعل التبجح الفارغ حطب جهنم في ملح البصر.

فقولوا صدقا: أليست أقدامكم متورطة في الدنيا وأطماعها ومتاعها وثرواتها أم لا؟ لو حظيتم باليقين بالله تعالى لما تناولتم هذا السمّ قط. كادت الدنيا تموت بهذا السمّ لو لم يؤسس الله تعالى هذه الجماعة السماوية بيده. ولو قُلتُم بشطارة وتجاسر بأننا لسنا إلا كما قيل، ولا توجد فينا ظلمة الإثم، وإنا مجذبون بقوة اليقين، لكذبتم واتهمتم خالق السماء والأرض، وإن لعنة الله ستفضحكم قبل أن تموتوا. إن اليقين يأتي بأنواره. لا يصل أحد إلى السماء إلا الذي يأتي منها. لو علمتم أن كلام الله القطعي واليقيني هو علاج أسقامكم، لما رفضتم من جاءكم على رأس القرن تماما. أيها الغافلون، لا يصعد إلى السماء عمل دون اليقين، ولا يزول الكدر الباطني ولا أمراض القلب الفتاكة دونه. الإسلام الذي تعتزون به ما هو إلا تقليد الإسلام وليس حقيقته. إن الإسلام الحقيقي يغيّر الهوية تماما، إذ ينشأ في القلب نورٌ وتموت الحياة السفلية وتتولد حياة جديدة لا تدركونها. كل ذلك يتلو اليقين الذي يتأتى بعد الكلام النازل من السماء. إن الله تعالى يُعرف بواسطته هو ولا يُعرف بأية وسيلة

أخرى. من منكم لا يعرف من يتحدثُ إليه؟ كذلك في حالة المكالمات الإلهية تزداد المعرفة الإلهية باستمرار. إن دعاء العبد، واستجابة الله تعالى لدعائه باللطف والرحمة - ليس مرة واحدة بل عشرين أو ثلاثين أو خمسين مرة أحيانا، أو على مدار الليل أو النهار، بكلام فصيح بليغ، وذلك في بعض الأحيان بلغات مختلفة، وأحيانا أخرى بلغاتٍ لا يكون العبد ملماً بها - ثم نزول الآيات معها كالمطر، وسلسلة من المعجزات والتأييدات، فهل بعد كل ذلك وبعد هذا القدر من المكالمات والمخاطبات والآيات البينات يمكن الشك في كون هذا الكلام كلام الله؟ كلا، ثم كلا، بل إنه لأمرٌ يرى به العبدُ ربه في هذا العالم، فيصبح له كِلا العالمين سواسية دون تفاوت بينهما. وكما يزول الشَّعر دفعة واحدة باستخدام الثَّورة.. كذلك يزول شعر الحياة الوحشية التي يراد بها الجرائم والمعاصي بنزول هذا النور بجلال، فيتبرأ الإنسان من الأموات ويعشق الإله الحي الذي لا تعرفه الدنيا. وكما لا تصبرون على ترك الأشياء الدنيوية كذلك لا يقدر هذا العبد على الابتعاد عنه وَبِحَمْدِهِ.

باختصار، فإن مفتاح كل البركات واليقين هو ذلك الكلام القطعي واليقيني الذي ينزل على العبد من الله تعالى. عندما يريد الله تعالى أن يجذب عبداً إليه، ينزل عليه كلامه ويشرفه بمكالماته ويطمئنه بآياته الخارقة، ويثبت له من كل الجوانب والنواحي أن هذا الكلام هو كلام الله. عندها يقوم الكلام مقام الرؤية، ويدرك الإنسان أن الله موجود لأنه يسمع صوت "أنا الموجود". أما إذا كان الإنسان مؤمناً بالله تعالى قبل كلامه، فيكون إيمانه مقصوراً على أنه يظن - بالنظر في المخلوقات - أنه يجب أن يكون لهذا التركيب المحكم البليغ خالقٌ. أما درجة اليقين بأن ذلك الخالق موجود فعلاً فلا تُنال أبداً إلا بالمكالمات الإلهية، ولا تفنى بدونها الحياة النجسة التي تجر المرء إلى تحت الثرى في كل لحظة. من هنا يثبت بطلان أفكار المسيحيين أيضاً لأنهم يعتقدون أن انتحار ابن مريم قد نجَّاهم، مع أنهم يعرفون أنهم واقعون في جهنم ضيقة ومظلمة، وهي جهنم الحجب والشكوك

والشبهات والذنوب. فأين النجاة إذن؟ إن ينبوع النجاة ينبع من اليقين. والنعمة العظمى هي أن يوهب المرء يقينا أن إلهه موجود في الحقيقة، ولا يترك المجرم والمتنمر دون عقاب، ويتوب على من يتوب. هذا اليقين هو علاج الذنوب كلها. وما عدا ذلك، لا كفارة في الدنيا ولا دم يمكن أن يخلص من الذنب. ألا ترون أن اليقين هو الذي يمنعكم من المنهي عنه في كل خطوة؟ لا يمكنكم أن تضعوا أيديكم في النار لأنكم تعرفون أنها ستحرقكم. ولن تفقوا أمام الأسد ليقينكم أنه سيفترسكم. لا تأكلون السم لأنكم واثقون من أنه سيهلككم. فأني شك في أنه قد ثبت لكم من خلال تجارب لا تُحصى أنكم عندما توقنون أن تصرفا أو فعلا وعملا سيؤدي بكم إلى الهلاك فإنكم حتما تمتنعون عنه على الفور، ولا يصدر منكم ذلك الذنب مرة أخرى. فلماذا لا تستخدمون هذه الفلسفة الثابتة والمتحققة فيما يتعلق بالله تعالى؟ ألم تشهد التجربة إلى الآن أن الإنسان لا يمكن أن يمتنع عن الذنب إلا نتيجة اليقين؟ لا يمكن لشاة أن ترعى في مرعى تعرف أن فيه أسدا. إذن، فإن اليقين يؤثر حتى في دواب لا تعقل، وأنتم بشر، فلو كان قلبٌ يكن في شغافه يقينا بوجود الله وهيبته وعظمته وجبروته لخلصه من الذنوب حتما، وإلا فلا يقين له. هل اليقين بالله تعالى أضعف من اليقين بوجود الأسد أو الحية أو السم. فالذنوب الذي يُعَد الإنسان عن الله تعالى ويخلق حياة جهنمية إنما سببه الحقيقي عدم اليقين. بأي دَفٍّ أعلن أن اليقين هو الذي يخلص من الذنب. إن النجاة من المشيخة الزائفة هو من شأن اليقين وحده. واليقين هو الذي يُري وجه الله. إن الدين الذي لا يستطيع أن يوصل إلى ينبوع اليقين ليس بشيء بل هو دنسٌ وميتٌ ونجسٌ وجهنمي بل هو جهنم بعينها. إن ينبوع الحياة يتدفق من أصل اليقين. واليقين بمنزلة الأجنحة التي ترفرف بصاحبها في جو السماء. فاسعوا إلى أن تروا الله الذي إليه ترجعون. إنه هو اليقين الذي يوصلكم إلى الله. ما أكبر سرعته! لا يضاهيه سرعة ضوء يأتي من الشمس وينتشر في الأرض.

فيا أيها الباحثون عن الطهارة، إذا أردتم أن تمشوا على الأرض طاهري القلوب وتصافحكم الملائكة فابحثوا عن سبل اليقين. وإذا كنتم لا تستطيعون الوصول إلى تلك الغاية، فامسكوا بذيل الذي رأى إلهه تعالى بعين اليقين. ولكن كيف يمكن رؤية الله بعين اليقين؟ أقول في الجواب - سواء أأصغى إليَّ أحد أم لا - إن وسيلتها الوحيدة هي كلامُ الله الحي الذي توجد فيه ومعه الآيات الحية، وحين ينزل من السماء يبعث الأموات من القبور. فكما أنكم محتاجون إلى الشمس لتروا، مع كون عيونكم باصرة. كذلك إن بصيرة معرفة الله تعالى لا تتأتى بمحض تخمين الإنسان وتخريصه، بل هي أيضا بحاجة إلى شمس، وإن تلك الشمس - أي كلام الله - أيضا تلقي بضوئها من السماء إلى الأرض. لا تكتمل معرفة دون كلام الله ﷻ. إن كلام الله دَلَالَةٌ بين الله وعبدته، فينزل ويصحبه نور من الله. والذي ينزل عليه الكلام بكل شوكته وبعظمة الله وقدرته وتجليه المكشوف، يأخذه إلى السماء. باختصار، لا سبيل للوصول إلى الله تعالى سوى كلامه ﷻ. (نزل المسيح الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٦٨-٤٧٥)

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾. فيمكن أن يعترض معترض مثله الذي لا يدرك منطوق كلام الله ويقول، انظروا! يقول دين المسلمين إن العميان لن ينالوا النجاة، فما ذنب الأعمى المسكين؟ ولكن الذي يقرأ القرآن الكريم بالإمعان متخليا عن العناد سيُدرك أنه ليس المراد من العميان هنا عميان الأعين بل المراد هم عميان القلوب. والمراد هو أن الذين لا يستطيعون أن يروا الله تعالى في هذه الدنيا لن يروه ﷻ في الآخرة أيضا. كذلك هناك مئات المجازات والاستعارات في كلام الله، والمدفوع بثورة النفس سوف يجعلها كلها عرضة للاعتراض.

أقول حلفا بالله بأن الحق هو أنه يجب تنزيه القلب أولا من ثورة النفس لفهم كلام الله، عندها فقط سينزل عليه النور من الله، وبدون النور الباطني لا تُرى الحقيقة الأصلية. (ديانة سناتن، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٧٣)

أي الذي لم يره في هذا العالم لن يراه في ذلك العالم أيضا، وسيكون أعمى في كلا العالمين. الأعين لرؤيته ﷺ تُنال في هذا العالم، وحياة الجنة تبدأ من هذا العالم نفسه. (نسيم الدعوة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٤٥٠)

أي من كان في هذه الدنيا أعمى ومحروما من رؤية الله تعالى - الذي ليس كمثله شيء - فسيكون أعمى بعد الموت أيضا ولن تفارقه الظلمة؛ لأن الإنسان يُعطى لرؤية الله حواسَّ في هذه الدنيا، والذي لن يذهب من هذه الدنيا بتلك الحواس لن يرى الله في الآخرة أيضا. ولقد بيّن الله تعالى في هذه الآية بكل وضوح أي نوع من التقدم والرقي يريده من الإنسان، وأيّة مدارج يمكن للإنسان نيلها نتيجة تعليمه. (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٥٣-١٥٤)

لا أستطيع أن أفهم قط أن يؤمن الإنسان بالله تعالى ويؤمن به واحدا لا شريك له فينقذه الله من النار ولا ينقذه من العمّة، في حين أن أساس النجاة هي المعرفة كما يقول تعالى: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ صحيح تماما أن الذي لم يعرف رسل الله لم يعرف الله. إن مرآة وجه الله تعالى هم رسله. وكلُّ من يرى الله تعالى فإنما يراه من خلال هذه المرآة. فأي نوع من النجاة هذه أن يكذب المرء النبي ﷺ وينكره طول حياته، وينكر القرآن الكريم أيضا فلا يرزقه الله عيونا ولا قلبا بل يبقى أعمى ويموت أعمى، ومع ذلك يجوز على النجاة؟ إن هذه النجاة لغريبة حقا. ونرى أيضا أن الله تعالى إذا أراد بأحد رحمةً رزقه عيونا أولا ووهب له من لدنه علما. هناك مئات من الناس دخلوا جماعتنا عن طريق الرؤى أو الإلهام فقط. إن الله واسع الرحمة فمن يخطو إليه خطوة واحدة يخطو الله إليه خطوتين، ومن يأتيه مشيا يأتي الله إليه هرولة، ويصير عيون العميان. فكيف نقبل إذن أن يؤمن أحد به ﷺ ويؤمن به واحدا لا شريك له بصدق القلب وبجبه ويدخل في أوليائه ومع ذلك يتركه الله أعمى، فيبقى أعمى فلا يقدر على معرفة نبي الله. وهذا ما يؤيده الحديث: من

مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة الجاهلية، أي حُرِمَ من الصراط المستقيم.
(حقيقة الوحي، الخزان الروحانية المجلد ٢٢، ص ١٥١)

تعني هذه الآية أن الذي لم يحظ برؤية الله في هذه الدنيا لن يحظى بها في الآخرة أيضاً، ولا تعني أن الذين كانوا عمياناً ظاهرياً في هذه الدنيا سيكونون عمياناً في الآخرة أيضاً. فهذه استعارة بحيث أُطلق "أعمى" على الجاهل. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ١٦١ الحاشية)

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾. هذه أيضاً نبوءة ولكنها لا تعني كما يُفهم من ظاهر الكلمات. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس الخزان الروحانية المجلد ٢١ ص ٢٥٥)

على المرء أن يتمنى أن يكون من الحائزين على الرقي والبصيرة، كيلا يرحل من هذه الدنيا أعمى عديم البصيرة، فقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧ م ص ٣٩)

إن الإنسان لن يرى وجه الله أبداً ما لم يحرز النور الكامل في هذه الدنيا نفسها.
(تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧ م ص ٤٤)

إن كمال المؤمن ومعاجزه هو الوصول إلى مرتبة العلماء وبلوغ مقام حق اليقين الذي هو درجة العلم النهائية. ولكن الذين ليسوا محظوظين بالعلوم الحقة ولم تُفتح لهم سبل المعرفة والبصيرة محرومون تماماً من ميزات العلم الحقيقي وصفاته، وإن سمّوا أنفسهم علماء. لا يوجد فيهم الضياء والنور الذي يُنال بالعلم الحقيقي، بل هم في خسران تام، ويملأون عاقبتهم بالدخان والظلام، وفي مثل هؤلاء قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ أي أن الذي هو أعمى في هذه الدنيا سيحشر في الآخرة أيضاً أعمى، بمعنى أن الذي لم يوهب علم البصيرة والمعرفة في هذه الدنيا أنى له أن يجدها هنالك؟ فلا بد للإنسان من أن يأخذ معه من هذه الدنيا العينَ القادرة على رؤية الله تعالى، أما الذي لا تتيسر له هذه العين في هذه

الدنيا فلا يأمل أن يرى الله تعالى في الآخرة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٠، عدد ٢٤/٣/١٩٠٥م، ص ٥)

إن الذي لا يجد شيئاً في هذا العالم ثم يتوقع الجنة فهو يعقد آمالاً باطلة، بل هو مصداق: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/١٩٠٢م، ص ٩)

.... يتبين من هنا بكلّ جلاء أن الإنسان يأخذ معه من هذه الدنيا العيونَ لرؤية الله والحواسَّ لمعرفته تعالى. والذي لا يجد هذه الحواس في هذه الدنيا لن يجدها في الآخرة أيضاً. هذا سر عميق لا يفهمه عامة الناس. إن لم يكن هذا هو معنى الآية، فمن الخطأ تماماً أن يبقى العميان عمياناً في الآخرة أيضاً. الحق أن الحصول على معرفة الله ومعرفة صفاته وأسمائه بصورة صحيحة من دون خطأ في هذا العالم هو مفتاح جميع أنواع السعادة والأنوار في المستقبل. وهذه الآية تشير بجلاء إلى أننا نأخذ العذاب معنا من هذا العالم، وأن حياة هذا العالم العمياء والأعمال السيئة هي نفسها التي ستظهر في العالم الآخر بصورة عذاب جهنم، ولن تكون شيئاً جديداً. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٢م، ص ٤)

..... المقصود من قول الله هذا أن علينا أن نأخذ من هذا العالم عيوناً لمشاهدة عالم الآخرة. الحواس التي تصلح لاستيعاب ذلك العالم سيتم إعدادها في هذه الدنيا نفسها، إذ كيف يصح أن يعدنا الله وعداً ثم لا يفي به؟

والمراد من الأعمى هنا مَنْ لا حظَّ له من المعارف الروحية واللذات الروحانية. يولد المرء في بيت مسلم فيسمى مسلماً نتيجة تقليده الأعمى لأهله، ويولد غيره في بيت مسيحي فيصير مسيحياً، ومن أجل ذلك لا يكتف هذا المسلم أيَّ احترام لله ولا لرسوله ولا للقرآن الكريم، بل إن حبه للدين أيضاً أمرٌ مشكوك فيه، إذ يتردد إلى قوم يسيئون إلى الله ورسوله، وليس سببه إلا أنه لا يملك عيوناً روحانية، ولا حباً للدين، وإلا فمتى يرضى المحبّ بشيء لا يحبّه حبيبته؟ (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٢، عدد ١٧/٦/١٩٠٣م، ص ٦)

من كان محروما من رؤية الله في هذه الدنيا سيكون محروما يوم القيامة أيضا، كما قال الله تعالى بنفسه: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ ليس المراد من ذلك أن العميان في هذه الدنيا سيكونون عميانا في الآخرة أيضا. بل معناه أن قلوب الباحثين عن الله تُثَوِّرُ بالآيات بحيث إنهم يرون الله ويشاهدون عظمتهم وجبروتهم، حتى تفقد كلُّ عظمة دنيوية أهميتها في نظرهم. ومن لم يجد عينين قادرتين على رؤية الله، ولم يكن له نصيب من الحواس لمعرفة في هذا العالم، فلن يقدر على رؤيته في العالم الآخر أيضا. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٤٤، عدد ٣٠/١١/١٩٠١م، ص ١٢) و(الحكم، مجلد ٥، رقم ٤٥، عدد ١٠/١٢/١٩٠١م، ص ١)

إن آثار الذنوب أي الظلمة والظلام تبدأ من هذه الدنيا، كما يقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾. (الحكم، مجلد ٢، رقم ٢٤-٢٥، عدد ٢٠-٢٧/٨/١٨٩٨م، ص ١١)

إن لم يكمل المرء معرفته في هذه الدنيا فأي دليل عنده أن يكملها في الآخرة. ففي هذه الحالة لا يصح إلا ما نستدل به: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾. (بدر، مجلد ١، رقم ٥-٦، عدد ١١/٢٨-١٢/٥-١٩٠٢م، ص ٣٦)

إن عالم الآخرة صورة منعكسة للعالم الدنيوي في الحقيقة، وإن ما يظهر في الدنيا من الإيمان ونتائجه ومن الكفر ونتائجه بصورة روحانية، سوف يتمثل في عالم الآخرة بأشكال جسمانية. يقول الله جلَّ شأنه: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٢، عدد ١٧/٦/١٩٠٣م، ص ١)

... المراد من ذلك أن الإنسان يُعطى في هذه الدنيا حواسا وعيوناً لرؤية ملذات العالم الآخر ومن يُعطاهما في هذا العالم لن ينالها في ذلك العالم أيضا. إن هذا الأمر يوجه الإنسان إلى أن يسعى جاهدا في هذا العالم لنيل هذه العيون والحواس ليُحشَرَ في العالم الثاني بصيرا. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١١، عدد ٢٤/٣/١٩٠٢م، ص ٣)

اليقين بالله ثروة عظيمة، والذي لم ينل يقينا كاملا بالله في هذه الدنيا هو الأعمى الحقيقي. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٨، عدد ٢٤٤/١٠/١٩٠٢م، ص ٦)

ليس معناه أن كل أعمى وضير سيُحشر أعمى وضيرا يوم القيامة أيضا بل المراد هو عمى المعرفة والبصيرة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٤، عدد ٣١١/١/١٩٠٣م، ص ٣)

يتبين من: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ أن وعد الرؤية موجود هنا أيضًا، لكننا لا نستطيع حملها على الماديات. (بدر، مجلد ٢، رقم ٥، عدد ٢٠/٢/١٩٠٣م، ص ٣٨)

لقد أودع الله النفس الإنسانية ظمأ المعرفة، وقال بنفسه من ناحية: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ ومن ناحية أخرى أغلق باب المكاملة. فكأنه أراد أن يُيقية أعمى عن عمد. فما معنى إذن: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠)؟ (بدر، مجلد ٢، رقم ١٣، عدد ١٧٤/٤/١٩٠٣م، ص ٩٩)

إن دليل النجاة هو أن ينال الإنسان حياة الجنة في هذه الدنيا. ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٩، عدد ٧٨/٨/١٩٠٣م، ص ٢٢٧)

لا يُنال شيء دون الفضل الإلهي. فالذي نال الفضل في هذه الدنيا هو الذي سيناله في الآخرة أيضا، كما قال الله ﷻ ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ ولذلك من الضروري أن يسعى الإنسان للحصول على هذه الحواس التي ينال بها الحياة الفردوسية في هذا العالم بالذات، وتلك الحواس لا تنال إلا بالتقوى. لا يستطيع الإنسان أن يرى الله بهذه العيون المادية لكنه يستطيع أن يراه بعيون التقوى. فإذا تحلى بالتقوى فسوف يشعر أنه يرى الله وسوف يأتي يومٌ يقول فيه بنفسه إني قد رأيت الله. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤٣، عدد ١٦/١١/١٩٠٣م، ص ٣٣٤)

إن علاقة العبودية مع الربوبية عميقة جدا ومملوءة بأنوار يستحيل تفصيلها، وما لم تتيسر تلك العلاقة للإنسان فهو كالبهائم. ولو شعر بتلك المتعة، ولو بضع مرات فقط، لنال حظًا من ذلك النور. ومن لم يشعر بها ولو بضع مرات فهو أعمى، كما

قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٠، عدد ٨/٣/١٩٠٤م، ص ٧)

صحيح تماما أن الأعمى الذي ليس لديه نور ليس له أن يدعي أنه يملكه ويقدر على توزيعه؛ يقول الله تعالى ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، الأنبياء يكونون حائزين على البصيرة، فالذين يقولون بأنه لن يُعطى أحد تلك البصيرة فكأنهم يغادرون هذه الدنيا عميانا بأنفسهم. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٨-٣٩، عدد ١٠-١٧/١١/١٩٠٤م، ص ٧)

يتبين من ذلك بكل صراحة أن الإنسان يأخذ الحواس للعالم الآخر من هذا العالم. من هذا العالم يأخذ البصارة لرؤية الأشياء والعجائب في ذلك العالم. ومن هنا يأخذ معه أدُنًا تسمع. والذي لا يرى في هذا العالم أمورًا تتعلق بذلك العالم ولا يسمعها لن يقدر على رؤيتها في ذلك العالم أيضا. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٩، عدد ١٧/٨/١٩٠٥م، ص ٥)

إن ملخص تعليم القرآن ومغزاه هو أن يستولي حب الله تعالى لدرجة أن يحترق بسببه كل ما سوى الله. بهذه الطريقة تحترق الذنوب، وهذه الوصفة تهب المرء في هذه الدنيا حواسً وبصيرة ينال بها في هذا العالم بركات العالم الثاني وفيوضه، ويرتحل من هذا العالم بالمعرفة والبصيرة. الناس مثلهم بعيدون عن فئة: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥م، ص ٨)

هذا لا يعني أن العميان في هذه الدنيا سيكونون عميانا في الآخرة أيضا. كلا، بل المراد هو أن على المرء أن يصطحب الحواس والعيون لرؤية الله من هذا العالم. والحصول على تلك العيون يقتضي التبتل وتركية النفس وأن تقدّموا الله على كل شيء، وتروا بواسطته تعالى وتسمعوا وتتكلموا بواسطته، هذا هو مقام الفناء في الله. ولا نجاة ما لم تتحقق هذه الدرجة وهذا المقام. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥م، ص ١٠)

إذا استيقن المرء أن المكاملة الإلهية مستحيلة تماماً والخوارق لا تُعطى الآن لكانت المجاهدة والدعاء لهذا الغرض لغوا وعبثاً بحتاً ولن يتشجع عليهما أحد. وسينطبق، والعياذ بالله، على هذه الأمة: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ وبذلك يُعلم كيف ستكون العاقبة، لأنها مما لا شك فيه أن هذه الحياة جهنمية وفي هذه الحالة ستكون جهنم في الآخرة أيضاً ويُعدّ الإسلام ديناً كاذباً، وكأن الله خدع هذه الأمة، والعياذ بالله، إذ لم يعطها شيئاً مع جعلها خير أمة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٨، عدد ٣١/١٠/١٩٠٥ م، ص ٦)

المراد من العمى هنا هو عدم تمكّن الإنسان في هذا العالم من مشاهدة تجلي الله تعالى والأمور التي هي في الغيب. وإن جزءاً من هذا العمى يوجد في المؤمن بالغيب، ولكن الذي ينال الهداية بحسب "هدى للمتقين" يزول عماه تماماً ويتقدم من تلك الحالة. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٦ م، ص ٥)

الآية في الظاهر تعني أن الذين هم عميان في هذه الدنيا سيبقون عمياناً في الآخرة أيضاً. لكن مَنْ يمكن أن يقبل هذا المعنى، إذ قد ورد في موضع آخر بصراحة: سواء أكان أحد بصيراً أو أعمى، إذا رحل من هذا العالم مؤمناً وأخذ معه أعمالاً صالحة فسوف يكون بصيراً. أما الذي يبقى في هذا العالم محروماً من نور الإيمان ولن ينال معرفة الله فسيبقى في الآخرة أيضاً أعمى. لأن هذه الدنيا مزرعة الآخرة، فسوف يجني المرء هناك ما كان قد زرعه هنا، فمن أخذ البصارة من هنا فهو حصراً يكون بصيراً. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١، عدد ٢/١/١٩٠٨ م، ص ٦)

﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾. أي أن الحواس لرؤية الله وأسباب النجاة الأبدية يأخذها الإنسان معه من هذه الدنيا. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٤١٦)

الآية ٧٦: ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾

لو افترى علينا هذا النبي (ﷺ)، لأذقناك عذابا ضعفا بالحياة والممات، والمراد من ذلك لأهلكناه بعذاب شديد. (أربعين، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٤٣٠، الحاشية)

الآية ٧٩: ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾

ما هي الصلاة؟ إنها لدعاء يُدعى بالتضرع وبالتسبيح والتحميد والتقديس والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ. فإذا صليتم فلا تتقيدوا كالعافلين في دعواتكم بالكلمات العربية فقط، فإن صلاتهم واستغفارهم كله مجرد عادة وطقوس خالية من لب الحقيقة. أما أنتم فحينما تقومون للصلاة، فإضافةً إلى أدعية القرآن الذي هو كلام الله والأدعية الماثورة التي هي كلام الرسول ﷺ، عليكم أن تدعو دعواتكم العامة الأخرى كلها بلسانكم الأم متضرعين، لكي يكون لهذا التضرع والخشوع وقع في قلوبكم. ما هي الصلوات الخمس؟ إن هي إلا صورة لأحوالكم المختلفة؛ إذ تلازم حياتكم تغيرات خمس تعتربكم وقت البلاء، ولا بد لفطرتكم منها.

١- الأول حين تتلقى خبراً بأنّ بلاءً قادم إليك؛ كأن تصدر ضدك من المحكمة مذكرةً بضرورة مثولك فيها. هذا هو التغير الأول الذي يكدر عليك صفو حياتك ويخلّ براحتك، وتُشبه هذه الحالة بساعة الزوال إذ بدأ بها زوال سعادتك، ومقابل هذه الحالة قد فرضت صلاة الظهر التي يبتدئ وقتها مع زوال الشمس.

٢- والتغير الثاني ينتابك حين تُدنى من مكان البلاء؛ كأن تمثّل أمام الحاكم معتقلاً بموجب المذكرة، وهو وقت يكاد يتجمد فيه دمك خوفاً ويذهب عنكم نور الطمأنينة، وتُشابه حالتك هذه وقتاً يتضاءل فيه ضوء الشمس ويمكن النظر

إليها، ويبدو بوضوح أن غروبها وشيك؛ ومقابل هذه الحالة الروحانية قد فُرضت صلاة العصر.

٣- والحالة الثالثة تعزيك حين ينقطع رجاؤك في نجاتك من تلك البليّة كليّة، كأن تجري مجريات المحكمة ضدك ويدلي الشهود بشهادتهم لدمارك، وهو الوقت الذي ينخلع فيه قلبك وتعتبر نفسك أسيرًا. وتشبه حالتك هذه غروب الشمس حين ينقطع الأمل من ضياء النهار، ومقابل هذه الحالة الروحانية قد فُرضت صلاة المغرب.

٤- والتغير الرابع يطرأ عليك حين يحقق بك البلاء فعلاً، ويحيط بك ظلامه المذهم، كأن يصدر الحُكم عليك بالعقاب، وتُسَلَّم إلى الشرطة للسجن، بعد استعراض الشهادات وإدانتك. وتشبه حالتك هذه حين يخيم الليل ويسود ظلامه الدامس؛ وإزاء هذه الحالة الروحانية قد فُرضت صلاة العشاء.

٥- ثم بعد مكوثك في ظلمة هذه المحنة برهة من الزمان، تهيج لك رحمة الله في النهاية وتنجليك من تلك الظلمة، تمامًا كما ينجلي الفجر أخيرًا بعد ظلمة الليل، ويُشرق ضوء النهار بلمعانه ثانية؛ ومقابل هذه الحالة الروحانية قد فُرضت صلاة الفجر.

فقد كتب الله عليكم الصلوات الخمس نظرًا إلى هذه الأحوال الخمس في تغييراتكم الفطرية. ويمكن أن تدركوا من ذلك أن هذه الصلوات إنما هي لفائدتكم. فإن كنتم تريدون أن تكونوا في مأمن من هذه البلايا، فلا تتركوا الصلوات الخمس، فإنها أظلالٌ لتطوراتكم الباطنة الروحانية. إن في الصلاة علاجًا للمحن الآتية. إنكم لا تدرون ما يجلب لكم اليوم الجديد من قضاء وقدر، فتضرّعوا أمام مولاكم قبل طلوع النهار أن يكون طلوعه خيرًا وبركة لكم. (سفينة نوح الخزائن الروحانية المجلد ١٩، ص ٦٨-٧٠)

واعلموا أيضًا أن هذه المواقيت الخمسة المحددة للصلاة ليست من قبيل الجبر أو الإكراه، بل لو تدبرتم فيها لوجدتم أنها في الواقع صورةٌ تعكس حالات الإنسان الروحانية. لقد قال الله تعالى: ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ (الإسراء: ٧٩). وترون

هنا أن الله تعالى قد ربط إقامة الصلاة بدلوك الشمس. ومع أن هناك اختلافا في معنى الدلوك، إلا أن الدلوك هو وقت زوال الشمس. فما السر والحكمة في أن الله تعالى فرض خمس صلوات بدءًا من الدلوك؟

اعلموا أن القانون الطبيعي يكشف لنا أن مراحل التذلل والتواضع الروحاني أيضا تبدأ من الدلوك نفسه، وأنها خمس حالات. فأول ميقات الصلاة أيضا يبدأ في وقت تأخذ فيه بوادر الهم والغم والحزن في الظهور. فكَم يتواضع المرء ويتذلل عند حلول آفة أو مصيبة! ويمكنكم تقدير الرقة والتواضع اللذين يستوليان على المرء حين يهزه الزلزال مثلاً. كذلك عندما يستلم المرء إخطاراً أو استدعاءً من المحكمة يعلم أن قضية رُفعت ضده بحسب القانون الجنائي أو المدني، وبعد قراءة هذا الإخطار تستولي عليه حالة كحالة زوال الشمس بعد نصف النهار، إذ لم يكن يعرف عن القضية المرفوعة ضده شيئاً قبل اطلاعه على الإخطار، ولكن بعد ذلك تحيط به الأفكار والهموم بأن الخصم ربما قد استعان بمحامٍ ولا يدري ماذا يحدث الآن؟ ولا جرم أن الزوال الذي يصيبه عند هجوم هذه الأفكار والهموم عليه يماثل الدلوك تماماً، وأن حالته الأولى هذه تشبه صلاة الظهر وتنعكس فيها. ثم تطرأ عليه حالة أخرى حين يكون ماثلاً في غرفة المحكمة ويواجه شتى الأسئلة والتهم من قبل الخصم والمحكمة أيضاً، فتكون حالة غريبة حقاً، وهذه الحالة أو هذا الوقت يماثل صلاة العصر، لأن معنى العصر دُق الشيء واعتصاره. ثم عندما يزداد وضع المرء سوءاً وخطورةً ويُدان، فيزداد يأساً وقنوطاً، حيث يفكر أنه سيُحكَم عليه بالعقاب الآن. وهذا الوقت يعكس صلاة المغرب. وحينما يصدر الحكم عليه ويُسلَّم إلى الشرطة أو مفتش المحكمة، فحالته تلك تعكس صلاة العشاء من الناحية الروحانية. إلى أن ينبلع الفجر ويأتي وقت يتحقق له فيه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٧)، وتشابه حالته تلك من حيث الروحانية وقت صلاة الفجر، وتكون صلاة الفجر انعكاساً لوقت ذلك الفرج. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٦٦-١٦٧)

الآية ٨٠: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾

ستوهب قريبا مقاما تُمَدح فيه كثيرا. أي مع أن الحمقى والأغبياء يستخدمون لسانا بذيثا لسوء طويتهم وسوء ظنهم ويتكلمون بكلام غير لائق ولكنهم يخجلون في نهاية المطاف نظرا إلى نصره الله وبسبب انكشاف الحق ستمدح من كل حذب وصوب. (مجموعة الإعلانات، مجلد ١، ص ١٣٧)

الوقت قريب حين أقيمك مقاما يمدحك العالم كله ويثني عليك. (دافع البلاء الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٢٢٨)

الآية ٨١: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾

أي أدع الله أن يظهر صدقك. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٥٩)
قل رب أدخلني يا ربي أرضا مقدسة. (دافع البلاء، الخزان الروحانية المجلد ١٨، ص ٢٤١)

الآية ٨٢: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

قد ورد في عدة آيات القرآن الكريم إشارة وتصريحا أن النبي ﷺ هو مظهر الألوهية الأتم، وأن كلامه ﷺ كلام الله وأن ظهوره ﷺ ظهور الله وأن مجيئه مجيء الله. ففي هذا الصدد هناك آية في القرآن الكريم: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، فالمراد من الحق هنا هو الله جل شأنه والقرآن الكريم والنبي ﷺ. والمراد من الباطل هو الشيطان وحزبه والتعاليم الشيطانية. فانظروا كيف جمع الله ﷻ اسم النبي ﷺ باسمه، وتحقق أن ظهور النبي ﷺ هو ظهور الله ﷻ، أي الظهور الجلاي الذي بسببه هرب الشيطان مع جميع جنوده وصارت تعاليمه حقيرة ومهينة، ومنى حزبه بهزيمة نكراء. ونظرا لهذه الجامعة التامة قد ورد مفصلا في سورة آل عمران أنه

قد أخذ الميثاق من جميع الأنبياء بأنه يجب عليهم أن يؤمنوا بعظمة خاتم الرسل محمد المصطفى ﷺ وجلالة شأنه، وينصروه بالروح والدم في نشر عظمته هذه وجلالة شأنه. ولذلك كل من خلا من الأنبياء والرسل من آدم صفى الله إلى حضرة المسيح كلمة الله قد ظلوا يُقرون بعظمة النبي ﷺ وجلالة شأنه. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ٢٧٧-٢٨٠، الحاشية)

...أتى للباطل أن يقوم أمام الحق؟ (فلسفة تعاليم الإسلام الخزان الروحانية المجلد ١٠، ص ٣٧٩)

.... كان لا بد للباطل أن يزهق يوما من الأيام. (ترياق القلوب الخزان الروحانية المجلد ١٥، ص ٢٦٦، الحاشية)

لقد خطر ببالي في أثناء التأمل في: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (الصف: ١٠)، أن الله تعالى أورد في هذه الآية كلمتين: "الهدى" و"الحق"، والمراد من الهدى ما يخلق النور باطنيا ويزيل المعضلة، وهذه إشارة إلى الإصلاح الباطني، وهي مهمة المهدي. وكلمة "الحق" تشير إلى إلحاق الهزيمة الخارجية بالباطل، وقد جاء في آية أخرى: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾. وقال في هذه الآية التي نذكرها: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، أي ستكون نتيجة مجيء هذا الرسول أنه سيجعل الحق غالبا، ولن تكون هذه الغلبة بالسيف والسنان بل بأوجه عقلية. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٣، عدد ١٠٤/٢/١٩٠٢م، ص ٦)

لقد جاءت في القرآن الكريم آية: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ...﴾ للإشارة إلى كسر الأوثان وغلبة الإسلام. (بدر، مجلد ١، رقم ٣، عدد ٢٠٤/٤/١٩٠٥م، ص ٢)
 الآية ٨٥: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾
 أي كل إنسان يعمل بحسب طبيعته. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٨٩، الحاشية)

كل إنسان يوفَّق للعمل بحسب قواه ومواهبه. (الحرب المقدسة، الخزانة الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٧٨)

صحيح تماما أن كل الناس ليسوا سواسية من حيث طبائعهم، لذلك جاء في القرآن الكريم: ﴿كُلُّ يَعْْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾. بعض الأخلاق لدى بعض الناس تكون جيدة وبعضها ضعيفة. إذا كان خلق من أخلاقهم جيدا والآخر سيئا فهذا لا يستلزم أن إصلاحهم مستحيل. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣٤، عدد ٨/٩/١٩٠٤م، ص ٤)

كل يعمل بحسب قواه. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٣، عدد ١٠/٩/١٩٠٥م، ص ٣)
الآية ٨٦: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

جميع الذرات الموجودة في كل جسم لها علاقة بالعدد نفسه من الأرواح. فلو رُئيت قطرة من الماء تحت مجهر تراءت فيها آلاف الجراثيم، وكذلك في الفواكه والنباتات والهواء تُرى الجراثيم وتُحسّس. باختصار؛ كل شيء ذي جسد مليءٌ بالجراثيم. إلا أنها أحيانا تكون خفية أو يمكن أن تقولوا توجد بالقوة وأحيانا تنتقل من مكمّن القوة إلى حيز الفعل. فمثلا إذا رأيتم غلّة ما؛ فيبدو في الظاهر أنه لا توجد فيها أي جرثومة، ولكن جراثيم كثيرة تتولد فيها تلقائيا نتيجة تغير ما، حتى يبدو ذلك الجسم كله عبارة عن جراثيم فقط. ومن هنا يتبين أن للأرواح علاقة إلزامية ودائمة بالأجسام. (الكحل لعيون الآرية، الخزانة الروحانية المجلد ٢، ص ١٣٤-١٣٥، الحاشية)

إن كون الأرواح وأجزاء العالم الصغيرة وذراته غير مخلوقة وقديمة ومن تلقاء نفسها، هي من عقائد آريا سماج. وهذا المبدأ يخالف العقل صراحة، لأنه لو كان صحيحا لكان كل شيء واجب الوجود كالبرميشور، ولما بقي أي دليل على وجود الله، بل لأصبح نظام الدين كله أبتّر ومختلا. لأنه إذا كنا كلنا غير مخلوقين وأزليين فأبي حق

لله ﷻ علينا ولماذا يطالبنا بالعبادة والعبودية والشكر؟ ولماذا يعاقبنا على ارتكاب الذنب؟ لأنه إذا كانت بَصارتنا الروحانية وجميع قوانا الروحانية قديمةً ومن تلقاء نفسها، فكيف احتجنا إلى البرميشور لخلق القوى الفانية؟ (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية المجلد ٢، ١١٠)

من معتقدات الآريين أن البرميشور لم يخلق أي روح، بل إن جميع الأرواح هي من تلقاء نفسها ومنذ القدم وغير مخلوقة، وكذلك يقولون بأن الإنسان لا يمكن أن يفوز بالنجاة الأبدية، بل يُدخَل في دار النجاة لمدة معينة ثم يُخرج منها. فاعتراضنا على ذلك أن هذين المعتقدين كليهما من نوع يزول باعتماد أحدهما توحيد الله ﷻ بل ألوهيته أصلاً. أما المعتقد الثاني فيعرض العبد الوفي للقسوة بغير حق. وتفصيل هذا الإجمال أنه لو سُلم بأن جميع الأرواح، والأجزاء الصغيرة للأجسام أيضاً، قديمة وغير مخلوقة، لترتبت على ذلك عيوب كثيرة. ومن جملتها أنه لا يقوم في هذه الحالة أي دليل على وجود الله ﷻ. لأنه إذا كانت الأرواح بحسب زعم الآريين من تلقاء نفسها، وكذلك الأجزاء الصغيرة للأجسام من تلقاء نفسها، فلا تثبت الحاجة إلى صانع يركبها مع بعض. بل الملحد الذي ينكر وجود الله ﷻ يمكن أن يقول بأنكم إذا آمنتم بأنفسكم أن جميع الأشياء من تلقاء نفسها دون أن يخلقها أي خالق، فما هو الدليل على أن هناك حاجةً للبرميشور لتركيب هذه الأشياء مع بعض؟ والعيب الثاني أن هذا الاعتقاد يعطّل ألوهية الله، لأن المطلعين على علم النفس وخواص الأرواح يدركون جيداً أن جميع العجائب والغرائب التي تزخر بها الأرواح لا يمكن أن تتولد بالتركيب فقط. فمثلاً في الأرواح قوة الكشف التي تُكتشف بها أموراً خفية بعد المجاهدات، وفيها قوة العقل أيضاً وتُكتشف بها الأمور العقلانية، وكذلك أُودعت الأرواح قوة الحب أيضاً، وبها تميل إلى الله تعالى. وإذا سُلم بأن جميع هذه القوى من تلقاء نفسها دون أن يخلقها أي خالق، ففي ذلك إساءة كبيرة إلى البرميشور. فكأننا سنقول بأن أسمى أمر وأروع قد حدث من تلقاء نفسه، أما

العمل الأدنى والناقص فأنجزَ بواسطة البرميشور. ولن نجد بدءًا من الإقرار بأن الحكم العجيبة التي توجد من تلقاء نفسها هي أفضل بكثير من أعمال البرميشور. حتى أن البرميشور نفسه مختار بشأنها. باختصار؛ إن إله الآريين يتعرض بهذا الاعتقاد لصدمة كبيرة لدرجة أن يستوي وجوده وعدمه. ولا يتأتى أي دليل عقلي على وجوده، وهو لا يبقى مصدر جميع الفيوض، بل سيُعدّ عمله ناقصًا. أما أسمى الأعمال فنُضطر لأن نقبل أنها من تلقاء نفسها. لكن كل عاقل يدرك أنه إذا كان الأمر كذلك في الحقيقة، فلو تم الإيمان بوجود مثل هذا البرميشور جدلاً لتحقيق وجودُ الإله الضعيف جدًا والسخيف الذي يستوي وجوده وعدمه، إذ لو افترض موته أيضًا فلا يترتب عليه حرج للأرواح، ولن يكون من حقه أبداً أن يُجبر أي روح على عبادته. لأن كل روح يمكن أن تردّ عليه قائلةً: ما دمت لم تخلقني ولم تخلق قدراتي وقواي وكفءاتي، فبأي حق تطالبني بعبادتك. ثم لما لم يكن البرميشور خالق الأرواح فلا يستطيع أن يحيط بها، فإذا لم يحط بها فقد حصل الحجاب بينه وبينها، وحين حصل هذا الحجاب لم يعد البرميشور قادراً على علم الغيب، وحين لم يعد قادراً فقد فسدت ألوهيته وتلاشت كلُّها، فكأن البرميشور نفسه ضاع. فالبديهي أن حصول المرء على العلم الكامل بشيء يجعله قادراً على صنعه أيضاً، فلذا يقول الحكماء: حين يصل العلم كماله يصبح العمل بعينه. ففي هذه الحالة ينشأ السؤال بالطبع: هل البرميشور حائز على العلم الكامل بكيفية الأرواح وكنهها أم لا؟ فإن كان حائزاً على العلم الكامل فلأي سبب لا يستطيع أن يخلق مثل هذه الأرواح رغم كونه عليماً خبيراً؟ فبالقدر في هذا السؤال يتبين أن البرميشور ليس غير قادر على خلق الأرواح فحسب بل لا يحوز على العلم الكامل بها أيضاً.

والجزء الثاني لسؤالنا يتعلق بحقوق العباد؛ أي يثبت من المعتقد المذكور للسادة الآريين أن البرميشور يخلج تجاه عباده بغير حق. لأنه من الواضح الجلي أن حقيقة النجاة أن يُعرض الإنسان عمّا سوى الله ويتفانى في حب الله بحيث

يستمتع بتصور المحبوب الحقيقي كما يجد العاشق لذة في رؤية الحبيب. ومعلوم أن الحب لا يتحقق دون المعرفة. ومعلوم أن الدافع للحب أمران اثنان فقط؛ أي إما الحسن أو الإحسان. فحين يطلع الإنسان اطلاعا كاملا على حسن الله ﷻ وإحسانه بموجب معرفته الكاملة، فبالطبع ينشأ لديه الحب الكامل له. والحب الكامل يولّد لذة. فحياة العارف الفردوسية تبدأ من هذا العالم. ونفس المعرفة والمحبة تكون في الآخرة وسيلة السرور الأبدي الذي يسمّى بتعبير آخر بالنجاة. الآن أود أن أسأل: إذا تيسرت للإنسان وسائل النجاة كاملةً وحظي بالنجاة بفضل البرميشور ولطفه، فلماذا يخرج البرميشور من دار النجاة دون ارتكاب أي ذنب؟ فهل ينزعج ويتضايق من أن يستريح أي عبد ضعيف للأبد؟ فما دامت قوة البقاء الأبدي أودعت في الأرواح، فلاي سبب لا يمكن البرميشور عباده من السرور الأبدي؟ (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية المجلد ٢، ص ١٣٩-١٤٢)

إذا كانت جميع الأرواح والأجسام من تلقاء نفسها وقديمة كالبرميشور وغير مخلوقة وخالقة نفسها فلم يبقَ من حق البرميشور أبداً أن يدّعي بأنه رب هذه الأشياء وخالقها. ذلك لأنه إذا كانت هذه الأشياء لم تكسب الوجود من يد البرميشور، فأني لمثل هذا البرميشور أن يُعَدَّ ربّها ومالكها؟ فمثلا لو سقط صبيّ مخلوق من السماء أو خرج من الأرض مولودا تلقائيا فلا يحق لأي امرأة الادعاء بأنه ابنها. كلا بل سيكون ابنها حصراً من خرج من بطنها. فالذي خرج من يد البرميشور فإنما هو وحده لله. أما الذي لم يخرج من يده فلا يمكن أن يكون له بحال من الأحوال. ومعلوم أن أي نبيل وصالح لا يحتل أشياء ليست ملكه، فكيف إذن احتل برميشور الآريين أشياء لم يكن من حقه احتلالها. لا بقاء لروح الحشرات والحيوانات الأخرى سوى الإنسان. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية المجلد ٢، ص ١٤٦)

حين بدأ النصارى يقولون لغباثتهم بأن المسيح عليه السلام كلمة الله، أي أن روحه هي الكلمة الإلهية التي تجسدت، ردّ الله عليهم ردّاً حقا بقوله إنه لا توجد أي روح ليست كلمة الله، ولم تصدر بمجرد الأمر الإلهي. وإلى ذلك أشار في قوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. أما ظهور كلمات الله في صورة الأرواح والمخلوقات الأخرى فسرّ من أسرار الخالقية، ونكتة دقيقة من الأسرار الإلهية التي لم تخطر على بال أي عقل إنساني، وإنما كشفه كلام الله الكامل والمقدس بالنور الإلهي. وإن لم نسلّم بأن الله تعالى يخلق الأرواح والأجسام بكلمته وأمره فلن نجد بداً من الإقرار في نهاية المطاف بأنه ما لا تأتي الأرواح والأجسام من الخارج لا يقدر البرميشور على فعل شيء مطلقا. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية المجلد ٢، ص ١٦٥)

إن كون الأرواح حادثة ومخلوقة قد أثبت بأقوى الأدلة القطعية في القرآن الكريم، فأسجل هنا بعضا منها مراعاة للإيجاز والإجمال كنموذج:

أولا: قد ثبت بداهة أن جميع الأرواح تخضع لسلطة الله وتتبعه دوماً وفي كل حال، وليس هناك أي سبب لكونها خاضعة تماما لله تعالى وتحت سيطرته سوى كونها مخلوقة. فهذا أول دليل على كون الأرواح حادثة ومخلوقة.

ثانيا: قد ثبت أيضاً بداهة أن لجميع الأرواح كفاءات وقدرات معينة ومحددة. كما هو ثابت بالنظر إلى مختلف الأوضاع الروحانية والكفاءات لبني آدم. وهذا التحديد يتطلب محددًا، وبذلك تثبت ضرورة المُحدِّث (أي المحدّد) ويتحقق إثبات حدوث الأرواح.

ثالثا: إن كون جميع الأرواح مشوبة بوصمة العجز والاحتياج ليس بحاجة لأي برهان، وكونها محتاجة لتكميلها وبقائها إلى ذات كاملة وقادرة وعالمة وكريمة بلا حدود أمرٌ يُثبت أنها مخلوقة.

رابعا: يتبين بأدنى تدبّر أن أرواحنا تحتوي إجمالا على جميع الحكم الإلهية والصنائع المتنوعة التي توجد في الأجرام العلوية والسفلية. ولذلك تعدّ الدنيا نظرا لجزئياتها المختلفة عالماً تفصيلياً، ويسمى الإنسان عالماً إجمالياً، أو بتعبير آخر يمكن أن

تقولوا إنه عالم صغير وهي عالم كبير. فلما كان العالم الجزئي يسمى - لكونه يشمل الأمور الحكيمة - صنعة الصانع الحكيم، فينبغي التأمل كيف لا يكون صنعة إلهية من وجوده، نظرا لعجائبه الذاتية، صورة منعكسة لجميع أجزاء العالم، ويشمل الخواص العجيبة لكل جزء، ويشمل الحكمة الإلهية البالغة بوجه أتم.

الشيء الذي هو مظهر جميع عجائب الصنعة الإلهية لا يمكن أن يخرج من نطاق المصنوعات والمخلوقات. بل هو يحمل ختم المصنوعية على وجوده أكثر من الجميع. ويدل على وجود الصانع الأزلي بوجه أقوى وأكمل. فمن هذا الدليل لا يثبت كون الأرواح مخلوقة نظرياً فقط، بل هو من أجلى البديهيات في الحقيقة أيضاً. بالإضافة إلى ذلك ليس للأشياء الأخرى علم بكونها مخلوقة. أما الأرواح فتعرف بالطبع أنها مخلوقة. فروح أي بدوي أيضاً لا ترضى بأن تكون من تلقاء نفسها، وإلى ذلك أشار الله تعالى في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ (الأعراف: ١٧٣)، أي سألت الأرواح: ألسن بربكم، أي خالقكم؟ قالوا بلى. فهذا السؤال والجواب في الحقيقة إشارة إلى تلك العلاقة التي تتحقق بين المخلوق وخالقه بالطبع، التي شهادتها قد نُقشت على فطرة الأرواح.

خامساً: كما توجد في الابن بعض ملامح أمه وأبيه وصفاتها، وكذلك الأرواح التي خرجت من يد الله ﷻ تملك نصيباً من سيرة صانعها وخصلته إجمالاً. صحيح أن تلك الصبغة الإلهية تصير شاحبة في بعض النفوس لاستيلاء ظلمة المخلوقية وغفلتها عليها، لكننا لا نستطيع الإنكار أن كل روح تتمتع بشيء من تلك الصبغة. كما تبدو تلك الصبغة في بعض النفوس قبيحة لسوء الاستخدام. إلا أن ذلك ليس عيب الصبغة وإنما العيب يعود إلى سوء الاستخدام. فليست أي قوة وموهبة من قدرات الإنسان الحقيقية سيئة، وإنما تتراءى القدرة الحسنة أحياناً سيئة لسوء الاستخدام. فلو استخدمت تلك القوة في محلها فهي نافعة تماماً وخير محض، وإن جميع القوى التي أعطيتها الإنسان هي في الحقيقة ظلال القوى الإلهية وآثارها. فكما

تظهر بعض صفات الوالد في المولود كذلك توجد في أرواحنا ملامح ربنا وآثار صفاته، ويعرفها العارفون جيداً. وكما أن الولد الذي انحدر من والده يحبه بطبعه لا بالتكلف، وكذلك نحن الذين خرجنا من ربنا نحبه في الحقيقة بالطبع لا بالتكلف. فلو لم تكن لأرواحنا علاقة طبيعية وفطرية بربها لما كان للسالكين أي سبيل أو طريقة للوصول إليه. فالأدلة العقلية التي ذكرها الله ﷻ نفسه في القرآن الكريم على كون الأرواح مخلوقة كثيرة لدرجة أننا لو أردنا تسجيلها هنا لصار كتابا ضخما يحتوي عليها وحدها، لكننا مبدئياً نكتفي بهذا القدر. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية المجلد ٢، ص ١٦٧-١٦٩)

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أي يسألك الكفار (يا محمد) ما هي الروح؟ ومن أي شيء وكيف خلقت؟ فقل لهم إن الروح من أمر ربي. وأنتم أيها الكفار، لم تُعطوا إلا قليلاً من علم الروح والأسرار الإلهية. فهنا قد أخطأت يا أيها المدرس المحترم، لنقصان فهمك إذ حسبت أن الخطاب في آية ﴿مَا أُوتِيتُمْ﴾ موجّه إلى النبي ﷺ مع أنها وردت بصيغة الجمع وتدل صراحة على أن الخطاب فيها موجه إلى الكفار. لأن الخطاب إلى النبي ﷺ لم يوجّه في هذه الآيات بصيغة الجمع قط بل قد وجّه الخطاب إليه ﷺ بصيغة المفرد في كل مكان. وخوطبت جماعة الكفار بصيغة الجمع بأنهم يسألون كذا. فإذا لم يكن أحد قد عمي تماماً فيستطيع أن يلاحظ بسهولة أن هناك صيغتين للجمع في هذه الآية أولاهما: ﴿يَسْأَلُونَ﴾ والثانية: ﴿مَا أُوتِيتُمْ﴾. والواضح أن الضمير في "يسألون" عائد على الكفار الذين سألوا عن كيفية الروح. وكذلك من الواضح أن الضمير في: ﴿مَا أُوتِيتُمْ﴾ أيضاً عائد إلى الكفار أنفسهم. أما النبي ﷺ فلم يخاطب ولا مرة واحدة في هذه الآيات بصيغة الجمع، بل في البداية وجّه إليه الخطاب بكاف الخطاب الدال على المفرد، أي قيل: إن الكفار يسألونك. وما قيل: إن الكفار يسألونكم. وبعد ذلك قيل بصيغة المفرد: ﴿قُلْ﴾ وما قيل: قولوا. على خلاف الصيغة الموجهة

إلى الكفار حيث استخدمت صيغة الجمع بحق الكفار في كلا الموضعين. فمعنى الآية السلس المفهوم من السياق والمستنبط من العبارة بجلاء هو أن الكفار يسألونك يا محمد، ما هي كيفية الروح؟ أي ما هي الروح وممَّ خُلقت؟ فقل لهم: إن الروح من أمر ربي. أي من عالم الأمر، وأنى لكم أن تعرفوا ما هي الروح؟ ذلك لأنه لتلقي علم الروح لا بد من أن يكون المرء مؤمناً وعارفاً بالله، ولستم حائزين على أي شيء من هذا القبيل.... يجب التدبر كم هي واضحة معاني هذه الآية الكريمة المذكورة أعلاه؛ فالواضح أن جماعة من الكفار سألت النبي ﷺ عن ماهية الروح. فردَّ عليهم في صيغة الجمع بحسب مقتضى المحل أن الروح من عالم الأمر. أي هي كلمة الله أو ظل الكلمة التي تشكلت بحكمة من الله وقدرته في صورة الروح وليس لها أي حظ من الألوهية، وهي في الحقيقة حادثة وخاضعة لله. وهذا سر دقيق للقدره الربانية وأنتم لا تقدرون على فهمه أيها الكافرون، إلا قليلاً كُلفتم بسببه بالإيمان، ويمكن أن تكتشفه عقولكم أيضاً... إنه لبيان حقيقة عظمى وتفصيلها أن الربوبية الإلهية تخلق الأشياء من العدم على وجهين، وفي كل وجه من الخلق يسمى المخلوق باسم منفصل. فحين يخلق الله شيئاً لا يكون له أي وجود من قبل، فاسم هذا النوع من الخلق في المصطلح القرآني "أمر"، أما إذا خلق شيئاً بحيث يكون له من قبل وجود في صورة أو هيئة أخرى، فاسم هذا النوع من الخلق "خلق". وملخص الكلام أن خلق شيء بسيط من العدم المحض هو من عالم الأمر، أما صياغة شيء مركَّب في صورة أو هيئة معينة فهو من عالم الخلق. كما قال الله في موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾، أي خلق أشياء بسيطة من العدم المحض وإظهار المركبات كلاهما من فعل الله ﷻ. فالبسيط والمركَّب كلاهما من خلق الله. (الكحل لعيون الآرية، الخزانة الروحانية، المجلد ٢، ص ١٧٢-١٧٦)

المسألة التي كتبها البانديت في كتاب ستيارته بركاش بحسب مبادئك، أي أن الروح الإنسانية تسقط كالندى على العشب والكأ وغيره ثم تأكلها المرأة وبذلك

يولد الولد. كم تناقض هذه المسألة العقل وتعارض بحوث جميع الأطباء والفلاسفة، لأن من الجلي الواضح أن الطفل لا يتكون من مني المرأة فقط، بل يُخلق بمني الرجل والمرأة كليهما، كما أن أخلاقه أيضاً لا تشبه أخلاق الأم فقط، بل تشبه أخلاق الوالدين كليهما. إذن فكم هو سخيّف ومنافٍ للعقل المعتقد القائل بأن الروح تؤكل ضمن غذاء المرأة فقط ويبقى الرجل محروماً منها! ثم ينبغي التفكير: هل الروح نوع من الجسم حتى تختلط بالجسم؟ فانظروا كم يبعد هذا المبدأ عن العقل؟ ثم بالإضافة إلى ذلك نلاحظ خروج آلاف الحيوانات من تحت الأرض كما تتولد الديدان في أشياء كثيرة بعد مرور مئات السنين. فمن أين ومن أي طريق تدخل فيها الروح. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية المجلد ٢، ص ١١٢-١١٣)

الروح ليست جسماً، لأن الجسم قابل للانقسام، أما الروح فلا تقبل الانقسام، وإذا قلتم إنها جزء لا يتجزأ، أي أنها جوهر لطيف فهذا يلزم إمكانية تشكّل جسم كبير - باجتماع الأرواح الكثيرة - قابل للرؤية واللمس. لأن هذه هي ميزة الجزء الذي لا يتجزأ الذي يسميه الآريون "برمانو" أو "بركري". (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ١٢٤، الحاشية)

لا بقاء لروح الحشرات أو أي حيوان سوى الإنسان. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية المجلد ٣، ص ٦٢٠)

الروح نور لطيف ينشأ داخل الجسد الذي يتكوّن في الرحم. والمراد من نشوء الروح من الجسد هو ظهورها بعد الكمون. وقد كانت خميرتها مستترة في النطفة منذ البداية. إنها بلا شك، وبأمرٍ وإذنٍ ومشيةٍ من رب السماء.. تتعلق بالنطفة علاقةً غامضة. إنها جوهر نوراني للنطفة. لا نستطيع القول إنها جزء من النطفة كما يكون العضو جزءاً من الجسم، كما لا نستطيع القول أيضاً إنها تدخل في النطفة من الخارج، أو أنها تهبط من السماء فتمتزج بمادة النطفة، بل إنها كامنة في النطفة كُموّن النار في الزند.

لا يقول كتاب الله أن الروح تنزل من السماء نزولا منفصلا، أو تقبض على الأرض من الفضاء. ثم تختلط بالنطفة مصادفة وتتسرب معها إلى الرحم. إن هذا الزعم لا يصح أبدا، ولئن ظننا هذا لكذبنا سُنة الفطرة. فإننا نرى كل يوم ألوفا مؤلفة من الديدان والجراثيم تتكون في الأطعمة الآسنة الفاسدة وفي الجروح المتقيحة، ومئات من القمل تتولد في الثياب المتسخة، وأنواع الديدان تتولد في البطن أيضا.. فهل نقول إن أرواحها تأتي من الخارج؟ أم هل رأها أحد تتساقط من السماء؟ كلا، بل الحق أن الروح تنشأ من الجسد ذاته، وهذا النشوء نفسه دليل قاطع على كونها من المخلوقات.

ومقصودنا من هذا البيان هو القول إن الخالق القدير الذي أنشأ الروح بقدرته الكاملة من الجسد ذاته.. يبدو أنه يريد أن يقوم بالنشأة الثانية للروح عن طريق الجسد أيضا. إن حركات الروح موقوفة على حركات أجسادنا، وحيثما قُذنا الجسد انقادت معه الروح وتبعته لا محالة. لذلك كان من واجب كتاب الله الحق أن يهتم بمعالجة حالات الإنسان الطَّبعية، ومن أجل ذلك وجه القرآن الكريم عناية خاصة نحو إصلاح أوضاع الإنسان الطَّبعية، وأمره بمراعاة شروط وآداب معينة فيما يتعلق بالضحك والبكاء، والأكل والشرب، واللبس والنوم، والزواج والعزوبة، والنطق والصمت، والمشي والوقوف، والنظافة الظاهرية بما فيها الغسل وغيره، والمرض والصحة.. وغيرها من الأمور، واعتبر هذه الحالات الطَّبعية ذات تأثير عظيم في حالات الإنسان الروحانية. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٢٢-٣٢٦)

قد سَمى الله الإنسان بعد خلقه روحا، لأن راحته الحقيقية وسكينته تكمن في الإقرار بالله ﷻ وحبه وطاعته، كما سماها نفسا. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزائن الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٢٩)

القرآن الكريم لا يعلم أن الأرواح البشرية أبدية بحسب مقتضى ذاتها بل يعلم أن هذه الأبدية إنما هي عطاء من الله للأرواح البشرية وإلا فإن الروح البشرية أيضا قابلة

للفناء مثل أرواح حيوانات أخرى. (نسيم الدعوة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٣٨٢ الحاشية)

إذا كانت الأرواح أزلية وخالقة لنفسها بنفسها فستكون وكأنها تسكن مستقلة في حارة تحت سيطرتها، ويسكن الإله منفصلاً دون أن تكون بينهما أية علاقة. ولا يمكن لهم أن يبينوا السبب الذي جعل الأرواح والذرات كلها تحت تصرف الإله مع كونها أزلية وكونها جاءت إلى الوجود من تلقاء نفسها. هل حدث ذلك بعد حرب أو معركة أو قبلت الأرواح الإذعان تلقائياً نظراً إلى حكمة ما؟ (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٦٧)

القرآن الكريم يقول بأن الأرواح ليست أزلية أو غير مخلوقة بل تتولد نتيجة اجتماع النطفتين بطريقة معينة، أو تتولد كما في الحشرات من مادة واحدة. وهذا هو الحق لأن المشاهدة تشهد على ذلك ولا مندوحة من الإيمان به. وإن إنكار الأمور المشهودة والمحسوسة جهل بحت. وحين نقول بأن الروح تُخلق من العدم ليس معنى ذلك أنها لم تكن شيئاً من قبل، بل المراد من ذلك أنه لم تكن لها مادة حتى يُولد الإنسان منها روحاً بقوته. بل إن أسلوب ولادتها هو أن قوة الله وحكمته وقدرته تخلقها من مادة ما. لذلك عندما سئل النبي ﷺ عن الروح أمره الله تعالى أن يجيب عليهم بأن الروح من أمر ربي. في هذا الموضوع هناك آية قرآنية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٦). أي يسألونك ما هي الروح وكيف تتولد، فقل لهم أنها تتولد بأمر ربي، أي أنها سر من أسرار الله ولا تعلمون عنها إلا قليلاً. أي تقدر أن تتولد وليس أكثر من ذلك كما نرى بأعيننا أن بعض الحشرات تتولد من مادة ما أمام أنظارنا.

إن قانون الله تعالى الطبيعي في خلق روح الإنسان هو أنه عندما يتكون القلب رويداً رويداً بعد اجتماع النطفتين، يتولد في القلب - الذي هو مجموعة الدم والنطفتين - جوهرٌ خاص كما يتكون باختلاط بعض الأدوية تأثير معين في مزيجها

ولا ينشأ ما دامت منفصلة عن بعضها. ويكون ذلك الجوهر على خاصية الفسفور نوعاً ما ثم عندما تهب عليه رياح التجلي الإلهي بأمر "كُنْ"، يشتعل دفعة واحدة وينشر تأثيره في جميع أجزاء ذلك القلب، عندها تدب الحياة في الجنين. فهذا الشيء المشتعل الذي يتولد في الجنين بالتجلي الإلهي يسمى "الروح"، وهو الذي يسمى كلمة الله. ويقال أنه "من أمر ربّي" لأن الطبيعة المدبّرة للمرأة الحامل تخلق جميع الأعضاء بأمر الله القادر على كل شيء وتكوّن القلب كشبكة العنكبوت، ولا دخل للطبيعة المدبّرة في الروح بل تتولد الروح نتيجة التجلي الإلهي الخاص فقط. ومع أن فسفور الروح يتكون من تلك المادة نفسها ولكن النار الروحانية التي اسمها الروح لا يمكن أن تتولد فقط دون مسّ النسيم السماوي. هذا هو العلم الحقيقي الذي علّمنا إياه القرآن الكريم ولا يمكن أن تصله عقول الفلاسفة كلهم، كذلك كان الفيدا أيضاً محروماً من هذا العلم كشجرة الخيزران التي لا تحمل ثمرًا. القرآن الكريم هو الذي جاء بهذا العلم إلى الأرض. فمن هذا المنطلق نقول بأن الروح تُخلق من العدم أو تلبس لباس الوجود من العدم. لا نقول بأن الروح تُخلق من العدم المحض لأن نظام الخلق كله مرتبط بسلسلة الحكمة وسلسلة العلل والمعلولات.

أما القول بأنه إذا كانت الروح مخلوقة فلا بد أن تفنى أيضاً، فجوابه أنه مما لا شك فيه أن الروح قابلة للفناء، والدليل على ذلك أنه إذا تخلّى الشيء عن صفاته سُمّي فانياً. فمثلاً لو زال تأثير دواء ما كلياً لقلنا: فني الدواء. كذلك ثابت عن الروح أنها تهجر صفاتها في بعض الحالات، بل تطرأ عليها تغييرات أكثر من الجسم أيضاً. وعندما تُباعد تلك التغييرات بين الروح وصفاتها يقال بأن الروح فנית لأن المراد من الموت أو الفناء هو أن يهجر الشيء صفاته الضرورية؛ عندها يقال إن شيئاً كذا قد فني. هذا هو السر في أن القرآن الكريم عدّ حياة بعد مغادرة الدنيا تلك الأرواح الإنسانية فقط التي احتفظت بصفاتها التي هي الغاية المتوخاة من خلقها، أي حب الله الكامل وطاعة الله الكاملة التي تمثّل حياةً للروح البشرية. وعندما ترحل روح من

هذه الدنيا ممتلئة بحب الله تعالى وفانية في سبيله تُسمَّى روحا حية أما الأرواح الأخرى فكلها ميتة.

فملخص الكلام أن انفصال الروح عن صفاتها هو موتها في الحقيقة. فحين يموت جسم الإنسان في حالة النوم تموت الروح أيضا معه، بمعنى أنها تهجر صفاتها التي كانت تتحلّى بها في اليقظة فيصيبها نوع من الموت، لأن الصفات التي ترافقها في اليقظة لا تبقى معها أثناء النوم، فهذا أيضا نوع من الموت. لأن الشيء الذي ينفصل عن صفاته لا يمكن اعتباره حيا. ينخدع كثير من الناس من كلمة "الموت"، ولكن ليس المراد من الموت هو الانعدام فقط بل تنحّي الشيء عن صفاته أيضا موت، وإلا فالجسم الذي يموت يبقى ترابه موجودا على أية حال. كذلك المراد من موت الروح أيضا أنها تُفصل عن صفاتها، كما يلاحظ في عالم النوم أن أعمال الجسم تبطل كذلك تتعطل الروح أيضا كليا عن صفاتها التي كانت ترافقها في اليقظة. فمثلا تقابل روح شخص حي في النوم روح شخص ميت ولا تدري أنه ميت إذ تنسى هذا العالم فور لجوئها إلى النوم وتخلع لباسا سابقا وتلبس ثوبا جديدا، وتنسى دفعة واحدة كل العلوم التي كانت تتحلّى بها ولا تذكر من هذا العالم شيئا. وتتعطل عن سلوكياتها إلا أن يذكرها الله، فتتعطل عن صفاتها تماما وتصل إلى حظيرة القدس في الحقيقة. عندها تكون كل حركاتها وكلماتها وعواطفها تحت سيطرة الله، وتكون تحت تصرف الله بحيث لا يمكن القول بأن كل ما تفعله في حالة النوم أو تقوله أو تسمعه وما تقوم به من تصرف تقوم به بخيارها، بل الحق أن كافة قوى الخيار تُسلَب منها وتطراً عليها علامات الموت كاملا. فبقدر ما يصيب الموت الجسم يصيب الروح أكثر من ذلك. إنني لأستغرب من الذين لا يتأملون في حالة نومهم ولا يفقهون أنه لو استُثِنَت الروح من الموت لاستُثِنَت من عالم النوم أيضا. إن عالم النوم في حكم المرأة لنا لفهم كيفية عالم الموت. الذي يريد الحصول على معرفة حقيقية عن الروح عليه أن يمعن في عالم النوم كثيرا إذ يمكن أن تُكشَف كافة أسرار

الموت بالتأمل في النوم. إذا تفكرتم في أسرار عالم النوم كما يجب وتدبرتم كيف يصيب الموت الروح في عالم النوم وتنفصل عن علومها وصفاتها لاستيقنتم أن ظاهرة الموت تشبه ظاهرة النوم تماما. فلا يصح القول بأن الروح تبقى بعد فراق الجسد على الحال نفسها التي كانت عليها في الدنيا. بل يصيبها بأمر الله موت كما أصابها في حالة النوم، بل تلك الحالة تكون أقوى من هذه بكثير وتُسحق كل قوة من قواها في رحي العدم، وهذا هو موت الروح. والذين كسبوا أعمالا تقتضي الحياة هم الذين يُحيون، وليس بوسع روح أن تبقى حية من تلقاء نفسها. هل تقدرون على أن تسيطروا في حالة النوم على كافة صفاتكم وحالاتكم وعلومكم التي تتسنى لكم في حالة اليقظة؟ كلا، بل الحق أن حالة الروح تتغير تماما بمجرد لجوئكم إلى النوم ويصيبها الفناء بحيث يتغير نظام حياتها كله رأسا على عقب. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٥٨-١٦٢)

القرآن الكريم لا يعدّ الأرواح أزلية وأبدية بل يعدها مخلوقة وفانية أيضا، كما يقول بكل وضوح عن كونها مخلوقة: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ (المؤمنون: ١٥) أي عندما يتكون القلب نخلق منه بعد تكوينه خلقا جديدا، أي روحا. كذلك ورد في آية أخرى في القرآن الكريم: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي الروح تُخلق بأمر ربي. وقد أشار الله تعالى في عدة أماكن إلى أن أخلاق الروح تطابق المادة التي تُخلق منها الروح. وهذا ما يتبين من إمعان النظر في كافة السباع والدواب والطيور وحشرات الأرض، إذ إن الحيوانات تتحلّى بالصفات النفسية بحسب مادة النطفة. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٦٤-١٦٥)

إنّ علاقة الأرواح بالقبور حق لا شك فيه، ولكن هذه العين المادية لا تقدر على أن تُرينا هذه العلاقة، إنما هذا من اختصاص العين الكشفية وهي التي تُرينا العلاقة بين الروح والقبر. وإن كانوا مصرين على معرفة هذا الأمر بالعقل المجرد فليخبرنا أحدٌ من هؤلاء المتشبهين بالعقل: هل الروح موجودة أم لا؟ هناك ألف

اختلاف في هذه القضية، وهناك آلاف الفلاسفة ذوي الطبائع الإلحادية الذين ينكرون وجود الروح أصلاً. إذا كان هذا الأمر ممكناً بواسطة العقل المجرد فلم هذا الاختلاف؟ لأنه إذا كان عمل العين أن ترى الأشياء، فلا أصدق أن عين زيد ترى شيئاً ما أبيض، وأما عين بكر التي هي مثل عين زيد تماماً فهي تخبرنا عن طعم ذلك الشيء الأبيض نفسه؟ إنما قصدي من هذا البيان أنّ العقل المجرد لا يمكن أن يقدر على التدليل على وجود الروح أصلاً دلالة يقينية، دغ عنك أن يدلّ على كيفياتها وعلاقاتها. أما الفلاسفة فيرون أن الروح كالخشب الأخضر، ولا وجود لها في الخارج مطلقاً. الحق أن هذه التفاسير عن وجود الروح وعلاقاتها إنما تُنال من عين النبوة، أما المتمسكون بالعقل المجرد فلا يستطيعون حتى الادعاء بذلك. ولو قلتم إن بعض الفلاسفة كتبوا بعض الأمور بهذا الخصوص، فاعلموا أنهم إنما نقلوا شيئاً مما اقتبسوه من عين النبوة نفسها. فإذا ثبت أن العلوم المتعلقة بالروح إنما تُنال من عين النبوة فيجب رؤية العلاقة بين الأرواح والقبور بعيون الأنبياء. وقد أخبرت العينُ الكشفية أن ثمة علاقة بين الروح وكومة التراب (القبر)، وأن المرء يتلقى الجواب عندما يقول: "السلام عليكم يا أهل القبور". ومن استعان بالكفاءات المساعدة على "كشف القبور" تمكّن من رؤية تلك العلاقات. (الحكم، مجلد ٣، رقم ٣، عدد ٢٣/١/١٨٩٩م، ص ٢-٣)

اعلموا أن الإنسان كلمة الله، لأنّ فيه الروح التي قد قال القرآن الكريم إنّها ﴿أَمْرٌ رَبِّي﴾، ولكن الإنسان لا يقدر الروح حقّ قدرها حمماً وجهلاً منه، ويقيدها بأنواع السلاسل والأطواق، ويُعمي نورها، ويكدر صفاءها، ويسودّه ويجعله ضبابياً بارتكاب صنوف السيئات والظلمات من حيث لا يدري، ولكنه عندما يرجع إلى الله بالتوبة ويخلع رداء عيشته الوسخة المظلمة يبدأ قلبه بالاستنارة، ويشرع بالرجوع إلى المبدأ الحقيقي، حتى يصل إلى درجة التقوى النهائية، وتزول الأوساخ والأدران تماماً، فلا يبقى من الإنسان إلا كلمة الله فقط. هذه نكتة دقيقة للعلم والمعرفة لا

يقدر كل واحد على أن يبلغ كُنْهَهَا وحقيقتها. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠١م، ص ١)

الملحد ينكر الروح نھاثيا ويقول بأنها ليست بشيء وبأن حشر الأجساد أيضا ليس شيئا، فيقولون بأن هذه كلها أمور خيالية ولا تُعقل. لو لم تكن الروح شيئا فلماذا الأفعال التي تقع على الأجساد تؤثر على القوى الداخلية. فمثلا لو وقعت الضربة على مقدمة الرأس فإما يصاب ضحيتها بالجنون بسبب هذا الفساد أو يفقد ذاكرته. الروح في المجانين هي هي بل يكون العيب في جسدهم، فلو لم يكن نظام الجسم على ما يرام لبطل عمل الروح، ولا جدوى منها بغير الجسم، لذا فهي تحتاج إلى الجسم دائما. ومن كان نظامه جيدا كانت حالته الروحانية جيدة. لماذا لا يملك الطفل الصغير فهما كافيا ليفهم عواقب الأمور؟ إنما سببه أن قواه لا تكون قد نشأت ونمت بما فيه كاملة.

كذلك النطفة التي تدخل الرحم لا يعرف أحد كيف ومن أين تدخل معها الروح. الحقيقة أن هناك قوة خفية تدخل معها وتكون مدعاة للانبساط والنشاط. والحال نفسه ينطبق على الغلال. يقول "المولوي الرومي" مشيرا إلى هذا الأمر:

ہفت صدہفتاد قالب دیدہ ام ہچو سبزہ بارہار و نیدہ ام

أي: لقد مررت بسبع مئة وسبعين قالباً، وقد نبتت كالنباتات مرارا.

يحمل عديمو الفهم وذوو الفهم المجذوم هذا البيت محمل التناسخ ويقولون بأن التناسخ ثابت منه، ولكنهم لا يدرون أن ذلك يومئ إلى التغيرات الحادثة في النطفة، أي قد ذكرت في البيت المذكور التغيرات التي تُكوّن النطفة بعد المرور بها. لعل قلة قليلة من الناس يدركون أن النطفة تتكون بعد مرورها بعدة تغيرات. العلة (التي يأكلها الرجل) والتي تتكوّن منها النطفة قد مرّرها الله تعالى بتغيرات كثيرة قبل أن تتحول إلى نطفة، ثم احتفظ بها لأنها نطفة في الحقيقة، وتطحن في وقتها المناسب ويُصنع بها الخبز، ولكن النطفة تبقى محفوظة ومصونة. لقد جرت البحوث حول

النطفة في فترتها الأخيرة ويقول الأطباء بأن فيها حيوانات دقيقة، هذا أمر آخر. ولكن مما لا شك فيه أن النطفة قوة في الحقيقة تظل مصونة ومحفوظة. من الممكن أن ما توصّل إليه الأطباء هو هذه القوة نفسها. لا توجد في كل غلة الخواص التي تتكون منها النطفة الإنسانية، بل ذلك الجوهر الغالي شيء آخر ولا يأكله إلا من قدّر له الاستفادة منه وأكله في يوم معين.

النطفة التي فيها جزء من الروحانية تنمو حتى تمر بست مراحل بما فيها المضغّة والعلاقة وغيرهما. وبعد هذه التغيرات الستة تأتي مرحلة: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ (المؤمنون: ١٥). وقد سمى الله تعالى هذا التغير الأول ﴿النَّشْأَةُ الْآخَرَى﴾ ولم يقل: ثم أنزلناه روحا أخرى. يتبين من ذلك بصراحة أنه لا شيء يأتي من الخارج. وإذا أمعنت النظر في ذلك جيدا علمت طبيعة العلاقة الأبدية بين الروح والجسد. فما أسخف القول بأنه لا علاقة للجسم بالروح! ما أقوى هذا الدليل على وجود الروح. أما إذا نظر أحد إلى ذلك نظرة عابرة فهذا أمر آخر ولكن لو تأمل فيه بالمعقولة والفلسفة لما وسعه إنكاره.

هناك أمر آخر أيضا جدير بالانتباه وهو أنه لم ينجح في الدنيا أحد لم يستخدم الجسد والروح كليهما. إذا لم تكن الروح شيئا يُعتدّ به فلماذا لا يمكن للجسم الميت أن يفعل شيئا؟ ألا تكون كافة أعضائه وقواه موجودة؟ كيف يفهم بجلاء تام أنه ما دامت العلاقة بين الروح والجسد أبدية فلماذا يُعدّ أحدهما بلا فائدة؟ القانون المتبع في الدعاء أيضا هو أن يتكبد الجسم معاناة وتذوّب الروح، ثم يجب إحسان الظن بالصبر والمثابرة بعد الإيمان بالله. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠٣م، ص ٢)

اعلموا أن العقل يتولد نتيجة صفاء الروح، كلما ينزه المرء روحه يُشحّد عقله، وينصره الملاك وجهها لوجه. ولكن لا يستنير ذهن ذي حياة فاسقة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٢، عدد ٣١/٣/١٩٠٣م، ص ٣)

إن الله تعالى خالق منذ الأزل ولكن يجب النظر في جميع صفاته، فهو محيي وميت، ويثبت ويمحو ويخلق ويهلك أيضا. فما الدليل على أن الروح لن تفنى وأن

هذه الأرواح نفسها موجودة منذ الأزل؟ فإله قادر على أن يُحيي أحدا إلى ما شاء. كل شيء هالك إلا الله. ما دامت الروح عرضة للتقدم والانحطاط أيضا فأني لها البقاء إلى الأبد. فما دامت الروح باقية فهي خاضعة لقيومية أمر الله. ولا يمكن لشيء أن يبقى إلا تحت أمر الله، وهو يُهلك أيضا. هو خالق منذ الأزل ويمحو الخلق أيضا. المسلم يؤمن بالقدم ولكنه يؤمن بالقدم النوعي ولا يؤمن بقدم ذاتي. والمراد من ذلك أن تعليم الإسلام هو أننا لا نعلم ما هي الأشياء التي كانت من قبل وما لم تكن. وإذا اعتقد المرء بأزلية ذاتية كان ذلك دخولا في الإلحاد. (بدر، مجلد ٢، رقم ٥٢، عدد ٢٧/١٢/١٩٠٦ م، ص ٥)

إن الله تعالى مخلوقات منذ أن كان خالقا، وإن لم نعرف أنواع خلقه. باختصار إننا قائلون بقدم النوع، إذا أهلك الله نوعا خلق نوعا آخر، ولكن لا نعتقد كما يعتقد الآريون أن الروح والمادة أزلية وأبدية مثل أزلية الله وأبدية. بل نؤمن بأن كل شيء خلق الله سواء أكانت الروح أو المادة أو غيرها. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ٥٥/٢/١٩٠٧ م، ص ٨)

من الممكن أن يقابل المرء الأرواح في الكشف لكنه لتحقيق ذلك بحاجة ماسة إلى الرياضات الشاقة، والمجاهدات الشديدة، فقد اختبرت وجربت شخصا، وقابلت أحيانا الأرواح وتكلمت معها. فيمكن أن يسألها الإنسان بعض الأمور المفيدة ويسألها عن بعض الأدوية أيضا، لقد قابلت روح عيسى عليه السلام وروح النبي ﷺ وأرواح بعض الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - أيضا، ولي في هذا الميدان تجربة شخصية، لكن الإنسان يواجه مشكلة أن هذا الأمر لا يتأتى ما لم يجاهد في هذا السبيل ولا يتمرن بحسب القواعد، فبما أن الأمر لا يتحقق لكل واحد فهو يعدها قصة فقط، ولا يرى فيها أي حقيقة. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٦، عدد ٢/٦/١٩٠٨ م، ص ٨)

الروح مخلوقة، ويخلقها الله من المادة العنصرية نفسها.... توجد الروح الإنسانية في نطفة الإنسان بوجه دقيق وخفي، وهي الأخرى تنمو مع النطفة تدريجا وبالتطور

وفي نهاية الشهر الرابع وبداية الشهر الخامس يحدث التغير البين فتظهر، كما قال الله ﷻ في كلامه الطيب: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ (المؤمنون: ١٥).

فلا يصح قول الآريين بأن الروح مثل الله أزلية وأبدية، إذ ترد على هذا المعتقد شبهات كثيرة بحيث لا يبقى الله إلهًا. فالروح جوهر لطيف، تتولد وتنمو مع خلق الإنسان في الخفاء، فخذوا ثمرة التين مثلاً، عندما تكون فجوة توجد فيها حشرات حية في حالة ناقصة، لكنها حين تنضج تُرى فيها الحشرات تتحرك حتى تظهر لها الأجنحة فتطير، وبالإضافة إلى ذلك هناك ثمار أشجار أخرى كثيرة، شوهد فيها مثل هذه المشاهد.

باختصار عندنا إثبات دعوانا، والحقيقة الثابتة لا تُرْفَض ولا تنكر. في الحقيقة تكون في داخل هذه الثمار مادة خفية تنمو مع نمو الثمرة وتتطور. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٥، عدد ٦/٣٠/٥/١٩٠٨م، ص ٥-٦)

الروح ثلاثة أقسام، الروح النباتية، الروح الحيوانية، الروح الإنسانية. فلا نسلّم بأن كل هذه الثلاثة بمستوى واحد. فالوارثة للحياة الحقيقية منها وجامعة الكمالات هي الروح الإنسانية فقط. أما الروح الحيوانية والنباتية ففيها أيضاً نوع من الحياة، لكنها لا تساوي الروح الإنسانية، ولا تقدر على الفوز بالمدارج مثلها. ولا تنافس الروح الإنسانية في الكمال، وإذا كان فيها شيء من التشابه فلا نرى الخوض في هذا النقاش المعقد مناسباً. فمن المحتمل أن تكون هذه الأرواح مشابهة للأرواح الإنسانية في صفات معينة خاصة، لكنه كما يوجد اختلاف وفرق بينها وبين الإنسان في الظاهر، كذلك يوجد اختلاف روحاني أيضاً. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٥، عدد ٦/٣٠/٥/١٩٠٨م، ص ٦)

ويتراءى لهم في الكشف كأن هذه الأرواح والأجسام كلها إنما هي كلمات الله، والتي قد تلبّست بحكمة الله ﷻ الكاملة بلباس الحدوث والمخلوقية. إلا أن المبدأ المحكم الذي لا بد من التمسك به والثبات عليه هو أن يأخذ المرء قاسماً مشتركاً من

هذه الأمور العقلية والكشفية؛ بمعنى أن الله هو خالق كل شيء وتوحيده، ولم يظهر أي شيء بدونه، سواء أكان من الأرواح أو الأجسام، ولا يمكن أن يحدث ذلك؛ لأن التعبير "الكلام الإلهي" هنا ذو وجوه في الحقيقة. وإن ما يركز عليه القرآن الكريم بالقطع واليقين هو أن كل شيء قد ظهر من الله واكتسب وجوده منه. ولم يُخلق أي شيء بدونه، ولا هو من تلقاء نفسه. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ١٧٤-١٧٥، الحاشية)

لماذا يتعجب المرء من خلق الأرواح؟ ففي هذا العالم نفسه تنكشف على صاحب الكشف أسرارٌ يعجز العقل تمامًا عن إدراك كنهها؛ فصاحب الكشف أحياناً يتمكن من رؤية شيء بوضوح وجلاء رغم حيلولة مئات الحُجُب التي لا حصر لها وبُعد مئات الأميال، بل يسمع صوته أحياناً بإذنه تعالى في اللحظة أيضاً. والأغرب من ذلك أن من ظهر في الكشف يسمع صوت صاحب الكشف أحياناً. وفي بعض الأحيان يتمكن صاحب الكشف من لقاء الأرواح الماضية في عالم الكشف المشابه جداً لليقظة. ومعلوم أن لقاء كل روح سعيدة أو شقية يمكن أن يكون على شاكلة كشف القبور. فصاحب الكتاب هذا نفسه صاحب تجربة في هذا المجال. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ١٧٧-١٧٨، الحاشية)

الآية ٨٩: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

قُلْ لَهُمْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ قَاطِبَةً وَالْجِنُّ مَعَهُمْ مُتَّفِقِينَ وَأَرَادُوا أَنْ يَجْعَلُوا قُرْآنًا آخَرَ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ فَلَنْ يَقْدَرُوا عَلَيْهِ أَبَدًا وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٥٨٥)

قُلْ لِلْمُنْكَرِينَ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ مُتَّفِقِينَ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَنْ يَقْدَرُوا عَلَيْهِ أَبَدًا أَنْ يَأْتُوا بِكِتَابٍ جَامِعٍ بِصِفَاتِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ٦١، الحاشية)

إذا كان أي آري أو غيره يجد في قلبه زهواً أو في رأسه كبراً ويزعم أن ما سجلنا هنا من معجزات القرآن الكريم الذاتية ليس من المعجزة، بل ادّعى أن الفيدا أو أي كتاب يعدّه إلهامياً يقدر على أن ينافسه، فله الخيار أن يجربه. إذا كان أي معارض من ذوي العلم والمتميزين منكراً لأيٍّ من معجزات القرآن الكريم هذه ويزعم أن كتابه الإلهامي قادر على المواجهة فنعدّه أثّاً سوف نسجل في كتاب مستقل نوعاً من أقسام معجزات القرآن الكريم الذاتية حسب طلبه ونشره. ثم إذا استطاع كتابه الإلهامي منافسة القرآن الكريم فسيكون من حقه أن ينكر معجزات القرآن الكريم بأسرها، ويطلب منا الوفاء بالشرط المحدد. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية المجلد ٢، ٢٧٤-٢٧٥)

أين مجال المقارنة بين القرآن والأحاديث من حيث الحفظ، وذلك إضافة إلى صفة القرآن الكريم المتميزة بكونه وحياً متلوّاً. فكما لا يوجد للقرآن الكريم نظير في البلاغة والفصاحة والحقائق والمعارف، كذلك لا يوجد له مثل من حيث صحته الكاملة وحفظه وكونه لا ريب فيه، لأن الله تعالى قد تكفّل الاعتناء بحفظ ألفاظه وترتيبها حفظاً تاماً.

وبالإضافة إلى ذلك، سواء أكان حديثاً أو قول صحابي، فقد اهتم به على أية حال بشرٌ ليسوا معصومين من السهو والنسيان. فلا يسعهم أن يجعلوا الأحاديث والأقوال مثل القرآن من حيث الحفظ التام والصحة الكاملة. وإن عجزهم في هذا المجال المذكور في إعجاز ذكرته الآية: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾. فما دام الإتيان بمثل القرآن الكريم في كل شيء مستحيلاً، فكيف يسع هؤلاء الناس أن يجعلوا الأحاديث مثل القرآن من حيث الصحة والحفظ؟ (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية المجلد ٣، ٦١٥-٦١٦)

"أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَا ادَّعَىٰ إعجاز البلاغة إلا في الريافة، فإن العرب في زمانه كانوا فصحاء العصر وبلغاء الدهر، وكان مدار تفاخرهم على غُرر البيان ودُرره وثمار الكلام وزهره، وكانوا يناضلون بالقصائد المبتكرة والخطب المحبّرة، ولكن ما كان لهم أن يتكلموا في اللطائف الحكيمية، وما مسّت بياضهم رائحة المعارف الإلهية، بل كان مسرح أفكارهم إلى الأبيات العشقية، والأضاحيك الملهية، وما كانوا على ترصيع مضامين الحكم قادرين. وكانوا قد مروا من سنين على أنواع النظم والنثر ولطائف البيان، وسَلِمُوا وقِيلُوا في الأقران، وكانوا أهل اللسان وسوابق الميادين. فخطبهم الله وقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ وقال: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، فعجز الكفار عن المقابلة وولّوا الدبر كالمغلوبين. (نور الحق، الجزء الأول، الخزان الروحانية، المجلد ٨، ص ١٤٥-١٤٧)

إذا اجتمعت الجنّ والإنس على أن يأتوا بكتاب يضاهي كمالات القرآن لن يقدروا على ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٨٦)

..... بعض المشايخ الأغبياء - أخزاهم الله - يقولون إن هذا التفرد والتميز يقتصر على كونه عديم المثال في البلاغة فقط. لكن هؤلاء جهلاء جدا وعميان القلوب، فأبي شك في كون القرآن الكريم عديم النظر في بلاغته وفصاحته أيضا، إلا أن القرآن الكريم لم يقصد قط أن تفرد به هذه الميزة فقط، بل يقصد ذلك الكلام المقدس أنه عديم النظر في جميع الصفات التي وُصف بها. وليس من الضروري أن تجتمع جميع الصفات لتجعله عديم النظر. كلا بل إنّ كل صفة له بحد ذاتها بلغت درجة انقطاع النظر. (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٥٠-٥١)

قُلْ لَهُمْ لَيْنُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ أَرَادُوا أَنْ يَجْعَلُوا نَظِيرَ هَذَا الْقُرْآنِ أَيْ كُلِّ الصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ الَّتِي بَيَّنْتَ فَمَنْ يَرِيدُ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ أَوْ الْجِنَاتِ فَلَنْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ أَبَدًا وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا. (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٥٩)

الآية ٩٠: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾

أي قد أكملنا القرآن الكريم من كل الجوانب والنواحي بالحجج والأدلة ولكن الناس مع ذلك لم يرتدعوا عن الإنكار. (الحرب المقدس، الخزائن الروحانية المجلد ٦، ص ٨٦)

الآية ٩٤: ﴿أَوْ يَكُونْ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾

أن كفار مكة طلبوا من سيدنا ومولانا خاتم الأنبياء ﷺ المعجزة نفسها؛ أن يصعد إلى السماء أمام أعينهم وينزل منها بين ظهرانيهم، ولكنهم تلقوا ردًّا: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ أي أن الله تعالى أعظم وأسمى شأنًا من أن يُرى في دار الابتلاء هذه مثل هذه الخوارق البينة ويُضيع الحكمة من الإيمان بالغيب.

أقول: إن الأمر الذي لم يُعتَبَر جائزًا للنبي ﷺ الذي كان أفضل الأنبياء، بل عُذَّ خارج سنة الله، كيف يجوز للمسيح ﷺ؟ فمن الإساءة الشديدة أن نستبعد كمالًا بحق النبي ﷺ ثم نقبل إمكانية الكمال نفسه بحق المسيح ﷺ. هل يسع مسلمًا صادقًا أن يرتكب إساءة كهذه؟ كلا، ثم كلا. (توضيح المرام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٥-٥٦)

لو كان المسيح ﷺ نازلاً في الحقيقة كما يوقن المشايخ، لما وسع أحدا إنكاره بحال من الأحوال. ولكن يجب أن يعلم المشايخ جيدًا أن هذا لن يحدث أبداً، لأن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا

يَلْبَسُونَ﴾ أي لو أرسلنا الملائكة أيضا كأنبياء، لكان هناك مجال للشك والارتياب في أمرهم أيضا. والمعلوم أن المعجزة نفسها - أي معجزة النزول من السماء - طلبت من النبي ﷺ أيضا وكانت الحاجة ماسة لإظهارها، لأن عقوبة إنكار نبوته ﷺ هي جهنم الأبدية، ولكن الله تعالى مع ذلك لم يُظهرها، وردّ على السائلين برفض باتٍ قائلاً إنه لا يُظهر معجزاتٍ بصورة مكشوفة في دار الابتلاء هذه حتى لا يقع خلل في الإيمان بالغيب، لأنه لو شاهد الناس شخصا نازلا من الله، ورأوا أيضا الملائكة نازلين من السماء، وقُضي الأمر كليًا، لما وسع أيّ شقي أن يُنكر هذا الأمر الواضح الجليّ. إن القرآن الكريم يزخر بالآيات التي تقول صراحة إنه ليس من سنة الله تعالى أن يُري مثل هذه المعجزات، وأن الكفار كانوا يكرّرون المطالبة بمثل هذه المعجزات، فردّ الله عليهم دائما: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ ولكن ليس من سنتنا أن نُري آية من هذا القبيل في دار الابتلاء هذه، لأن ذلك يؤدي إلى ضياع الإيمان بالغيب الذي هو مدار الأجر والثواب كله.

فيا أيها الإخوة، إنما أقول لكم نُصحًا لله أن أقنعوا عن هذه الفكرة الباطلة، وتدبروا هاتين القرينتين القويتين والبيّنتين؛ أولاهما: نزول إيليا من السماء وكيفية نزوله.

وثانيتها: مطالبة الكفار النبي ﷺ بالمعجزة نفسها وأُجيب عليها: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾.

تأملوا في أنفسكم؛ أليست في هذه القرائن القوية والأدلة القاطعة كفاية للفهم أنه ليس المراد من النزول من السماء النزول الحقيقي والمادي، بل النزول على وجه الظلية والمماثلة. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٤٣-٢٤٤)

(١) ﴿أَوْ تَرَقَىٰ فِي السَّمَاءِ... قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾. فالواضح من هذه الآية أن الكفار طلبوا من النبي ﷺ أن يصعد إلى السماء آية،

وتلقّوا جواباً قاطعاً أنه ليس من سنة الله أن يرفع جسداً مادياً إلى السماء. ولو سلّمنا بصعود ابن مريم إلى السماء، لكان هذا الجواب مدعاة لاعتراض شديد، ولا ستلزم تناقضاً واختلافاً في كلام الله. فالأمر القاطع واليقيني هو أن المسيح عليه السلام لم يصعد إلى السماء بجسده المادي، بل رُفِعَ إليها بعد الممات. هنا أسأل هؤلاء القوم: هل رُفِعَ يحيى وآدم وإدريس وإبراهيم ويوسف عليهم السلام وغيرهم إلى السماء بعد موتهم أم لا؟ وإن لم يُرَفَعُوا فكيف رآهم النبي ﷺ في السماء ليلة المعراج؟ وإذا كانوا قد رُفِعُوا فلماذا إذاً تستنبطون من رفع المسيح ابن مريم معنى آخر بغير حق؟ واللافت في الموضوع أن كلمة "التويّ" التي تدل على الموت بصراحة متناهية، قد وردت بحق المسيح بكثرة، وأن مثال الرفع أيضاً بيّن بالبدهة؛ لأنه انضم إلى هؤلاء الأموات الذين رُفِعُوا قبله.

وإذا قلتم بأن الأنبياء السابقين لم يُرَفَعُوا، قلتم: كيف وصلوا إلى السماء إذاً؟ لا شك أنهم كانوا قد رُفِعُوا، لذا وُجِدُوا في السماء. ألا تقرأون ما في القرآن الكريم آية: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: ٥٨). أليس هذا الرفع نفسه الذي ورد بحق المسيح؟ أليس هذا الرفع أيضاً بمعنى نفسه؟ ﴿فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ﴾ (يونس: ٣٣). (إزالة الأوهام، الخزانة الروحانية المجلد ٣، ص ٤٣٧-٤٣٨)

يقول القرآن الكريم بجلاء بأن صعود أي إنسان إلى السماء ينافي سنة الله، حيث قال: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ بينما يُصعد معارضونا عيسى عليه السلام إلى السماء بجسده المادي. (كتاب البراءة، الخزانة الروحانية، المجلد ١٣، ص ٢٢٤ الحاشية)

إن عيش المسيح ابن مريم المنافي لنصوص كتاب الله الصريحة منذ مئات السنين ونزوله في حشد عظيم في حزب من الملائكة وقتله جميع الكفار بنفسه ورؤية الناس هذا المشهد المناقض للإيمان بالغيب، في الحقيقة كل هذا كان من شأن المؤمنين بالطبيعة وسنن الكون أن ينكروه، لأنه لا يوجد مثل هذه المعجزات نظير في التاريخ

ويكذبها القرآن الكريم كما هو واضح من آية ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾. (كتاب البراءة، الخزانة الروحانية، المجلد ١٣، ص ٢٠٧ الحاشية)

ليس من سنة الله أن يصعد الإنسان إلى السماء بالجسد المادي ثم ينزل منها. (أيام الصلح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٧٨)

إن بطلان فكرة النزول من السماء لا يثبت من آية ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ فحسب، بل إن جميع الآيات التي ورد فيها أن الإيمان عند نزول الملائكة لن ينفع إذ يكون ذلك الوقت للحكم، لا للبشارة والإيمان؛ تُنادي بصوت عال أن نزول عيسى عليه السلام من السماء واضعا كفيه على أكتاف الملائكة باطل تماما. (أيام الصلح، الخزانة الروحانية المجلد ١٤، ص ٣٨١-٣٨٢)

الذين طلبوا آيات اقترحوها من عند أنفسهم رُدَّ عليهم في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٤).. أي أن الله تعالى بريء من أن يكون رسوله أو نبيه أو ملهم منه حائزا على قدرة ليرى بقدرته أعمالا خارقة للعادة تخص الألوهية فقط. وقال: قل لهم بأني لستُ إلا بشرا ورسولا ولا أستطيع أن أنجز شيئا من تلقاء نفسي بل أتبع أمر الله فقط، لذا فإن مطالبكم إياي أن أرى آية كذا ولا أرى آية كذا غباوة محضة. فلا أستطيع أن أرى إلا ما أخبرني الله به. (التحفة الغزنوية الخزانة الروحانية المجلد ١٥، ص ٥٤٠)

حين طلب الكفار الأشقياء من النبي ﷺ المعجزة الاقتراحية^١ أنهم لن يؤمنوا به حتى يرقى في السماء ثم ينزل منها أمام أعينهم فأمر بـ ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾.. أي أن ربي منزّه من أن يقوم بعمل يخالف سنته القديمة وقانون طبيعته الدائم، وإنما أنا رسول وبشر، ولم تكن سنته ﷺ مع أحد من جميع الرسل الذين أتوا في هذا

^١ أي طلبوا إظهار المعجزة بحسب طلبهم وشروطهم. (المترجم)

العالم أنه رفعه بجسمه المادي إلى السماء ثم أنزله من السماء. وإذا كانت من سنته فأتيتوا أن فلانا من الأنبياء رُفع بجسمه المادي إلى السماء ثم أنزل، عندئذ سأصعد أنا أيضا إلى السماء وأنزل أمام أعينكم. وإذا لم يكن لديكم أي نظير لذلك فلماذا تطالبوني بأمر ليس من سنة الله مع الأنبياء. فالواضح أنه لو كان النبي ﷺ قد علّم الصحابة أن المسيح ﷺ قد صعد إلى السماء حيّا بجسده المادي لاعترضوا حتما وقالوا: يا سيدنا، لماذا تغدّ صعود أحد الأنبياء إلى السماء بجسده المادي مخالفا لسنة الله مع أنك بنفسك قد أخبرتنا أن المسيح ﷺ قد صعد إلى السماء حيا بجسده المادي؟ (التحفة الغولورية، الخزان الروحانية المجلد ١٧، ص ٩٢-٩٣)

"وقد سأل المشركون سيّدنا ﷺ أن يرقى في السماء إن كان صادقا مقبولا، ف قيل: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾. فما ظنّك، أليس ابنُ مريم بشرا كمثل خير المرسلين؟ أو تفترى على الله وتقدّمه على أفضل النبيين؟ ألا إنه ما صعد إلى السماء، ألا إن لعنة الله على الكاذبين. وشهد الله أنه قد مات ومن أصدق من الله ربّ العالمين؟ (الهدى والتبصرة لمن يرى، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٣٦٥)

لقد طُلب من النبي الأكرم ﷺ، كما ورد في القرآن الكريم، أن يصعد إلى السماء، فرفض الله تعالى هذا الطلب قائلا: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾. ألم يكن عيسى بشرا؟! فلم رُفع إلى السماء دون أن يُطلب منه ذلك؟ (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٧)

إن الأفكار القائلة بأن الله تعالى قد رفع المسيح ﷺ إلى السماء بجسده؛ مخجلة للغاية، لأنها توحى وكأنه كان يخاف أن يقبض عليه اليهود. والذين لم يعرفوا حقيقة النزاع قد نشروا أفكارا كهذه. وفي هذه الأفكار إساءة إلى النبي ﷺ لأن كفار قريش طلبوا منه بكل إصرار وإلحاح معجزة أن يرقى في السماء أمام أعينهم وينزل منها بكتاب حتى يؤمنوا به جميعا، ولكن الله تعالى ردّ عليهم قائلا: ﴿قُلْ سُبْحَانَ

رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا»، أي إنني بشر، والله بريء من أن يرفع البشر إلى السماء خلافاً لسنته مع أنه قد وعد أن البشر كلهم سيعيشون على الأرض فقط ولكنه ﷺ رفع المسيح إلى السماء بالجسد ولم يهتم بوعدده قط. (محاضرة سيالكوت، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٢٠)

من المؤكد تماماً، بغض النظر عن وجود الأدلة على وفاته أن الكفار طلبوا من النبي ﷺ معجزة الصعود إلى السماء. فكان ينبغي له ﷺ الذي كان الأكمل والأفضل من جميع النواحي - أن يصعد إليها، ولكن ماذا أجاب به بوحى من الله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾. هذا يعني أن الله بريء من إخلاف وعده. فما دام قد حرّم على البشر الصعود إلى السماء بجسده العنصري، فلو صعدتُ إليها أنا لكنتُ كاذباً. إذا كان اعتقادكم بصعود المسيح إلى السماء صحيحاً؛ فبِمَ تردُّون لو اعترض أحد من القساوسة على النبي ﷺ مقدِّماً هذه الآية؟ (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٤١، عدد ٣٠/١١/١٩٠٦م، ص ٥)

"فانظر اقتداءً لهذا القانون العاصم الذي بلغنا من رسول الله ﷺ، هل تجد لقصة صعود المسيح مع جسمه العنصري ولقصة نزوله من السماء واضعاً كفيه على جناحي الملكين أصلاً أو أثراً في القرآن أو قصة مما يُشابه هذه القصة؟ بل القرآن يُنزّه شأن الله عن مثل تلك الأفعال في هذه الدنيا ويقول: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾". (حماسة البشري الخزانة الروحانية المجلد ٧، ص ٢١٨-٢١٩)

من ناحية يُعدّون عيسى عليه السلام واحداً لا شريك له مثل الله تعالى، إذ هو الذي صعد إلى السماء بالجسد المادي، وهو الذي سينزل منها إلى الأرض بالجسد المادي في يوم من الأيام. وهو الذي خلق الطيور. لقد طلب الكفار من نبينا الأكرم ﷺ حالفين بالتكرار بأنك لو صعدت إلى السماء بالجسد المادي لآمنا بك فوراً، فردّ عليهم: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٤) أي قل لهم:

سبحان ربي أن يخلف وعده، فلا أستطيع أن أصعد إلى السماء بالجسد المادي لأن ذلك ينافي وعده. والسبب في ذلك أنه تعالى يقول: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ (الأعراف: ٢٦) ويقول أيضا: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ (الأعراف: ٢٥).... فلو صعد عيسى إلى السماء بجسده المادي لاستلزم ذلك بحسب بيان القرآن الكريم بأنه ما كان بشرا. (ينبوع المسيحية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٨٦، الحاشية) إن الذين يقولون، مع كونهم مسلمين، بصعود عيسى ﷺ إلى السماء حيا بجسده المادي يتفوهون بكلام لغو يخالف القرآن الكريم. القرآن الكريم يبين موت عيسى في الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨) ويجعل صعود الإنسان إلى السماء بالجسد المادي مستحيلا في الآية: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ فأَيُّ جهل أن يعتنقوا اعتقادا يعارض كلام الله. (ينبوع المسيحية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٤٥ الحاشية)

... إن معارضينا - مع وجود اختلاف كثير في الأحاديث الموجودة عند كل فرقة عن المسيح الموعود من ناحية، ومن ناحية أخرى اعتباره من الأمة بالإجماع - مطمئنون بأن المسيح سينزل من السماء حتما، مع أن النزول من السماء أمر لا يُعقل في حد ذاته ويتنافى مع نصوص القرآن. يقول الله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ فإذا كان رفع البشر إلى السماء بجسده المادي من عادة الله فلماذا رُفض طلب الكفار من قريش بذلك؟ ألم يكن عيسى بشرا، والنبي ﷺ بشرا؟ ألم يذكر الله عند رفعه عيسى ﷺ إلى السماء وعده القائل: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ (المرسلات: ٢٦-٢٧)؟ وتذكر قوله فورا حين طلب منه رفع النبي ﷺ إلى السماء؟ (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٧) لقد ورد في كتب إلهية أن المؤمن يُحيا بعد موته ببضعة أيام أو بعد أربعين يوما على أكثر تقدير، ويُرفع إلى السماء. علما أن هذا النزاع لا يزال يدور بيننا وبين

معارضينا حول رفع عيسى عليه السلام، إذ نحن نعتقد حسب كتاب الله برفعه الروحاني، أما معارضونا فهم يعتقدون برفعه الجسدي مخالفين بذلك كتاب الله وواطئين تحت الأقدام حكمه القائل: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ويقولون عني إنني دجال لأنه قد ورد أن ثلاثين دجالا سيظهرون، ولا يفكرون أنه إذا كان مقدرا أن يأتي ثلاثون دجالون فكان من المفروض أن يأتي مقابلهم ثلاثون مسيحا أيضا. ولكن ما أكبر هذه الطامة إذ جاء ثلاثون دجالون ولم يأت ولا مسيح واحد! ما أشقى هذه الأمة! إذ لم يبق في نصيبها إلا الدجالين، ولم يكن من نصيبها إلى الآن أن ترى وجه مسيح صادق، بينما قد جاء في السلسلة الإسرائيلية مئات الأنبياء. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٢١١-٢١٢)

"يرفعون عيسى مع جسمه إلى السماء، ولا يتدبرون قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ﴾ بل يزيدون في البغض والشحناء. يا فتيان.. أين أنتم من تلك الآيات، ولم تتبعون ما تشابه من القول وتتركون البينات المحكمات؟ ألا تعلمون أن الكفار طلبوا في هذه الآية معجزة الصعود إلى السماء، من نبينا خير الأنبياء وزبدة الأصفياء، فأجابهم الله أن رفع بشرٍ مع جسمه ليس من عادته، بل هو خلاف مواعيده وسنته. ولو فُرض أن عيسى رُفع مع جسمه إلى السماء الثانية، فما معنى هذا المنع في هذه الآية؟ ألم يكن عيسى بشرًا عند حضرة العزة؟ ثم أي حاجة اشتدت لرفعه إلى السماوات العلى؟ أأرَهَقَتْهُ الأرض بضيقها، أو ما بقي مفرٌّ من أيدي اليهود فيها، فزُفِعَ إلى السماء ليُخْفَى؟" (الاستفتاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٦٦٩-٦٧٠)

"فلا شك أن هذه الآية دليل واضح على امتناع صعود بشرٍ إلى السماء مع جسمه العنصري، ولا ينكره إلا الجاهلون. وفي قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ إشارة إلى آية: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ (الأعراف: ٢٦) فإن رفع بشرٍ إلى السماء أمرٌ ينقض هذا العهد، فسبحانه وتعالى عما ينقض عهده، ففكروا أيها العاقلون".

(الاستفتاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٦٦٩-٦٧٠، الحاشية)

لقد طُلب من النبي ﷺ أيضا معجزة الصعود إلى السماء والعودة منها كما جاء في القرآن الكريم ولكن ردَّ الله عليهم ردًّا باتًّا فقال: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾. (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزانة الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢٨٩)

الاعتقاد الذي ثبتني الله تعالى عليه على وجه البصيرة هو أن عيسى ﷺ مات مثل بقية الناس بعد أن نال عمرا طبعيا، وأن الصعود إلى السماء بالجسد المادي والنزول بالجسد إلى الدنيا في وقت من الأوقات كلها تُهمَّ وُجِّهَتْ إليه. قال الله ﷻ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾. (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزانة الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٧٢)

حين التمس الكفار من النبي ﷺ أن يُريهم معجزة الصعود إلى السماء بجسده المادي هذا ردَّ عليهم: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ...﴾ أي قل لهم بأن سبحان ربي عن الإخلاف في عهده ووعدده، فقد سبق أن قال بأنه لا يمكن أن يصعد الجسد المادي إلى السماء، فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ (المرسلات: ٢٦-٢٧)، وكما قال: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ (الأعراف: ٢٦). وقال أيضا: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (الأعراف: ٢٥). فكان من حُبِّ الكفار العرب أن يطلبوا معجزة تتعارض مع قول الله وعهده، إذ كانوا يعلمون جيدا أنهم لن يُروا معجزة مثلها أبدا لأنها تناقض قول الله الذي سبق من قبل، وسبحان الله عن أن ينقض عهده. ثم قال: قل لهم: ما أنا إلا بشر، وقد حَكَمَ الله تعالى من قبل أن صعود البشر بالجسد المادي إلى السماء مستحيل. غير أنه يمكن أن يصعد الأطهار إلى السماء مع أجساد أخرى كما تصعد أرواح جميع الأنبياء والرسل والمؤمنين بعد الممات. وفيهم يقول الله تعالى: ﴿مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ (ص: ٥١) أي ستُفتح أبواب السماوات للمؤمنين.

وليكن معلوما أنه إذا كان المراد هنا الأرواح وحدها، لما جاء ضمير ﴿هُمْ﴾ لذكرها. فهذه قرينة قوية على أن الرفع الذي يحظى به المؤمنون بعد الممات يكون مع الجسد، ولكنه ليس هذا الجسد المادي المعروف، بل تُعطى روح المؤمن جسدا

طاهرا ونورانيا ومصونا من الألم والعيب الذي يستلزمه الجسد المادي. بمعنى أنه لا يحتاج إلى أغذية أرضية ولا إلى ماء أرضي. وجميع الناس الذين يُبَوِّءون جوار الله ينالون جسدا كمثلته تماما. ونؤمن بأن عيسى عليه السلام أيضا نال بعد الممات جسدا كمثلته تماما، وبالجسد نفسه رُفِعَ إلى الله تعالى. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤٠٠-٤٠١)

لقد طلب كفار قريش من سيدنا ومولانا ﷺ معجزة أن يصعد إلى السماء على مرأى منهم فرد الله عليهم قائلا: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ أي قل لهم بأن الله تعالى بريء من أن يخلف وعده ولست إلا بشرا أرسل إليكم. (ينبوع المعرفة الخزائن الروحانية المجلد ٢٣، ص ٢٢٨)

ما حقُّنا على الله حتى نقول بأن يفعل حصرًا ما نريده نحن؟ إنه لسوء أدب. وإن إلها من هذا النوع لا يمكن أن يكون إلها أصلا، غير أنه من فضل الله أنه أعطانا أملا ورفع هممنا قائلا: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (المؤمن: ٦١)، ولم يقل بأنكم ستُعْطون ما تسألونه فقط. عندما طُلب من النبي ﷺ بعض الآيات التي اقترحها الناس بأنفسهم ردَّ عليهم بتعليم من الله: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾. إن رسل الله لا يتجاوزون حدودهم البشرية أبدا، بل يهتمون بآداب الله. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٢، عدد ٣١/٣/١٩٠٣ م، ص ٣)

لا نقبل أن أحدا يستطيع أن يصعد إلى السماء بالجسد لأنه عندما طلب الكفار من النبي ﷺ أن يصعد إلى السماء قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢ م، ص ٦)

إن الله لا يريد أن يُري هنا مشهدا للقيامة، فالذين يريدون رؤية مثل هذه الآيات مخطئون، فهي علامات الحرمان، فلما طالب بعض الناس النبي ﷺ أن يرقى في السماء كان الرد عليهم محصورا في: ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ والذي يؤمن بعد الانكشاف التام، ويتوقع الثواب فهو مخطئ. فإن بُسِطَ يدٌ أخفت شيئا ثم أخبر

أَحَدٌ أَنْ بَدَاخِلَهَا كَذَا، فَلَنْ يَنَالَ أَيُّ أَهْمِيَّةٍ. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٦، عدد ١٧/٧/١٩٠٣ م ص ٢)

إِنَّ هَؤُلَاءِ يَصِفُونَهُ (عيسى عليه السلام) بصفات تترتب عليها الإساءةُ إلى النبي ﷺ وهجوُّه، لأنَّ الكفار حين سألوا النبي ﷺ أَنْ يَرْقِيَ فِي السَّمَاءِ لَمْ يُظْهِرْ لَهُمْ هَذِهِ الْمَعْجَزَةَ وَإِنَّمَا قَالَ لَهُمْ ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾. أما المسيح فقد رفعه الله تعالى إلى السماء دون أيِّ مطالبة من قِبَلِ أيِّ كافر، فكأنَّه ﷺ بنفسه أراد أَنْ يُخْجَلَ النَّبِيُّ ﷺ ويُجْرَحَ أَمَامَ الْكَافِرِ، فَهَلْ كَانَ ذَلِكَ الْإِلَهِ (الذي رفع المسيح إلى السماء) غَيْرَ هَذَا الْإِلَهِ (الذي رفض مطلب الكفار). (بدر، مجلد ٢، رقم ٣٤، عدد ١١/٩/١٩٠٣ م، ص ٣٦٧)

نَحْنُ نُؤْمِنُ بِهِ ﷺ نَبِيًّا وَأَشْرَفَ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ وَلَا نَتَحَمَّلُ أَبَدًا أَنْ يُنْسَبَ أَمْرٌ رَائِعٌ إِلَى غَيْرِهِ. عِنْدَمَا طَلَبَ الْكَافِرُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ الْمَعْجَزَةَ نَفْسَهَا أَنْ يَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ ﷺ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ وَرَفُضَ. كَيْفَ يُمْكِنُ إِذَنْ أَنْ يَرْفَعَ اللَّهُ الْمَسِيحَ إِلَى السَّمَاءِ؟ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَثْبِتَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بَلْ مِنْ جَمِيعِ الْكُتُبِ أَنَّ كَافَّةَ الْأَخْلَاقِ وَالْمَزَايَا الَّتِي وُجِدَتْ فِي الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا قَدْ اجْتَمَعَتْ فِي النَّبِيِّ ﷺ. وَإِلَى ذَلِكَ تَشِيرُ الْآيَةُ: ﴿كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤). فَإِذَا كَانَ الصُّعُودُ إِلَى السَّمَاءِ مَدْعَاةً لَأَفْضَلِيَّةٍ فَمَتَى كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْقَى مُحْرَمًا مِنْهُ؟ سَيَتَحَسَّرُ هَؤُلَاءِ النَّاسُ آخِرًا عَلَى عَدَمِ قَبُولِهِمْ هَذِهِ الْأُمُورَ. إِنَّهُمْ يَشْنُونُ هُجُومًا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِذْ يَقُولُونَ إِنَّ النَّاسَ طَلَبُوا مِنْهُ مَعْجَزَةَ الصُّعُودِ إِلَى السَّمَاءِ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبَالِ بِهِ ﷺ، أَمَا عَيْسَى فَأَعْطَاهُ هَذَا الشَّرْفَ وَرَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ! ثُمَّ يَشْنُونُ هُجُومًا آخَرَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ أَعْطَى الْمَسِيحَ شَيْئًا مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْخَلْقِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى تَشَابِهِ الْخَلْقِ. وَيَرُدُّونَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِنَفْسِهِ أَعْطَى الْمَسِيحَ هَذِهِ الْقُدْرَةَ. أَيْهَا السُّفَهَاءُ، إِذَا كَانَتْ الْأُلُوهِيَّةُ سَتُقَسَّمُ عَلَى آيَةٍ حَالٍ، فَهَلْ كَانَ عَيْسَى وَحْدَهُ مُسْتَحَقًّا أَنْ يَأْخُذَ نَصِيبًا مِنْهَا؟ لِمَاذَا لَمْ يُعْطَ النَّبِيُّ ﷺ نَصِيبًا مِنْهَا؟ (بدر، مجلد ٣، رقم ٣٥، عدد ١٦/٩/١٩٠٤ م، ص ٢)

لقد صدر الحكم في كتاب الله تعالى أنه لا يصعد أحد إلى السماء. فحين طلب الكفار من النبي ﷺ معجزة الصعود إليها قال: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾... هذا ما تشهد به الكتب السماوية والتاريخ أيضا. ولا يوجد نظير أن صعد بعض أنبياء الله (بأجسادهم) إلى السماء من قبل. لقد حكم المسيح بنفسه أن يوحنا هو إلياس. صحيح أنه كما صعد آدم وموسى ونوح وغيرهم من الأنبياء إلى السماء كذلك صعد عيسى ﷺ دون شك. وقد رأى النبي ﷺ الجميع في السماء ولم تكن لعيسى ﷺ أية خصوصية في ذلك. من المؤسف أن حاسة الشم قد تعطلت عندهم تماما، مع أنه يُشم من حالة العصر أن هذا الاعتقاد يمثل لبنة أولى للمسيحية. (بدر، مجلد ١، رقم ١٩، عدد ١٠/٨/١٩٠٥م، ص ٢)

الصحيح والصحيح تماما والقول الحق هو أن الأجسام توهب حتما ولكن الأجسام المادية تبقى في هذه الدنيا ولا تصعد إلى الأعلى، كما قال النبي ﷺ ردّا على الكفار: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٤) أي سبحان ربي أن يخلف وعوده التي قطعها من قبل، إن كنتُ إلا بشرا رسولا. لقد استخدمت كلمة "سبحان" للبيان أنه تعالى لا يخلف وعوده. وما هو ذلك الوعد؟ إنما هو: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٧) وكذلك قال ﷺ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ (المرسلات: ٢٦)، وقال: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ (الأعراف: ٢٦)، فلو أمعنا النظر في هذه الآيات بصورة جماعية لتبين بوضوح أن الجسم المحتاج إلى الأكل والشرب لا يصعد إلى السماء، فكيف نقبل هذه الخصوصية في المسيح على النقيض مما في الأنبياء الآخرين؟

لقد طلب الكفار من النبي ﷺ تحاسرا منهم أن يصعد إلى السماء، وكان السبب وراء ذلك أنهم كانوا قد سمعوا من قبل الآيات التي رُفض فيها هذا الأمر. ففكروا أنه لو وافق على ذلك لوجدوا فرصة الاعتراض. ولكنه كان كلام الله تعالى وكان الاختلاف فيه محالا لذا ردّ عليهم: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾،

أي قل لهم بأن معجزة كهذه تنافي قول الله تعالى، وسبحان الله أن يخالف قوله السابق. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥ م، ص ٩)

كلما طُلبت من النبي ﷺ معجزة الصعود إلى السماء رُدَّ عليهم: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾، ويُقترح بحق المسيح ﷺ أنه صعد إلى السماء! إن نتيجة هذا النوع من الخصوصيات هي تأليهه، فأين التوحيد إذن؟ (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥ م، ص ١٢)

الآية: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ تمنع صعوده إلى السماء حيا لأنه حين طلب الكفار منه ﷺ معجزة الصعود إلى السماء رَدَّ الله تعالى عليهم قائلا: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ أي سبحان ربي أن يخلف الميعاد بعد أن قَدَّرَ للإنسان مرة أن يولد في هذه الدنيا ويموت فيها كما يقول: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ (الأعراف: ٢٦). أما أنا فبشر وترافقني مقتضيات البشرية التي لا يمكن أن تصعدني إلى السماء. والحق أن هذا ما قصده الكفار من هذا السؤال لأنهم كانوا قد سمعوا من قبل بأن الإنسان يحيا ويموت في هذه الدنيا؛ فحين وجدوا فرصة مواتية طرحوا هذا السؤال. وقد رُدَّ عليهم بما أدى إلى خيبة آمالهم ومكايدهم. فالقضية مفروغ منها أن المسيح ﷺ قد مات. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠٦ م، ص ٣)

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ والإنسان لا يطير إلى السماء قط، هذه هي سنة الله الجارية منذ القدم. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢١، عدد ١٧/٦/١٩٠٦ م، ص ٤)

عندما طلب الكفار من النبي ﷺ: ﴿أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ﴾ رَدَّ الله تعالى عليهم بأن البشر لا يمكن أن يصعد إلى السماء، فقال: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾، إذا كان صعود البشر إلى السماء ممكنا لكان من الواجب أن يقدم الكفار نظيرا.

من المؤسف أن هؤلاء القوم عاقدون العزم على نصره القساوسة دون مبرر. حين يقول المسيحيون بأن البشر لا يمكن أن يصعد إلى السماء بحسب القرآن الكريم ولكن عيسى صعد إليها فهذا يعني أنه إله، ينظر المسلمون إليهم محتارين مشدوهين. لا يفهم هؤلاء القوم أن عيسى عليه السلام كان إنسانا ضعيفا ورسول الله ولم يكن أكثر من ذلك قيد شعرة. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٧م، ص ٦)

لقد منع الله تعالى أن يطالب المرء الله شيئا، وتوحي التجربة أن أصحاب المطالب هم الذين يحرمون من الهداية دائما، لأن الله لا يتبع مرضاتهم ورغباتهم فلا يهتدون. انظروا، حيثما طلبت الآيات والمعجزات كان الرد دائما: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٤، عدد ٢/٤/١٩٠٨م، ص ٣)

لا شك أنه (عيسى عليه السلام) كان من المقربين إلى الله وكان عليه فضل الله وكان يتميز بالنبوة، فلا يصح تخصيصه بخاصة لا توجد في سائر الأنبياء. يقولون إنه قد تبوأ في السماء بجسمه المادي منذ قرون، مع أن الكفار أكدوا للنبي ﷺ مقسمين أنهم سيؤمنون به حتما إذا رقي أمامهم في السماء، فرد عليهم بالقول ﴿سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾. ما دام الله ﷻ قد سنَّ القانون منذ البدء ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ (الأعراف: ٢٦) فكيف كان يمكن أن يفعل خلاف سنته. فلو كانت هذه العقيدة - أي صعود المسيح إلى السماء بجسمه المادي - سائدة في المسلمين يومذاك، لكان من حق الكفار أن يعترضوا أنكم لماذا تجيزون لنبي شيئا ولا تجيزونه لغيره من الأنبياء؟ مع أنكم تؤمنون بأن النبي ﷺ أفضل الأنبياء كلهم ولا سيما من المسيح، وهو جامع كمالات النبوة.

باختصار، لا يوجد في القرآن الكريم ذكر صعود أحد إلى السماء بالجسم المادي، بل يدحض القرآن هذا المعتقد. فإن ما قرأته عليكم هي آية من القرآن وليس حديثا حتى يقال إنه ضعيف أو موضوع، فافروا القرآن الكريم كله من الأول إلى الأخير

فلن تجدوا ما يُثبت أن عيسى عليه السلام حيٌّ إلى الآن. (بدر، مجلد ٧، رقم ١٩-٢٠، عدد ٢٤/٥/١٩٠٨ م ص ٤)

الآية ٩٧: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾

تذكروا جيدا أن الإلهام وحده لا يجدي نفعا قط ما لم ترافقه الشهادة الفعلية. عندما اعترض الكفار قائلين: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ رَدَّ عليهم: ﴿كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي سُتُبت شهادة الله الفعلية صدقي. إذن، يجب أن ترافق الإلهام شهادة فعلية. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ٢٥٤/٤/١٩٠٧ م، ص ٩)

الآية ١٠٦: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ أي بالضرورة الحقيقية أنزلناه وبالحق نزل. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٦، الحاشية رقم ١١) أي أن هذا الكلام حق وصدق في حد ذاته، وإن نزوله أيضا حق وضرورة. ولم ينزل عبثا وبلا فائدة وفي وقت غير مناسب. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٤٩-٦٥٠)

... إن للصعود والنزول، بحسب مذاق المتصوفين، معنى معيّنًا؛ وهو أنه عندما ينقطع الإنسان عن الخلق انقطاعا كليًا ويتوجّه إلى الله، فهذه الحالة تسمّى صعودا عند المتصوفين. وعندما يعود مأمورا بإصلاح خلقه عليه السلام، تسمّى هذه الحالة نزولا. لذا فقد اختير لفظ "النزول" من منطلق هذا المعنى الاصطلاحي. وهذا ما يشير إليه قول الله جلّ شأنه: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية المجلد ٣، ص ٤٢٠)

وبالحق أنزلناه وبالحق نزل، وكان وعد الله مفعولا. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية المجلد ٣، ص ١٣٨-١٣٩، الحاشية)

إن أول دليل على صدق النبي ﷺ أنه جاء في وقت اقتضى ظهور رجلٍ من الغيب لإنجاز المهمة. وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾. اعلّموا أن أول دليل لمعرفة المبعوث من الله تعالى هو أن ينظر المرء إلى الوقت والمناسبة، ويرى هل هناك حاجة أصلاً لحيء رجل سماوي أم لا؟ (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠٢م، ص ٤)

الآية ١٠٨: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾

عندما يُقرأ القرآن على أهل العلم من اليهود والنصارى يجرون للأذقان سجداً. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٧٨)
وقد أخبرني الله تعالى أن المفسدين والمتمردين الكبار سيعرفونني في نهاية المطاف، كما قال تعالى في إلهام: "يَجْرُونَ عَلَى الْأَذْقَانِ". (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ١٠٣ الحاشية)

الآية ١٠٩: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كَانُوا وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا﴾

يقولون إن ربنا منزه من تخلف الوعد، وكان وعد ربنا ليتحقق يوماً لا محالة.
الآية ١١٢: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾

... أي ليس له ولد ولا شريك له في ملكوته، وليس له وليٌّ ليلتمس منه شيئاً حال كونه محتاجاً. (القول الحق الخزن الروحانية المجلد ١٠، ص ٢٢٨)
الحق أن الله لا يتخذ أحداً ولداً ولا شريكاً. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد: ١٠/٣/١٩٠٤، ص ٥)

إن ولاية الله لا تعني أنه محتاج إلى صديق على شاكلة الإنسان، أو أن يتخذ الله إنساناً ولداً بسبب نقص، وإنما تعني أن الله يتخذ أحداً ولداً بفضلته وعنايته ويستفيد منه ذلك الإنسان لا الله. (بدر، مجلد ٣، رقم ١١، عدد ١٦/٣/١٩٠٤م، ص ٣)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الكهف



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢-٦: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَرْبَابًا * وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

لقد جاء في الحديث أنه إذا رأيتم الدجال فافروا أوائل سورة الكهف وهي: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ... وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾. يتبين من هذه الآيات أي جماعة قصدها النبي

ﷺ من الدجال^١. والمراد من الـ "عَوَج" إشراكُ المخلوق بالله الباري، كما اتخذ النصارى عيسى ﷺ إلها. ومن الجذر نفسه اشتق الفيح الأعوج، والمراد من الفيح الأعوج ذلك الزمن المتوسط الذي عدّ فيه المسلمون المسيح ﷺ شريك الله الباري في بعض الصفات. وكل إنسان يستطيع أن يفهم هنا أنه لو كان للدجال أيضا أي كيان مستقل لدُكرت فتنته أيضا في الفاتحة، ولكن فيها دعاء مستقل لاتقاء فتنته أيضا، أما الواضح هنا- أي في الفاتحة- فهو دعاء لاتقاء إيذاء المسيح الموعود واتقاء فتنة النصارى فقط، مع أن الدجال بموجب أفكار المسلمين المعاصرين شخص آخر، وفتنته أعظم الفتن، فكأن الله قد نسي والعياذ بالله إذ لم يذكر فتنة عظيمة واكتفى بذكر فتنتين فقط. إحداها الداخلية أي إيذاء المسيح الموعود على شاكلة اليهود، والثانية اعتناق الدين المسيحي. تذكروا جيدا أننا علّمنا الدعاء في الفاتحة لاجتناب فتنتين فقط: (١) الفتنة الأولى تتمثل في تكفير المسيح الموعود والإساءة إليه والطعن في حياته الخاصة وإصدار الفتوى بوجوب قتله، كما قد أشير إلى كل هذه الأمور في: ﴿غَيْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾. (٢) وثانيا علّمنا الدعاء لاجتناب فتنة النصارى. وقد أشير في نهاية السورة عند هذا الذكر إلى أن فتنة النصارى ستكون كالسيل العظيم ولن تكون أي فتنة أكبر منها. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية المجلد ١٧، ص ٢١٠-٢١٢)

الآية ٨: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

أي خلقنا كل شيء في الأرض زينة لها كي يتبين صلاح الصالحين مقابل فساد الطالحين، وتنكشف لطافة اللطيف برؤية شدة الشدّة لأنه "بضدها تتبين الأشياء"،

^١ لقد أورد النسائي في صفة الدجال حديث النبي ﷺ برواية أبي هريرة: "يخرج في آخر الزمان دجال يخلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أثقل من الزنبرك، يقول الله عز وجل: أباي يغترون أم علي يغترون... الخ" (كنز العمال، مجلد ٧، صفحة ١٧٤). أي يبذلون أموالا هائلة لنشر دينهم.. يقول الله هل تغترون بسبب حلمي؟ وهل بدأت التحريف. منه

وإنَّ قَدْرَ الصالحين ومكانتهم تتبيَّن بوجود الطالحين فقط. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٠٦، الحاشية رقم ١١)

الآية ١٠: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾

أتحسبون أن عجائبنا قد انتهت عند أصحاب الكهف فقط؟ كلا، بل إن الله تعالى يُري العجائب دائما ولا تنقطع عجائبه أبداً. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ٦٧٠، الحاشية في الحاشية رقم ٤)

أرى أنني سُمِّيتُ "أصحاب الكهف" أيضا في البراهين الأحمدية. السر في ذلك أنه كما ظلَّ أصحاب الكهف مختفين كذلك بقي هذا السر خافيا منذ ١٣٠٠ عام ولم ينكشف على أحد. يبدو من كلمة "الرقيم" التي وردت مع "أصحاب الكهف" أنه رغم كون هذا السر خفياً إلا أن هناك شاهداً مرقوماً معه أيضاً، وهو أن جميع الأنبياء ظلوا يتنبأون عن هذا الموعود. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٨، عدد ١٠/٨/١٩٠٥ م، ص ٢) لا أقول بأن الناس في العصر الراهن وحدهم مسؤولون عن الاعتقاد بحياة المسيح. كلا، بل أخطأ في هذا بعض من القدامى أيضاً ولكنهم مع هذا الخطأ نالوا ثواباً لأنه قد ورد عن المجتهد: "قد يخطئ ويصيب"، ويثاب في كلتا الحالتين. الحق أن المشيئة الإلهية اقتضت أن تبقى هذه القضية خافية، فظلوا في غفلة منها وبقيت الحقيقة خافية عليهم مثل أصحاب الكهف، كما تلقيتُ إلهاما: "أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا". كذلك إن قضية حياة المسيح أيضاً سرٌّ عجيب. مع أن الله تعالى يبين وفاة المسيح بكل صراحة، وثبت الأمر نفسه من الأحاديث، والآية التي قُرئت عند وفاة النبي ﷺ كاستدلال أيضاً تُثبت الأمر نفسه، ولكن الله تعالى قد أخفاه مع كونه مكشوفاً إلى هذا الحد وأبقاه خافياً للموعود المقبل، فحين جاء هذا الموعود أَمَاط اللثام عن هذا السر. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٦، عدد ٧/٢/١٩٠٦ م، ص ٣)

الآية ١٧: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾

يتبين من الآيات القرآنية أن كلمة ﴿آوَى﴾ تقتضي حلول مصيبة أولا. كذلك إن الإلهام: "إنه آوى القرية" يقتضي أن تكون الأوضاع مهيبة في البداية. هذا ما ورد عن أصحاب الكهف أيضا فقال تعالى: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ (المؤمنون: ٥١). المراد في الآيات كلها هو أنه ستحل مصيبة وظروف مخيفة قبل أن يؤوي الله تعالى. (بدر، مجلد ١، رقم ٥-٦، عدد ٢٨/١١/١٩٠٢م، ص ٣٦)

كلمة آوى تعني في اللغة العربية تقديم المأوى لأحد ليحظى بالأمن بعد تعرضه للمصائب إلى حد ما. كما يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (الضحى: ٧) أي وجدك الله يتيما وعرضه لمصائب اليتيم فأواك. ويقول أيضا: ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون: ٥١) أي هيأنا المأوى لعيسى وأمه بعد أن ظلمهما اليهود وأرادوا أن يصلبوا عيسى، فأوصلناهما إلى الجبل الأعلى أي جبل كشمير ذي الماء الزلال والمكان المريح. كذلك يقول ﷻ في سورة الكهف: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي اتخذوا الكهف مأوى فسيرحمكم أي ستنجون من إيذاء الملك الظالم.

باختصار، إن كلمة "آوى" تُستخدم دائما حين يحظى الإنسان بالأمن بعد تحمله المصائب إلى حد ما. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٢٤٣-٢٤٤)

الآية ١٨: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾

كما أن بداية الخلق المادي أيضاً من الله، ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (النحل: ٩٤)، من يناديه يُجيبه ويجيب غيره أيضاً، ومن لا يناديه لا يُجيبه، كما قال بنفسه

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ أي يهتدي مَنْ يهديه الله ومن يضلله فلن يجد مرشداً يهديه. (مكتوبات أحمد، ج ١، ص ٥٧٠)

الآية: ٢٤: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾

إن حالة هؤلاء تُثير تعاطفي ومواساتي لهم لما آل إليه مآلهم بسبب العناد. فحين يطلبون آية إنما يحصرون طلبهم في أن أسأل الله موتهم خلال سبعة أيام، فلا يعرفون أن الله ﷻ لا يتبع المعايير التي اخترعوها هم أنفسهم إذ قد قال سلفاً: ﴿لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: ٣٧) كما قال لنبيه الكريم ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ فإذا كان النبي ﷺ لا يستطيع أن يحدد موعد يوم واحد من عنده فأني لي أن أحدد موعد سبعة أيام لظهور الآية؟ كان المولوي غلام دستغير أفضل من هؤلاء الظالمين الأغبياء إذ لم يحدد في كتابه أي موعد، وإنما دعا الله ﷻ قائلاً: يا إلهي إذا كنتُ لست على حق في تكذيب مرزا غلام أحمد القادياني فأمنني قبله، أما إذا كان مرزا غلام أحمد القادياني ليس على حق في دعواه فأهلكه قبلي، فأماته الله عاجلاً جداً بعد صدور هذا الدعاء. انظروا بأي جلاء صدر الحكم. إذا كان أحد متردداً في قبول هذا الحكم فله الخيار في أن يجرب الحكم الإلهي، لكن يجب أن يترك التصرفات الشريرة التي تُنافي آية: ﴿لَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ إذ تنبعث من المحاجة بنية فاسدة رائحة الإلحاد. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٤٧-٤٨، وأربعين، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٩٧)

الآية ٣٤: ﴿كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا

نَهْرًا﴾

ثابت من اللغة أيضاً أن كلمة "الظالم" قد وردت بمعنى النقص فقط ودون أي اعتبار آخر، حيث يقول الله جلّ شأنه في آية أخرى: ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ (الكهف: ٣٤) أي لم تنقص. وإن كبج جراح النفس في سبيل الله ظلم من منطلق هذا المعنى دون أدنى شك. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٣٦-١٣٧)

فما دام الله تعالى قد سمى بعض المتقين ظالمين أيضا وعدَّ الظلم هو المرتبة الأولى من مراتب التقوى الثلاث، فقد فهمنا من ذلك بالقطع واليقين أنه ليس المراد من الظلم المذكور هنا ذلك الظلم البعيد عن التقوى، الذي هو شعار الكفار والمشركين والعصاة. بل المراد هو الظلم الذي هو شرط محتوم للمتقين في مراتب السلوك الابتدائية؛ أي كبث المرء أهواءه النفسانية وسعيه لإنقاص ظلمة الطبيعة البشرية من نفسه. وقد استُخدم "الظلم" بمعنى النقص في آية أخرى أيضا وهي: ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي: ولم تنقص. انظروا القاموس، والصحاح، والصرح حيث ورد الظلم بمعنى النقص أيضا. وهذا ما استنتج من الآية المذكورة أي "ولم تنقص". (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥ ص ١٦٦)

"وَأَلْقَى فِي رُوعِي أَنَّ الْمَسِيحَ سَمَى الْآخِرِينَ مِنَ النَّصَارَى الدَّجَالِينَ لَا الْأُولَى، وَإِنْ كَانَ الْأُولُونَ أَيْضًا دَاخِلِينَ فِي الضَّالِّينَ الْمُحَرِّفِينَ. وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأُولَى مَا كَانُوا مُجْتَهِدِينَ سَاعِينَ لِإِضْلَالِ الْخَلْقِ كَمَثَلِ الْآخِرِينَ، بَلْ مَا كَانُوا عَلَيْهَا قَادِرِينَ. وَكَانُوا كَرَجُلٍ مُصَقَّدٍ فِي السَّلَاسِلِ وَمَقَرَّنٍ فِي الْحَبَالِ وَكَالْمَسْجُونِينَ. وَأَمَّا الَّذِينَ جَاءُوا بَعْدَهُمْ فِي زَمَانِنَا هَذَا فَفَاقُوا أَسْلَافَهُمْ فِي الدَّجْلِ وَالْكَذِبِ، وَوَضَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَيَاصِرَهُمْ وَأَغْلَاهُمْ، وَنَجَّاهُمْ عَنِ السَّلَاسِلِ الَّتِي كَانَتْ فِي أَرْجُلِهِمْ ابْتِلَاءً مِنْ عِنْدِهِ، وَكَانَ قَدْرًا مُقَضًيًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَكَانَ قَدْرُ اللَّهِ أَنْ يَبْرَزُوا بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ حَتَّى ظَهَرُوا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ كَعُورٍ خُلِّصَ وَأُخْرِجَ مِنَ السَّجْنِ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى رَاكِلَتِهِ لَاوِيًّا إِلَى زَاغَرْتِهِ وَحَزَبٍ خُلِقُوا عَلَى شَاكِلَتِهِ، وَكَانُوا لِقَبُولِهِ مُسْتَعِدِّينَ. ثُمَّ أَشَاعُوا كَيْفَ شَاءُوا مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ وَأَصْنَافِ الْوَسْوَاسِ وَكَانُوا قَوْمًا مَتَمَوِّلِينَ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي كُتِبَ فِي الصَّحْفِ الْأُولَى.. أَنَّ الثَّعْبَانَ الَّذِي هُوَ الدَّجَالُ يَلْبَثُ فِي السَّجْنِ إِلَى أَلْفِ سَنَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُ بِفُوجٍ مِنَ الشَّيَاطِينِ، فَلْيَتَذَكَّرْ مَنْ كَانَ مِنَ الْمُتَذَكِّرِينَ. كَذَلِكَ خُلِّصُوا بَعْدَ الْأَلْفِ وَتَنَاسَوْا ذِمَامَ اللَّهِ وَنَكثُوا عَهْدَهُ وَأَحْفَظُوا رَبَّهُمْ مَجْتَرِّثِينَ. وَجَمَعُوا كُلَّ جَهْدِهِمْ لِإِضْلَالِ النَّاسِ، وَاسْتَجَدَّوْا الْمَكَائِدَ كَالْخَنَاسِ، وَجَاءُوا بِسِحْرِ مَبِينٍ. وَأَضَاعُوا التَّقْوَى وَالْعَمَلَ

الصالح، واتكأوا على كَفَّارة لا أصل لها، واتبعوا كل إثم واستعذبوا كل عذاب، وكذبوا المقدسين. وتحنَّوا وقالوا نحن عباد المسيح وأحباؤه، وهيهات أن تُراجع الفاسقين مَقَّةُ الصالحين. وقد سمعت أنفاً أن المسيح سماهم فاعلي الظلم، وسمعت أن الظلم والدجل شيء واحد، وقد قال الله تعالى: ﴿آتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلَمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾، أي لم تنقص، وإطلاق الظلم على النقص الذي كان في غير محله أو الزيادة التي ليست في موضعها أمرٌ شائع متعارف في القوم، وهذا هو الدجل كما لا يخفى على المتبصرين". (نور الحق، الجزء الأول، الخزائن الروحانية، المجلد ٨، ص ٧٩-٨٢)

الآية ٥١: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾

العرب يستنون من هذا القبيل، وإذا اطلعنا على قواعد النحو والصرف أيضاً فنجد أمثلة كثيرة لمثل هذا الاستثناء وهناك نظائر من هذا القبيل، كما يقال مثلاً جاءني القوم إلا حماراً، فمن الخطأ الفهم أن القوم كلهم كانوا من جنس الحمير. وهذا هو معنى ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ أي كان إبليس وحده من قوم الجن ولم يكن من الملائكة. فالملائكة جنس طيب والشیطان على حدة. فسرُّ الملائكة وإبليس خفيٌّ ومكتوم لدرجة أننا لا نجد بداً من القول: "آمنا وصدقنا". إن الله ﷻ لم يرزق إبليس اقتداراً وتوفيقاً إلا أنه يوسوس. فكما أن الملائكة يحقِّزون على الحسنات فإن الشيطان يولد الوسوس الخبيثة. فالملائكة يقصدون أن يتطهر الإنسان، وتكون أخلاقه رائعة، وبالمقابل يريد الشيطان أن يكون الإنسان خبيثاً قدرًا نجسًا.

فالحقيقة أن سنة الله تسير جنباً إلى جنب حوافز الملائكة والشیطان، ومشیئة الله غالبية في نهاية المطاف. فكأن في الخلفية صراعا اندلع تلقائياً، وأخيراً يتغلب الحق القادر المقتدر، وينهزم الباطل.

هناك أربعة أشياء ليس في وسع الإنسان أن يتوصل إلى كنهها وسرّها. أولهما الله تعالى والثاني الروح، والثالث الملائكة، والرابع إبليس.

فالذي يؤمن بالله تعالى من هذه الأربعة ويؤمن بصفات ألوهيته، فيجب عليه أن يؤمن بوجود الثلاثة الباقية أيضاً أي الروح والملائكة وإبليس... على الإنسان أن يتبع مرضاة الله دوماً وفي كل حال. وينبغي أن لا يتدخل في أفعال الله تعالى، ويجب أن يتقدم في التقوى والطهارة والطاعة والوفاء. ولا يتأتى ذلك كله إلا إذا ثبت الإنسان قدمه بكامل الإيمان واليقين، وأظهر صدقه وإخلاصه مع مولاه الكريم ولم يسع عبثاً في استكناه الأمور الخفية في علم الله.. فالذي يصبر على اكتشاف خواص وكنه كل شيء، فهو يجهل سفهاً النظام الإلهي في الكون ومشيئته تماماً.

إذا قال أحد أرونا الشيطان والملائكة، فينبغي أن يقال له إنك تملك خواص مختلفة؛ حيث تكون جالسا في مكان فتتوجه فجأة إلى ارتكاب السيئة حتى تنكر وجود الله. وأحياناً تتقدم في الحسنة وتبدي منتهى التواضع والخشوع، فكل هذه الجاذبية موجودة فيك، فالقوى الحافزة على هذه الأمور تتجسد في اسمين هما الملك والشیطان. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٠، عدد ٣١/٥/١٩٠٣ م، ص ١٣)

الآية ٦١: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا﴾

إن موسى عليه السلام كان مرة يلقي الوعظ فسأله أحدهم هل هناك أكثر منك علما، فقال لا أعلم. فلم يعجب الله قوله، (أي كان ينبغي أن يقول هناك عباد أكثر لله تعالى يفوق بعضهم بعضاً علما) فأمر بأن يتوجه إلى مكان وحيث يحيا حوته يجد شخصا ذا علم. فحين ذهب إليه نسي حوته في مكان، وحين عاد إليه بحثا عنه لم يجده، فمكث هناك وقابل عبدا من عبادنا، فسأله موسى هل يسمح له بالصحبة لكي يتلقى العلم والمعرفة؟ فقال له العبد الصالح أسمح لك، لكنك لن تقدر على

اجتناب سوء الظن، لأن الأمر الذي لا يعرف المرء حقيقته ولا يعطى فهمه، يجد الصبر عليه صعبا. لأنه حين يرى أن شخصا يقوم بعمل في غير محله، يسيء الظن به في أغلب الأحيان. فقال له موسى عليه السلام لن أسيء الظن، وسأتبعك. فقال له: إذا رافقتني فلا تسألني عن شيء، فانطلقا فركبا سفينة. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٩، عدد ١٩٠٣/٨/٧ م، ص ٢٢٥)

الآية ٦٦: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾

وليكن واضحا أيضا في هذا المقام أن ما ينزل على أحد بواسطة الإلهام الإلهي يحمل في طياته للملمهم ولغيره أيضا وجها للإيقان به حتما، أو يُظهر الله تعالى له آية لليقين به، فيكون العمل به واجبا. ومن أُكِّد له بصحة الإلهام ثم أعرض عن العمل به، كان مورد غضب الله تعالى، بل هناك خطر شديد لسوء عاقبته. لقد قال الله تعالى لبلعام باعور إلهاما: "لا تدع عليهم" أي لا تدع على موسى وجيشه، ولكنه هم أن يدعو على جيش موسى خلافا للأمر الإلهي، فكانت النتيجة أن طرده الله من عتبته، وشبهه بالكلب.

وإنما كان الإلهام الذي تنفيذا له قذفت أم موسى إياه في التابوت وألقته في اليم وهو طفل رضيع. كما كان الإلهام نفسه الذي لمشاهدة حقيقته أرسل الله تعالى نبيا من أولي العزم، أي موسى عليه السلام، إلى عبده "الخضر" الذي كان اسمه "بليا بن ملكان". وقال عليه السلام عن علمه القطعي واليقيني: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾. فبناء على ذلك العلم القطعي واليقيني قام الخضر أمام موسى بأعمال كانت تبدو خلاف الشريعة في الظاهر. فقد خرق السفينة، وقتل غلاما بريئا، وتحمل عناء عمل غير ضروري دون أجر. والمعلوم أن "الخضر" لم يكن رسولا، وإلا لكان بين ظهرائي أمته وليس في الفلوات أو شواطئ

البحار، ولم يذكره الله تعالى أيضا كني أو رسول. ولكنه ﷺ عدّ ما كان يُطاع عليه من أخبارٍ قاطعا وبقينا، لأن العلم في مصطلح القرآن الكريم ما هو قطعي وبقيني. والمعلوم أنه لو كانت عند الخضر كمّ من الظنيات فقط، لما جاز له أن يقوم بالأعمال المنكرة والمعارضة للشرع صراحةً اعتمادًا على مجرد الظن، بل لكانت من الكبائر باتفاق جميع الأنبياء. ولو كان الأمر كذلك لكان مجيء موسى ﷺ إليه أيضا أمرا عبثيا بحتا. فما دام ثابتا ومتحققا تماما أن الله تعالى قد أعطى الخضر علما يقينيا من لدنه، فألّئى لأحد أن يعدّ نفسه مسلما ومؤمنًا بالقرآن الكريم ثم ينكر وجود أحد من أفراد الأمة المحمدية مثل الخضر في الكمالات الباطنية؟ لا شك أن هذا ممكن، بل الله الحي القيوم قادر على أن يهب الخواص من الأمة المحمدية المرحومة نعمة باطنية أفضل وأعلى منه أيضا. ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٧). (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٩٣-٢٩٥، الحاشية في الحاشية رقم ١)

المولوي غلام علي والمولوي أحمد الله الأمرتسري، والمولوي عبد العزيز وغيرهم من المشايخ يُنكرون بإصرار شديد إلهاما يُماثل وحي الرسل، بل يحسبه بعض هؤلاء المشايخ كأفكار المجانين. وحثتهم أنه إذا كان هذا الإلهام صحيحا وحقا لكان أصحاب النبي ﷺ أحقّ وأولى بتلقّيه، ولكن لا يثبت أنهم تلقوا أي إلهام. أقول أنا أحقر العباد: إذا كان هذا الاعتراض الذي قدّمه المولوي شهاب الدين الموحّد، نيابة عن المشايخ، من بنات أفكارهم، فليعلم كل طالب صادق وهؤلاء المشايخ في جوابه أن عدم العلم بشيء لا يستلزم عدم وجوده. أليس ممكنا أن الصحابة رضي الله عنهم قد تلقوا هذا النوع من الإلهامات ولكنهم ما أشاعوها بوجه عام لحكمة ومقتضى الحال؟ والمعلوم أن الله تعالى حكّمًا مختلفة في أزمنة مختلفة، فكان مقتضى حكمة الله في زمن النبي ﷺ ألا تُسجّل إلهامات غير النبي على غرار وحي النبي حتى لا يختلط وحيه مع كلام غيره. أما أولياء الله وأصحاب الكمالات الباطنية الذين

خلّوا بعد هذا الزمن فإن إلهاماتهم مشهورة ومعروفة، وظلّت تسجّل في كل عصر. ويمكن الرجوع إلى كتب الشيخ عبد القادر الجيلاني ومجدد القرن الثاني عشر، وكتب غيرهما من أولياء الله للاطلاع على ما فيها من إلهاماتهم الكثيرة، بل يقول الإمام الرباني في المکتوب رقم ٥١، المجلد الثاني من كتابه "مكتوبات"، بكل صراحة إن غير النبي أيضا يُشرف بمكالمات الله ومخاطباته، ويُسمّى بالحدّث، وتكون مكانته قريبة من مكانة الأنبياء. كذلك صرّح الشيخ عبد القادر الجيلاني بالأمر نفسه في عدة أماكن من كتابه "فتوح الغيب". لو بحثنا عن ملفوظات أولياء الله ومكاتيبهم لوجدنا مثل هذه الكلمات في بياناتهم بكثرة. وإن منصب المحدثية ثابت في الأمة المحمدية بكثرة ولا ينكره إلا جاهل أو غافل شديد الغفلة. لقد خلا في هذه الأمة إلى يومنا هذا آلاف من أولياء الله الكمّل الذين ثبتت وتحققت خوارقهم وكراماتهم مثل أنبياء بني إسرائيل. وسيعرف الباحث في الموضوع أن الله وَجَّلَ كما سمّى هذه الأمة خير الأمم، كذلك وهب أكابرها كمالات أكثر من غيرهم لا يمكن أن تُخفى بحال من الأحوال. وإن إنكارها كتمان للحق من الدرجة القصوى.

وأقول أيضا بأن التهمة القائلة بأنه لا تثبت إلهامات الصحابة من هذا النوع، هي تهمة باطلة وفي غير محلها تماما، لأن إلهامات الصحابة الكرام ﷺ وخوارقهم ثابتة من الأحاديث الصحيحة بكثرة. بماذا يمكن تفسير اطلاع عمر رضي الله عنه بإعلام من الله تعالى على الحالة الخطيرة لجيش "سارية" - كما رواه البيهقي عن ابن عمر - إن لم يكن ذلك إلهاما؟ ثم صدور صوت: "يَا سَارِيَةَ الْجَبَلِ الْجَبَلُ" من فم عمر رضي الله عنه وهو في المدينة، وسماع سارية وجنوده هذا الصوت على مسافة بعيدة بقوة غيبية، لم يكن إلا أمرا خارقا للعادة. وزد إلى ذلك بعض الإلهامات والكشوف المشهورة والمعروفة لعلي المرتضى كرم الله وجهه.

وبالإضافة إلى ذلك أتساءل: ألا تكفي للإطمئنان شهادة الله تعالى في القرآن الكريم في ذلك؟ ألم يقل الله تعالى بحق الصحابة رضي الله عنهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل

عمران: ١١١) فما دام الله تعالى يُعَدُّ صحابة نبيِّه الأكرم أفضل وأعلى من جميع الأمم السابقة في جميع الكمالات، ومن ناحية أخرى يبين حالة الكَمَل من الأمم الأخرى كغِيض من فيض ويقول إن مريم الصديقة، أم عيسى، وكذلك أم موسى وحواريي المسيح ﷺ والْحَضِرُ كانوا ملهَمين من الله وكانوا يُطْلَعُونَ على أسرار غيبية بوحى الإعلام مع أنه لم يكن أحد منهم نبيًّا. فلا بد من التدبر ماذا يُسْتَبْط من ذلك، ألا يثبت منه أنه يجب أن يكون الأتباع الكَمَل من الأمة المحمدية ملهَمين ومُحَدَّثين بوجه أولى من هؤلاء القوم إذ أنهم خير الأمم بحسب تصريح القرآن الكريم؟ (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ٦٥١-٦٥٥، الحاشية في الحاشية رقم ٤)

يثبت على وجه القطع واليقين إلهام المُحَدَّث الذي لا يبقى فيه دخل للشيطان. والمعلوم أنه إذا كان إلهام الحَضِرِ وأم موسى مجموعة من الشكوك والشبهات فقط وما كان يقينيا وقطعيا، فكيف جاز أن يوقع شخصا بريئا في خطر أو يوصله إلى الهلاك، أو يقوم بأيّ عمل آخر لا يجوز شرعا وعقلا. لا شك أن علمه كان يتَّسم باليقين، لذلك وجب عليه ذلك العمل وجازت له الأمور التي لا تجوز للآخرين قط.

وبالإضافة إلى ذلك يجب التفكّر بإنصاف أنه لا يمكن أن يتزلزل بالأفكار الظنية أمرٌ مشهود ثبت صدقه بالتجارب الصحيحة. والظن لا يُغني عن الحق شيئا. فلا يوجد في إلهاماتي شيء سَرِيٍّ أو مستور في الحُجُب. بل إنه أمر جاء سالما آمنا مع مروره من بوتقة مئات الاختبارات. وقد رزقني الله تعالى فتحا واضحا في نزاعات كبيرة. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٥٥-٦٥٦، الحاشية في الحاشية رقم ٤)

فكّروا الآن، إذا كان مدار العلم اللدنيّ كله على الظنيات، فكيف يسمّى علما أصلا؟ هل الظنيات شيء يُعْتَدُّ به حتى تسمّى علما؟ فما معنى إذن قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٦)؟ فليكن معلوما أن ما يثبت من التأمل الصائب في كلام الله ﷻ وبمئات التجارب المشهودة، هو أن أفراد الأمة المحمدية

الخواص حين يفنون في اتباع رسولهم الأكرم ويطيعونه ظاهرا وباطنا، فيعطيه الله تعالى نصيبا من بركات النبي ﷺ نتيجة اتباعهم له، ولا يريد أن يُقيهم على الزهد الظاهري فقط. فكلما وقع على قلبٍ ظلُّ بركات النبي، وجب أن يحصل له علم يقيني وقطعي مثل متبوعه، لأن النبع الذي جعل هو وارثا له، منزّه تماما من تكذُّرات الشكوك والشبهات. والحق أن منصب وراثته النبي يقتضي أن يكون علم الوارث الباطني يقينيا وقطعيا، فإن لم يملك إلا مجموعة من الظنيات، فأثى له أن يفيد خلق الله بتلك المجموعة الناقصة. ففي هذه الحالة يكون وارثاً ناقصا وليس كاملا، وأعور وليس ذا عينين. وإن الشدة المتناهية لأنواع الضلال التي أقام الله ﷻ هذا الوارث لمقاومتها، والفساد الكبير للزمان، والمكر الكبير للمنكرين، ورقود الغافلين العميق، والشدة للمعاندين في الكفر؛ يقتضي بشدة أن يكون علم هذا الشخص اللدنيّ أشبه بعلم الرسل. وهؤلاء هم الذين سُمُّوا في الأحاديث "أمثل" وفي القرآن الكريم "صديق". وإن زمن ظهورهم أشبه ما يكون بزمن بعثة الأنبياء، بمعنى أنه كما يأتي الأنبياء دائما في زمن انتشار الضلال والغفلة القصوى في كل حذب وصوب، كذلك يأتي هؤلاء الناس أيضا حين يسود الضلال في كل جانب بشدة متناهية، ويُستهزأ بالحق، ويُمدح الباطل، ويُعدّ الكاذبون صادقين والدجالون مهديين، وتصبح الدنيا محببة جدا في نظر خلق الله فيتسابقون في الحصول عليها، ويكون الدين في نظرهم ذليلا مهانا. ففي هذه الأوقات يكون هؤلاء الذين يكون إلهامهم يقينيا وقطعيا هم حُجَّة الإسلام، وينوبون مناب الكُمل الذين سبقوهم. فلبّ الكلام أن الإلهام اليقيني والقطعي حقيقة واقعة وثابتة في أفراد الأمة المحمدية الكُمل وهي خاصة بهم فقط. لا شك أن إلهام الرسل منير ووضاء وأجلى وأقوى وأصفى ويحتل أعلى مراتب اليقين بكل معنى الكلمة، ويسطع كالشمس ويزيل كل ظلمة. ولكن لو كان معنى عبارة موحى بها مشتبهها في إلهامات الأولياء، أو كان الإلهام في حد ذاته مشتبهها ومخفيا؛ لعدُّ أمرا ظنيا إلى ذلك الحين. وسيبلغ إلهام الولي مبلغ القطع واليقين إن لم يكن من نوع الإلهامات الضعيفة، بل ينزل بالتواتر بنوره الكامل

مثل المطر الغزير، ويُري أنواره بكل قوة، ويملاً قلب الملهم باليقين الكامل، ويفصل معناه ومراده جيداً بنزوله بكلمات وعبارات مختلفة، ويُخرج عبارته من دائرة المشتبهات بكل الوجوه، ويبين الله تعالى بنفسه بوضوح تام أن تلك المعاني قطعية ويقينية من خلال الاستجابة والأجوبة المتواترة عند الأدعية والاستفسارات المتتالية. فإذا بلغ الإلهام هذا المبلغ كان كامل النور وقطعياً ويقينياً. والذين يقولون بأن إلهام الأولياء لا يمكن أن يكون قطعياً ويقينياً أصلاً، فهم محرومون كلياً من المعرفة الكاملة. وما قدروا الله حق قدره (الأنعام: ٩٢). اللهم أصلح أمة محمد. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٦-٢٦٠، الحاشية في الحاشية رقم ١)

لا يسع أحداً أن يدرك كنه أفعال الله تعالى. لقد كان موسى ﷺ نبياً عظيماً في بني إسرائيل أعطاه الله التوراة، ولما بارزه بلعام باعور ألقى - بسبب عظمة موسى - تحت الثرى وشبهه الله بالكلب. ثم هو موسى نفسه الذي تعرض للندم أمام علوم روحانية لبدويٍّ، وما أدرك تلك الأسرار الغيبية؛ فيقول الله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٥٧، الحاشية)

الآية ٨٣: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾
جاء في قصة إبراهيم ﷺ أنه عندما أوشك قوم لوط على الهلاك قال إبراهيم: إذا كان فيهم واحد في المئة صالحاً فهل ستهلكهم؟ قال الله تعالى: لا، لن أهلكهم ولو بقي واحد منهم. وقال: حين يتجاوز الأمر كل الحدود عندها يتجلى شأن الله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ (الشمس: ١٦) فلا يأبه الله تعالى بالخبثاء ولا إلى ماذا سيؤول إليه حال أهلهم وأولادهم. ولكنه يراعي الصادقين والصالحين بحسب: ﴿كَانَ أَبُوهُمَا

صَالِحًا». لقد أمر موسى والخضر عليهما السلام أن يقيما جدارا لغلامين يتيمين لأن أباهما كان صالحا. وقد اهتم الله بصلاحه حتى جعل النبيين يخدمانه كأجيرين، فهو رحيم وكرم إلى هذا الحد ولكن إذا تجاسر أحد فيبطش به بطشا شديدا. وهو غيور لدرجة أن القلوب تنخلع نظرا إلى غضبه. انظروا كيف أهلك قرية لوط. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٣، عدد ٢٤/٦/١٩٠٢م، ص ٤)

الذين يعيشون حياة اللامبالاة لا يبالي بهم الله أيضا. إن الذي لا يلقي السلام على سيده في الدنيا لبضعة أيام يتغير قلب السيد تجاهه، فإذا قطع أحد علاقته بالله فأنت له أن يبالي به؟ لذلك يقول الله بأنه لا يبالي بأولادهم بعد هلاكهم. يثبت من ذلك أن الله تعالى يرعى أولاد الصالح والورع بعد موته كما يتبين من الآية: ﴿كان أبوهما صالحا﴾. فبسبب كون أبيهما صالحا وتقيا جعل الله تعالى نبين عظيمين مثل الخضر وموسى يعملان كأجيرين لقيما جدارهما. من هنا يمكن تقدير مرتبته. لم يذكر الله تعالى الغلامين سترًا لهم لأنه ستار، وذكر الأب لأن ذكره كان في محل المدح. لقد جاء مثل هذا الذكر في الكتب السابقة أيضا أن الله تعالى يرعى ذرية الصالح إلى سبعة أجيال. يقول داود عليه السلام بأني لم أر أولاد المتقين يتسولون. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٠، عدد ٢٤/٨/١٩٠٢م، ص ٧)

﴿كان أبوهما صالحا﴾ لذا حمى الله تعالى كنزهما. يتبين من هنا أن الغلامين ما كانا صالحين بشكل ملحوظ ولكنهما أنقذا بسبب حسنات أبيهما. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٠، عدد ٢٤/٣/١٨٤م، ص ٧)

يتضح من الإمعان في مفهوم هذه الآية أن الغلامين اللذين تحمل الخضر عليه السلام المشقة من أجلهما ما كانا صالحين بل كان سلوكهما سيئا في علم الله، لذا فقد ستر الله تعالى سلوكهما لصفته "الستار" وذكر صلاح أبيهما. ولم يذكر بصراحة حالتها التي لم تكن جيدة في الحقيقة، ورحم شخصين بعيدين بسبب مقرب واحد إليه. (مكتوبات أحمد، مجلد ٢، ص ١٢٧).

الآية ٨٤-١٠٢: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَاتَّبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا * وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾

كذلك سماني الله "ذا القرنين" أيضا، لأن وحي الله المقدس بحقي: "جري الله في حلل الأنبياء"، الذي يعني رسول الله في حلل الأنبياء جميعا يقتضي أن توجد في صفات "ذي القرنين" أيضا لأنه ثابت من سورة الكهف أن ذا القرنين أيضا كان يتلقى الوحي. فقد قال الله تعالى عنه: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ﴾. فأنا ذو القرنين لهذه الأمة بحسب وحي

الله القائل: "جري الله في حلل الأنبياء". والنبوة عني موجودة في القرآن الكريم على سبيل المثل ولكن للمتفرسين فقط.

والمعلوم أن ذا القرنين هو مَنْ يشهد قرْنين. واللافت في أمري أننا لو فحصنا الموضوع من جميع النواحي والتقسيمات التي قسم بها الناس المعاصرون القرنَ بحسب الأساليب الخاصة بهم لتبين أنني شهدت القرنين لكل أمة. إني بالغ الآن من العمر ٦٧ عاما تقريبا، فالواضح أنني كما شهدتُ قرنين هجريين كذلك شهدت قرنين ميلاديين، وأيضا شهدتُ قرنين من حيث التقويم الهندي الذي يبدأ عامه الجديد من "بكرما جيث". ولقد فحصت قدر الإمكان موضوع القرون المحددة منذ زمن سحيق في بلاد الشرق والغرب ولم أجد قوما لم أشهد قرنين من قروهم المحددة عندهم. ولقد ورد في بعض الأحاديث أيضا أن من علامات المسيح المقبل أنه سيكون ذا القرنين. فأنا ذو القرنين بحسب نص وحي الله تعالى.

وأيّين فيما يلي ما كُشف عليّ كنبوءة من معاني الآيات القرآنية الواردة في سورة الكهف عن قصة ذي القرنين. علما أنني لا أنكر المعنى المستنبط منها من قبل، غير أن تلك المعاني تتعلق بالماضي، أما هذا فبالمستقبل. القرآن الكريم ليس كتاب قصص وأساطير، بل كل قصة فيه تتضمن نبوءة. وإن قصة ذي القرنين تضم في طياتها نبوءة عن زمن المسيح الموعود، حيث جاءت فيه الآية الكريمة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾. ثم قال ﷺ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أي سنمكّنه، أي المسيح الموعود الذي سيُدعى ذا القرنين أيضا، في الأرض بحيث لن يقدر أحد على أن يضره شيئا. وسنرزقه عُدّة وعتادا وأسبابا من كل نوع ونسهّل عليه مهامه.

وليكن معلوما أن في الأجزاء السابقة من البراهين الأحمديّة وحيا بحقي كما قال الله: "ألم نجعل لك سهولة في كل أمر". أي ألم نيسّر لك كافة الأسباب التي كانت ضرورية لتبليغ الحق ونشره. والمعلوم أنه ﷺ قد هيا لي لتبليغ الحق ونشره أسبابا

ووسائل لم تتوفر في زمن أي نبي من قبل. فقد فُتحت طرق النقل بين الأقوام كلها، وجُعِلت لقطع المسافات سهولة بحيث تُطوى في العصر الراهن في أيام مسافة كانت تُقطع من قبل في سنوات. وقد اكتُشفت وسائل الاتصال بحيث تصل الأخبار من آلاف الفراسخ في دقائق معدودة. ونُشرت في كل قوم كتبٌ كانت خافية ومستورة، وخلق لكل شيء سببٌ. وبسبب المطابع زالت المشاكل الحائلة في مجال التأليف والطبع لدرجة أن اكتُشفت الآن أدوات يمكننا بسببها أن نطبع في غضون عشرة أيام ما كان مستحيلًا طبعه في عشرة أعوام بالكثرة نفسها. وقد اكتُشفت لنشرها أيضًا وسائل محيرة بحيث يمكن نشر العبارة مثلاً في العالم كله في غضون أربعين يوماً فقط بينما لم يكن أحد قادراً على نشرها على نطاق واسع هكذا في الأزمنة الخالية وإن طال به العمر مائة عام.

ثم يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تَعْدِبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾.

أي عندما يُعطى ذو القرنين، وهو المسيح الموعود، وسائل أو أسباباً من كل نوع سيتبع سبباً، أي يشد مئزره لإصلاح البلاد الغربية وسيرى أن شمس الصدق والحق قد غربت في عين حمئة وآسنة، وسيجد قوماً عند هذه العين الآسنة والظلمة يقال لهم قوم غريبون، أي سيجد المسيحيين في البلاد الغربية تائهين في ظلام حالك، لن تقابلهم شمس ليجدوا منها ضوءاً ولن يملكوا ماء نقياً ليشربوه. أي أن حالتهم العلمية والعملية ستكون فاسدة إلى أبعد الحدود، وسيكونون محرومين من النور الروحاني والماء الروحي. عندها نقول لذي القرنين، أي المسيح الموعود: لك الخيار سواء أعذبتهم، أي دعوتَ لحلول العذاب - كما رُوي في الأحاديث الصحيحة - أو أحسنتَ إليهم. فيجب ذو القرنين، أي المسيح الموعود: لا أريد أن يُعاقب إلا من

كان ظالما. فسيعاقب في الدنيا أيضا نتيجة دعائي، وسيلقى في الآخرة عذابا نُكرا. أما مَنْ لم يُعرض عن الحق والصدق وعمل صالحا فله جزاء الحسنی، وسيؤمر للعمل بما كان سهلا عليه وكان إنجازَه هَيِّنًا لَئِنَّا. فهذه نبوءة بحق المسيح الموعود أنه سيأتي في وقت يكون فيه أهل الغرب تائهين في ظلام حالك، وستغيب شمس الصدق والحق من أمام أعينهم كليا في عين حمئة آسنة. أي تكون المعتقدات والأعمال السيئة والقذرة بدلا من الصدق منتشرة فيهم. وهذا ما سيكون مأوهم الذي يشربونه، ولن يبقى فيهم للنور أثر قط، بل سيهيمنون في الظلام. والمعلوم أن هذه هي حالة الديانة المسيحية الراهنة كما يقول القرآن الكريم. والبلاد الغربية أهم مركز للمسيحية. ثم يقول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾. أي سيعطى ذو القرنين، وهو المسيح الموعود، كل سبب فيتبع سببا، أي سيطلع على حالة أهل البلاد الشرقية ويجد أن شمس الصدق تطلع على قوم جاهلين لا يملكون وسيلة لاجتناب حر الشمس، أي سيجدهم محترقين في حرّ التمسك بظواهر الأمور والإفراط ويجهلون الحقيقة. أما ذو القرنين أي المسيح الموعود فسيملك جميع أسباب الراحة الحقيقية التي نعرفها جيدا ولكن هؤلاء القوم لن يقبلوه، مع أنه لن يكون لديهم ملاذ للوقاية من حر الإفراط، ولا بيت ولا شجرة ظليلة ولا لباس يقيهم الحرّ. لذا إن شمس الصدق التي تطلع عليهم ستكون سببا لهلاكهم. وهذا مثالا للذين يوجد ضوء شمس الهداية بين أيديهم وليسوا كالذين غربت شمسهم، ولكن لن يستفيدوا من شمس الهداية هذه شيئا إلا أن تحترق بحرارتها جلودهم ويسودّ لوهم ويذهب نور عيونهم^١. ففي هذا

^١ هنا يبين الله أنه ستكون هناك ثلاث فئات في زمن المسيح الموعود. فئة تختار طريق التفریط وتفقد النور نهائيا. والفئة الثانية تسلك مسلك الإفراط ولن تستفيد من النور بالتواضع والمسكنة بل تقوم- كمن يخرج للمواجهة- متمردة بإزاء الحر الروحاني عارية. أما الفئة الثالثة فتختار طريق الوسط وتتوسل إلى المسيح الموعود ليُنقذوا من هجمات يأجوج

التقسيم إشارة إلى أنه ستكون للمسيح الموعود جولة ذات ثلاث شعب لأداء الواجبات الموكولة إليه.

أولاً: يتوجه إلى قوم فقدوا شمس الهداية وجلسوا في ظلام وعين حمة وآسنة.
ثانياً: تكون جولته الثانية على القوم الجالسين بإزاء الشمس عراً، أي لا يتصرفون بالأدب والحياء والتواضع وحسن الظن، بل هم متمسكون بظواهر الأمور فقط وكأنهم يريدون أن يحاربوا الشمس. فهم أيضاً محرومون من بركة الشمس ولا نصيب لهم منها إلا الاحتراق. هذه إشارة إلى أولئك المسلمين الذين بُعث فيهم المسيح الموعود ولكنهم قابلوه بالإنكار والتصدي ولم يعملوا بالحياء والأدب وحسن الظن، فحرموا من السعادة. ثم يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جُمُعًا * وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا * أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنََّّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾

أي: ثم يتبع ذو القرنين أي "المسيح الموعود" سببا آخر، وحين يبلغ مكانا أي يجد زمنا صعبا يجب أن يسمى "بين السدين" أي بين الجبلين، بمعنى أنه سيجد زمنا يكون الناس فيه خائفين مذعورين من كلتا الناحيتين، وستُظهر

ومأجوج بشكل من الأشكال. إن يأجوج ومأجوج مستمدة من "أجيح"، أي القوم البارعون في استخدام النار. منه.

قُوى الضلال بالتحالف مع قوى الحكومة مشهدا مرعبا، وسيجد ذو القرنين تحت هاتين القوتين قوما لا يفقهون حديثه إلا بالكاد، أي سيكونون منغمسين في الأفكار الباطلة، وبسبب عقائدهم الباطلة سيفقهون بالكاد هديه الذي سيقدمه ولكنهم سيفهمونه أخيرا ويهتدون. وهذا قوم ثالث يستفيدون من تعليم المسيح الموعود وسيقولون له: يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، فلو أحببتَ لجمعنا لك أموالا لتجعل بيننا وبينهم سداً، فيقول لهم: القوة التي وهبها الله تعالى خير من أموالكم، ولو كنتم مساعدتي فافعلوا بقدر قدرتكم لأجعل بينكم وبينهم سداً، أي أتمّ عليهم الحجة بحيث لا يقدرّون على مهاجمتكم بالطعن والاعتراض. أحضروا لي صفائح الحديد لأسدّ طرق النقل، أي اعتصموا بتعليمي وأدليتي جيداً واستقيموا تماماً. وبذلك كونوا صفائح الحديد بأنفسكم وسدّوا الهجمات المعادية. ثم انفخوا النار في صفائح الحديد إلى أن تصبح نارا بنفسها، أي أشعلوا في نفوسكم حب الله حتى تنصبغوا بصبغة الله. فليكن معلوماً أن علامة كمال حب الله تعالى هي أن تتولد في الحب صفات الله تعالى بصورة ظلية. وما لم يحدث ذلك كان ادّعاء الحب باطلاً. إن مثل الحب الكامل كمثل الحديد حين يوضع في النار فتؤثر فيه النار لدرجة يتحوّل الحديد نارا بحد ذاته. فمع أنه حديد في حقيقته وليس نارا ولكن ما دامت النار قد غلبته إلى حد أقصى لذا ظهرت منه صفات النار، فيستطيع أن يُحرق كما تُحرق النار، وفيه الضوء مثل النار تماماً. إن حقيقة حب الله هي أن ينصبغ الإنسان بصبغته. ولو لم يقدر الإسلام على الإيصال إلى تلك الحقيقة لما كان شيئاً يُعتدّ به، ولكن الحق أن الإسلام يوصل إلى هذه الحقيقة. ولكن يجب على الإنسان أن يصير أولاً مثل الحديد في استقامته وقوة إيمانه، لأنه إذا كانت حالته الإيمانية كالعشب والكلأ لأحرقته النار وجعلته رماداً فوراً، فأنتى له أن يصير مظهر النار في هذه الحالة؟

الأسف كل الأسف أن بعض الجهلاء لم يدركوا حقيقة علاقة العبد مع ربه التي تؤدي إلى تولّد الصفات الإلهية في العبد بصورة ظلّية فاعترضوا على الوحي الذي تلقّيته من الله تعالى: "إنما أملك إذا أردت شيئا أن تقول له كن فيكون". هذا كلام الله تعالى الذي نزل عليّ وهو ليس من عند نفسي. ولقد صدّق هذا الأمر أكابر الصوفية في الإسلام كما قال السيد عبد القادر الجيلاني رحمته الله الأمر نفسه في كتابه "فتوح الغيب"، واللافت في الموضوع أن السيد عبد القادر الجيلاني رحمته الله قد ذكر الآية نفسها. ولكن من المؤسف أن الناس اكتفوا بالإيمان التقليدي، وطلب المعرفة الكاملة يرونه كفرا عندهم، ويظنون أن الإيمان التقليدي يكفيهم، مع أنه ليس بشيء يُذكر. وينكرون أن يتشرّف أحد، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، بمكالمة الله ومخاطبته على وجه اليقين والقطعية. غير أنهم يعتقدون أن الإلقاء في القلب ممكن ولكن لا يُعلم هل ذلك الإلقاء من الشيطان أم من الرحمن. ولا يدرون ماذا يفيد الإيمان إلقاءً مثله، وأيّ تقدّم يحصل للإيمان؟ بل الحق أن الإلقاء من هذا القبيل مدعاة ابتلاء كبير ويصعبه خوف المعصية أو ضياع الإيمان لأنه لو كان الوحي المشكوك فيه مثله، والذي لا يُعرف هل هو من الشيطان أو من الرحمن، يشمل أمراً مؤكداً بفعل شيء، ولكن متلقّي الوحي لم يعمل به ظناً منه لعل الشيطان أمر به ولكنه كان من الله تعالى في الحقيقة، لكان هذا الانحراف معصية. ولو عمل به وكان الأمر من الشيطان في الحقيقة لضاع إيمانه. فالحارمون من هذا النوع من الإلهامات الخطيرة التي يمكن أن يتدخل فيها الشيطان أيضاً خير من الذين يتلقونها. ففي حالة هذا الاعتقاد لا يمكن للعقل أيضاً أن يحكم لأنه من الممكن أن يكون هناك إلهام من الله مثل إلهام أمّ موسى الذي كان العمل به يشكل خطراً على حياة الصبي، أو مثل إلهام الخضر عليه السلام الذي أدّى إلى قتل نفس زكية بغير حق ظاهرياً. ولأن الأمور من هذا القبيل تتعارض مع الشريعة ظاهرياً فمن ذا الذي يعمل بها مخافة احتمال تدخل الشيطان فيها؟ وفي حال عدم العمل بها سيرتكب المعصية. ومن الممكن أيضاً أن يأمر

الشیطان اللعين بأمر لا يبدو معارضا للشریعة ظاهريا ولكنه يكون في حقیقته مدعاة لفتنة ودمار شامل، أو تكون فيه أمور كامنة تؤدي إلى سلب الإيمان. فما الفائدة من هذا النوع من المكالمة والمخاطبة أصلا؟!

ثم يقول الله تعالى بعد الآيات المذكورة آنفا بأن ذا القرنين أي المسيح الموعود سيقول لقوم يخافون يأجوج ومأجوج: أَتُؤْنِنِي نَحَاسًا أَذِيبُهُ وَأُفْرِغُهُ عَلَى الْجِدَارِ، فلن يقدر يأجوج ومأجوج أن يتسلقوه أو يخرقوه.

والجدیر بالذكر أن الحديد إذا بقي في النار مدةً من الزمن اتخذ صورة النار تماما ولكنه لا ينصهر بسهولة، إلا أن النحاس ينصهر سريعا. أما السالك فلا بد له من أن يذوب في سبيل الله تعالى. ففي ذلك إشارة إلى أن تكون قلوبكم مستعدة وطبائعكم ليّنة تذوب لرؤية آيات الله تعالى، لأن آياته ﷻ لا تؤثر في القلوب القاسية شيئا. ولكن الإنسان يُعَصِّم من هجمات الشيطان إذا كان مثل الحديد في الاستقامة أولا، ثم يجب أن يأخذ ذلك الحديد صورة النار متأثرا بنار حب الله، ثم يذوب القلب ويسقط على ذلك الحديد ويتداركه من الانتشار والتشتت. فهذه هي الشروط الثلاثة لإتمام السلوك وهي بمنزلة سدّ ذي القرنين للحماية من هجمات الشيطان. والروح الشيطانية لا تستطيع أن تتسلق هذا الجدار ولا تستطيع أن تحرقه. ثم قال تعالى بأن كل ذلك سوف يتم برحمة من الله، وإن يد قدرته ستنجزه دون أن يكون لكيد الإنسان أيّ دخل في ذلك. وعندما تقترب القيامة تثور الفتنة من جديد، هذا وعدٌ من الله. ثم قال: كل أمة ستهبُّ في زمن ذي القرنين، الذي هو المسيح الموعود، لنصرة دينها ويهاجم قوم قوما آخرين كما يقع موج على موج. وفي هذه الأثناء يُنْفَخ في الصور، أي سيبعث الله ربُّ السماء المسيح الموعود ويخلق قوما ثالثا، وسيُزَيِّن لنصرتهم آيات قاهرة حتى يجمع السعداء من الناس جميعا على دين واحد، أي الإسلام. فيسمعون صوت المسيح الموعود ويصغون إليه، فتكون رعيةً واحدة وراعٍ واحد. وتكون تلك الأيام جدّ عصيبة وسيُزَيِّن الله تعالى وجهه بآيات

مهيبة. والذين يصرون على الكفر سيرون جهنم في هذه الدنيا بسبب بلايا متنوعة. يقول الله تعالى، هؤلاء هم الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وما كانوا يستطيعون أن يسمعوا كلامي. أيجسب الذين كفروا أنه من الهين أن يتخذ العبادُ آلهةً وأتعطل أنا؟! لذا سنأتي بجهنم نُزْلاً لهم. أي ستظهر آياتٌ مهولة وستشهد كلها على صدق مسيحه الموعود. انظروا إلى رحمة الله تعالى الذي أنزل كل تلك الإنعامات عليّ أنا الحفنة من التراب الذي يسميه المعارضون كافرا و دجالا. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ١١٨-١٢٦) ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، في ذلك إشارة إلى أن ذكر ذي القرنين لا يتعلق بالزمن السابق فقط بل سيأتي ذو القرنين في المستقبل أيضا. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ١١٩،، الحاشية)

فمثلا هناك قصة ذي القرنين وفيها نبوءة عن هذه الجماعة. يتبين من مطالعة القرآن الكريم أن ذا القرنين ذهب إلى المغرب ورأى الشمس تغرب، أي وجد الظلمة، ورأى هنالك عينا حمئة وقوما. ثم سافر إلى المشرق ورأى قوما لم يجد دونهم سترا، ويحترقون في حر الشمس. ووجد قوما ثالثا التمسوا منه أن ينقذهم من يأجوج ومأجوج. هذه قصة في الظاهر، ولكنها في الحقيقة نبوءة عظيمة الشأن تتعلق بالزمن الراهن. وقد كشف الله بعض الحقائق وأخفى بعضها لكي يستخدم الإنسان قواه. وإذا اعتمد الإنسان على المنقولات وحدها فهو ليس إنسانا.

لقد أطلق عليه اسم "ذو القرنين" لأنه سيشهد قرنين. والزمن الذي بعثني الله فيه جُمعت فيه أيضا القرون كلها. هل في قدرة الإنسان أن يصير صاحب قرنين بنفسه؟ فقد وجد قرنَ الهندوس وقرن المسيحيين أيضا. وسبق أن أثبت السيد المفتي المحترم^١

^١ أي مفتي محمد صادق رحمته الله الصحابي الجليل للمسيح الموعود ﷺ. والمقصود هو اجتماع ١٦ أو ١٧ قرنا وفقاً لتقاويم مختلفة لأقوام عديدة، وفي كلها كانت بعثة المسيح الموعود ﷺ تشهد قرنين. (المترجم)

اجتماع ١٦ أو ١٧ قرنا في زمني. فزبدة الكلام أن ذا القرنين هو من يشهد قرنين اثنين.

وقد ذكر الله تعالى هنا ثلاثة أقوام. والقوم الذين هم في المغرب حيث تغرب الشمس في عين كدرة، فهؤلاء هم المسيحيون الذين قد غربت شمس صدقهم، ولم يبق عندهم الحق ولا نور السماء.

والقوم الثاني الذين هم أقرب منهم من الشمس، ولكنهم لا يستفيدون منها فهم المسلمون، حيث توجد عندهم شمس الحق والصدق، أي القرآن الكريم، ولكن دابة الأرض جعلتهم غافلين، فلا يستطيعون أن يستفيدوا من هذه الشمس، إلا أن يصلوا ويحترقوا ويعانوا من المصائب التي حلت بهم بسبب تمسكهم بظواهر الأمور. لقد حُرِمَ هذا القوم على هذا النحو.

أما القوم الثالث الذين التمسوا من ذي القرنين أن يحول بينهم وبين يأجوج ومأجوج ليجتنبوا هجماتهم، فهم قومنا الذين آمنوا بي بصدق وإخلاص، وإني أنقذ قومي هؤلاء بتأييد من الله من الهجمات التي يشنها يأجوج ومأجوج. إن الله تعالى يُعِدُّكم الآن، ومن واجبكم أن تتوبوا توبة نصوحا، وتُرضوا الله تعالى بصدقكم ووفائكم لكيلا تغرب شمسكم، وألا تكونوا من الواصلين إلى عين كدرة حيث الظلام، ولا من الذين لم يستفيدوا من الشمس أدنى فائدة. فاستفيدوا فائدة كاملة واشربوا من هذه العين الطاهرة ليرحمكم الله. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٩، عدد ٢٤/٥/١٩٠٢ م، ص ٦-٧)

لما كان هذا العصر هو عصر انكشاف الحقائق، لذا يكشف الله تعالى عليّ حقائق القرآن الكريم ومعارفه. عندما أَمَعَنْتُ النظر في قصة ذي القرنين أفهمْتُ أن في البيان عن ذي القرنين ذكرُ المسيح الموعود حصرا. لقد سماه الله تعالى ذا القرنين لأن المسيح الموعود سيشهد قرنين اثنين لذا سيُطلق عليه "ذو القرنين". ولأني شهدت القرنين الثالث عشر والرابع عشر كليهما، وكذلك شهدتُ قرنين عند الهندوس، وعند المسيحيين أيضا؛ لذلك سُميت ذا القرنين.

وفي القصة نفسها بيّن الله تعالى أن ذا القرنين وجد ثلاثة أقوام. أولاً، قوما قريبين من مغرب الشمس وفي عين حمئة. والمراد منهم القوم المسيحيون الذين غربت شمسهم أي لم تعد عندهم الشريعة الحقّة، وماتت روحانيتهم وفترت لديهم حرارة الإيمان فهم منغمسون في الوحل.

والقوم الثاني هم القرييون من الشمس حيث الحُرّ محرق، وهذه حالة المسلمين الراهنة، بمعنى أن الشمس أي الشريعة الحقّة موجودة عندهم ولكنهم لا يستفيدون منها لأن الاستفادة تتم بالحكمة. لنأخذ حَبْرَ الحَبْر مثلاً؛ فمعلوم أنه يُخبز على النار ولكن يستحيل خَبزه ما لم يُهيأ نظام وتدابير مناسب، كذلك الاستفادة من الشريعة الحقّة تقتضي الحكمة. فمع أن الشمس وضوءها كانا قريبين من المسلمين لكنهم لم يستفيدوا منهما ولم يستخدموها بصورة مفيدة ولم ينالوا نصيباً من جلال الله وعظمته. والقوم الثالث هم الذين التمسوا من ذي القرنين أن ينقذهم من يأجوج ومأجوج. وهؤلاء قوما الذين جاؤوا المسيح الموعود وأرادوا الاستفادة منه. باختصار، إن هذه القصص اتخذت اليوم صبغة عملية ونؤمن أن هذه القصة وقعت من قبل أيضاً بأسلوب من الأساليب. ولكن الحق أن في هذه القصة بيان عن المستقبل أيضاً بصورة النبوة التي تحققت في العصر الراهن. (الحكم مجلد ٦، رقم ١٣، عدد ١٠/٤/١٩٠٢م، ص ٦)

كنت أقرأ يوماً سورة الكهف، التي يقال لها ذو القرنين أيضاً، فحين قرأت هذه القصة بإمعان أدركت أنه قد ورد فيها بيان أحوال هذا العصر بعينها؛ كما ورد أنه حين سافر ذو القرنين بلغ مكاناً وجد فيه الشمس تغرب في عين حمئة، وكان سفره هذا إلى الغرب، وبعد ذلك وصل إلى أناس يتعرضون للشمس ولا ظِلَّ يقيهم، ثم وجد قوماً آخرين طلبوا منه النجدة ضد يأجوج ومأجوج بعد بيان أحوالهم. فهذا ما بيّنه الله مثلاً. إلا أن اسم "ذو القرنين" يُطلق على من عاصر قرنين أيضاً، وقد عاصرتُ أنا قرنين بحيث لا يبقى أي اعتراض، فقد حظيت بقرنين من كل تقويم،

ويمكن أن تتأكدوا من ذلك بالحساب. فالقصص الواردة في القرآن الكريم ليست مجرد قصص وأساطير، بل هي نبوءات عظيمة، والذي يعدّها قصصاً فقط فليس بمسلم. فمن هذا المنطلق لن تجدوا بدءاً من التسليم بكوني أنا أيضاً ذا القرنين، وقال أحد أئمة الدين أيضاً بأن المراد من ذي القرنين هو المسيح. ففي هذه القصة ذكر الله قومين أحدهما غربي والثاني شرقي، فالمراد من القوم الغربي أناس قد أعطوا ماءً مصفى للإنجيل والصحف الأخرى لكنهم أضاعوا ذلك التعليم المنير، وأبقوا عندهم وحلاً ووسخاً فقط، أما المراد من القوم الشرقي فهم المسلمون الذين لم يستظلوا بظل الإمام وتلفحهم أشعة الشمس، أما جماعتي فسعيدة جداً؛ عليهم أن يشكروا الله تعالى كثيراً على أنه هداهم بفضله. لكن هذه الحالة ما زالت بدائية. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣، عدد ١٠/١/١٩٠٨ م، ص ٥)

إن ذا القرنين المذكور في القرآن الكريم مختلف عن الإسكندر الرومي، بعضهم يرون أنهما شخصية واحدة. إنما معناه من عاش زمناً من القرنين. (بدر، مجلد ٨، رقم ٧-٩، عدد ٢٤-٣١/١٢/١٩٠٨ م، ص ٣)

"مثلهم كمثل رجل قعد في مَقْنُوءَةٍ، فطلعت الشمس حتى جاءت على رأسه وهو من الذين يَعْتَهِبُونَ. وقوم آخرون رضوا بالحُمَازِيّ، وقع بعضهم لبعض كالمحاذي. وإني أنا الأَحْوَذِيّ كذي القرنين. وجدتُ قومًا في أَوَارٍ، وقومًا آخرين في زَمْهَرِيرٍ وعَيْنٍ كَدِرَةٍ لِفَقْدِ العَيْنِ. وإني أنا الْعَيْذَانُ ومن الله أرى، وأعلم أن القدر أخرج سهمه وقذا فاذكروا الله بعَيْنٍ ثَرَّةٍ يا أولي النهى، لعلكم تجدوا حِزْنًا أو كثيرًا من الندى." (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٠٠)

"وإنما مثل المسيح الموعود كمثل ذي القرنين، وإليه أشار القرآن يا أولي العينين، فكفاكم هذا المثل إن كنتم تتأملون. وإني أنا الأَحْوَذِيّ كذي القرنين، وجمعت لي الأرضون كلها بتزويج النفوس، فكملتُ أمر سياحتي وما برحتُ موضعَ هاتين القدمين. ولا سياحة في الإسلام ولا شد الرحال من غير الحرمين، فُرِزَ لي السَّيْحَانُ

بهذا الطريق من ربّ الكونين. ووجدتُ في سياحتي قومين متضادّين: قومٌ صمخت عليهم الشمس ولفحت وجوههم نارٌ أوارٍ فرجعوا بخفي حنين، وقومٌ آخرون في زمهرير وعينٍ حمئةٍ لفقد العين. ذلك مثل الذين يقولون إنّنا نحن مسلمون وليس لهم حظ من شمس الإسلام، يحرقون أبدانهم من غير نفع ويُلْفَحون، ومثل الذين ما بقي عندهم من ضوء شمس التوحيد واتخذوا عيسى إلهًا واستبدلوا الميت بالذي هو حيّ، ويظنون أنّهم إليه يتحوّجون. هذان مثالان لقوم جعلوا أنفسهم كعباديد، ما نفعهم ضوء الشمس من غير أن تلفح وجوههم حرّها فهم يهلكون، ومثل لقوم فرّوا من ضوئها فنهّبوا وهم يغتهبون.

وإني أدركتُ القرنين من السنوات الهجرية، وكذلك من سني عيسى ومن كل سنةٍ بها يُحاسبون، فلذلك سُمّيْتُ ذا القرنين في كتاب الله، إن في ذلك لآية لقوم يتدبّرون. وما جئت إلا في وقت فُتحتُ يأجوج ومأجوج فيه وهم من كل حدبٍ ينسلون، فُبعثتُ لأصون المسلمين من صولهم بآياتٍ بيّنا، وأدعيةٍ تجذب الملائكة إلى الأرض من السماوات، ولأجعل سدّا لقوم يُسلمون. " (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٢٤-١٢٥)

﴿وَجَدَهَا تَعْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ فليكن واضحا أن هذه الآية القرآنية تحمل في طياتها أسراراً كثيرة تستحيل الإحاطة بها، وتحت ظاهرها باطن أيضا. ومعناها الذي كشفه الله تعالى عليّ هو أن هذه الآية مع سياقها تضم نبوءة عن المسيح الموعود وتحدد وقت ظهوره. وبيان ذلك أن المسيح الموعود أيضا ذو القرنين. وفي الآية القرآنية إشارة إلى أن ذلك المسيح الموعود الذي سيظهر يوما ما؛ ستشمل ولادته وبعثته قرنين، وهذا ينطبق عليّ تماما. فقد ظهر وجودي في قرنين معروفين سواء كانا بحسب التقويم الهجري أو الميلادي أو التقويم الهندي، بحيث كان ظهوري في قرنين في كل الأحوال، وما اقتصر فترة ولادتي وبعثتي على قرن واحد فقط.

باختصار، فإن ولادتي وبعثتي لم تقتصرًا - بحسب علمي - على قرن واحد لأي دين كان، بل امتدتا إلى قرن ثانٍ أيضًا. فأنا ذو القرنين بهذا المعنى. ففي بعض الأحاديث أيضًا سُمِّي المسيح الموعود ذو القرنين، ومعنى ذي القرنين الذي ذهبْتُ إليه؛ هو المعنى نفسه المذكور في تلك الأحاديث. والمعاني الأخرى للآية، بحسب النبوءة، هي أن هناك قومين كبيرين في الدنيا بُشِّرُوا بالمسيح الموعود، وجُعِلُوا أحق بدعوة المسيح قبل غيرها. فيقول الله تعالى هنا على سبيل الاستعارة: إن المسيح الموعود - الذي هو ذو القرنين - سيجد أثناء سيره قومين؛ قوما متربعا في ظلام على عين آسنة لا يصلح ماؤها للشرب، بل فيها وحلٌ كريه الرائحة جدًا لدرجة لا يصح أن يسمَّى ماءً أصلاً. وهم قوم المسيحيين الجالسين في الظلام؛ الذين جعلوا عين المسيح آسنة وذات رائحة كريهة بسبب أخطائهم. وفي سيره الثاني سيجد المسيح الموعود - الذي هو ذو القرنين - قوما جالسين في حرّ الشمس المحرقة ولا سِتْرَ بينهم وبين حرّ الشمس. لم ينالوا من الشمس نورا، بل كان نصيبهم منها احتراق أبدانهم بحرّها، واسوداد جلودهم. والمراد من هذا القوم هم المسلمون الذين يواجهون الشمس، ولكنهم مع ذلك لم يستفيدوا من نورها شيئا إلا الاحتراق. أي قد أُعْطُوا نور شمس التوحيد، ولكنهم لم ينالوا منها نورا حقيقيا سوى الاحتراق. بمعنى أنهم فقدوا جمال الدين الحقيقي، وافتقروا إلى الأخلاق الفاضلة، ولم يكن من نصيبهم إلا العناد والبُغض وحرارة الطبع والتصرفات الهمجية.

فملخص الكلام أن الله تعالى يقول هنا إن المسيح الموعود - الذي هو ذو القرنين - سيأتي حين يكون المسيحيون في ظلام دامس، ولن يكون في نصيبهم إلا حمأ مسنون. أما المسلمون فلن يكون عندهم إلا توحيدٌ ظاهري، ويكونون قد احترقوا بنار العناد والهمجية، ولن يكون هناك توحيدٌ نزيه. ثم سيجد المسيح الموعود - الذي هو ذو القرنين - قوما ثالثا متضايقا جدا من يأجوج ومأجوج، ويكونون ثابتين على الدين بقوة، وذوو طبائع سليمة، فيستعينون بالمسيح الموعود

الذي هو ذو القرنين ليجتنبوا صولات يأجوج ومأجوج، فيجعل لهم المسيح الموعود سداً منيعاً لامعاً؛ أي يعلمهم براهين قوية في تأييد الإسلام، ويسدّ بها هجمات يأجوج ومأجوج كلياً، وسيمسح دموعهم، ويعينهم بكل طريقة ممكنة ويكون معهم. وهذه إشارة إلى الذين يؤمنون بي. هذه نبوءة عظيمة الشأن؛ وقد أنبئ فيها بصراحة كاملة بظهوري وبوقت بعثتي وبجماعتي. (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٩٩-٢٠٠)

قال حضرته عليه السلام عند رد السؤال عن الآية: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: إن في ذلك بيانا لوجدان ذي القرنين. لو كنت على متن سفينة لشعرت أيضا بأن الشمس تطلع من البحر وتغرب في البحر. لم يقل القرآن الكريم بأن هذا البيان مبني على علم الأفلاك، بل يستخدم المرء في كلامه العادي مئات الاستعارات والمجازات. مثلاً إذا قلت: أكلت اليوم صحن أرز، فهل نفهم من ذلك أنك أكلت الصحن نفسه؟ وإذا قلت أن فلانا أسد، فهل نفهم من ذلك أنه لا بد أن تكون له مخالب وذئبا أيضا كالأسد.

لقد جاء في الإنجيل أنهم أتوا من أكناف الأرض ليسمعوا حكمة سليمان. والمعلوم أن الأرض كروية فما معنى أكنافها؟ وقد ورد في سفر إشعياء ١٤: ٧ "اسْتَرَاحَتْ، اطْمَأْنَنْتْ كُلُّ الْأَرْضِ"، مع أن حركة الأرض أمر ثابت متحقق. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٧٦-٢٧٧)

يقول عليه السلام في الرد على اعتراض عبد الله آتهم: ثم تقول: إن غروب الشمس في عين حمئة ليس من سلسلة المجازات. ولكن المراد من عين حمئة هو الماء الأسود، وهذا ما يشاهده الناس بأعينهم اليوم أيضا. وإن المجازات مبنية على المشاهدات بالعين كما نقول أحيانا أن النجوم كنقطة ونقول أحيانا أن السماء زرقاء اللون، أو نقول بأن الأرض ساكنة. فلما كان الكلام المذكور آنفا يدخل في النوع نفسه فلماذا إنكاره؟ (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٨٧-٢٨٨)

وسوء الفهم الثالث الذي نشأ في قلب المعترض هو أنه قد ورد في القرآن الكريم أن مَلِكًا -ورد في القرآن الكريم ذكر تجواله- وصل في أثناء تجواله إلى مقام حيث رأى الشمس تغرب في عين حمئة. والآن يصرف المسيحيون هذا الكلام من المجاز إلى الحقيقية ويعترضون أنه كيف اختفت الشمس الكبيرة الحجم إلى هذا الحد في عين حمئة صغيرة؟ والحق أن كلامهم هذا يماثل كلاما ورد في الإنجيل عن المسيح أنه كبش الله، فيعترض عليه أحد ويقول: كيف يمكن هذا؟ لأن على رأس الكبش قرنين وعلى جسده صوف وما إلى ذلك، ويمشي مُكبًّا على وجهه مثل الدواب ويأكل ما تأكله الكباش.

فيا صاحبي، من أين ومن سمعت أن القرآن يدّعي غروب الشمس في عين حمئة حقيقة؟ بل القرآن الكريم ينقل أفكار هذا الشخص فقط ويقول بأنه قد بدا له كأن الشمس تغرب في عين حمئة. لقد ذكرت هنا قصة رؤية شخص معين أنه وصل إلى مكان حيث لم تظهر له الشمس تغرب كالمعتاد وراء جبل أو عمران أو أشجار، بل بدت وكأنها تغرب في عين حمئة. والمراد من ذلك أنه لم تكن بالقرب من ذلك المكان جبال أو عمران أو أشجار بل لم يكن لهذه الأشياء أي أثر على مدِّ البصر، بل كانت هناك عين حمئة وبدت الشمس تغرب فيها.

تدبروا في سياق هذه الآيات، هل تتطرق إلى بحث علمي؟ بل ذكرت فقط قصة تجوال شخص معين إلى مناطق نائية. والمقصود من بيان هذه الأمور هو إثبات أنه وصل إلى مكان غير مأهول. إذًا، إن الخوض في مسائل علم الفلك في هذا المقام غير مجدٍ وفي غير محله تماما. فمثلا إذا قال أحد بأن السماء أثناء الليل كانت صافية تماما من الغيوم وكانت النجوم تترأى متألّفة في السماء كالنقاط، ثم لو جادله أحد وقال: هل النجوم بحجم النقاط؟ وفتح أمامه كتب علم الفلك لهذا الغرض فلا شك أن تصرفه هذا سيُعدّ تصرف الجهلاء لأن القائل لم يقصد من ذلك بيان الأمر الواقع بل قال كلاما مجازيا كما يقوله الناس على جاري العادة.

فيا أيها الذين تشربون دم المسيح في العشاء الرباني وتأكلون لحمه، ألم تعلموا إلى الآن ما هو المجاز والاستعارة؟ يعلم الجميع أن باب استخدام المجاز والاستعارات مفتوح على مصراعيه في كلام الناس العادي في كل بلد. فيختار وحي الله تعالى التعابير والاستعارات نفسها التي يستخدمها عامة الناس بكل بساطة في كلامهم العادي. ليس من أساليب الوحي استخدام مصطلحات الفلسفة والعلوم الدقيقة في كل مكان ومناسبة، لأن الخطاب يكون موجّهاً إلى عامة الناس لذا من الواجب أن يكون على قدر فهمهم ويراعي التعابير المتداولة بينهم.

إن بيان الحقائق والدقائق شيء، ولكن ترك التعابير المتداولة والإعراض الكلي عن استخدام المجاز والاستعارات العادية لا يجوز قط لشخص يفرض عليه منصبه أن يتكلم على مذاق عامة الناس لكي يفقهوا كلامه فيؤثر في قلوبهم. فمن المسلم به أنه ما من كتاب موحى به أعرض فيه عن استخدام المجاز والاستعارات كلياً، أو أجيز التحاشي عنها تماماً. هل جاء في الدنيا كلام الله على هذا المنوال؟ فلو أمعنا النظر لوجدنا أننا نستخدم في كلامنا كل يوم مئات الاستعارات والمجاز ولا يعترض على ذلك أحد. فمثلاً يقال في الأردية: الهلال دقيق مثل شعرة، والنجوم كالنقاط، أو اختفى القمر في السحاب، أو نقول بعد مرور هزيع من النهار بأن الشمس ارتفعت بقدر طول سهم، أو أكلتُ صحن أرز، أو شربت كأس ماء. فكل هذه الأقوال لا تهرّ قلب أحد ليقول كيف يكون الهلال دقيقاً مثل شعرة؟ ولماذا تكون النجوم بحجم النقاط؟ وأتى للقمر أن يختفي في السحاب؟ وهل قطعت الشمس مسافة بقدر سهم فقط بعد مرور ربع نهار مع أنها تقطع مسافة آلاف الفراسخ في يوم واحد بسبب حركتها السريعة جداً؟ ولا يذهب وهلاً أحد عند ذكر أكل صحن الأرز أو شرب كأس الماء بأن القائل أكل الصحن أو الكأس بعد أن جزّأها أجزاء صغيرة. بل سيفهم كل شخص بأن القائل أكل ما كان في الصحن من الأرز وشرب ما كان في الكأس من الماء.

لا يجب عاقل وإن كان معارضا أيضا أن يعترض على أمر واضح تمام الوضوح. لقد سمعتُ بنفسي من المسيحيين المنصفين أن هذا النوع من الاعتراضات يثيرها من بينهم أناس جاهلون فقط أو متعصبون من الدرجة القصوى... الذين يسافرون في السفن والزوارق يشاهدون كل يوم مشهد طلوع الشمس من الماء وغروبها في الماء، ويتحدثون أيضا كما يرونها فيما بينهم مئات المرات ويقولون مثلا، ها قد طلعت الشمس وها قد غربت. فمن الواضح أنه إذا فتح أحد أمامهم كتب علم الفلك بمثل هذه المناسبة وخاض في مسائل النظام الشمسي فكأنه يريد أن يسمع منهم: أيها الغبي، أظنّ أنك الوحيد الذي تعرف هذا، ولا نعرف؟ (الرد على ثلاثة أسئلة لمسيحي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٥٨-٤٦١)

ثم بيّن أن زمن ظهور المسيح القادم هو زمن خروج يأجوج ومأجوج، وهم المسيحيون الأوروبيون؛ لأن هذا الاسم مشتق من الأجيح، وهو لهب النار، وفي ذلك كانت إشارة إلى أنهم سيوظفون النار كثيرا، وأن حروبهم ستكون بأسلحة نارية وأن بواخرهم وآلاف أجهزتهم ستشغل بالنار. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٠٠)

من الضروري أن تكون بعثة المسيح الموعود في زمن يأجوج ومأجوج، فلما كان الأجيح يُطلق على النار ومنه اشتق يأجوج ومأجوج، لهذا قد فهمني الله ﷻ أن يأجوج ومأجوج شعب يستخدم النار أكثر من جميع الشعوب، بل هم الذين قد ابتكروا هذا. وفي هذه الأسماء إشارة إلى أن بواخرهم وقطارهم وأدواتهم ستسير بالنار وأن حروبهم ستكون بالنار وأنهم سيفوقون جميع شعوب العالم في فن استخدام النار. ولهذا السبب سيُسَمَّون يأجوج ومأجوج، فهي شعوب أوروبية، وهي ماهرة في استخدام النار بطرق شتى لدرجة غنية عن البيان. فالصحف السابقة التي أُعطيها أنبياء بني إسرائيل قد وصفت سكان أوروبا بيأجوج ومأجوج بل قد ورد فيها اسم موسكو أيضا، العاصمة العريقة لروسيا. فكان قد تقرّر أن يخرج يأجوج ومأجوج في

زمن المسيح الموعود. كما كان قد ورد في النصوص القرآنية والحديثية أن ركوب الجمال وحملتها سيترك في زمن المسيح؛ ففي ذلك كانت إشارة إلى اختراع مركبة تُغني عن الجمال، ولقد أثبت أيضاً بأن بعثة إنسان جامعاً للبركات العيسوية والبركات المحمدية في آخر الزمان كانت مقدرة في حكمة الله. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٤٢٤-٤٢٥)

أكبر الفتن إنما هي فتنة النصارى نفسها، وهي بروز الدجال. وكذلك يأجوج. علماً أن يأجوج مشتق من الأجيح، وفيه إشارة إلى أن هذه الأمة ستكون وثيقة الصلة بالأعمال النارية، وستمتلك مهارة عالية جداً في استخدام النار والانتفاع منها، وكأنها ستتسلط على النار، وستصبح الشعوب الأخرى عاجزة أمامها في المواجهة النارية. وترون كم صار الأمر واضحاً وجلياً، حيث تجدون كيف أصبحت هذه الأمة وثيقة الصلة بالنار، وكيف قد اخترعوا الآلات النارية، ولا يزالون يتطورون في استخدام النار كل يوم. فالدجال يأجوج كلاهما بروزان. وكانت هاتان الكيفيتان متفرقتين من قبل وقد اجتمعتا الآن في أمة واحدة، كذلك في يأجوج ومأجوج. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠١م، ص ٢)

إن المراد من طول آذان يأجوج ومأجوج هو ممارسة التجسس، كما نرى في هذا الزمن أن نظام البرقية والجرائد وغيرها يندرج في هذا الباب. (بدر، مجلد ١، رقم ١٠، عدد ٢/١/١٩٠٣م، ص ٧٧)

أمّا يأجوج ومأجوج؛ فقد ثبت أنهما قومان حازا على التقدم والازدهار في الدنيا، أحدهما الإنجليز والآخر الروس. وهذان القومان يهاجمان من الأعلى إلى الأسفل.. أي ينالون الانتصارات بقدرات وهبهم الله إياها. أما المسلمون فقد أسقطهم سوء تصرفاتهم في الحضيض. وأما هذان القومان فقد أحدثت حضارتهم وحكمتهم وهمتهم وثباتهم ومبادئهم الاجتماعية السامية - بأمر الله القادر وحكمته - ازدهاراً وتقدماً.

وقد ورد ذكر هذين القومين في الكتاب المقدس أيضا. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٦٩)

اسمعوا الآن عن يأجوج ومأجوج، إنهما قومان قديمان لم يحوزا غلبة بيّنة على غيرهم في الأزمنة الغابرة إذ كانت حالتهم تتسم بشيء من الضعف. ولكن الله تعالى يقول بأنهما سيخرجان في الزمن الأخير؛ أي سيظهران بقوة جلالية كما يقول ﷺ في سورة الكهف: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ أي أن هذين القومين يتغلبان على الآخرين أولا، ثم يهاجمان بعضهما بعضا، وسيرزق الله الانتصار لمن يشاء. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٧٣)

"هذان (يأجوج ومأجوج) لاسمان لقوم تفرّق شعبهم في زماننا هذا آخر الزمان وهم في وصف متشاركون. وهم قوم الروس وقوم البراطنة وإخوانهم، والدجال فيهم فيجّ قسيسين ودعاة الإنجيل الذين يخلطون الباطل بالحق ويدجلون. واعتدى لهم الهند متكأ، وحقت كلمة نبينا ﷺ أنهم يخرجون من بلاد المشرق، فهم من مشرق الهند خارجون. ولو كان الدجال غير ما قلنا، وكذلك كان قوم يأجوج ومأجوج غير هذا القوم، للزم الاختلاف والتناقض في كلام نبي الله ﷺ. وأيم الله إن كلام نبينا منزه عن ذلك." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٤٥٩-٤٦٠)

"ولكنهم أخطأوا فيما قالوا إن يأجوج ومأجوج يموتون في زمن عيسى كلهم، فإن يأجوج ومأجوج هم النصارى من الروس والأقوام البريطانية، وقد أخبر الله تعالى عن وجود النصارى واليهود إلى يوم القيامة وقال: ﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة: ١٥)، فكيف يموتون كلهم قبل يوم القيامة؟ (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٠٩-٢١٠، الحاشية)

لا يُقال إن هذا التفسير خلاف الإجماع وأن القوم قد اتفقوا على أنهم قوم لا يُشابهون خلق الإنسان، ولهم آذان طويلة، لأنهم قد اتفقوا على أن يأجوج ومأجوج قوم محصورون في الإقليم الرابع، وهم أزيد نسلا وعددا من كل قوم، وهذا باطل

بالبداهة، لأننا لا نرى في الإقليم الرابع أثرا منهم ولا من بلادهم ومدنهم وعساكرهم مع أن عمارات الأرض قد ظهرت كلها. فالروايات في هذا الباب باطلة كلها." (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٢١٠، الحاشية في الحاشية)

"فالحاصل أن هذه الآية.. يعني: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ٥٦)، دليل صريح وبرهان واضح على أن القوة والغلبة والشوكة والتسلط الكامل الفائق على وجه الأرض لا يُجاوز هذين القومين: النصارى والمسلمين، وتداولُ الحكومة التامة بينهم إلى يوم القيامة، ولا يكون لغيرهم حظا منها، بل تُضرب على أعدائهم الذلة والمسكنة، ويذوبون يوما فيوما حتى يكونوا كالفانين. فإذا كان الأمر كذلك فوجب أن تكون الحكومة والقوة متداولة بين هذين القومين إلى الدوام ومخصوصة بها، فلزم بناءً على هذا أن يكون يأجوج ومأجوج إما من المسلمين وإما من المنتصرين. ولكنهم قوم مفسدون بطّالون، فكيف يجوز أن يكونوا من أهل الإسلام؟ فتقرّر بالقطع أنهم يكونون من النصارى وعلى دين النصارى." (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٢٣-٢٤، الحاشية)

"وأما الآفات التي قُدّر ظهورها في وقت المسيح فمن أعظمها خروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدجال الوقيح، وهم فتنة للمسلمين عند عصيانهم وفرارهم من الله الودود، وبلاء عظيم سلّط عليهم كما سلّط على اليهود.

واعلم أن يأجوج ومأجوج قومان يستعملون النار وأجيجه في المحاربات وغيرها من المصنوعات، ولذلك سُمّوا بهذين الاسمين، فإن الأجيج صفة النار. وكذلك يكون حربهم بالمواد النارية، ويفوقون كلّ من في الأرض بهذا الطريق من القتال، وهم ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٧) ولا يمنعهم بحر ولا جبل من الجبال، ويخرّ الملوك أمامهم خائفين ولا تبقى لأحد يد المقاومة، ويُداسون تحتهم إلى الساعة الموعودة. ومن دخل في هاتين الحجارتين ولو كان له مملكة عظيمة، فطحن كما يُطحن الحب في الرحى، وتزلزل بهما الأرض زلزالها، وتحرك جبالها، ويشتاع ضلالها،

ولا يُسَمَّعُ دعاءٌ، ولا يصل إلى العرش بكاءً، ويصيب المسلمين مصيبة تأكل أموالهم وإقبالهم وأعراضهم، وتحتك أسرار ملوك الإسلام، ويظهر على الناس أنهم كانوا مَوْرِدَ غضبِ الله من العصيان والإجرام، ويُنَزَّع منهم رعبهم وإقبالهم وشوكتهم وجلالهم بما كانوا لا يتَّقون، ويبارون الأعداءَ من طريق وبنهزمون من سبعة طُرُق بما كانوا لا يحسنون. يراؤون الناس ولا يتَّبِعون رسول الله وسُنَّتَه ولا يتديِّنون، وإنَّ هم إلا كالصور ليس الروح فيهم، فلا ينظر إليهم الله بالرحمة ولا هم يُنصرون. وكان الله يريد أن يتوب عليهم إن كانوا يتضرَّعون، فما تابوا وما تضرَّعوا، فنزل على المجرمين وبألمهم إلا الذين يخشعون. ويرون أيام المصائب ولياليها كما رأى الملعونون. فعند ذلك يقوم المسيح أمام ربه الجليل، ويدعوه في الليل الطويل، بالصراخ والعيول، ويدوب ذوبان الثلج على النار، ويتهل لمصيبة نزلت على الديار، ويدُكِّر الله بدموع جارية وعبرات متحدِّرة، فيُسمَعُ دعاؤه لمقامٍ له عند ربه، وتنزل ملائكة الإيواء، فيفعل الله ما يفعل، وينجي الناس من الوباء. فهناك يُعرَف المسيح في الأرض كما عُرفَ في السماء، ويوضع له القبول في قلوب العامة والأمراء، حتى يتبرَّك الملوك بثيابه، وهذا كله من الله ومن جنابه، وفي أعين الناس عجيب." (الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ٣١٧-٣١٨، الحاشية)

"...﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾... والمراد من قوله ﴿بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ أن نار الخصومات تستوقد في ذلك الزمان في كل فرقة من فرق أهل الأديان، وينفقون الذهب والفضة كالجبال لتكذيب الإسلام والإبطال وارتداد المسلمين، ويؤلّفون كتبًا مملوءة من التوهين. وقد أشار الله في كثير من المقام أن تلك الأيام أيام الغربة للإسلام، وهناك يكون المسلمون كالمحصورين، وتهب عليهم عواصفُ التفرقة فيكونون كعِضِينَ. فأما قوله ﴿بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ فيريده منه أن فرقة تأكل فرقة أخرى، وتعلو يأجوج ومأجوج وتسمعون أخبار خروجهم في الأرضين، وفي تلك الأيام لا يكون الإسلام إلا كعجوزة، ولا يبقى له

من قوة ولا من عزة، وتصيبه ذلة على ذلة، وكاد أن يُقبر من غير التجهيز والتكفين، وتُصَبَّ عليه مصائب ما سمعتُ أذنٌ مثلها من قبل، ويخرج من الدين أفواج من الجاهلين، لاعنين ومحقرين ومكذِّبين، وتُقلَب الأمور كلها، وتنزل المصائب على الشريعة وأهلها، ويُردّ قمرها كعُرجونٍ قديم في أعين الناظرين، وهذه ذلة ما أصابت الملة من قبل، ولن تصيب إلى يوم الدين. فعند ذلك تنزل النصرَةُ من السماء ومَعْلَمُ العزة من حضرة الكبرياء، من غير سيف وسمان ومحاربين. وإليه إشارة في قوله تعالى ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾، وهو مرادٌ من بعث المسيح الموعود يا معشر العاقلين." (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ٢٧٨-٢٨٣)

"وقد وعد الله عند الفتنة العظمى في آخر الزمان، والبلية الكبرى قبل يوم الديان، أنه ينصر دينه من عنده في تلك الأيام، وهناك يكون الإسلام كالبدن التام، وإليه أشار الله سبحانه في قوله ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾. وقد أخبر في آية هي قبل هذه الآية من تفرقة عظيمة بقوله ﴿تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾، ثم بشّر بقوله ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ﴾ بجمع بعد التفرقة، فلا يكون هذا الجمع إلا في مائة البدن، ليدلّ الصورة على معناها كما كانت النصره الأولى بيدر. فهاتان بشارتان للمؤمنين، وتبرقان كذرة في الكتاب المبين." (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ٢٨٦-٢٨٨)

"قد أشار الله في آيات بعد هذه الآية من غير فصل إلى أن يأجوج ومأجوج هم النصارى، ألا ترى قوله ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ (الكهف: ١٠٣) وكذلك قوله ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٤-١٠٥)، وكذلك قوله ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ (الكهف: ١١٠) ولا شك أن النصارى قوم اتخذوا المسيح معبودا من دون الله، وتمايلوا على الدنيا وسبقوا غيرهم في إيجاد صنائعها، وقالوا إن المسيح هو كلمة الله، والمخلوق كُلُّهُ من هذه الكلمة،

فهذه الآيات ردٌ عليهم. " (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٧٨، الحاشية)

إن ذكر جعل الناس أمة واحدة موجود في القرآن الكريم في سورة الكهف حيث يقول الله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ أي سنعطي كل قوم في الزمن الأخير حرية ليعرضوا محاسن دينهم على أمة أخرى ويهاجموا معتقدات دينية لقوم آخرين وتعليمهم. وسيظل الحال على هذا المنوال إلى مدة من الزمن ثم يُنفخ في الصور. عندها نجعل الأمم كلها أمة واحدة وسنجمعهم على دين واحد. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٧٥، الحاشية)

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾، أي في الزمن الأخير الذي هو زمن يأجوج ومأجوج يخوض الناس في خصومات وحروب دينية، ويهاجم قوم قوما آخرين هجمات دينية كما يقع موج البحر على موج آخر. وستنشب حروب أخرى أيضا، وبذلك ستنتشر في العالم فرقة عظيمة ويحدث في الناس تفرقة وبُغض وضغينة كبيرة. وعندما تبلغ هذه الأمور ذروتها سينفخ الله في صورهِ من السماء، أي سيبلغ بواسطة المسيح الموعود الذي هو صُورُهُ صوتا إلى الدنيا يجتمع بسماعه ذوو الفطرة السليمة على دين واحد وتتلاشى الفرقة وتصبح أمة العالم المختلفة أمة واحدة. وقال في آية أخرى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ أي الذين لا يلبّون دعوة المسيح الموعود نعرض عليهم جهنم أي ننزل عليهم أنواع عذابات تكون نموذجا لجهنم. ثم قال: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾. أي ستكون أعين هؤلاء الناس في غطاء عن دعوة المسيح الموعود وتبليغه ولن يسمعون كلامه ويكتبون منه بشدة، فسينزل العذاب.

المراد من لفظ الصور هنا هو المسيح الموعود، لأن أنبياء الله هم صورُهُ فينفخ الله تعالى صوته في قلوبهم. لقد ورد التعبير نفسه في الكتب السابقة أيضا إذ عُدَّ أنبياء الله صورُهُ، بمعنى أنه كما ينفخ النافخ في الصور صوته كذلك ينفخ الله صوته في

قلوب الأنبياء. ويتبين من قرينة يأجوج ومأجوج بالقطع أن ذلك الصور هو المسيح الموعود لأنه ثابت من الأحاديث الصحيحة أن المبعوث في زمن يأجوج ومأجوج هو المسيح الموعود فقط.

فملخص الكلام أنه ما دام ثابتا من التوراة من ناحية أن الفرق المسيحية من أوروبا هي يأجوج ومأجوج، ومن ناحية ثانية حدد القرآن الكريم ليأجوج ومأجوج علامات تنطبق على السلطنات الأوروبية فقط كما ورد أنهم من كل حذب ينسلون، أي يغلبون كل القوى، وسينالون العروج الدنيوي من كل نوع. وقيل أيضا في الأحاديث بأنه لن تكون لأية سلطنة يدان بقتالهما، وبذلك قد تقرر بصورة قاطعة أن هذه الأقوام هي يأجوج ومأجوج، وإنكار ذلك ليس إلا تعنت محض ومعارضة قول الله تعالى. لا يسع أحدا الإنكار أن هذه الأقوام هي التي فاقت بحسب قول الله تعالى وقول النبي ﷺ جميع الأقوام في قوتها الدنيوية، إذ لا نظير لها في الدنيا من حيث عدة القتال والحرب وعتادها ومكائدها وسياسة البلاد. إن أدوات هؤلاء الناس واكتشافاتهم، سواء في مجال الحروب أو في أسباب راحة الدنيا قد غيّرت خارطة العالم، وأحدثت في حالة الإنسان التمدنية انقلابا محيرا. وقد أبدت تلك الأمم في أمور سياسة البلاد وتدبيرها علو كعبها في الحرب والسلم إلى درجة لا نظير لها في أي زمن منذ بدء الخليقة. الحادث الذي حدث بعد مئات السنين من نبوءة نبي الله العظيم بحسب علامات حُددت في تلك النبوءة إنما هو حادث ظهور القوى الأوربية فقط. إن عدم قبول معنى يأجوج ومأجوج الذي كشفه الله تعالى، وأنهم القوم الذين جعل الحادث الحالي مصداقا لتلك العلامات، بمنزلة إنكار الحق المبين. صحيح أنه عندما يصير الإنسان على الإنكار لا يسع أحدا أن يكتم فمه، ولكن المنصف العادل الذي يبحث عن الحق سيشهد عن قناعة تامة وانشراح الصدر بعد الاطلاع على تلك الأمور كافة أن هذه الأمم هي يأجوج ومأجوج دون أدنى شك.

فلما ثبت أن هذه الأمم هي يأجوج ومأجوج فقد تحقق تلقائيا أن المسيح الموعود سيظهر في عصر يأجوج ومأجوج كما يقول القرآن الكريم بعد ذكر غلبتهم وقوتهم: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾. أي ستحدث في الناس فُرقة وتشتت كبير في زمن يأجوج ومأجوج، وسيصول دين على دين آخر وقوم على قوم آخرين، عندها سيرسل الله تعالى لإزالة تلك الفُرقة صوته المهيب إلى الناس دون تدخل أيدي البشر بل بآيات سماوية فقط وذلك بواسطة مرسل منه يكون في حكم الصور. وسيكون في هذا الصوت جذب قوي وبذلك سيجمع الله تعالى الناس المتفرقين على دين واحد.

تعلن الأحاديث الصحيحة بكلمات صريحة وواضحة أن زمن يأجوج ومأجوج هو زمن المسيح الموعود، كما ورد أنه عندما يغلب قوم يأجوج ومأجوج على جميع الأمم بقوتهم وقدرتهم ولن يقدر أحد على مواجهتهم، عندها يؤمر المسيح الموعود أن يحرز جماعته إلى جبل الطور، أي يواجههم بالآيات السماوية ويستعين بعجائب الله القوية والمهيبة، كمثال الآيات التي أظهرت بجبل الطور تخويفا لقوم بني إسرائيل المتمردين كما يتبين من الآية: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ (البقرة: ٦٤) أي قد حدثت في جبل الطور زلازل قوية كآية، وزلزل الله تعالى الجبل على رؤوس اليهود وكأنه واقع عليهم في الحال. فخافوا كثيرا نظرا إلى هذه الآية المهيبة. وهذا ما سيحدث بالتحديد في زمن المسيح الموعود أيضا. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٨٣-٨٩)

من يستطيع أن ينكر أن كافة النباتات والجمادات والحيوانات في العالم مليئة بالديدان وكلها موجودة في الأرض ولا يأتي شيء من الخارج؟ ألم تكن الديدان موجودة في معدة رجال الدين - الذين نزلت عليهم الفيدات - ودماغهم وأعضائهم الأخرى؟ والمعلوم أن ماء الرجل والمرأة أيضا لا يخلو من الديدان. هل من مادة فوق الأرض أو تحتها تخلو من الديدان؟ كان على الآريين أن يفكروا متى وبأي طريقة نزلت عليها الروح كالندي. إن للكذب أيضا حدودا، ولكن الفيدا تجاوز الحدود

كلها في كذب المقال، ونبذ قانون الله البديهي والمحسوس والمشهود والقديم في الطبيعة كما يرمي أحد ورقة بعد تمزيقها قطعاً.

كان من واجب المحاضر أن يقدم علامة أخرى للكتاب الموحى به، وكان بيانها ضرورياً جداً ولكن لا ندري لماذا لم يبينها؟ لعله نسيها. وتلك العلامة هي "النيوك"، أي كان عليه أن يقول إن من علامات الكتاب الموحى به أن يعلم "النيوك"، أي يجب أن يتضمن تعليماً أنه إن لم يولد لأحد ولد ذكر عليه أن يجعل زوجته الحبيبة تضاجع شخصاً آخر. ولا يزال يجعلها تضاجع رجالاً آخرين ويهتك عرضها ما لم تُنجب ذكراً. لعله لم يذكر هذه العلامة للكتاب الموحى به لأنه شعر أنها ديوثية محضنة وتدل على فقدان الغيرة تماماً أن يجعل المرء زوجته تضاجع غيره مع أن قرانه معها ما زال قائماً. وذلك ليس ليوم أو يومين فحسب بل يجعلها تنام على سرير الآخرين إلى مدة طويلة. يبدو من هنا أن "الريشيين" الأربعة الذين نزلت عليهم الفيدات قد مارسوا النيوك "المقدس" بالتزام حتماً، ولعله كان من علامة طهارتهم، لذلك علموا الآخرين أيضاً ما عملوا به بأنفسهم.

ولكن قد لوحظ أن معظم الهندوس في الزمن الراهن يغطون وجوههم خجلاً كلما ذكر النيوك أمامهم أو يفرون من ذلك المكان. لقد قرأت في كتاب أن شخصاً من أهل البنغال انضم إلى الآريين برغبة عارمة، وبعد بضعة أيام زاره أحد من أصدقائه القدامى من مذهب البراهمو، وذكر له قصة النيوك على مهل أثناء الحديث. كان البنغالي المسكين واقفاً في برائن الآريين فسأله ما المراد من النيوك؟ وسرد له البراهمو بالتفصيل أن الفيدا يأمر الآريين أنه إن لم يكن لدى أحدهم أولاد ذكور فعليه أن يجعل زوجته تضاجع غيره دون أن يطلقها، وأن يستمر في تسويد وجه زوجته مع شخص آخر ما لم تنجب أولاداً ذكوراً. عندما سمع البنغالي المسكين هذا الكلام صُدم بشدة وقال هذه تهمة بحتة على آريا سماج، كيف يمكن أن يكون في الفيدا تعليم نجس وفاقد الحياء مثله؟ وأتى لرجال الدين الأربعة الأطهار الذين نزلت عليهم

الفيديات أن يعطوا مثل هذا التعليم النجس؟ عندها أخرج صديقه الهندوسي بكل أدب ولطف من تحت إبطه كتابين "ستيارتھ بركاش" و"ويد بهاش" لمؤلفهما البانديت ديانند وقدّمهما له وقال بكل لطف: عليك أن تقرأ بضعة أسطر هنا حول النيوك. عندما قرأ البنغالي، الذي كان رجلاً محترماً وغيوراً، مكاناً علّم فيه البانديت ديانند مشيراً إلى عبارات الفيديا بأنه إن لم يولّد لكم ابنٌ فلكم أن تجعلوا زوجاتكم يضاجعن رجالاً آخرين بُغية الحصول على أولاد ذكور وإلا لن تنالوا النجاة. فبقراءة هذا التعليم استشاط هذا الرجل المحترم غضباً ورمى الكتابين من يده كشيء رديء ونجس وقال: لعنة الله على دين فيه تعليم النجاسة وعدم الحياء إلى هذه الدرجة، ثم شكر صديقه الذي خلّصه من هذه القذارة.

والآن أتناول بشيء من التفصيل علامات حددها المحاضر للكتاب الموحى به بحسب معتقده.

العلامة الأولى منها أن يكون ذلك الكتاب منذ زمن بدء الخليقة. ويقصد من ذكر هذه العلامة أن القرآن الكريم لم يأت في زمن بدء الخليقة لذا فإنه ليس كتاب الله. ولكن يبدو من كلامه بوضوح أن إله الفيديا عجز إلى الأبد عن إنزال إلهامه بعد زمن بدء الخليقة وتلاشت منه قوة الإلهام إلى درجة أن الإله حلف يمينا مغلظاً أنه لن ينزل كتاباً بعد الكتاب الأول مهما اقتضت المصالح الجديدة إلهاماً، ومهما انتشرت في الأرض مفسدات متجددة ومهما حرّف الكتاب الأول وغيّر، ومهما جهل الناس في بلاد بعيدة الكتاب السابق. والمعلوم بداهة أن هذا الأسلوب والعادة يعارض قانون الله في الطبيعة لمعالجة أمور الإنسان الجسدية. ونرى أن أسباباً متجددة تُهيأ دائماً لسد حاجاتنا الجسدية. ولا نُعلّل بقصص أنه كانت في زمن من الأزمان فواكه كذا وكذا يأكلها الناس آنذاك، وكانت غلال من نوع كذا وكذا يستهلكها الناس، ووُجدت أدوية كذا وكذا للعلاج، بل ما دامت كل هذه الأشياء تُخلق لنا اليوم أيضاً كما كانت تُخلق في غابر الأزمان فكيف تغيّر إذاً قانون الطبيعة الروحاني؟

هل لنا أن نزن أن الله كان قادرا على الكلام فيما سبق ولكنه لم يعد قادرا الآن، وكان قادرا على إنزال الإلهام في الماضي ولم تعد فيه هذه القدرة الآن؟ أليس صحيحا أن الله يسمع الآن أيضا كما كان يسمع في زمن خلا؟ فما السبب إذا أن حاسة سمعه ما زالت قائمة على حالها في زمننا هذا كما كانت، ولكنه فقد قوة الكلام؟ أليس صحيحا أن الأزمنة التي تلت الزمن الأول كثرت فيها المعاصي والذنوب يوما بعد يوم وظهرت للعيان ذنوب جديدة لم يكن لها أثر في الزمن الأول؟ أفلم يكن ضروريا في هذه الحالة أن يرسل الله تعالى لمحاربة الذنوب الجديدة والمعتقدات الفاسدة المستحدثة كتابا جديدا يقدم تعاليمه بكل قوة لإزالة المفساد الراهنة ويوجه إلى الله بواسطة آياته المهيبة؟ لا أن يشاهد الله هذا الطوفان العارم ويلتزم الصمت كليا ويقول: اكتفوا بلعن أوراق الفيدا إذ ليس عندي تعليم أفضل منه، ولا تتوقعوا تعليمًا جديدا في المستقبل. وإن قلتم بأن هذه الأوامر كلها موجودة في الفيدا سلفا، فما من كذب أكبر منه لأنكم تعترفون بأنفسكم، وهذا ما يقوله العقل أيضا، أن الزمن الأول كان خاليا من تلك الذنوب والمعتقدات الفاسدة التي نشأت فيما بعد، فلما لم تكن المعتقدات الفاسدة والذنوب موجودة في الزمن الأول فلن يكون تحريمها إلا تعريفا بسيئة ومعتقدات فاسدة لم تكن معلومة. وإن قلتم بأن الفيدا ذكر كل هذه المعتقدات السيئة والأمور الفاسدة على سبيل النبوة بأن هذا ما سيحدث في المستقبل فهذا كذب لأنكم تعترفون بأنفسكم بأنه لا توجد في الفيدا أية نبوة. نحن راضون أيضا بأنه إذا استطاع الآريون أن يُخرجوا لنا من الفيدا كل المعتقدات والأعمال السيئة التي ذكرها القرآن الكريم، أو المعتقدات التي ذكرها القرآن وهي سيئة بحسب الفيدا، وكذلك الأعمال السيئة التي توجد في مختلف مناطق العالم التي ذكرها القرآن الكريم مفصلا، بحيث يستطيع أهل فرق أخرى أن يعترفوا بأن كل هذه الأمور المذكورة في الفيدا، كما يعترفون بعد قراءتهم القرآن الكريم أن هذه الأمور كلها موجودة فيه، إذا استطاعوا ذلك فليخرجوا لنا من الفيدا أيضا أدلة وجود الله

تعالى ووحدانيته التي وردت في القرآن الكريم ويقرّ بوجودها فيه الفرق المعارضة، فإن فعلوا فأنا جاهز لأدفع لهم ألف روية نقداً.

ولكن من المؤسف حقاً أنه لكذب كبير أن يُنسب إلى الفيدا كمال ليس فيه. من يستطيع أن ينكر أنه قد حدثت في العالم انقلابات عظيمة بعد الزمن الأول. كان الناس في بداية الزمن قلة وكانوا يسكنون في بقعة صغيرة من الأرض، ثم انتشروا إلى أقصى أطراف الأرض واختلفت اللغات وازداد عدد السكان إلى درجة أن صار كل بلد كعالم آخر لغيره من البلدان. أفلم يكن ضرورياً في هذه الحالة أن يرسل الله ﷻ نبيا ورسولا منفصلا في كل بلد دون أن يكتفي بكتاب واحد؟ غير أنه عندما انقلب العالم من أجل الوحدة والاجتماع من جديد وتيسرت لأهل بلد أسباب اللقاء والاجتماع مع أهل بلد آخر واكتُشفت أنواع الوسائل والأسباب للتعارف المتبادل عندها آن الأوان لترفع الفُرقة بين الأمم ويُجمع الجميع على كتاب واحد. عندئذ بعث الله تعالى نبيا واحدا للعالم كله ليجمع الأمم كلها على دين واحد، وليجعلهم في النهاية أيضا أمة واحدة كما كانت في البداية.

إن بياننا هذا كما يطابق الأحداث الواقعة كذلك يوافق قانون الله في الطبيعة السائد في الأرض والسماء. فمع أنه تعالى قد وهب الأرض تأثيرات مختلفة، والقمر تأثيرات مختلفة وأودع كل كوكب قوى مختلفة ولكنه مع هذه الفُرقة جعلهم تحت نظام واحد وجعل الشمس قائد النظام كله التي استقطبت الكواكب كلها كقائمه. فالذي يتأمل يستطيع أن يدرك من ذلك أنه كما توجد الوحدة في ذات الله تعالى كذلك يريدنا ﷻ في البشر أيضا الذين خُلِقوا للعبادة إلى الأبد. الفُرقة بين الأمم التي نشأت في الناس في الزمن الوسيط بسبب كثرة نسلهم كانت في الحقيقة تمهيدا لخلق الوحدة الكاملة، لأن الله تعالى أراد أن يخلق في البشر أجزاء الوحدة أولا ثم يُدخل الجميع في دائرة الوحدة الكاملة. فجعل الله تعالى الأمم شعوبا مختلفة وخلق الوحدة في كل شعب. وكانت الحكمة وراء ذلك أن يسهل التعارف بين الأمم ولا

تكون هناك أية صعوبة في العلاقات المتبادلة بينهم. ثم حينما حصل التعارف بين أجزاء صغيرة من الأمم قرر الله تعالى أن يجعل الأمم كلها أمة واحدة، كما يزرع أحد حديقة ويقسم أشجارها على تقسيمات مختلفة، ثم ينشئ حول الحديقة سورا ويجعل الأشجار كلها في حلقة واحدة. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فقال: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٣). أي يا أيها الأنبياء في مختلف أنحاء العالم، إن هؤلاء المسلمين الذين اجتمعوا في هذه الدنيا من أمم مختلفة هم أمتكم الواحدة، وهم يؤمنون بي جميعا، وأنا ربكم فاعبدوني جميعا... إن مثل هذه الوحدة التدريجية كمثال أمر الله تعالى أن يجتمع الناس في مسجد الحي خمس مرات يوميا، ثم أمرهم أن يجتمعوا جميعا في اليوم السابع في مسجد جامع في مدينتهم، أي في مسجد يتسع للجميع. ثم أمر أن يجتمعوا من المدينة كلها والقرى المجاورة في مقام واحد أي في مصلى العيد بعد عام. ثم أمرهم أن يجتمعوا من العالم كله مرة في حياتهم في مقام واحد أي في مكة المعظمة. فكما أن الله تعالى بلغ اجتماع الأمة تدريجا إلى الكمال بمناسبة الحج إذ حدّد اجتماعات صغيرة أولا ثم هيا للعالم كله فرصة للاجتماع في مقام واحد، كذلك هي سنة الله في الكتب الموحى بها أيضا. فقد أراد تعالى من وراء ذلك أن يبلّغ دائرة وحدانية الله إلى الكمال، وذلك بخلق الوحدة في أجزاء صغيرة من بلاد مختلفة أولا ثم يجمع الجميع في نهاية المطاف في مقام واحد مثل اجتماع الحج، كما جاء الوعد في القرآن: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ أي سيجمع الله ﷻ الناس السعداء بندائه في الزمن الأخير على دين واحد كما كانوا في البداية لكي تتحقق العلاقة بين الأول والأخير. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٤٤-١٤٦)

هذه الآية وردت في سورة الكهف في ذكر يأجوج ومأجوج. ويتبين ذلك بكل صراحة من كتب سابقة نزلت على أنبياء بني إسرائيل، بل قيل بذكر الاسم أيضا بأن المراد من يأجوج ومأجوج هم الأقوام المسيحية الأوروبية. وهذا البيان مذكور في

تلك الكتب بصراحة بحيث لا يمكن إنكاره أبدا. أما القول بأن تلك الكتب محرفة لذا لا يمكن الثقة ببيانها، فلن يقوله إلا من يجهل القرآن الكريم، لأن الله جلّ شأنه يقول في القرآن الكريم للمؤمنين: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٤) أي اسألوا أهل الكتاب كذا وكذا إن كنتم لا تعلمون. فإذا كانت شهادة الكتب السابقة غير صحيحة في كل شيء لما قال الله تعالى للمؤمنين أن اسألوا أهل الكتاب إن كنتم لا تعلمون. وإذا كانت الاستفادة من كتب الأنبياء حراما بتاتا لكان غير جائز كذلك في تلك الحالة أن تقدّم نبوءاتها بحق النبي ﷺ على سبيل الاستدلال. بينما ظل الصحابة رضي الله عنهم والتابعون بعدهم يقدمون هذه النبوءات حجة. بل الحق أن بيانات الكتب السابقة تنقسم على ثلاثة أقسام:

(١) الأمور الواجبة التصديق، مثل وحدانية الله وذكر الملائكة والبيان عن وجود الجنة والنار، ولو أنكرناها لضاع الإيمان.

(٢) الأمور القابلة للرفض مثل التي تعارض القرآن الكريم.

(٣) الأمور التي ليست مذكورة في القرآن الكريم مفصلا ولكنها لا تعارضه بل إذا تأمل فيها الإنسان لوجدها مطابقة له تماما مثل قوم يأجوج ومأجوج الذي ذكر إجمالا في القرآن الكريم، بل ذكر أيضا بأنهم سيسيطرون على الأرض كلها في الزمن الأخير كما يقول ﷺ: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٧). أما الظن أن يأجوج ومأجوج ليسوا من بني آدم بل هم خلق آخر فليس إلا جهلا لأن القرآن الكريم ذكر المخلوقات العاقلة - الذين يستخدمون العقل والفهم ويستحقون الثواب أو العذاب - على نوعين فقط:

(١) البشر، الذين هم أولاد آدم عليه السلام. (٢) الجنّة. لقد سمّيت فئة الناس بـ "معشر الإنس" وسمّيت فئة الجنّة بـ "معشر الجن". فإذا كان يأجوج ومأجوج الذين وُعدوا بالعذاب في زمن المسيح الموعود يدخلون في معشر الإنس بمعنى أنهم أناس فالقول بأنهم خلق غريب وبأن آذانهم طويلة إلى هذه الدرجة وأيديهم

طويلة إلى درجة كذا وسيُنجبون بكثرة إنما هو فعل الذين عقلهم سطحي بحثً ومثل الصغار. وإذا ثبت في هذا الموضوع حديث صحيح فسيكون على سبيل الاستعارة فقط. كما نرى أن آذان الأقوام الأوروبية طويلة دون شك بمعنى أن الأخبار من مناطق بعيدة تتناهى إلى آذانهم بواسطة البرقيات. كذلك قد أعطاهم الله تعالى أيادي طويلة من حيث التمرس في الحروب البرية والبحرية لدرجة لا يدان لأحد بقتالهم. والتوالد والتناسل عندهم أكثر من الأمم الآسيوية بكثير. فلما أثبتت الأحداث الحالية أن هذا هو معنى هذه الأحاديث، والعقل لا يقبل فقط هذا المعنى بل يتمتع به فما الحاجة إلى اعتبارهم خَلْقًا غريبًا يفوق الإنسان، وغير معقول تماما ومناف لقانون الطبيعة الجاري للناس منذ القدم؟ وإن قلتم إن يأجوج ومأجوج من الجنة وليسوا أناسا، فهذا حُقق أكبر لأنه إذا كانوا من الجنة، فكيف كان ممكنا أن يعرقلهم جدار بناه الإسكندر؟ ما دامت الجنة يصلون إلى السماء كما يتبين من الآية: ﴿فَأَتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (الصفافات: ١١) أفلم يكونوا قادرين على التسلق على جدار الإسكندر؟ وإن قلتم بأنهم نوع من السباع التي لا تعقل، قلتُ: لماذا إذاً وُعد في القرآن والأحاديث بإنزال العذاب عليهم، لأن العذاب ينزل نتيجة الذنوب فقط؟ كذلك إن خوضهم الحروب وغلبتهم على الجميع وإطلاق السهام إلى السماء في نهاية المطاف يدل بوضوح على أنهم ذوو العقول بل يفوقون الجميع من حيث العقل الدنيوي.

يوجد في الأحاديث تناقض ظاهري إذ جاء فيها من ناحية أن يأجوج ومأجوج ينتشرون في الأرض في زمن بعثة المسيح الموعود، وقيل من ناحية أخرى بأن الأمة المسيحية تكون حينها غالبية في العالم كله كما يفهم من الحديث: "يكسر الصليب" أيضا أن الأمة الصليبية ستكون في ارتقاء وازدهار في ذلك الزمن. كذلك يفهم من حديث آخر أن الرومان، أي المسيحيين، سيكونون الأكثر عددا وقوة في ذلك الزمن لأن السلطنة الرومية في زمن النبي ﷺ كانت مسيحية كما يقول الله تعالى في

القرآن الكريم: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (الروم: ٣-٤) والمراد من الروم هنا أيضا هي السلطنة المسيحية. ثم يتبين من بعض الأحاديث أن الدجال سيكون غالبا في الأرض كلها في زمن المسيح الموعود وسيحيط بالأرض كلها إلا مكة المعظمة.

فليخبرني الآن أحد من المشايخ كيف يمكن إزالة هذا التناقض؟ فإذا غلب الدجال على الأرض كلها أين ستكون السلطنة المسيحية؟ وكذلك أين سيكون يأجوج ومأجوج الذين يخبر القرآن الكريم بعموم سلطنتهم؟ فهذه هي الأخطاء الواقع فيها مكفروننا ومكذبونا هؤلاء. توحى الأحداث الواقعة بأن هاتين الصفتين أي صفة يأجوج ومأجوج وصفة الدجال موجودتان في الأمم الأوروبية لأن تعريف يأجوج ومأجوج المذكور في الأحاديث هو أنه لا يدان لأحد بقتالهما، والمسيح الموعود أيضا سيلجأ إلى الدعاء فقط. وهذه الصفة توجد في الحكومات الأوروبية بكل وضوح، وبصدقها القرآن الكريم أيضا كما يقول: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٧) أما الدجال فقد ورد في الأحاديث أنه سيستخدم الدجل وينشر الفتنة الدينية في الدنيا. وهذه الصفة مذكورة في القرآن الكريم كصفة القساوسة المسيحيين كما يقول تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٧). يتبين من هذا البيان كله أن هؤلاء الثلاثة واحد في الحقيقة، لذلك علمنا في سورة الفاتحة للأبد دعاء أن نستعيد بالله من فتنة المسيحيين، ولم يقل الله تعالى أن استعيدوا من الدجال. فلو كان الدجال غيرهم وكانت فتنته أكبر من فتنة القساوسة لما علم في كلام الله - بترك الفتنة الكبرى جانبا - إلى يوم القيامة دعاء أن استعيدوا من فتنة المسيحيين، ولما قيل أيضا بأن الفتنة المسيحية خطيرة جدا تكاد السماوات يتفطرن منها وتحترّ الجبال هداً، بل لقليل بأن فتنة الدجال هي التي تكاد السماوات يتفطرن منها. الإنذار عن فتنة صغيرة وغض النظر عن فتنة كبرى غير معقول كليا.

(ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٨٣-٨٧، الحاشية)

جميع العلامات المذكورة في سورة التكوين هي للزمن الأخير، ومنها: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (التكوين: ٥)، وفي تفسير ذلك بالضبط قال النبي ﷺ: "وَلَتَتَرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا" (صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الأنبياء برسالة الأنبياء) ومن هنا يتبين أن المسيح الموعود أيضًا يُبعث في هذا الزمن نفسه، بل هذه هي علامات أوائل زمنه. ثم قال ﷺ: ومنها ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (التكوين: ٨) أي سوف تنهيا وسائل السفر التي بواسطتها سوف تتزوج الشعوب وتتقارب رغم وجود مسافات شاسعة بينها، حتى إن العالم الجديد سينشئ العلاقة بالقديم ويحدث التواصل بينهما. وإنَّ خروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدجال، وغلبة الصليب، أيضًا من علامات هذا العصر. فقد خلق الناس تناقضًا فيها لسوء فهمهم، حيث يظنون أنها منفصلة ومستقلة، مع أنهم يعتقدون بحق كل واحد منها أنه سيحيط بالعالم. هنا ينشأ السؤال أنه إذا أحاط يأجوج ومأجوج بالأرض فكيف سيحيط بها الدجال، وأين تكون غلبة الصليب؟ فلا نجد الحل سوى أن نقول، إن كل هؤلاء أفراد مختلفة لأمة واحدة. وإذا اعتبرناهم كلهم واحدًا فلن تبقى أي مشكلة، فقد قال الله ﷻ بحقهم: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (الكهف: ١٠٠)، مما يتبين أن اختلافًا عظيمًا سيحدث، وأن جميع الأديان ستخرج إلى حلبة المصارعة. وكلمة ﴿تَرَكْنَا﴾ تشير إلى أنه سيكون عصر الحرية، وهذه الحرية ستكون قد بلغت أوجها، وعندها سوف يقرر الله جمعهم بواسطة مبعوثه. فانظروا أنه ﷻ قد قال أولاً: ﴿جَمَعْنَاهُمْ﴾، وقال عن بدء العالم: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: ٢). فكلما "بَثَّ" و"جمع" متناقضتان تمامًا، فكأن الدائرة تكتمل ويعود الزمن نفسه. ففي الماضي كانت وحدة ذاتية، والآن تكون وحدة نوعية في الأخير. ثم قال: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ (الكهف: ١٠١). فقد بين علامة من علامات زمن المسيح الموعود أن جهنم سوف تُعرض في ذلك اليوم على الكفار،

فهذا ليس ذكر القيامة لأنه في يوم القيامة لن تُعرض جهنم بل سوف يدخلها الكفار. فالمراد من جهنم هنا هو الطاعون، فقد وُصف الطاعون في إلهاماتنا بجهنم عدة مرات. فمن إلهاماتي: "يأتي على جهنم زمان ليس فيها أحد". لقد ذكر الله ﷻ ففتين، إحداهما هم السعداء الذين آمنوا بالمسيح الموعود والأخرى الأشقياء الذين ينكرون المسيح. فبحقهم قال ﷻ: سوف نرسل الطاعون جهنم. والمراد من ﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أن الذين يأتون من الله يُنفخ فيهم بالوحي، ثم يبلغ هذا النداء بواسطتهم العالم كله، ثم تنشأ فيهم جاذبية بحيث يجتمع الناس على نداء ذلك المبعوث رغم اختلاف الأفكار والطباع والأوضاع، ويأتي أخيراً الزمن حيث تكون رعية واحدة وراع واحد.

لقد خلق الله ﷻ لنا بنفسه وسائل تجتمع بها جميع الأرواح السعيدة على دين واحد، ولقد قيل للنبي ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٩)، فمن ناحية ورد هنا ﴿جَمِيعًا﴾، ومن ناحية أخرى قال ﴿جَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ فيبينهما علاقة خاصة. (بدر، مجلد ٧، رقم ٣، عدد ١٩٠٨/١/٢٣ م، ص ٣) ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ فالمراد من "ذكرى" أني تذكرهم بواسطة مبعوثي، فذكر الله يعني أنه بعث من عنده مصلحاً. لكنهم يتغافلون عن ذلك المبعوث، حيث وقعت على أعينهم حُجُبُ أنواع الشبهات، ولم يروا نور الحق. وثورة التعصب حرمتهم من الاستماع إلى كلام المبعوث. ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾، هذا ما آل إليه مآلهم في العصر الراهن، ويواجهون العقاب أيضاً بما ذكر في القرآن الكريم، أي ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾. (بدر، مجلد ٧، رقم ٣، عدد ١٩٠٨/١/٢٣ م، ص ٣)

فالواقع أنه قد حان العصر الذي ذكره الله في كتابه: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (الكهف: ١٠٠). فبسبب الحرية المعاصرة قد أظهر الطبع الإنساني أنواع التصرفات، وبلغت الفرقة قمتها، فكأننا

نعيش زمنا يدين فيه كل إنسان بدين خاص. فهذه الأمور تدل على أن زمن نفخ الصور قد أتى، وهذا هو التحقق الحصري لنبوءة: ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٠، عدد ٢٦/٤/١٩٠٨م، ص ٢)

الأنبياء هم بمنزلة الصور. فكان المراد من نفخ الصور أن مبعوثا سيُبعث في ذلك الزمن، وسوف يُسمع أن وقتكم قد أتى. فمن ذا الذي يقدر على إصلاح أحد ما لم يُصلحه الله. إن الله ﷻ يهب لنبيه جاذبية، حيث يجذب الناس إليه باستمرار، إن أفعال الله لا تحبط أبدًا. سوف تظهر جاذبية طبيعية، فقد آن الأوان الذي بشر به جميع الأنبياء منذ البدء. إن وقت حكم الله قريب، فاتقوه وتوبوا. (بدر، مجلد ٧، رقم ٢، عدد ١٦/١/١٩٠٨م، ص ٨-٩)

﴿إِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ أي عندما يقترب وعد الله ﷻ يُمَزَّقُ الجدار الذي يمثل عائقا ليأجوج ومأجوج. وإن وعد الله حق، بمعنى أننا سنمهِّلُ يومئذ-أي في زمن سلطنة يأجوج ومأجوج- الفرق المختلفة ليموج بعضهم في بعض. أي كل فرقة ستودّ أن تجعل دينها غالبًا على غيره. وكما أن الموج حين يعلو على شيء يريد أن يسيطر عليه ويغلبه، كذلك يقع البعض على بعض كالموج للتغلب عليه، ولن نُقَصِّرَ أية فرقة في ذلك، بل ستسعى كل منها أن ترى دينها في أوجه. وبينما هم في هذه المُشَادَّاتِ ينفخ الله في الصور فيجمع كل الفرق على دين واحد. النفخ في الصور هنا يشير إلى أن مصلحًا سيُبعث من الله تعالى بتأييدات سماوية بحسب سنته. وستُنفخ في قلبه روح الحياة فتسري في الآخرين.

اعلموا أن كلمة "الصُّور" تشير إلى تغييرات عظيمة دائمًا، أي حين يغيّر الله تعالى خلقه من وضع إلى آخر يُعبّر عن وقتٍ تغيّر الصُّور بهذه الطريقة بنفخ الصُّور. ويشعر أهل الكشف بواسطة كشوفهم وجودًا ماديًا أيضًا لهذا الصُّور، وهذه العجائب من ذلك العالم ولا تنكشف أسرارها في هذا العالم إلا على المنقطعين.

على أية حال، يتبين من الآيات المذكورة آنفاً أن الديانة المسيحية وسلطنتها ستغلب على الأرض في الزمن الأخير، وتثور في أمم مختلفة نزاعات دينية كثيرة. وستحاول كل أمة أن تسيطر على أمة أخرى. ففي ذلك الزمن يُنفخ في الصور وتُجمع الأمم كلها على الإسلام. أي سيقوم نظام سماوي بحسب سنة الله، وسيأتي مصلح سماوي وهو المسيح الموعود في الحقيقة. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣١١-٣١٢)

أما القرآن فقد بُشِّر فيه بالنفخ في الصور عند ضعف قوة الإسلام وتموّج الفتن التي أُريدَ بها دجل الوعاظ المسيحيين. وليس المراد من النفخ في الصور هو القيامة لأنه قد مضت على تموّج فتن النصارى أكثر من مئة سنة ولم تقم قيامة. بل المراد من ذلك هو النفخ في صور الهداية بإرسال مهديّ أو مجدد، ونفخ روح الحياة من جديد في أموات الضلال، لأن النفخ في الصور لا ينحصر في إحياء الأجساد وإماتتها فقط، بل إن الإحياء الروحاني والإماتة الروحانية أيضاً تتحققان بالنفخ في الصور دائماً. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٦٠)

لا يخطرَ ببال قليل الخبرة في هذه الآيات أن جهنم ذُكرت بعد هذين المقامين، (الأنبياء: ٩٧-٩٨)، وسياق الكلام يقتضي ظاهرياً أن تكون هذه القصة عن الآخرة. فيجب أن يكون معلوماً أن هذا تعبير شائع في القرآن الكريم وتوجد له مئات الأمثال في هذا الكلام المقدس حيث تُربط قصة دنيوية مع قصة الآخرة، ولكن الكلام في كل جزء يتميز عن غيره من حيث القرائن. والقرآن كله زاخر بهذا الأسلوب. خذوا مثلاً معجزة شق القمر المذكورة في القرآن الكريم أنها كانت آية ولكن قد ذُكرت معها القيامة أيضاً. فيقول بعض من الجهلاء معرضين عن القرائن بأن شق القمر لم يحدث بعد بل سيحدث يوم القيامة. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣١١، الحاشية)

هذا هو الزمن الذي أراد الله تعالى فيه أن يجعل من الفرق المختلفة أمة واحدة، ويلغي الحروب الدينية ويجمع الجميع على دين واحد. وعن هذا الزمن الذي هو زمن تلاطم الأمواج، يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾. فإذا قرأنا هذه الآية مع آيات سبقتها؛ تبين المعنى، وهو أن في زمن تلاطم الأمواج الذي تهيج فيه ضجة كبيرة لأديان العالم ويقع دينٌ على دينٍ وقوع موج على موج، ويسعى الناس لقتل بعضهم بعضا، سيؤسس رب السماء والأرض جماعةً جديدة بيده دون أسباب دنيوية، ويجمع فيها كل هؤلاء الذين لديهم استعداد وانسجام، فيدركون حقيقة الدين، وتُنفخ فيهم روح الحياة والصدق الحقيقي، ويُسقون كأس معرفة الله. ومن الضروري ألا تنقطع هذه السلسلة ما لم تتحقق النبوءة التي أعلنها القرآن الكريم في الدنيا قبل ١٣٠٠ عام. ولم يكنف الله تعالى ببيان آية واحدة فقط عن الزمن الأخير الذي تُجمع فيه الأمم كلها على دين واحد، بل قد وردت في القرآن الكريم آيات أخرى كثيرة أيضا، منها أن البحار في ذلك الزمن تُفجّر أنهارا وقنواتٍ، وستُكتشف في الأرض معادن مخفية عديدة، وتظهر علوم أرضية كثيرة، وستُكتشف أسباب تؤدي إلى نشر الكتب على نطاق واسع، (هذه إشارة إلى أدوات الطباعة). وستُكتشف في تلك الأيام مطية تُعطل العِشار، وبسببها تسهل طرق اللقاءات والعلاقات المتبادلة بين الناس، ويتمكنون من إيصال الأخبار إلى بعضهم بسهولة. (محاضرة لاهور، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٨٢-١٨٣)

ولقد أخبر الله تعالى في القرآن الكريم عن هذا الزمن الذي هو زمي أنا وملخصه أنه ستنشأ في الأيام الأخيرة مذاهب عدة ويهاجم كل مذهبٍ غيره كما يقع موج على موج آخر. أي سيستفحل العناد إلى حد كبير، وسيترك الناس البحث عن الحق ويدعمون فريقهم بغير وجه حق، ويتجاوزون حد الاعتدال في التعصب والضعينة، وستسعى أمة لتلتهم أمة أخرى. ففي تلك الأيام ستؤسس من السماء

فرقةً أخرى وسينفخ الله تعالى في الصور تأييدا لها. وسينجذب إليها كل ذي طبيعة سليمة نتيجة صوت الصور إلا الذين هم أشقياء من الأزل وقد خلَقوا ليملاؤا الجحيم. لقد ورد في القرآن الكريم عن ذلك: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾. أما السؤال، ما هو ذلك النفخ وما كيفيته؟ فسيتين تفصيله تلتقيا بين حين وآخر. يمكن القول إجمالا بأنه سيكون هناك نشاط في السماء لتنشيط القدرات، وستظهر آيات مهية. عندها سيستفيق الناس السعداء ويقولون: ما الذي يحدث؟! أليس هذا زمن قُرب القيامة الذي أنبأ به النبيون؟! أليس هذا هو الشخص نفسه الذي أنبئ عنه أنه سيأتي من هذه الأمة مسيحًا وسيُدعى عيسى بن مريم؟! ومن كان في قلبه خصلة من السعادة والرشد سيخاف برؤية آيات غضب الله، وستجذبه القوة العليا إلى الحق. وستحترق تعصباته وضغائنه كلها كما تحترق القشة في النار الملتهبة وتصبح رمادا.

باختصار، عندها يسمع كل رشيد صوت الله وينجذب إليه، وسيرى أن الأرض والسماء قد أخذتا صبغة أخرى، إذ لم تعد الأرض ولا السماء كما كانتا. وسيحدث عن قريب كما أُرِيتُ في الكشف من قبل بأني خلقت أرضا جديدة وسماء جديدة. وقد نُسبت عملية هذا الخلق إليّ في الكشف لأن الله تعالى قد أرسلني لهذا العصر، لذا كنت أنا السبب وراء السماء الجديدة والأرض الجديدة تلك. والاستعارات كهذه كثيرة في كلام الله تعالى. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ١٠٨-١٠٩)

في ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ أيضا إشارة إلى دعاء المسيح الموعود. فإنما المراد من النزول من السماء أن الأمر الذي يتقرر في السماء لا أحد يقدر على مقاومته ولا يستطيع رده، ففي الزمن الأخير ستجتمع ذرية الشيطان كثيرا، لأن فيه ستتم المعركة الأخيرة مع الشيطان، لكن أدعية المسيح الموعود سوف تهلكه. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠٤م، ص ٥)

الآية ١٠٣: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزْلًا﴾

أحسب الذين كفروا أنه من الهين أن يتخذ العباد آلهةً وأتعطل أنا؟! لذا سنأتي بجهنم نُزْلًا لهم. أي ستظهر آيات مهولة (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ١٢٦)

الآية ١٠٦: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾

لم يذكر الذنب في: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ والسبب في ذلك هو أن الناس كانوا قد أثروا أمانيتهم الدنيوية. يقول الله تعالى في آية أخرى بأنهم نالوا حظا من لذات الدنيا، ولم يذكر الذنب هنالك فيها أيضا، إنما ذكر الانهماك في الملذات الدنيوية التي أجازها الله تعالى. فهؤلاء الناس لن ينالوا أية مرتبة عند الله ولن يكرموا. الحياة الحلوة شيطان في الحقيقة وتخدع المرء. الحق أن المؤمن يشتري المصيبة لنفسه وإلا لو داهن لعاش في يسر ورفاهية. لو فعل النبي ﷺ ذلك لما نشبت الحروب أصلا. ولكنه أثر الدين فعاده الجميع. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٩، عدد ١/٨/١٩٠٤م، ص ٣)

إن همّ المؤمن وغمّه كله يكون لوجه الله لا للدنيا، ولا يخوض في الأمور الدنيوية بطيب خاطره بل يبقى مكتئبا نوعا ما. هذا هو طريق النجاة. أما الذين يبقون متوجهين إلى مشاغل دنيوية ويعكفون عليها فقط يقول الله عنهم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٤، عدد ٢٤/٩/١٩٠٧م، ص ٩)

الآية ١٠٩: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾

من جملة الآيات التي جاء فيها أن الأموات لا يعودون إلى الدنيا آية: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٦)... والآية السادسة هي: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٦١٩، الحاشية في الحاشية)

الآية ١١٠: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾

أما اعتقادنا بانقطاع الوحي بعد النبي ﷺ فالحق في ذلك أنه مع أن كلام الله غير محدود في حد ذاته، وحيث كانت المفسدات التي ينزل كلام الله لإصلاحها أو الحاجات التي يسدها الوحي الإلهي محدودة، لذا فإن كلام الله تعالى نزل أيضا بقدر حاجة بني آدم إليه. فقد نزل القرآن الكريم في زمن ظهرت فيه كافة الحاجات التي كان ظهورها ممكنا.. أي كانت الأمور المتعلقة بالأخلاق والمعتقدات والقول والفعل قد فسدت كلها، وكان كل أنواع الفساد وصنوف الإفراط والتفريط قد بلغت منتهاها، فجاءت تعاليم القرآن أيضا بالغة ذروتها. فبهذا المعنى صارت شريعة القرآن الكريم خاتمة ومكملة، أما الشرائع السابقة فكانت ناقصة؛ لأن المفسدات التي جاءت تلك الكتب الموحى بها لإصلاحها لم تبلغ ذروتها في الأزمنة السابقة، بينما بلغت كلها أوجها في زمن القرآن الكريم. فالفرق بين القرآن الكريم والكتب الأخرى الموحى بها هو أنه بسبب النقص في تعاليمها فقد كان ضروريا أن ينزل التعليم الكامل -أي القرآن الكريم- في وقت من الأوقات، حتى ولو ظلت الكتب السابقة محفوظة من كل نوع من الخلل. أما القرآن الكريم فلا يحتاج أن يأتي بعده كتاب آخر، إذ لم تبق في الرفعة درجة أخرى بعد بلوغ القرآن درجة الكمال. ولو افترضنا جدلا أن مبادئ القرآن الكريم الحقّة أيضا ستحوّل في زمن من الأزمان إلى الشرك مثل الفيدا والإنجيل، وسيتطرق التحريف والتبديل إلى تعليم التوحيد، وكذلك لو افترضنا جدلا إلى جانب ذلك أن ملايين المسلمين الثابتين على التوحيد أيضا سيسلكون طريق الشرك وعبادة المخلوق في زمن من الأزمان، لوجب في هذه الحالة أن تنزل شريعة أخرى ويأتي رسول آخر. ولكن كلا هذين الأمرين محال. إن تحريف تعليم القرآن محال لأن الله تعالى ذاته قد قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ

نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٠﴾ (الحجر: ١٠). (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ١٠١-١٠٢، الحاشية رقم ٩)

يقول باوا نانك المحترم ما تعريبه:

"لا يعرف أحدٌ عددَ أحكامك، حتى لو جمعنا مائة شاعر لما تمكنوا من بيان ذرة". فانظروا الآن بقليل من التدبر، أن باوا المحترم قد استمد هذا المضمون من آية القرآن الكريم التالية: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢٦-٢٢٧)

من أبرز علامات معرفة كلام الله الحق الصادق أن يكون عديم المثل في جميع صفاته. لأننا نرى أن كل ما صدر من الله تعالى هو عديم النظر حتى لو كانت حبة شعير، ولا تقدر القوى البشرية على منافستها. وكونُ شيءٍ عديم المثل يستلزم كونه غير محدود؛ أي لا يعد شيء عديم النظر إلا إذا لم يكن لعجائبه وخواصه أيُّ حد أو طرف. وكما بينا فإنَّ هذه الميزة متحققة في كل واحد من المخلوقات الإلهية. فمثلاً إذا أراد أحدهم أن يبحث في عجائب ورقة من شجرة على مدى ألف سنة، فسوف تنتهي ألف سنة دون أن تنتهي عجائب تلك الورقة. والسُرُّ في ذلك أن الشيء الذي صدر من القدرة غير المحدودة يجب أن تكون فيه عجائب وخواص غير محدودة. وتؤيد الآية ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ هذا الأمر نفسه من حيث أحد معانيها. ذلك لأن المخلوقات كلها كلمات الله من حيث معانيها المجازية. وفي ضوء ذلك نفسر الآية ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ (النساء: ١٧٢). لأنه لا شيء زائد في ابن مريم عن مخلوقات أخرى؛ فإذا كان هو كلمة الله فآدم أيضاً كلمة الله وأولاده أيضاً، لأن كل شيء خُلق بكلمة: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾. وكذلك إن صفات المخلوقات ومزاياها أيضاً ﴿كَلِمَاتِ رَبِّي﴾ أي بمعنى مجازي. لأنها كلها صادرة من كلمة ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾. فمعنى هذه الآية نظراً لهذه المعاني

أن خواص المخلوقات لا حد لها ولا نهاية. فلما لم يكن لخصائص كل شيء وكل مخلوق أي حد ونهاية، وكل شيء يحتوي على عجائب غير محدودة، فكيف يكون القرآن الكريم -الذي هو كلام الله المقدس- محدودا في عدد من هذه المعاني الواردة في أي تفسير ذي أربعين أو خمسين مجلداً أو ألف جزء أو في القدر الذي بينه سيدنا ومولانا النبي ﷺ في زمن محدود؟ كلا بل إن مثل النفوس يمثل هذه القول يكاد أن يكون كفرا في رأيي. وإذا أصر أحدهم على ذلك عن عمد فيخشى أن يكون كافرا. وصحيح أن المعاني التي بينها النبي المقدس ﷺ للقرآن الكريم هي حصرا صحيحة وحقة، لكنه ليس من الحق البتة القول إن القرآن الكريم لا يحتوي على أكثر من المعارف التي بينها النبي ﷺ فقط. فهذه الأقوال لمعارضينا تدل صراحة على أنهم لا يؤمنون بعظمة القرآن الكريم ومحاسنه غير المحدودة. وأن قولهم بأن القرآن الكريم نزل للذين كانوا أميين يثبت أكثر أنهم لا حظ لهم من بصيرة معرفة القرآن الكريم نهايا. فهم لا يدرون أن نبينا ﷺ لم يُبعث إلى الأميين فقط. كلا بل إن أمته تشمل الناس وكل مرتبة وطبقة. يقول الله ﷻ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٩)، فقد ثبت من هذه الآية أن القرآن الكريم نزل لإكمال كل نوع من الكفاءة، وإلى ذلك في الحقيقة تشير الآية ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٢١). فالفكرة القائلة بأن كل ما بينه النبي ﷺ عن القرآن الكريم يستحيل أن يزيد عليه أحدٌ لبديهية البطلان. لقد أثبتنا بأدلة قطعية وب يقينية جدا أنه من الضروري لكلام الله أن تكون عجائبه غير محدودة وعديمة المثال. أما إذا اعترض أحد وقال إنه إذا كانت العجائب والخواص من هذا القبيل تكمن في القرآن الكريم فلاي ذنب حرم الأولون من هذه الأسرار؟ فجوابه أنهم لم يكونون محرومين كليا من الأسرار القرآنية بل قد وُهبَت لهم المعلومات العرفانية التي كانت خيرا لهم في إرادة الله ﷻ. كما أظهرت في هذا الزمن من الأسرار قدر ما كان إظهارها ضروريا نظرا لحاجات هذا الزمن. أما الأمور التي تعد مدار الإيمان والتي بناء على معرفتها وقبولها يعدّ أحد مسلماتنا، فقد ظلت تُنشر في كل عصر باستمرار. إنني

أستغرب من أين سمع هؤلاء المشايخ ناقصو الفهم أنه من الواجب على الله ﷻ أن يُظهر في الماضي أيضا بعض آلائه عز اسمه ونعمائه التي قدّر إظهارها في زمن مستقبل. كلا بل لا يجد أي سليم الحواس بدءًا من الإيمان بأن بعض نعماء الله التي ستظهر في المستقبل لا يكون لها أي أثر وعلامة في الماضي. لاحظوا أن الخواص التي اكتُشفت في العصر الراهن لمئات النباتات الجديدة، أو أنواع الصناعات والمراكب وتسهيلات المعيشة التي ابتُكرت الآن؛ متى وجدت في السابق؟ وإن قيل أين نموذج الحقائق والدقائق القرآنية التي لم تكتشف في الماضي، فجوابه أنكم ستطَّلعون - بقراءة تفسير سورة الفاتحة في نهاية هذا الكتيب - على أن القرآن الكريم يضم الحقائق والمعارف الخفية من هذا النوع التي هي ملائمة لضرورات كل زمن. (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٦٠-٦٢)

الآية ١١١: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾
 قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ أَي قُلْ لِمَنْ أَنِي إنسان مثلكم فقد يوحى إلي باستمرار أن الله واحد ولا مثيل له. (دافع البلاء، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٢٣٩)

فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا أَي من يريد أن يلقي الله يجب عليه أن يعمل عملا لا يوجد فيها أي نوع من الفساد ولا يشرك في عبادته أي شيء. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٣٩، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

من أراد أن يحظى بروية الله تعالى عليه أن يكسب أعمالا لا فساد فيها، أي لا تشوبها شائبة من اتباع النفس والهوى، ولا يُشرك بالله شيئا، لا النفس ولا الآلهة الباطلة الأخرى. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٣٠)

ثم يذكر الله ﷻ في القرآن الكريم تعليماً يمكن للإنسان أن يحظى بسببه وبالعمل به برؤية الله في هذه الدنيا، فيقول: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾. أي من سره أن يحظى في هذه الدنيا برؤية الله الإله الحق والخالق الحقيقي، عليه أن يكسب أعمالاً صالحة لا يشوبها فساد، أي يجب ألا تكون تلك الأعمال رياءً للناس، ولا تخلق الكبر في قلب صاحبها؛ فيقول إني كذا وإني كذا، وألا تكون تلك الأعمال ناقصة غير كاملة، وألا تفوح منها رائحة تنافي الحب الخالص، بل يجب أن تكون مفعمة بالصدق والوفاء. وبالإضافة إلى ذلك يجب أن يجتنب صاحبها الشرك بكل أنواعه، فلا تُعبد الشمس ولا القمر ولا نجوم السماء ولا الهواء أو النار أو الماء أو أي شيء آخر في الأرض، وألا يُعلّق آمالاً على الأسباب الدنيوية ولا يعتمد عليها كأنها شركاء الله، وألا يعوّل على قواه ومساعدته الشخصية؛ لأن ذلك أيضاً نوع من أنواع الشرك. بل يجب عليه أن يحسب - بعد القيام بكل الأعمال - كأنه لم يفعل شيئاً. فلا تزهو على علمكم ولا تستكبروا بعمل من أعمالكم، بل ينبغي أن تُعَدُّوا أنفسكم جاهلين وكسالى في الحقيقة. ولتكن الروح خاضعة على عتبات الله دائماً، وينبغي جذب فيوضه بالأدعية، وأن تكونوا كالعطشان الظامئ الفاقد اليدين والقدمين، الذي تتفجر أمامه عين ماء زلال معين، فيصل إليها بصعوبة بالغة، حيث ينهض حيناً ويسقط أحياناً حتى يضع شفتيه على ينبوع، ولا ينفصل عنه ما لم يرتو. (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٥٤)

إن مثل العمل الحسن كمثل طير، لو أبقيتموه في قفص الصدق والإخلاص لبقى، وإلا لطار واختفى. وهذا لا يتأتى دون فضل من الله تعالى. يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ والمراد من العمل الصالح هنا هو ألا يشوبه أي نوع من السيئة مطلقاً، بل يكون صلاحاً محضاً، وأن يخلو من عُجب وكبر وعنجهية واستكبار، وشائبة

من الأهواء النفسانية، كما ينبغي ألا تكون الأعمال من أجل الخلق، ولا رغبة في الجنة أو الجحيم، بل يجب أن تكون نابعة من حب الله تعالى، وإذا كان في بال المرء هدف آخر فسوف يتعثر. وهذا هو الشرك بعينه، فما قيمة الصداقة والحب إن كانا مبنيَّين على طمع في فنجان قهوة أو غيره من الأغراض المادية المرغوب فيها فقط. إن هذا النوع من الإنسان حين يلاحظ الفتور في هذا الحب يقطع العلاقة فوراً. والذين ينشئون مع الله علاقة لينالوا مالا أو أولادا أو لينجحوا في أمور كذا وكذا تكون علاقاتهم مؤقتة ويكون إيمانهم في خطر، بحيث كلما أصابت أهدافهم الشخصية صدمة ما ولم تتحقق أغراضهم فترَّ إيمانهم. لذا فالمؤمن الصادق هو ذلك الذي لا يعبد الله لهدف معين. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣٤، عدد ١٩٠٤/٩/٨م، ص ٥-٦)

كَمْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا ﷺ الذي لم ولن يوجد في الدنيا مَنْ هو أكمل منه أسوةً إلى يوم القيامة، المعجزات الاقتدارية، ومع ذلك ظلت العبودية ملازمة له على الدوام، ولم يفتأ يعلن مرة بعد أخرى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، حتى جعل الإقرار بعبوديته جزءاً لا يتجزأ من شهادة التوحيد التي بدونها لا يُعَدُّ المسلم مسلماً. ففكِّروا ثم فكِّروا، ما دامت أسوة الهادي الأكمل ﷺ تعلَّمنا أنه لم يتخلَّ عن الإقرار بعبوديته رغم بلوغه أسمى مراتب القرب، فكم هو باطلٌ وعبثٌ أن يفكر غيره بمثل هذه الأمور أو تخطر بباله. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٤٠)

إن المؤمن إذا أحبَّ الله تعالى أحاط به نورُ الله. ومع أن هذا النور يواريه في داخله ويحرق بشريته إلى حد ما، شأنَ القطعة الحديدية الملقاة في النار، إلا أن عبوديته وبشريته لا تنعدم أبداً. وهذا هو السر الكامن وراء قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ (الكهف: ١١١). لا شك أن العبودية تبقى في المؤمن، ولكنها تتوارى تحت صبغة الألوهية، وتمتليُّ جُلَّ قواه وجوارحه بمشيئة الله في سبل مرضاته تعالى، لتصبح صورةً متجسدة لمراداته سبحانه وتعالى. هذه هي الميزة التي تؤهله

لتربية ملايين الناس وتجعله مظهرًا لربوبية الله التامة. ولولا ذلك لما استطاع النبي أن يكون هاديا ومرشدا لهذا القدر الهائل من البشر.

وبما أن نبينا الأكرم ﷺ قد بُعث للتربية الروحانية لكافة الناس في العالم، فكان متحليا بهذه الميزة على أكمل وجه. وهذه مرتبة قد شهد بها القرآن الكريم بحق النبي ﷺ في آيات عديدة، حيث نَعَتَهُ إزاء صفات الله بصفات مماثلة، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨)، وقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٩). (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٤٣)

لا يظنُّ أحد أبدا أن المسيح ﷺ أو الأنبياء الآخرين كانوا أناسا عاديين، بل كانوا أصفياء الله ومقربيه. لقد استخدم القرآن الكريم بحسب مقتضى الأمر والمناسبة كلمة بحق النبي ﷺ بَيِّن من خلالها أنواره وبركاته وفضائله الكثيرة وقال أيضا: ﴿بَشِّرْ مِثْلُكُمْ﴾، ولكن هذا لا يعني قط أنه ﷺ كان مثل الناس العاديين، بل قد استخدم الله تعالى هذه الكلمة بحقه ﷺ لكيلا يُعبد مثل بعض الأنبياء ولا يُتَّخَذَ إلهًا. وليس المراد من ذلك قط أن تُسَلَّبَ فضائله ومراتبه كلها. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٤٠، عدد ٢٤/١١/١٩٠٤م، ص ٢)

الذهاب إلى عباد الله وأصفياه بحسن الاعتقاد سهل ولكن العودة بحسن الاعتقاد نفسه صعب لأنهم بشر ومعظم الذاهبين إليهم يرسون في أذهانهم صورتهم الخيالية والافتراضية، ولكن عندما يذهبون إليهم يجدون الأمر على عكس ذلك فيتعثرون أحيانا ويفتر إخلاصهم وحسن اعتقادهم. لذلك قال النبي ﷺ بكل وضوح: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ (فصلت: ٧)، لأن هؤلاء الناس كانوا يعترضون: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان: ٨). وقد رُدَّ عليهم أخيرا أنه بشر وتلازمه الحوائج البشرية كلها. الأنبياء والرسل الذين جاؤوا قبله كانوا أيضا بشرًا. لقد قالوا ذلك استخفافا لأنهم كانوا يعرفون أنه ﷺ كان يتسوق بنفسه عادة.

وكانوا قد رسموا في أذهانهم صورة النبي ﷺ كبشر فقط تلازمه الحوائج مثل الأكل والشراب والنوم والمشي وغيرها من مستلزمات البشرية لذلك رفضوه. هذه المشكلة تنشأ لأن الناس يسمون في أذهانهم صورة أنه يجب أن يكون النبي كذا وكذا، وعندما لا يجدونه مطابقا لتلك الصورة يتعثرون. لقد استشرى هذا المرض لدرجة يزعم بعض الشيعة عن بعض أئمتهم أنهم وُلدوا عن طريق الفم، ولكن لا يسع عاقلا أن يقبل مثل هذه الأقوال بل يضحك عليها. الحق أنه مهما تصوّرتُم عن من خلا، سواء أقلتم إنه نزل من السماء أو وُلد عن طريق الفم، فإن الضعف البشري موجود في الناس الموجودين حتما؛ فهم سيكون يأكلون ويشربون، أي تلازمهم جميع أنواع الحوائج البشرية والضعف البشري. الذين يجهلون حقيقة الأنبياء يضطربون نظرا إلى هذه الأمور. فلهذا السبب كان لا بد من أن يفند الله كل هذه الاعتراضات فقال لرسوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، أي أن الأمر الخارق والميزة الفارقة والخارقة بيني وبينكم إضافة إلى البشرية هي أن الوحي من الله تعالى ينزل علي. لقد نُقل هذا الاعتراض في آية أخرى أيضا في القرآن الكريم بأنه يتزوج. فقال الله تعالى مفندا ذلك بأنه ما من نبي ولا رسول إلا وله زوجة. باختصار، يجب ألا ينخدع المرء بمثل هذه الأمور. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٧، عدد ٢٤/١٠/١٩٠٥م، ص ٤)



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة مريم



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٨: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾

القرآن الكريم يصدّق ادّعائي بأدلته الدامعة، ويستأصل وساوس خصومنا الباطلة. ويغلق باب عودة الأنبياء السابقين إلى الدنيا، ويفتح باب مجيء أمثال بني إسرائيل. وهو الذي علّمنا دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة: ٦-٧). إن مفهوم هذا الدعاء أن اجعلنا يا ربنا أمثال الأنبياء والرسل. ويقول تعالى في حق يحيى عليه السلام: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾، أي لم نرسل في الدنيا من قبل مثيلاً له يمكن تسميته "يحيى" من حيث الصفات. وإن هذه الآية بمنزلة إشارة النص لتصديق كلامي، لأن الله تعالى قد بيّن فيها أنه لم يرسل مثيلاً له

من قبل، ولم يقل إنه لن يرسل أحد فيما بعد أيضاً، وذلك ليُعلم أن باب المجيء بأسماء الأنبياء الإسرائيليين فيما بعد مفتوح، أي أن الذي يكون سمي ذلك النبي عند الله سيكون مثيله، (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٨٩-٣٩٠)

الآية ١٣: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾

ذكر حضرته إلهاما قديما ونصه: "يا يحيى خذ الكتاب بقوة، والخير كله في القرآن".

ثم قال: لقد شُبِّهْتُ بيحيى لأنه اضطر لمواجهة اليهود الذين تركوا كتاب الله التوراة، وكانوا معجبين بالأحاديث كثيرا، وكانوا يقدمونها في كل صغيرة وكبيرة. كذلك واجهتُ في العصر الراهن أهل الحديث، إذ أقدم القرآن وهم يقدمون الحديث (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٢م، ص ٨)

الآية ١٦: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾

الآية: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾، تدل بصراحة تامة أن الحماية من مسّ الشيطان ليست خاصة بابن مريم فقط. أما طعن الزمخشري - بأن الحديث عن حماية ابن مريم وحده من مسّ الشيطان الذي أورده الإمام البخاري في صحيحه لا يخلو من العيب، وفي صحته كلام كما قال بنفسه - فلا معنى له، لأن الإمعان في الموضوع يبيّن أن الإمام الجليل البخاري قد أشار بنفسه أن المراد من مريم وابنها، هو كل من يجمع في نفسه صفاتهما، فلا تناقض ولا تعارض. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٩٣)

كذلك أوّل المحققون حديثا ورد في صحيح البخاري: "ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد، إلا مريم وابنها"، لأنهم رأوه يخالف آيات القرآن الكريم: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر: ٤١) وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر: ٤٣)، وقوله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾، فقالوا إن المراد من مريم

وابن مريم هم أناس يحملون صفاتهما، كما قال شارح البخاري في شرح هذا الحديث: "قد طعن الزمخشري في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته وقال: إنَّ صحَّ، فمعناه كل من كان في صفتيهما لقوله تعالى ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾." (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٦٠٩-٦١٠)

لقد ورد في الأحاديث أن عيسى وأمه عليهما السلام منزَّهان من مسّ الشيطان، وفسر المشايخ الجهلة أن كل من سوى عيسى وأمه ليس منزَّها من مسّ الشيطان سواء كان نبيا أو رسولا، أي ليس بريئا، ونسوا آية ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر: ٤٣)، كما أهلكوا آية ﴿سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾. بينما كان هدف هذا الحديث هو ذبّ اليهود ودفع اعتراضهم، إذ لما كانوا يلصقون بمريم وعيسى عليهما السلام أشنع التهم فقد شهد رسول الله المقدس ﷺ أنه لم يكن أحد من اليهود محفوظا من مسّ الشيطان، فإذا كان أحد منهم بريئا فكان عيسى ﷺ وأمه. وليس المراد من الحديث والعياذ بالله أن عيسى ﷺ وأمه حصرا معصومان من مسّ الشيطان، أما من سواهما فليس بمعصوم منه سواء كان نبيا أو رسولا! (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٣٥٤-٣٥٥)

الآية ١٧: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾

كذلك يدل اسم مريم على حادث معين، وهو أنها حين ولدت ابنها عيسى كانت بعيدة عن أهلها. ومريم تعني الابتعاد عن الوطن. وإلى ذلك يشير الله ﷻ في قوله: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (مريم: ١٧) فقد بيّن سبب تسمية مريم أن مريم عند ولادة ابنها عيسى كانت بعيدة ومنعزلة عن أهلها. وكان في ذلك إشارة إلى أن ابنها عيسى سيُقطع عن قومه، وهكذا حدث إذ قد خرج المسيح من وطنه وتوفي في كشمير كما سبق بيانه، وقبره ما زال موجودا في كشمير. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٠٧ الحاشية في الحاشية)

الآية ٢٢: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾

وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ... أي سنجعله آية رحمة للناس، وكان قد تقرر ذلك سلفاً.
(البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦١٦، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

كانت في زمن المسيح عليه السلام فرقة الصدوقيين من اليهود الذين كانوا ينكرون القيامة. وقد ورد في الكتب السابقة كنبوءة أن المسيح سيولد بغير أب من أجل تنبيههم، وجعل ذلك آية لهم كما يقول الله جلّ شأنه في آية أخرى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾. المراد من "الناس" هنا هم فرقة "الصدوقيين" الذين كانوا موجودين في ذلك الزمن بكثرة. ولأن ذكر القيامة ليس موجوداً في التوراة في الظاهر لذا أنكرت هذه الفرقة كلياً قيام الموتى أحياء. ولا يزال مذكوراً في بعض صحف الكتاب المقدس أن المسيح قد جاء، من حيث ولادته، كعلم للساعة لهم. (الحق مناظرة دلهي، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٨-١٦٩)

الآية ٢٤: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾

كان من المصاعب المعترضة في سبيل دعوتي إعلاني الرسالة وتلقي الوحي من الله وكوني المسيح الموعود. فلإظهار قلقي بهذا الصدد أُلهمت: "فأجاءه المخاض إلى جذع النخلة. قال يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً." المراد من المخاض هنا هي الأمور التي تسفر عن نتائج مخيفة. والمراد من جذع النخلة هو أولاد المسلمين الذين هم مسلمون بالاسم فقط. ومعنى الوحي المذكور أن الدعوة الأليمة التي كانت ستؤدي إلى أن يصبح القوم عطاشى للدم جاءت بهذا المبعوث من الله إلى قومه الذين يماثلون غصن النخلة اليابس أو جذرها فقال مذعوراً: يا ليتني متُّ قبل هذا

وكنّت نسيا منسيا. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٦٩-٦٩ الحاشية)

الآية ٢٩: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾

ما وجه الاستغراب إذا عدّ الله تعالى مريم أخت هارون على سبيل الاستعارة أو لسبب آخر؟ بينما قال القرآن الكريم مرارا وتكرارا بأن النبي هارون كان في زمن موسى، ومريم هذه كانت أم عيسى عليه السلام التي وُلدت بعد هارون بـ ١٤٠٠ سنة. فهل يثبت من ذلك أن الله تعالى يجهل هذه الأحداث، وأخطأ، والعياذ بالله، في بيانه بأن مريم أخت هارون؟ ما من الممكن أن يكون لمريم أخ اسمه هارون. إن عدم العلم لا يستلزم عدم وجود الشيء... ولم ترد في القرآن الكريم كلمة تفيد أن مريم كانت أخت هارون النبي. قد ورد هناك اسم هارون فقط دون ذكر لفظ "نبي". من المعلوم أنه كانت عند اليهود عادة أن يستخدموا أسماء الأنبياء تيمُّنا. فمن الأقرب للفهم أن يكون لمريم أخ اسمه هارون، وعدُّ هذا البيان محلا للاعتراض بحق بحث. (بنبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٥٥-٣٥٨)

الآية ٣١: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾

المراد من ﴿آتاني الكتاب﴾ هو فهمه. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٤١، عدد ١٠/١١/١٩٠١م، ص ٤)

الآية ٣٢-٣٣: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ

مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾

... إن الله تعالى جعل في المسيح من البركات بحيث يكون مباركا حيثما حلّ. وإن القطع النقدية المشار إليها آنفاً تدلّ على أن الله قد بارك المسيح بركة عظيمة، وما توفّاه حتى نال عزة كعزة الملوك. (المسيح الناصري في الهند، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٥٤)

يقول الله تعالى في القرآن الكريم على لسان المسيح عليه السلام: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا* وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾. والواضح أن العمل بهذه الواجبات الشرعية في السماء محال. والذي يعتقد أن المسيح قد رُفع بجسده إلى السماء حيا، لا بد له أن يؤمن أيضا ببناء على مضمون هذه الآية بأن كافة أحكام الشريعة- التي يجب على الإنسان أن يعمل بها بحسب الإنجيل والتوراة- لا تزال واجبة على المسيح عليه السلام حتى الآن، مع أنها تكليفٌ بما لا يطاق. واللافت في الموضوع أن يأمر الله تعالى عيسى من ناحية بأن عليك أن تخدم أمك ما دمت حيا، ثم يفصل بنفسه بينه وبينها في حياته. وكذلك يأمره بأداء الزكاة طول حياته، ثم يوصله في حياته إلى مكان لا يستطيع أن يؤدي فيه الزكاة ولا يستطيع أن ينصح أحدا بأدائها. كذلك ينصحه الله أيضا بالصلاة، ثم يرميه بعيدا عن جماعة المؤمنين الذين كانت صحبتهم ضرورية لتكميل الصلاة. فهل حصلت أية فائدة من هذا الرفع سوى النقصان الكبير في العمل وضياع حقوق العباد وفوات مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فلو بقي عليه السلام حيا على الأرض إلى هذا العام - ١٨٩١ م - لاستفاد خلق الله من ذاته جامع البركات فوائد جمة، ولكن ماذا كانت نتيجة صعوده إلا أن فسدت أمته، وحُرم هو من أداء مهمات النبوة كليا؟ (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٣١-٣٣٢)

يتبين منها أيضا أن الله تعالى قد أوصى عيسى عليه السلام بالصلاة بحسب أسلوب المذكور في الإنجيل، فيصلي في السماء على طريقة المسيحيين، أما يحيى عليه السلام فهو راقد بجانبه لكونه ميتا. ولكن حين يعود عيسى عليه السلام إلى الدنيا، يُرغم أنه سيصلي كالمسلمين بصفته واحدا من الأمة على عكس هذه الوصية!! (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٢٨)

إن موته ثابت من آية ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾، لأنه ليس من شك في أن عيسى عليه السلام إذا كان الآن ممتنعاً عن الأكل والشرب بحسب النص القرآني، وممتنعاً كذلك عن أعمال مادية أخرى مثل الصلاة والزكاة، بل إن الزكاة

تقتضي المال أيضًا بالإضافة إلى الحياة المادية، وعدم وجود المال في السماء معلوم ومعروف. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ١٤٠)

﴿أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾؛ أخبروني الآن: لمن يدفع الزكاة في السماء؟ (التحفة الغولورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٩١)

إن المرحلة الأولى من سعادة المرء أن يحترم أمه. كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يتوجه ناحية اليمن ويقول في حق أويس القرني: إني أشم رائحة الرحمن من قبل اليمن. كما كان يقول: قد شغلته طاعة أمه وخدمتها عن المجيء إلينا. وهذا الأمر يثير الاستغراب حيث كان رسول الله ﷺ موجودًا ولكن أويس لم يستطع زيارته ﷺ وليس السبب إلا انشغاله التام في طاعة أمه والبر بها.

أرى أن رسول الله ﷺ لم يوص بإهداء سلامه الخاص إلا لشخصين، هما أويس القرني والمسيح الموعود. وهذا أمر عجيب وهي خصوصية لم يحظ بها غيرهما. وقد ورد أن سيدنا عمر ذهب للقاء أويس، فقال لعمر: إني لأظلم مشغولًا بخدمة أمي، والملائكة ترعى إبلي.

من ناحية نجد هؤلاء القوم الذين قد سعوا لخدمة أمهاتهم لهذه الدرجة، فنالوا القبول والعزة، ومن ناحية أخرى نجد أناسا يرفعون ضد أمهاتهم القضايا من أجل مبالغ بسيطة جدا، ويذكروهن بما لا يذكره حتى أحط الطبقات مثل كناسي المراحيض.

ما هي تعاليمنا؟ إن هي إلا تذكيركم بالهدي المقدس لله ورسوله. إذا كان أحد يدعي الانتماء إليّ ثم لا يعمل بها فلماذا يدخل في جماعتي؟ مثل هذه النماذج السيئة تسبب العثار للآخرين، فيعتزون أن هؤلاء قوم لا يحترمون الآباء والأمهات أيضًا. أقول والحق أقول إنّ الذي يعيش متحررًا من أية قيود والتزامات لن يرى وجه الخير والبركة أبدا. فاستعدّوا للعمل بما قال الله ورسوله بحسن نية وكامل طاعة ووفاء. فإن فيه الخير، وإلا فأنتم أحرار، وما علينا إلا النصح. (الحكم، مجلد ٣، رقم ١٧،

الآية ٣٤: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾

لقد ذُكرت في هذه الآية، الأحداث الثلاثة العظيمة فقط التي تتعلق بشخص عيسى عليه السلام. ولو كان الرفع ثم النزول، من الأحداث الواقعة والصحيحة، لكان بياهما أيضا ضروريا. أليس من المفروض - والعياذ بالله - أن يكون عليه السلام محلا للسلام من الله عند الرفع والنزول وبعدهما؟ ففي ترك الله تعالى في هذا المقام ذكر رفع المسيح ابن مريم ونزوله - كما هو مترسخ في أذهان المسلمين - دلالة واضحة على أنها فكرة باطلة، وتخالف واقع الأمر؛ بل الرفع هنا يدخل في: ﴿يَوْمَ أَمُوتُ﴾، وأما النزول فباطل كليا. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٢٨)

الآية ٣٦: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

إن الله كامل في ذاته وليس له حاجة لأن يتخذ ولدا. ليس فيه من نقص لئسَدَ باتخاذ الولد. وإن لم يكن هناك أيّ نقص فكان اتخاذه ولدا عملا عبثيا لم يكن الله تعالى بحاجة إليه أصلا، وهو منزّه عن كل نقص وعن أيّ عمل عبثي وإذا قال لشيء كن فيكون. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢٤، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ٥٨: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾

لقد ورد في القرآن الكريم في حق النبي إدريس عليه السلام: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ولم يرد معه لفظ "التوفي" مطلقا، ومع ذلك يوقن المشايخ بموته، ويقولون بأنه رُفِعَ من هذه الدنيا للأبد، ولا عودة له؛ أيّ أنه مات، لأنه لا يرحل أحد من هذه الدنيا للأبد إلا بالموت. والسبب هو أن هناك بابا واحدا للخروج من الدنيا ودخول الجنة، ألا وهو الموت، حيث قال ﷺ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران: ١٨٦). وإذا قيل لهم: هل مات إدريس في السماء أو سيعود منها ليموت أو ستقبض روحه فيها؟

رفضوا عودة إدريس إلى الدنيا بكل شدة. ولما كان الموت قبل دخول الجنة لا مناص منه، فإنهم يقبلون موت إدريس، ولكن يقولون بأن الرفع هنا يعني الموت فقط. وما دام لفظ "التوفي" قد سبق لفظ "الرفع" المستخدم بحق المسيح؛ فلماذا، وبأي دليل يثيرون ضجة قيامه ليثبتوا حياته؟ (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٩٦)

هذه الآية وردت بحق النبي إدريس عليه السلام، ولا شك أنه ليس معناها إلا: إننا رفعنا إدريس بعد إمامته إلى مكان أعلى، لأنه لو صعد إلى السماء بغير الموت، فلا بد من الإقرار أنه سيموت في حين من الأحيان؛ إما في السماء، أو يُعاد إلى الأرض ويموت فيها - لأن الموت أمر لا مناص منه للإنسان - ولكن كلاً من هذين الاحتمالين محال، لأنه يثبت من القرآن الكريم أن الجسم المادي يُدفن في التراب بعد الممات، ويعود تراباً، وسيُحشر من التراب. وإن نزول إدريس من السماء وعودته إلى الأرض مرة ثانية، لا تثبت من القرآن الكريم ولا من الأحاديث الشريفة. فمن المتحقق أن المراد من الرفع هنا هو الموت، ولكنه الموت الذي تصحبه العزة والإكرام، وذلك مثلما يقدر للمقربين؛ إذ توصل أرواحهم بعد الممات إلى العليين كما يقول تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٥٦). (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٢٣-٤٢٤)

"وأما قوله تعالى في قصة إدريس: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فاتفق المحققون من العلماء أن المراد من الرفع ههنا هو الإمامة بالإكرام ورفع الدرجات، والدليل على ذلك أن لكل إنسان موت مُقَدَّر لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٢٧) ولا يجوز الموت في السماوات لقوله تعالى: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ (طه: ٥٦)، ولا نجد في القرآن ذكر نزول إدريس وموته ودفنه في الأرض، فثبت بالضرورة أن المراد من الرفع الموت. فحاصل الكلام أن كل ما يخالف القرآن ويعارض قصصه فهي أباطيل وأكاذيب، وإنما هو تقوُّل المفترين. (حمامة البشري، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٢٠)

الأمر القاطع واليقيني هو أن المسيح ﷺ لم يصعد إلى السماء بجسده المادي، بل رُفِعَ إليها بعد الممات. هنا أسأل هؤلاء القوم: هل رُفِعَ يحيى وادم وإدريس وإبراهيم ويوسف عليهم السلام وغيرهم إلى السماء بعد موتهم أم لا؟ وإن لم يُرَفَعُوا فكيف رآهم النبي ﷺ في السماء ليلة المعراج؟ وإذا كانوا قد رُفِعُوا فلماذا إذاً تستنبطون من رفع المسيح ابن مريم معنى آخر بغير حق؟ واللافت في الموضوع أن كلمة "التوفي" التي تدل على الموت بصراحة متناهية، قد وردت بحق المسيح بكثرة، وأن مثال الرفع أيضاً بيّن بالبدهة؛ لأنه انضم إلى هؤلاء الأموات الذين رُفِعُوا قبله.

وإذا قلتم بأن الأنبياء السابقين لم يُرَفَعُوا، قلْتُ: كيف وصلوا إلى السماء إذاً؟ لا شك أنهم كانوا قد رُفِعُوا، لذا وُجِدُوا في السماء. ألا تقرأون ما في القرآن الكريم آية: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. أليس هذا الرفع نفسه الذي ورد بحق المسيح؟ أليس هذا الرفع أيضاً بمعنى نفسه؟ ﴿فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ﴾ (يونس: ٣٣)؟ (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣٨)

إنَّ المراد من الرفع في كل مكان من القرآن الرفع الروحاني فحسب. بعض السفهاء يذكرون قصة مختلقة من عندهم، ويقولون إن في القرآن الكريم آية ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ أيضاً، ثم يقولون إن هذا الإنسان الذي رفعه الله ﷻ إلى السماء بجسمه هو إدريس. وليكن معلوماً أن هذه القصة أيضاً خطأ المشايخ قليلي الفهم، مثل قصة المسيح ﷺ. والحقيقة أن المراد من الرفع هنا أيضاً الرفع الروحاني، فجميع المؤمنين والرسل والأنبياء يُرَفَعُونَ روحانيًا بعد الموت، أما الكافر فلا يتمتع بالرفع الروحاني، فإلى ذلك تشير آية ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ (الأعراف: ٤١)، فلو كان إدريس ﷺ قد صعد إلى السماء بجسمه المادي، فبموجب النص الصريح لآية ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ (الأعراف: ٢٦) يتعدّر عيشه في السماء كما يتعدّر عيش المسيح ﷺ في السماء، ذلك لأن الله قد حكم نهائياً أن لا أحد يمكن أن يعيش في السماء، بل إن مكان الحياة لجميع البشر هو الأرض فحسب.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الجزء الثاني للآية أي ﴿فِيهَا تُمَوَّنُونَ﴾ (الأعراف: ٢٦)، قد قال بجلاء بأنكم ستموتون على الأرض حتمًا، فهذا يستلزم اعتقاد معارضينا بأن إدريس عليه السلام أيضًا سوف ينزل من السماء في يوم من الأيام، مع أنه لا أحد في العالم يعتقد بذلك، ومن الطريف أن قبر إدريس موجود في الأرض كما يوجد قبر عيسى عليه السلام. (كتاب البراءة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٢٣٧-٢٣٨، الحاشية).

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ بيان هذه الآية أن الذين يُرفعون إلى الله تعالى بعد الممات لهم مراتب عدة. فيقول الله تعالى بأننا وهبنا لذلك النبي مرتبة عليا هنا بعد رفعه أي وفاته. يقول النواب صديق حسن خان في تفسيره فتح البيان: المراد من الرفع هنا هو الرفع الروحاني الذي يحدث بعد الموت، وإلا تستلزم استباحة محذور وهو أن يعود ذلك النبي إلى الأرض ليموت فيها. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٨٥ الحاشية)

لقد اضطروا من منطلق الآية: ﴿رَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ للاعتراف بأن إدريس مات. يقول صديق حسن خان أنه لو اعتقدنا ذلك بحق إدريس فلا بد من الإيمان بعودته أيضا وهو ليس صحيحا. من الغريب حقا أن كلمة "التوفي" وردت بحق عيسى عليه السلام ولكنهم مع ذلك ينكرون موته. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/٢٠١٩م، ص ٦)

الآية ٧٢-٧٣: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾

إن صفة الظلومية مركبٌ لمراتب سلوك الإنسان، ووسيلة عظيمة أُعطيها لنيل مقامات القرب؛ فتتجلى في أوائل المجاهدات الشاقة بصورة نار جهنم، ولكنها في النهاية توصل إلى نعماء الجنة. والحق أن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ هو

الآخر يشير إلى صفة الظلومية المحمودة؛ فلام التعريف في "الظالمين" هنا تفيد التخصيص، والمراد منها أن الظالمين نوعان:

(١) الظالمون المتقون الذين وعدوا بالنجاة، وهم أحباء الله، وعُدُّوا من الناجين في الآية: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ﴾ (فاطر: ٣٣).

(٢) الظالمون المشركون والكافرون والمتمردون الذين سيُلْقَوْنَ في جهنم. ولقد قال تعالى في هذه الآية بأن المتقين أيضا ليسوا في منجى من مسّ هذه النار. والمراد من هذا البيان أن المتقين يُلقون أنفسهم في هذه النار بشتى الطرق بكل شجاعة وبطولة في هذه الدنيا التي هي دار الابتلاء، ويرمون بأنفسهم في نار مضطربة في سبيل الله. كذلك ينزل عليهم أنواع القضاء والقدر السماوي بصورة النار. إنهم يؤذون ويعذبون وتحل بهم زلازل عنيفة لا يقدر على احتماها أحد سواهم. ولقد ورد في حديث صحيح ما مفاده: إن الحمى التي تصيب المؤمن أيضا من فيح جهنم، فينال المؤمن في هذا العالم نصيبا من النار بسبب الحمى أو معاناة أخرى. وجاء في حديث آخر مفاده أنّ الجنة تتمثل للمؤمن جحيما في هذه الدنيا؛ بمعنى أن المصاعب الشاقة في سبيل الله تتراءى له بصورة جهنم، فحين يرُدُّها بطيب خاطر يجد نفسه في الجنة فجأة. وهناك أحاديث أخرى كثيرة تلخص في أن المؤمن يأخذ في هذه الدنيا نصيبا من نار جهنم، أما الكافر فيلقى فيها جبرا وإكراها، ولكن المؤمن يدخلها من تلقاء نفسه لوجه الله. وهناك حديث آخر بالمعنى نفسه بأن جزءا من النار مقدر لكل بشر، فليقبلها لنفسه في سبيل الله في هذه الدنيا إذا شاء أو ليقض حياته في الرفاهية والغفلة إذا شاء، ثم يقدّم حساب تنعمه في الآخرة.

وللآية: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ معنى آخر أيضا وهو أنه سيُكشَف لكل شقي وسعيد في عالم الآخرة على سبيل التمثيل إن كان قد سلك في الدنيا سبل السلام أو اختار سبل الهلاك والموت والجحيم. وإن سبيل السلام وهو الصراط المستقيم والدقيق جدا ولا يسلكه إلا قلة قليلة -والانحراف عنه هو في الحقيقة السقوط في

جهنم- سوف يتراءى في ذلك اليوم على سبيل التمثّل. والذين لم يسلكوا الصراط المستقيم في الدنيا لن يقدرُوا على السلوك عليه في ذلك اليوم أيضا، لأن ذلك الصراط المستقيم في الحقيقة هو نموذجٌ للصراط المستقيم الروحاني في الدنيا. وكما نستطيع أن نرى الآن بعيون روحانية أن هناك جهنم على يمين صراطنا ويساره، فلو تركنا الصراط وانحرفنا يمينا لوقعنا في جهنم، ولو ملنا إلى اليسار لسقطنا فيها أيضا، ولو سلكنا هذا الصراط مستقيمين لنجونا منها. فإن الوضع نفسه سيتراءى لنا في عالم الآخرة وسنرى بأم أعيننا أن هناك صراطا قد مُهّد على الجحيم بصورة جسر، وعلى يمينه ويساره جهنم، وسنؤمّر بالسلوك عليه. فلو كنا قد سلكنا في الدنيا على الصراط المستقيم دون الانحراف يمينا أو يسارا، فلا خوف علينا من ذلك الصراط أيضا ولن يصلنا دخان الجحيم ولن يصيب قلوبنا فرغٌ أو خوف، بل سنعبه مستتيرين بقوة نور الإيمان، لأنه قد سبق لنا أن عبرناه، وهذا ما يشير إليه الله جل شأنه حيث يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ (النمل: ٩٠) أي من يكسب حسنة يُجزى يوم القيامة أكثر مما كسب. كذلك يقول تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (الرurf: ٦٩) ولكن الذي لم يسلك الصراط المستقيم في الدنيا فلن يقدر على ذلك عندئذ أيضا، وسوف يسقط في جهنم ويصير حطب نارها كما يقول الله جلّ شأنه: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل: ٩١) أي أن الذين كسبوا السيئات سيلقون في جهنم ويقال لهم بأن هذا الجزاء في الحقيقة يمثّل أعمالكم التي كسبتموها في الدنيا، ولن يظلم الله أحدا بل ستظهر الأعمال الحسنة بصورة الجنة، والأعمال السيئة بصورة الجحيم. وليكن معلوما أن عالم الآخرة هو في الحقيقة انعكاس للعالم الدنيوي، وما يظهر في الدنيا من الإيمان ونتائجه أو الكفر ونتائجه بصورة روحانية سيظهر في عالم الآخرة بصورة مادية. يقول الله جلّ شأنه: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ (الإسراء: ٧٣). فيجب ألا نستغرب من هذا

الوجود التمثلي بل يجب أن نفكر قليلا كيف تتراءى الأمور الروحانية متمثلة في عالم الرؤى. وإن عالم الكشف أغرب من ذلك أيضا إذ تُرى بهذه العيون أمورٌ روحانية في صور مادية مختلفة في حالة اليقظة وعدم غياب الشعور. ففي كثير من الأحيان يحصل في حالة اليقظة الكاملة اللقاء مع أرواح خلت من هذه الدنيا ولكن أصحابها يشاهدون كما عاشوا في هذه الدنيا بجسدهم الحقيقي لابسين لباسا من ألبسة هذه الدنيا، ويتحدثون. وفي كثير من الأحيان يُنبئ بعض المقدسين منهم بأنباء مستقبلية بإذنه تعالى وتتحقق تلك الأنباء. وفي بعض الأحيان، وفي اليقظة بعينها، يقع في اليد شراب أو ثمرة من عالم الكشف وتكون لذیذة الطعم جدا. وإنني صاحب تجربة في كل هذه الأمور. وهذا النوع من أعلى درجات الكشف إذ يحدث في اليقظة تماما، فقد جربت شخصا أن مثل من الغيب أمام عيني طعامٌ لذیذ أو نوع من الثمار أو الشراب، ثم أُلقيمتُ به بيد من الغيب فتلذذت بطعمه اللذيذ بلساني. وأثناء ذلك تكون سلسلة الكلام مع الآخرين أيضا جارية وتعمل الحواس الظاهرية عملها على أحسن وجه، فأشرب هذا الشراب أو أكل الثمرة وأشعر بلذتها وحلاوتها بصورة بيّنة، بل تكون تلك اللذة ألطف من اللذة الدنيوية بكثير. ولا يخطر بالبال قط أنه وهمٌ أو خيالات لا أصل لها، بل إنّ الله وهو ﴿بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٨٠) يُري نموذج الخلق. فما دام الله تعالى يُري نموذج الخلق في هذه الدنيا، وظل العارفون في كل زمان يشهدون بذلك، فلماذا يستغرب العقل من الخلق التمثلي الذي سيحدث في الآخرة؟ ولماذا يتعجب العاقل من أنه سيتراءى ميزان الأعمال والصراف، وكذلك تتراءى أمور روحانية كثيرة متمثلة في أشكال مادية؟ هل يُستبعد عن قدرة الإله الذي أرى سلسلة الخلق التمثلي للعارفين في الدنيا أن يُريها في الآخرة؟ بل الحق أن لهذه التمثلات صلة أقوى بعالم الآخرة، لأنه إذا كان هذا الخلق التمثلي يظهر على الحائزين على التزكية في هذا العالم الذي ليس مقام تجلي الانقطاع التام، فلماذا لا يُرى في عالم الآخرة الذي هو مقام انقطاع أكمل وأتم؟

يجب الانتباه جيدا إلى أن العجائب كلها التي يقرأها شخصٌ محبوبٌ على أنها قصص وردت في آيات القرآن الكريم لتنبئ عن المعاد، تُكشف على العارفين في الكشف في هذه الدنيا. فالذي لم يصل نظره إلى الحقيقة يستغرب من هذه البيانات، بل في كثير من الأحيان ينشأ في قلبه اعتراض أن استواء الله يوم الدين على العرش ووقوف الملائكة صفا ووزن الأعمال في الميزان وسلوك الناس على الصراط وذبح الموت يوم الجزاء كما يُذبح الكبش، وكذلك ظهور الأعمال على الناس بصورة إنسان وسيم أو دميم، وجريان أنهار اللبن والعسل في الجنة وغيرها من الأمور؛ كلها تبدو بعيدة عن الحقيقة والمعقولة. ولكن كل هذه الشكوك تزول بحلّ نكتة واحدة فقط وهي أن عالم الآخرة هو عالم الخلق التمثلي. ومن أسرار الله تعالى أنه يخلق بعض الأشياء على سبيل التمثّل كما يخلق بصورة طبيعية. وكما ترون أن صورتكم تنعكس بكاملها في المرآة، ويمكنكم أن تتأملوا كيف ترسم صورتكم العكسية وكيف تظهر فيها ملامحكم. فلو صوّر الله تعالى الأمور الروحانية على وجه الحقيقة ووضعها أمام أعينكم بعد نفخ روح الصدق فيها، فما وجه الغرابة في ذلك؟ إن الله جلّ شأنه يكشف جميع الحقائق على الباحثين في هذه الدنيا، ولن يكون في الآخرة أمرٌ لا يمكن كشف حقيقته في هذا العالم.

وإذا اختلج في قلب أحد اعتراضٌ أنه قد تلت الآية: ﴿وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ آيةٌ أخرى هي: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾ أي سننجي المتقين بعد ورودهم جهنم، ونترك الظالمين ساقطين فيها، وأن من مفهوم النجاة أن يصاب الإنسان أولاً بعذاب أو بلاء ثم يُنَجَّى منه، فهذا المعنى يستلزم -والعياذ بالله- أن يواجه عباد الله المقرّين أيضا عذاب جهنم إلى حد ما، ثم يُنَجّون منه.

فجواب هذه الشبهة هو أن كلمة "النجاة" لم تُستخدَم هنا بمعناها الحقيقي، بل ليس المراد منها إلا أننا سنكشف حينئذ كون المؤمنين ناجين، ونُري الناس أنهم نجوا من موطن القلق والكرب العظيم وبلغوا مرادهم. ومن سنّة الله الجارية في القرآن

الكريم أنه يستخدم فيه بعض الكلمات بصرفها عن حقيقتها كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (المزمل: ٢١) والمعلوم أن من مفهوم القرض الحقيقي أن الإنسان يسأل غيره شيئا عند الحاجة والاضطرار ويعده بتسديده في وقت آخر. ولكن الله جلّ شأنه منزّه عن الحاجة؛ لذا فالمراد من مفهوم القرض في هذا المقام شيء واحد فقط وهو أخذ المرء شيئا جاعلاً نفسه مسؤولاً عن إرجاعه إلى صاحبه في وقت آخر. كذلك الآية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ (البقرة: ٥٦) أيضاً صُرفت عن مفهومها الحقيقي، لأن المبتلي بالمعنى المعروف يكون غافلاً عن النتيجة التي تظهر بعد الابتلاء ولكن المراد هنا ليس هذا، بل المراد من ابتلاء الله هو أن يكشف على المبتلى عيوبه أو ميزاته الباطنية. إذًا، فقد صُرفت كلمة "النجاة" أيضاً عن معناها الحقيقي. كما ورد توضيح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِيزَانٍ إِلَى اللَّهِ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الزمر: ٦١-٦٢) أي سينال المتقون مرامهم.

وهذا القول يفسر آية النجاة السابقة لأنه قد كُشف فيه حقيقة النجاة، وهي بلوغ المؤمنين مراداتهم. وقيل أيضاً بأنهم سيُحفظون من سوء ذلك اليوم كلياً ولن يمسّهم السوء قط، ولن يدنو الحزن منهم أبداً.

ويمكن أن يُستنتج من الآية: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ معنى أن يكون الخطاب في الحقيقة موجّهاً إلى المأخوذ في عذاب جهنم، وأن يُنجّى بعضهم الذين يملكون شيئاً من التقوى، أما الآخرون فيبقون في جهنم. ويمكن استنباط هذا المعنى حين يُستثنى من هذا الخطاب الأبرار والأخيار وجميع المقدسين والمقربين. ولكن الحق أنه يبدو أن المراد من كلام الله جلّ شأنه هو المعنى الذي بيّنته آنفاً. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٤٢-١٥٧)

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا، أي ليس منكم أحد إلا وسيرد الجحيم. (شهادة القرآن، الخزانين الروجانية، المجلد ٦، ص ٣٣٢)

يا أيها الفجار ويا أيها الأبرار، ليس منكم أحد إلا سيمر بنار جهنم، غير أن الذين يقيمون في تلك النار لوجه الله سينجّون منها، أما الذي يمر بالنار من أجل نفسه الأثمارة فستلتهمه تلك النار.

فمباركون أولئك الذين يحاربون أنفسهم لله، وأشقياء أولئك الذين يحاربون الله لأنفسهم ولا يوافقونه. إن الذي يخالف حكم الله من أجل نفسه لن يدخل السماء أبداً. فاسعوا جاهدين كي لا تشهد عليكم نقطة واحدة أو حرف واحد من القرآن فتؤاخذوا بسببها فقط، لأن الشر - ولو كان مثقال ذرة - يستوجب العقاب. الوقت قصير، وغاية الحياة لم تُحقّق بعد. ألا أسرعوا الخطي فإن المساء قريب. وافحصوا مرة بعد أخرى المتاع الذي ستقدمونه، لئلا ينقصه شيء فيسبب لكم الخسران، أو يكون كلّهُ بضاعةً فاسدةً مغشوشةً لا تصلح لأن تُقدّم إلى البلاط الملكي. (سفينة نوح، الخزانين الروجانية، المجلد ١٩، ص ٢٥-٢٦)

يُستشف من قول الله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (مريم: ٧٢)، أيضاً أنه يطرأ على الأنبياء والصلحاء حتماً وقت عصيب هائل ومفزع جداً حيث تكاد الروح تزهق، وأن أهل الحق أيضاً يردون مرة هذا المأزق، لكن الله ﷻ يعتني بهم عاجلاً ويخرجهم منها، وبما أنه يكون قدراً معلقاً، لذا يُصرف بدعائهم وضراعتهم. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠٣ م، ص ٦)

الآية ٨٩-٩٢: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾

...وحين نرى هل اليهود الذين كانوا ورثة التوراة الأوائل والذين تُقدّم نبوءات عهدهم القديم بصورة خاطئة، مع أنهم كانوا يتلون كتبهم كل يوم ويتدبرونها وصدقهم

المسيح أيضا أنهم يفهمون كتبهم جيدا فاتَّبِعُوهم، هل اتفقوا مرة مع نبوءة من هذه النبوءات وأقروا أنها تصف المسيح الموعود عليه السلام إلها؟ أو تقول بأن المسيح المقبل لن يكون بشرا بل إلها؟ لا نعثر على شيء من هذا القبيل. يدرك كل عاقل أنه إذا كان ممكنا أن ينشأ في قلوبهم بُغض وبخل تجاه المسيح كان من المفروض أن ينشأ عند مجيئه. إذ كان هؤلاء القوم ينظرون إلى هذه النبوءات من قبل بنظرة الحب والتأمل والعدل والحرية، وكانوا يتلون تلك الكتب كل يوم ويكتبون تفاسيرها، ولكن ما هذه المأساة أن بقي هذا المعنى خافيا تماما عن أعينهم! (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٧٩)

إن اتخاذ المسيح البشر إلهاً هو أمر خطيرٌ هائلٌ عند الله ويثير غضبه لدرجة أن تكاد السموات يتفطرن منه. وفي ذلك أيضا إشارة خفية إلى أن الدنيا عندما توشك على النهاية سوف يطوى صفُّ الناس بسبب دينهم هذا. ومن هذه الآيات أيضا يفهم يقينا أنه مهما كان الإسلام غالبا ومهما كانت جميع الأمم كالحَيوان الميت، إلا أنه من المقدر ألا تنقرض المسيحية إلى يوم القيامة، بل سوف تزداد ذريبتها، وسيوجد أناس كثيرون يؤمنون بألوهية المسيح كالأنعام دون أدنى تفكير حتى تقوم عليهم القيامة. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٢٢)

كان الله ﷻ قد قال في القرآن الكريم كنُبوَّة أنه يوشك أن يأتي وقت حساس تنفطر فيه السماوات عند غلبة الثالوث، وتنشق الأرض، وتخر الجبال، وقد تحققت كل هذه الأمور وظهر الغلو الزائد في الدعوة إلى المسيحية وتكذيب النبي ﷺ لدرجة يوشك حينها أن يضلَّ الصلحاء الذين يسمَّون سماويين نظرا لإخلاصهم، وتنشق الأرض أي يفسد جميع الناس الماديين، ويخر الثابتون الذين هم أمثال الجبال الراسخة. وإن الآية القرآنية التي تتضمن هذه النبوءة هي: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾، فلما كانت الآية ذات وجهين، فالمعنى الثاني لها أن غلبة النصارى ستتحقق في الأرض قرب القيامة الكبرى، كما يتبين في العصر

الراهن. وإن هذه الآية الكريمة تقصد أنه إذا لم يتدارك الله هذه الفتنة بإرسال المسيح من عنده فسوف تقوم القيامة فوراً، وتتفطر السماوات، لكنه لما لم تحدث القيامة مع هذا القدر من غلو النصارى وتكذيبهم إذ قد نُشرت إلى الآن عشرات الملايين من الكتب والكتيبات والنشرات ذات الورقتين في هذا البلد، فهذا يدل على أن الله ﷻ قد بعث مسيحه رحمةً لعباده. فمن المستحيل أن يبطل وعْد الله. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٨٦-٢٨٧)

... قال تكاد السماوات والأرض يتفطرن ويتمزقن إذ اقترَف على الأرض إثم كبير؛ فقد اتخذوا الإنسان إلهًا وابنَ إله. لقد جاء ذكرُ المسيحيين والردُّ عليهم في أوائل القرآن كما يفهم من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ و﴿وَالضَّالِّينَ﴾، وكذلك قد جاء الردُّ عليهم في آخر القرآن أيضًا كما يفهم من قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، ودُكرت فتنةُ المسيحية في وسط القرآن أيضًا كما يفهم من قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾. يتضح من القرآن الكريم أن مثل هذه المبالغة في عبادة المخلوق وأساليب الدجل لم تحصل قط منذ خلق الدنيا، ومن أجل ذلك لم تُوجَّه دعوة المباهلة إلا إلى النصارى وحدهم من بين جميع المشركين.

أما سرُّ تمثُل روح القدس في أشكال الطيور أو البهائم قبل البعثة المحمدية، فيمكن أن يفهمه كل فهم بنفسه، غير أننا نكتفي هنا بالقول: لقد كانت فيه إشارة إلى عظمة إنسانية نبينا ﷺ؛ إذ جذبت روح القدس أيضًا إلى الإنسانية. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٨٤-٨٥)

كانت فتن اليهود وشروهم محدودة بحيث يمكن معاقبتهم في هذا العالم، أما عقوبة الضالين فلا يسعها هذا العالم، لأن اعتقادهم مكروه جدا ومقرف لدرجة أن قال الله في القرآن الكريم بحقه ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخُرُّ الْجِبَالُ هَذَا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾، باختصار، لما كانت عقوبة اليهود قليلة لذا قد عوقبوا في هذا العالم، أما عقوبة النصارى فهي قاسية لدرجة لا يتحملها هذا

العالم، لذا قد حُدد العالم الآخر لعقوبتهم. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢، عدد ١٩٠٨/١/٦ م، ص ٤)

فأربعمائة مليون إنسان قد اتخذوا إنسانا ضعيفا عاجزا إلها بناء على هذه الأدلة نفسها، أي أنه أزلي وأبدي، وأنه حي في السماء، وأنه خلق الطير، وأحيا الأموات. أما هؤلاء المسلمون فيبحثون عن حتفهم بظلفهم، ويسلمون للنصارى السكين بأيديهم ليقتلوهم. ويساعدونهم على الوثنية الخطيرة، التي بسببها قد أبدى الله غضبا فقال: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤٧، عدد ١٩٠٨/٨/١٤ م، ص ٣)

الآية ٩٤: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾

ليس هناك شيء في السماوات والأرض يخرج عن كونه مخلوقا وعبدا لله. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٥٣٢، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ٩٨: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِشُبَّانِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾

بهذه الآية تتم الحجة على جميع الخصوم الألداء. (كرامات الصادقين، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٥٩)



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة طه



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٦: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾

المراد من الاستواء أو الاستقرار هو: مع أنه خلق الإنسان ووهبه قلبه إلى حد كبير ولكن كل هذه التجليات خاصة بالزمان، بمعنى أن كافة تجلياته التشبيهية تتجلى في وقت معين ولم تتجل من قبل. ولكن مقام استواء الله الأزلي هو العرش الذي هو مقام التنزيه لأن مقام التشبيه الذي يتولد نتيجة الصلة مع الأشياء الفانية لا يمكن أن يدعى مقر الله تعالى، والسبب في ذلك أنه في طور الزوال ويحيط به الزوال في كل حين وأن. بل إن مقر الله منزّه عن الفناء والزوال، وذلك المقام هو العرش.

في هذا المقام يطرح المعارضون اعتراضاً آخر وهو أنه يتبين من بعض آيات القرآن أن ثمانية ملائكة سيحملون عرش الله يوم القيامة، ويبدو منه كإشارة النص أن أربعة

ملائكة يحملونه في الدنيا. والاعتراض في هذا المقام هو أن الله تعالى منزّه وأسمى من أن يحمل عرشه أحد. فقد سمعتم جوابه قبل قليل بأن العرش ليس شيئا ماديا حتى يُحمَل أو يكون قابلا للحمل، بل العرش مقام التنزه والتقديس لذا يُعَدُّ غير مخلوق. وإلا كيف يمكن أن يبقى شيء متجسد خارج نطاق خالقية الله؟ وكل ما قيل عن العرش مبني على الاستعارات. فمن هنا يستطيع كل عاقل أن يفهم أن هذا الاعتراض ليس إلا حمق بحت.

والآن أبين للمستمعين الكرام حقيقة حمل الملائكة العرش، وهي أن الله تعالى في تنزّهه - أي المقام الذي تغطي فيه صفة تنزّهه صفاته الأخرى كلها وتجعله رَجُلًا وراء وراء وخافيا كلياً، أعني في المقام الذي يسمى العرش في مصطلح القرآن الكريم - يصبح أسمى من عقول الناس، فلا يسع العقل أن يدركه. عندها سَمِّيتُ بالملائكة صفاته الأربع التي تجلّت في الدنيا وتُظهر وجوده رَجُلًا الخفي وهي: (١) الربوبية التي بواسطتها يُكَمِّلُ اللهُ الإنسانَ روحانيا وجسديا. فقد ظهرت الروح والجسد للعيان بمقتضى الربوبية. كذلك إن نزول كلام الله وآياته الخارقة أيضا نتاج مقتضى الربوبية. (٢) إن رحمانية الله التي ظهرت للعيان، أي ما هيأ الله تعالى للإنسان من النعم التي لا تُعدّ ولا تُحصى دون جزاء الأعمال، فهذه الصفة أيضا تُظهر وجوده الخفي. (٣) الصفة الثالثة هي رحيمية الله، ومعناها أنه يعطي الذين يكسبون الحسنات قدرة على كسبها بمقتضى صفته الرحمانية أولا، ثم يوفقهم لكسب الأعمال الصالحة بمقتضى صفة الرحيمية وبذلك يحميهم من الآفات. هذه الصفة أيضا تكشف عن وجوده الخفي. (٤) الصفة الرابعة هي: "مالك يوم الدين". هذه الصفة أيضا تُظهر وجوده الخفي أي يعطي الصالحين أجرا حسنا ويعاقب الطالحين. هذه هي الصفات الأربع التي تحمل عرشه، أي بواسطتها يُعَلِّمُ وجوده الخفي في هذه الدنيا. وإن هذه المعرفة ستتضاعف في عالم الآخرة فكأنه سيكون الملائكة ثمانية بدلا من أربعة.

(ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٧٧-٢٧٩)

الآية ٩: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾

(قال عليه السلام في الرد على السؤال: هل الله موجود في السماء؟) يقول الله تعالى: الله مالك كل شيء، ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ أي قد نسب نفسه إلى العلو، فلا يمكن نسبه إلى ما هو دون ذلك، ﴿سبحانه وتعالى﴾ نشاهد العلو، وقد رأيت في الكشف نوراً نازلاً من السماء، وإن لم أستطع بيان كنهه وكيفيته ولكن صحيح تماماً أن له - سبحانه وتعالى - علاقة مع العلو فقط. بعض الأمور تلاحظ بالعيون ولا يُلاحظ بعضها الآخر. والفلسفة لا تنفع في كل شيء. الحق أنه يأتي على الإنسان زمان حين يشعر أن شيئاً ما قد نزل على قلبه من السماء ويجعله رقيقاً. عندها تُبذر فيه بذرة الحسنة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٣ م، ص ١١)

الآية ١٥: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

ليس ثمة ورْد أفضل من الصلاة، ففيها الحمد الإلهي والاستغفار والصلاة على النبي. فالصلاة هي مجموعة جميع الأوراد والأذكار، فبها تزول جميع أنواع الهموم والأحزان وتنحل المشاكل.

كان النبي ﷺ إذا أصابه حزن بسيط قام للصلاة، ولذلك قيل: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٩) فلنيل الطمأنينة وسكينة القلب ليس ثمة وسيلة أكبر من الصلاة. لقد ضلَّ الناس الآخرين باختراع أنواع الأوراد من عند أنفسهم، واتخذوا شريعة جديدة مقابل شريعة النبي ﷺ. هم يتهمونني بأني ادَّعيت النبوة لكنني أرى باستغراب وتعجب أنهم قد اخترعوا هم أنفسهم شريعة جديدة وصاروا أنبياء، ويضلون العالم. فقد جعلوا الناس غارقين في الأوراد والأذكار بحيث استغنوا عن شريعة الله وأحكامه. من الملاحظ أن بعض الناس ينهمكون في عاداتهم وأورادهم لدرجة أنهم يتغافلون عن الصلاة أيضاً. لقد سمعتُ من المولوي المحترم أن بعض المرشدين يرِدُّون في أورادهم تراتيل أصحاب فرقة "شاكت مت" الهندوسية. أما أنا فأرى أفضل عبادة هي الصلاة فقط، يجب أداء الصلاة فقط باهتمام. صلُّوها بحيث

تدركون ما تقولون فيها وادعوا فيها في لغتكم بعد ترديد الأدعية المسنونة وبذلك ستنالون اطمئنان القلب، وبذلك وحده ستحل جميع المشاكل إن شاء الله. فالصلاة وسيلة الذكر الإلهي، ولذلك قال ﷺ: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي». (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٠، عدد: ٣١/٥/١٩٠٣ م، ص ٩)

الآية ٢١: ﴿فَالْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾

المدعورة الثعبان السام الذي يسمّى باللغة العربية حية، لأن الحية عدو أول وبدائي لنسل البشر، وتقول بلسان حالها، "حيّ على الموت" فنظرا إلى ذلك يقال لها الحية. (ضياء الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٢٦٣)

الآية ٤٠: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾

الحب كلمة عربية وتعني في الحقيقة الامتلاء، فحين يريد العرب أن يعبروا عن امتلاء بطن الحمار ماءً يقولون: "تحبّب الحمار"، وحين يريدون أن يقولوا إن الجمل شرب ماء كثيرا حتى امتلأ بطنه وارتوى يقولون شربت الإبل حتى تحببت. أما الحب فهي أيضا مشتقة من هذا، ويعني أنه امتلأ بصفات الحبة السابقة. وكذلك يقال للنوم الإحباب، لأن الذي سيمتلئ بغيره فسوف يُفني نفسه، وكأنه سينام ولن يبقى لديه الشعور بنفسه، (نور القرآن، رقم ٢، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٣١-٤٣٢)

وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي: أي أودعتك خصلة بحيث يحبك كل سليم الطبع ويُجذب إليك. لقد فعلت ذلك لتتربى وتنمو وتزدهر أمام عيني. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية المجلد ٢١، ص ٨٨)

أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي، لكي يُحسّن إليك أمام أعيني. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦١٤، الحاشية على الحاشية رقم ٣)

فكلمة الحب حيثما وردت بحق الناس فليس المراد منها الحب الحقيقي، بل إن

الحب الحقيقي بحسب التعليم الإسلامي يخص الله وحده، والأنواع الأخرى للحب غير حقيقية ومن باب المجاز. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزائن الروحانية، المجلد ١٢)

الآية ٤٥: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَىٰ﴾

على المؤمن أيضاً أن يراعي المراتب في تبليغ الدين، فلا يمارس القسوة والغلظة في محل يقتضي اللين. أما المحل الذي لا يصلح فيه غير القسوة، وبدا أن الأمر لا يستقيم بدون القسوة فاللين أيضاً معصية.

گر حفظ مراتب کنی زندیقی، أي: لو لم تراعى المراتب أصبحت زنديقا.

فانظروا كم كان فرعون في ظاهر الأمر كافراً عنيداً ومع ذلك أمر الله موسى عليه السلام: ﴿قُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ (طه: ٤٥) فالخطاب المماثل موجود في القرآن الكريم للنبي ﷺ أيضاً وهو: ﴿وَإِنْ جَحَحُوا لِّلْسَلَامِ فَاْجْنَحْ هَآءَا﴾ (الأنفال: ٦٢) بينما أمر بالشفقة والرحمة تجاه المؤمنين والمسلمين، فقد ذكرت حالة النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين نفسها حيث ورد: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٣٠)، ففي موضع آخر خاطب الله ﷻ النبي ﷺ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ٧٣). باختصار، يُستشف من هذه الآية أن الله ﷻ نفسه أيضاً راعى المراتب، فأمره بحق المؤمنين يتسم بعطف كبير، أما الكفار فتحْتَاج طَباع بعضهم للقسوة مثلما يُضطر الطبيب الحاذق للعمل الجراحي في علاج بعض المرضى والجرحى. (الحكم، مجلد ١٤، رقم ٢٧، عدد ١٤ / ٤ / ١٩٠٨ م ص ٣)

الآية ٥١: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾

قد أُودِع كل شيء - سواء كان حجراً أو شجرة أو إنساناً أو حيواناً - قوةً لنيل غذائه سلفاً بحكمة الله الكاملة. فكل هؤلاء توجَّهوا في الحقيقة إلى نيل الغذاء بخوافز

قوة وحيدة. والردّ على التساؤل أنه لماذا تطلب هذه الأشياء من الأنواع الأربعة غذاءً؟ فجوابه أنه ليس لذلك أسباب مختلفة حتى يظنّ في حالة أن سببه هو ذاكرة الولادة السابقة والاهتمام بها، وفي حالات أخرى يُذكر له سببٌ آخر. بل إن باعث هذه الأشياء من الأنواع الأربعة كلها على الميل للحصول على الغذاء وحيد، أي القوة الفطرية التي تنشأ فيها مع الولادة. وإلى ذلك أشير في الكلام المقدس الطاهر الذي هو مليء بحقائق فلسفية، حيث يقول الله ﷻ: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾، أي أن ربكم هو الذي وهب لكل شيء وجوداً يناسب طبعه. ثم أنشأ بنفسه في قلبه رغبة في نيل الغذاء الذي يتوقف عليه بقاؤه. فهذه هي الحقيقة الحقة التي بينها الله ﷻ في كتابه العزيز كقاعدة عامة. إن نظرة الأغبياء والجهلة لا تكون شاملة، لذا ينسجون مكيدة كاذبة لهدفهم الفاسد بملاحظة جزئية واحدة، ويتركون الجزئيات الأخرى التي هي شريكة لها. (شحنة الحق، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ٣٥٧)

أي هو الله الذي وهب كل شيء قوى وجوارح تناسبه ثم وفقهم لاستخدامها.

(الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٧٨)

أي الذي أعطى كل شيء كمالاً خلقته المناسب له، ثم هداه إلى كمالاته المطلوبة الأخرى. فالإنعام يعني أن يُعطى الشيء أولاً ما يحتاج إليه من حيث وجوده من قوى وقدرات، ثم يُرشد إلى السبل التي تؤدي إلى ترقياته المتقدمة. (من الرحمن، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ١٥٤-١٥٥، الحاشية)

ولقد اختار القرآن الكريم لإعطاء معرفة الله منهاجين: الأول ما يصبح به العقل في غاية القوة والجلال في استنتاج الأدلة العقلية، ويتقي به الخطأ والعتار. وأما المنهاج الآخر فهو روحاني... الآن انظروا ما أحسن وما أبدع ما ساقه القرآن الحكيم من أدلة عقلية على وجود الله تعالى. يقول في موضع منه:

﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ يعني أن الله هو الرب الذي وهب لكل شيء خلقه بحسب حاله، ثم هداه إلى ما يستكمل به غايته التي خلق لأجلها.

ولو نظرنا على ضوء معنى الآية إلى بنية كل المخلوقات الموجودة في البر والبحر من إنسان ودابة وطير لتجلت لنا قدرة الله تبارك وتعالى؛ كيف أنه وهب لكل مخلوق بنية مناسبة له. إن موضوع الآية واسع جداً، فليتدبره القراء بأنفسهم. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٦٨-٣٦٩)

وجدير بالذكر أن من يجعله الله تعالى إماماً؛ يودع في فطرته قوة الإمامة. وكما أن الله تعالى بموجب الآية الكريمة: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ﴾ قد أودع كل الدواب والطيور قوةً كان يعلم أنها ستحتاج إليها، كذلك فإن الله تعالى يودع سلفاً في النفوس التي يعلم أنها ستكون بمهمة الإمامة؛ قوى وملكات روحانية ملائمة لها، وتُبدّر في فطرتهم الطاهرة بذرة الكفاءات والمؤهلات التي سيحتاجونها في المستقبل. (ضرورة الإمام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٧٨)

إن هذا العطاء يختصّ بنوعين من الناس أكثر من غيرهم: الملوك والمأمورون من عند الله تعالى، والمعنى أن الله تعالى قد جعلهم مأمورين أولاً ثم ﴿هدى﴾، أي ثم هياً لهم كافة أسباب التبليغ والدعوة. ومثاله أن الله تعالى قد هياً لي كل نوع من الأسباب كالقطار والبرقية والبريد والمطابع وغيرها. (الحكم، مجلد ٥٥، رقم ٨، عدد ١٩٠١/٣/٣، ص ١٢)

الآية ٥٣: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾

ما قاله الأسلاف حول مسألة وفاة المسيح أو ما شابهها نقول عنها كقول موسى عليه السلام المذكور في الآية ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾. أي الله أعلم بظروف الذين خلوا، غير أنني شرحت كثيراً للناس المعاصرين وأتممت الحجة عليهم. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٦، عدد ١٩٠٢/٤/٣٠، ص ٧)

الآية ٥٦: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾

يقول البعض بكل بساطة: قد ورد في سفر الملوك بأن إيليا قد رُفع إلى السماء بالجسد؛ فأَي ضير في رفع المسيح ابن مريم إذن؟ والجواب: من الواضح أن إيليا لم يُرفع بالجسد المادي؛ فقد أشار المسيح نفسه إلى موته حين حطّم أمل اليهود الذي

كانوا متشبهين به لسوء فهمهم، فقال ﷺ بأن إيليا لن يعود. والمعلوم أنه لو رُفِع بالجسد المادي، لكانت عودته إلى الأرض ضرورية، فقد ورد في القرآن الكريم أن الجسد المادي سيعود إلى الأرض حتماً، وذلك في قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾. فهل سيموت إيليا في السماء؟ أم أنه سيقى خارج سنة الله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٢٧)؟ وإذا فكّرتم في الموضوع لعلمتم أن النازل كان إيليا الذي لم ينزل بجسده المادي بل نزل بصورة مجازية. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥١٢-٥١٣)

"ولا يجوز الموت في السماوات لقوله تعالى: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾، ولا نجد في القرآن ذكر نزول إدريس وموته ودفنه في الأرض، فثبت بالضرورة أن المراد من الرفع الموت." (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٢٠)

أما الاعتقاد الذي ثبتني الله تعالى عليه على بصيرة فهو أن عيسى ﷺ مات مثل بقية الناس بعد أن نال عمراً بشرياً، وأن الصعود إلى السماء بالجسد المادي والنزول بالجسد إلى الدنيا في وقت من الأوقات كلها تُهمُّ ألصقت به. قال الله ﷻ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٤).

القضية الحقيقية والجديرة بالبت والحكم فيها هي: هل صحيح أن عيسى ﷺ صعد إلى السماء بالجسد المادي في الحقيقة بخلاف سنة الله؟ وإذا ثبت بنصوص القرآن الكريم الصريحة والبيّنة أنه رُفِع إلى السماء فعلاً بالجسد المادي، فلا حاجة إلى النقاش حول نزوله أصلاً لأن الذي يصعد إلى السماء بجسده المادي كانت عودته ضرورية بحسب النص القرآني.

فإذا كان عيسى ﷺ قد صعد إلى السماء بالجسد المادي فأبي شك في عودته. وذلك لأنه لا بد من عودته إلى الأرض ليموت فيها - إن لم يكن لعودته هدف آخر - لأنه لا يوجد للقبور مكان في السماء. وثابت من نص القرآن الكريم الصريح أن كل إنسان سيموت على الأرض فقط ويُدفن فيها وسيُخرج منها كما يقول الله

تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾. غير أنه من الممكن أن يعود من السماء مصابا بمرض أو يمرض في الطريق ثم يموت على الأرض. أقول ذلك لأنه قد ورد في الأحاديث أن عيسى المقبل سينزل بين مهرودتين، والمراد من المهرودة هو المرض بحسب تعبير اتفق عليه جميع المعبرين. (ضميمة البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٧٢-٣٧٣)

سئل ﷺ أين كانت جنة آدم؟ فقال: إن ديننا هو أنها كانت على الأرض، يقول الله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾. إن فكرة سكن آدم في السماء باطلة تماما. (بدر، مجلد ٢، رقم ١١، عدد ٣/٤/١٩٠٣م، ص ٨٢)

الآية ٦٢: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾

وستجدون في مئات الآيات القرآنية أن الله ﷻ لا يترك المفتري على الله سليما معافى أبدا، بل يعاقبه في هذه الدنيا حتما ويهلكه. انظروا كيف يقول الله ﷻ في القرآن الكريم ﴿قَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾. (الأربعين، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٤٣٣)

إن للافتراء أيضا حدودا، والمفتري يظل خائبا وخاسرا: ﴿قَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٢، عدد ١٠/٤/١٩٠٤م، ص ٧)

تذكروا أن الذي يواجهني فإنما يواجهه من بعثني. معلوم أن الموظف الحكومي البسيط جدًا إذا أهين ولم تنفذ الرسالة التي ينقلها، فإن الحكومة تعاقب المسيء أو الممتنع عن الاستجابة وتستجوبه؛ فكيف تبقى الإساءة إلى المرسل من الله وعدم المبالاة بقوله دون جزاء؟ إنني أؤكد لكم أن جماعتي إذا لم تكن من الله فسوف تفسد وتخب سواء عارضها أحد أم لا. لأن الله ﷻ هو نفسه قد قال ﴿قَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ١٤/٨/١٩٠٨م، ص ١٣)

الآية ٦٤: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾

من الملاحظ أيضا أنه ﷺ لا يتقيد أحيانا بقواعد الصرف والنحو التي وضعها الناس. وتوجد في القرآن الكريم أمثلة كثيرة على هذا: منها على سبيل المثال: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ والمفروض أن تكون الجملة: "إن هذين" بحسب قواعد النحو التي وضعها الناس. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣١٧، الحاشية)

الآية ٦٩: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾

أي لا تخف ستكون أنت الغالب، وسيكتب الانتصار باسمك. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ١٩٥)

لا تخف، فالغلبة لك فقط. (عاقبة آثم، الخزائن الروحانية، المجلد ١١، ص ٥٩)
لا تخف أبدا إنك أنت الغالب. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣١٤)

لا تخف ليست الغلبة إلا لك. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ١٩٦)
وردت كلمة "أعلى" في حق عباد الله تعالى أيضا كقوله تعالى ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾، ولكن هذا العلو يكون عن تواضع. (بدر، مجلد ١، رقم ١، عدد ٣١/١٠/١٩٠٢م، ص ٤)

اعلموا أن العلو قسمان، أحدهما هو العلو الشيطاني المذكور في ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾. وورد بحق الشيطان "أعلى" أيضا كما قال ﷺ: ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي إن استعلاءك هذا إنما هو بصورة الاستكبار لا أنك أعلى في الحقيقة، لأن العلو الحقيقي خاص بعباد الله الخواص ويمكنهم أن يُظهروه من منطلق الآية: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ كما قال تعالى لموسى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾. هذا العلو الذي يوهب لعباد الله الخواص يكون مصبوغا بصبغة التواضع، أما علو الشيطان فيكون مقرونا بالاستكبار. عندما فتح نبينا الأكرم ﷺ مكة كان مطأطأ رأسه وخافضه.

وسجد كما كان يخفض رأسه ويسجد في أيام المصائب والمصاعب حين كان يؤذى في مكة نفسها أنواع الإيذاء وحين كان يواجه المعارضة من كل نوع. فلما تأمل ﷺ الحالة التي خرج فيها من مكة وحالة العودة إليها امتلأ قلبه بشكر الله وسجد. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٢م، ص ٧)

الآية ٧٠: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾

سئل المسيح الموعود ﷺ: ما رأيكم في سحر أطلقه الكفار على النبي ﷺ؟ فقال في الجواب:

السحر أيضا من الشيطان، فلا يليق بالرسل والأنبياء أن يؤثر فيهم، بل السحر يهرب منهم كما يقول الله تعالى: ﴿لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾، لقد أطلق السحر على موسى أيضا، فهل كان موسى الغالب في نهاية المطاف أم لا؟ ليس صحيحا قط بأن السحر غلب مقابل النبي ﷺ، ولا يسعنا أن نقبل ذلك بأي حال. إن قبول كل ما جاء في صحيح البخاري ومسلم مغمضي العين ينافي مسلكتنا. ولا يقبل العقل أيضا أن ينطلي السحر على نبي عظيم الشأن. لا يصح بحال من الأحوال القول بأن النبي ﷺ فقد ذاكرته، والعياذ بالله، بتأثير السحر أو حدث كذا وكذا. يبدو أن أحد الخبثاء افترى وخلط هذه الأمور من عنده. مع أننا نحترم الأحاديث ولكن لا نستطيع أن نقبل حديثا يناقض القرآن الكريم ويناقض عصمة النبي ﷺ. كانت تلك الفترة لجمع الأحاديث، ومع أنهم دونوها بحذر شديد ولكنهم ما استطاعوا أن يأخذوا الحيلة الكاملة بعين الاعتبار. كانت تلك المرحلة لجمع الأحاديث أما الآن فهي مرحلة التأمل والتدبر فيها. إن جمع آثار النبي ﷺ عمل ثواب عظيم ولكن المبدأ العام هو أن الذين يجمعونها لا يستطيعون أن يتأملوا جيدا. فلكل واحد الخيار أن يتأمل ويتدبر جيدا وليقبل ما هو جدير بالقبول ويترك ما هو جدير بالترك.

إن القول بأن السحر انطلى على النبي ﷺ -والعياذ بالله- يضيع الإيمان. يقول الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (الإسراء: ٤٨)، أي أن القائلين بمثل هذه الأقوال ظالمون وليسوا بمسلمين. فالقول بوقوع السحر على النبي ﷺ هو قول عديمي الإيمان والظالمين. ألا يفكرون أنه إذا كان هذا هو حال النبي ﷺ -والعياذ بالله- فما بالك بالامة؟ إنها ستغرق لا محالة. لا أدري ماذا حدث لهؤلاء القوم إذ يقولون مثل هذه الأقوال بحق نبي معصوم ﷺ ظل جميع الأنبياء يحسبونه بريئا من مس الشيطان. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٧م، ص ٨)

الآية ٧٥: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ ... أما الذين يحبون الله تعالى فلا يموتون بهذا الموت، لأن معهم خبزهم وماءهم. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٠٦)

لاحظوا الآن، لا حياة لأهل جهنم وإن كان لا موت لهم أيضا، وذلك ليقاسوا عذاباً أبدياً. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٣٨٥)

لا حياة لأي شيء سوى الله تعالى فالله وحده اسمه "الحي". ثم تنال أرواح الواصلين الحياة الحقيقية في ظله وبالفناء في حبه ولا تُنال الحياة بدون وصاله. لذلك يسمي الله تعالى الكفار في القرآن الكريم أمواتا ويقول عن أهل جهنم: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ أي لن يموت لأنه خُلِقَ للتعبد الأبدي فلا بد من بقاء وجوده ولكن في الوقت نفسه لا يمكن أن نقول بأنه حيٌّ، لأن الحياة الحقيقية تُنال بوصال الله. والحياة الحقيقية عين النجاة ولا تُنال دون حب الله ووصاله ﷻ. لو علمت الأمم الأخرى فلسفة الحياة الحقيقية لما ادَّعوا قط أن الأرواح جاءت إلى حيز الوجود من تلقاء نفسها منذ القدم وهي حائزة على الحياة الحقيقية. الحق أن هذه العلوم سماوية وتنزل من السماء فقط، ولا يعلم حقيقتها إلا الناس السماويون، والدنيا غافلة عنها. (ينبوع المسيحية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٦٦)

كما يصيب الجسم موتٌ نتيجة الانحلال في التركيب الجسدي كذلك يحل الموت بالروح نتيجة التغيرات في صفاتها. ولكن الذين يموتون فانين في وجه الله يُحيون من جديد نتيجة وصالهم بالله عز اسمه، وتكون حياتهم ظل حياة الله. وتُخلق في الأرواح الخبيثة أيضا حاسة للعذاب ولكنهم لا يكونون من الأحياء ولا من الأموات؛ كما أن أحدا عندما يصاب بألم شديد تصبح هذه الحياة فاقدة الصواب بمنزلة الموت وتترأى له الأرض والسماء مظلمتين. فعن أمثاله يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾. وإذا تأمل الإنسان في نفسه كيف تطرأ التغيرات في روحه في اليقظة والنوم لا يضطر إلى الاعتراف أن الروح أيضا خاضعة للتغيرات مثل الجسد. والموت اسم آخر للتغيرات وسلب الصفات، وإلا فإن تراب الجسم يبقى بعد حدوث التغير أيضا، ولكن يُطلق لفظ "الموت" على الجسد نتيجة هذا التغير. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٦٥-١٦٦)

يقول الله تعالى: ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ فهنا قال الله تعالى: "مجربا" ولم يقل: "مذنبا" لأنه يمكن أن يُطلق لفظ المذنب على البريء أيضا في بعض الحالات، ولكن لا يمكن أن يسمى بـ "المجرم". (مجلة مقارنة الأديان مجلد ١، رقم ٥، ص ١٩٠)

... ما أوضحه من بيان! فالمتعة الحقيقية إنما هي في سعادة الحياة وراحتها، بل إن الإنسان لا يُعَدُّ حيًّا إلا إذا كان مستمتعًا بكل نوع من الأمن والراحة. أما إذا كان يقاسي الآلام نتيجة مرض القولنج (القولون العصبي) أو وجع في السن، فيكون أسوأ حالا من الأموات، ولا يُعَدُّ حيًّا ولا ميتا. فيمكن أن تقيسوا على ذلك مدى شدة العذاب الأليم في الجحيم.

إنما المجرم من يقطع صلته عن الله تعالى في الحياة. لقد أُمر أن يكون لله ويكون مع الصادقين، ولكنه عاش عبداً للأهواء موافقا لأعداء الله ورسوله الأشرار، وبرهن

بسلوكه هذا على قطع علاقته عن الله تعالى. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٦٠-١٦١)

عندما يتعد الإنسان عن الله هاجرا إياه تكون تمثلاته جحيما. لا كذب في كلام الله فقال: ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾. لقد صدق حين قال بأن الإنسان عندما يواجه عذابا وألما يكون أسوأ من الأموات وإن كان حيا. الحياة التي ينالها الإنسان بعد الممات لا تُنال بغير الصلاح والتقوى. من كان مصابا بالحمى كيف يمكن أن نُعده من الأحياء إذ لا يميز المرء بين الليل والنهار في حال الإصابة بالحمى الشديدة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٧، عدد ١٧/١٠/١٩٠٢م، ص ١١)

فانظروا حين تتم الحجة على المجرم فهو يدان، كما يقول الله ﷻ ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾ (طه: ٧٥)، حيث لا يموت فيها ولا يحيا، فهذه عقوبة ذنب واحد، ويمكن أن تقدروا حال من يرتكب آلاف بل مئات الألوف من الجرائم. أما إذا مثل شخص أمام القضاء وبعد الإثباتات تمت إدانته وبعد ذلك أطلق الحاكم سراحه فما أعظم هذه المنة للحاكم! فتدبروا الآن إن التوبة هي نفس البراءة التي تتحقق بعد الإدانة، فالله ﷻ يغفر الذنوب السابقة فور التوبة.

فعلى الإنسان أن يستعرض أوضاعه ليرى كم من الذنوب ارتكبها وكم من العقوبة كان سيواجهها، لكن الله عفا عنها بفضل المحض. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣٨، عدد ١٧/١٠/١٩٠٣م، ص ٢)

مجرد القول باللسان: لا بأس في دخول جهنم؛ سهل. ولكن لو علموا كيفية ذلك الألم والمعاناة لاطلعوا على الحقيقة. فإذا أصيب المرء مثلاً بألم خفيف في العين يشعر بمعاناة شديدة، أما جهنم فقد جاء عنها في القرآن الكريم: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾. الذين يفكرون بهذا الأسلوب مخطئون جدا. الحكم في الموضوع سهل، فلينظر المرء هل يستطيع الصبر على البلايا الدنيوية؟ كلا! فكيف يزعم إذن أنه سيقدر على تحمل عذاب جهنم؟ بعض الناس يخدعون الآخرين، أما هؤلاء الناس

فيخدعون أنفسهم. اعلّموا يقينا أن عذاب جهنم مؤلم جدا. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٩، عدد ١٧/٨/١٩٠٥ م، ص ٢)

الآية ٩٠: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾

لقد ورد في القرآن الكريم عن الذين يعبدون العجل ويؤلهونه: ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي لا يجيبهم شيئا. يتبين من ذلك بصراحة تامة أن الآلهة التي لا تتكلم مثلها كمثال العجل. لقد سألنا المسيحيين مرارا وتكرارا أنه إذا كان إلهكم يسمع الأدعية ويجيبها فأخبرونا مع من يتكلم؟ إنكم تؤفّهون يسوع فادعوه وأرونا أنه يتكلم. أقول بكل تحد بأنه لو دعا المسيحيون يسوع كلهم أجمعون لن يرد عليهم، لأنه ميت. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٥، عدد ١٧/١٢/١٩٠٢ م، ص ٢)

إن إلهنا هو المحيب والمتكلم، وهو وحده يسمع أدعيتنا ويجيبها. أما الإله الذي يقدمه أصحاب الأديان الأخرى فينطبق عليه: ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ والسبب في ذلك أن أدعيتهم صارت بسبب كفرهم وإلحادهم مصداق: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، وإلا فإله الجميع واحد، ولكن هؤلاء الناس لم يدركوا صفاته. فاعلموا أن إلهنا إله يتكلم ويسمع أدعيتنا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١١، عدد ٢٤/٣/١٩٠٣ م، ص ٢)

الآية ٩٨: ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾

صحيح أنه عندما أضيفت نون التوكيد الثقيلة إلى أفعال المضارع في بعض الآيات في القرآن الكريم جاءت بمعنى الاستقبال، ومع ذلك هناك بعض الأماكن حيث بقي معنى زمن الحال على حاله، بل أريد منها معنى الحال أو المستقبل بل الماضي أيضا على سبيل الاشتراك كسلسلة متصلة ممتدة. أي أن سلسلة بدأت بالحال أو الماضي وامتدت إلى نهاية المستقبل دون انقطاع. إن مثال الآيات من الفئة الأولى

هو قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْتَحَرِّقَنَّهُ...﴾. لم يُقصد الاستقبال في هذه الآية أيضا لأن وجود البعد الزمني إلى حد ما بين الحال والاستقبال ضروري. فمثلا إذا قال أحد لغيره: لأعطينك عشر روبيات فخذها مني، فلن يثبت من ذلك أنه وعد بذلك في المستقبل بل يقال بأن الأمر كله قد تم في الحال (الحق مناظرة دلهي، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٢-١٦٣)

الآية ١١٥: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

قل رب زدني علما أي ادع الله قائلا: اللهم ارزقني التقدم في المراتب العلمية. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٠١)

أي أي أرزقني يا رب علما كاملا بعظمتك ومعرفة شؤونك وصفاتك. وقال أيضا: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ٦٤). فتبين بقراءة هاتين الآيتين معا أن السبب وراء عِدِّ نبينا ﷺ أول المسلمين هو أنه أعلم من غيره في علوم معرفة الله؛ أي أن علمه ﷺ بالمعارف الإلهية أكثر من غيره، لذا فإن إسلامه ﷺ أيضا أرفع وأعلى من الجميع، وهو أول المسلمين. ولقد أشير أيضا إلى كثرة علم النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤). أي علّمك الله علوما ما كنت قادرا على تحصيلها بنفسك، وإن فيوض الله نزلت عليك بفضلته تعالى أكثر من غيرك؛ بمعنى أنك سبقت الجميع من حيث المعارف الإلهية والأسرار والعلوم الربانية، وأن الله تعالى قد مسحك بعطر معرفته أكثر من غيرك. إذن، فقد جعل الله تعالى العلم والمعرفة وسيلة لإدراك حقيقة الإسلام. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٨٦-١٨٧)

القوة الثالثة هي البسطة في العلم وهي ضرورية للإمامة، بل هي خاصتها اللازمة. وبما أن مفهوم الإمامة يهدف إلى التقدم في الحقائق والمعارف وفي لوازم

الحبة الإلهية والصدق والصفاء لذلك فإن الإمام يسخر جميع قواه وجهوده من أجل تحقيق هذا الهدف ويدوم على الدعاء: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، وتكون مداركه وحواسه وقواه ملائمة ومهيأة سابقاً لأمر الإمامة، فيُعطى - بفضل الله تعالى - بسطة في العلوم الإلهية؛ فلا يوازيه أحد في عصره في المعارف القرآنية وكلمات الإفاضة وإتمام الحجة. ويصحح رأيه الصائب معلومات الآخرين، وإذا خالفه أحد الرأي في بيان الحقائق الدينية؛ انكشف له أن الحق مع الإمام دومًا، لأن نور الفراسة يساعده في معرفة العلوم الحققة، ولا يعطى لغيره مثل هذا النور الساطع، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، وكما أن الدجاجة تحتضن بيضها تحت جناحيها حتى تفقس أفرًا ثم تجمعها تحت جناحيها لتبث فيها من قواها، كذلك يصبغ الإمام أصحابه بعلومه الروحانية، ويزيدهم يقينًا ومعرفةً بالله تعالى، وليس ضروريًا أن يتحلى الملهمون والزهاد الآخرون بمثل ذلك؛ لأنه لا تُعهد إليهم مهمة التربية العلمية للناس، لذلك فلا غضاضة إذا بقي نقص ما في علم هؤلاء الزهاد وأصحاب الرؤى؛ فليس أحد منهم ربانًا لسفينة، بل هم بدورهم يحتاجون إلى ربانٍ لسفينتهم. (ضرورة الإمام، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٧٩-٤٨٠)

إن علم الأنبياء أيضًا يزداد تدريجيًا، ومن أجل ذلك قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. (الحكم، مجلده، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠١م، ص ٨)

يجب أن تُفهم طبيعة العلاقة بين المرشد والمريد بمثال العلاقة بين المعلم والتلميذ. فكما أن التلميذ يستفيد من المعلم، كذلك يجب على المريد أن يستفيد من مرشده، ولكن إذا بقي التلميذ على صلة مع معلمه دون أن يتقدم في تعليمه، فلن يستفيد منه شيئًا، كذلك هو حال المريد. فيجب إنشاء العلاقة للزيادة معرفة وعلمًا. يجب على طالب الحق ألا يتوقف بعد بلوغه محطة معينة، وإلا سيذهب به الشيطان

اللعين مذاهب أخرى. وكما أن الماء الراكد يأسن؛ كذلك تماما إذا لم يجتهد المؤمن للرقى سقط. فمن واجب المؤمن الصادق أن يواظب على طلب الدين. لم يكن في الدنيا إنسان أكمل من نبينا الكريم ﷺ، ولكنه أيضا علّم دعاء: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. فكيف يمكن لغيره أن يتوقف في مكان متكلا على معرفته وعلمه اتكالا كاملا، ولا يجد في نفسه حاجة إلى المزيد من التقدم والرقى؟ كلما تقدم المرء في علمه ومعرفته أدرك أن هناك أمورا كثيرة ما زالت بحاجة إلى الحل. إنه يرى بعض الأمور بادئ ذي بدء عابثة كليا - كطفل صغير يرى رسوم إقليدس عبثية - ولكن يتبين له في نهاية المطاف أن تلك الأمور حقائق. فكم هو ضروري للمرء بعد اتخاذه الخطوة الأولى أن يسعى لتكميل كل شيء بُغية زيادة العلم. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٥، عدد ١٧/٧/٢٠١٩م، ص ٥)

الآية ١١٦: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾

فليكن معلوما أن من ذنب حواء أنها استجابت للشيطان مباشرة وعصت حكم الله، فالحق أن حواء لم ترتكب ذنبا واحدا فقط بل أربع معاصٍ، (١) أولا: أنها استخفت بأمر إلهي، واعتبرته كاذبا (٢) ثانيا: صدّقت عدو الله الشيطان والكذب المتجسد مستحق العقوبة الأبدية (٣) ثالثا: لم تكتفِ باعتبار تلك المعصية عقيدة فقط بل قد خالفت أمر الله وارتكبت المعصية عمليا (٤) رابعا: إن حواء لم تخالف أمر الله وحدها فقط بل قد أغوت آدم أيضا ممثلة الشيطان، فأكل آدم من تلك الشجرة الممنوعة بإغواء حواء فقط. ولهذا السبب عُدت حواء عند الله آثمة جدا، بينما عُدَّ آدم معذورا، ومرتكب خطأ بسيط كما يظهر من الآية الكريمة ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ أي يقول الله في هذه الآية: إن آدم لم يخالف أمري متعمدا، بل قد خُيل إليه أن حواء حين أكلت من الشجرة ثم أعطته، فلعل ذلك بإذن من الله. ولهذا السبب لم يبرئ الله ساحة حواء في كتابه، لكن برأ ساحة آدم. أي قد قال بحقه:

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ وعاقب حواء عقابا شديدا، حيث جعلها خاضعة للرجل ومحتاجة إليه وقدّر لها مشاكل الحمل والولادة. ولما كان آدم قد خُلِقَ على صورة الله، لذا لم يستطع الشيطان مواجهته. ومن هنا يُستنبط أن الذي ليس في ولادته نصيب ذكورة فهو ضعيف، وبحسب التوراة من الصعب القول في حقه بأنه خُلِقَ على صورة الله أو هو مثل الله. صحيح أن آدم أيضا مات حتما، إلا أن هذا الموت ليس وليد الذنب، بل كان الموت منذ البداية قد جُعل جزءا من خلق الإنسان، فكان لا بد أن يموت حتى لو لم يرتكب الذنب. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٧٣، الحاشية في الحاشية)

الآية ١٢٢: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾

إن كلمة ﴿عَصَى﴾ هنا لا تعني العمد أبداً، لأن الله تعالى قد صرح في آية أخرى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ لقد ذكرني كلمة "عصى" هنا بالمثل القائل: "العصا لمن عصى"، وهذا يعني أن الإنسان لا يمكن أن يجتنب الذنوب إلا بالتجليات الجلالية فقط". (الحكم، المجلد ٥، رقم ٤٥، عدد: ١٠/١٢/١٩٠١م، ص ٢)

لا يؤاخذ المرء على ما في قلبه ما لم يعزم عليه. فمثلا إذا مرّ سارق من السوق ورأى في محل صائغ رزمة من النقود وطاف في نفسه طائف: ليت كان عندي أيضا مثلها، ثم عزم على سرقتها، ولكن لأمه قلبه فارتدع عن السرقة، فلن يكون مذنباً، ولكن إذا عقد العزم على سرقتها إن وجد فرصة لكان مذنباً. يقول الله تعالى في قصة آدم عليه السلام أيضا: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾. إن العبارة: ﴿عَصَى آدَمُ﴾ تعني أن الوضع ينم عن العصيان. فمثلا إذا أمر السيدُ خادما أن يعمل كذا سالكا سبيلا كذا وكذا، ولكنه إذا سلك مسلكا آخر باجتهاده لكان ذلك عصيانا بطبيعة الحال، ولكنه ليس متمردا عليه، بل سيُعدّ ذلك خطأً اجتهدايا لن يؤاخذ عليه. (بدر، المجلد ١، رقم ٣، عدد: ١٤/١١/١٩٠٢م، ص ١٨-١٩)

الآية ١٢٥: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

... أي من أعرض عن أمري ومال إلى ما يعارضه فله معيشة ضنكا. المراد من ضنك المعيشة هو أن صاحبه محروم من الحقائق والمعارف وسيُحشَر يوم القيامة أعمى. الآن، لو وجدنا حديثا يعارض القرآن الكريم بصراحة تامة وقبلناه في حالة معارضته أيضا دون أن نغير للمعارضة أدنى اهتمام فكأننا رضينا بأن نبقي محرومين من المعارف الحقّة وأن نُحشَر يوم القيامة عميانا. (الحق مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٣٧)

إن صاحب الحياة الفردوسية يتلذذ بذكر الله ﷻ كل حين وآن. أما الشقي الذي حياته جهنمية فهو يأكل الزقوم في هذا العالم أيضا كل حين وآن. وتكون حياته مُرة فهي التي سميت ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أيضا، وهي التي ستمثل في الزقوم يوم القيامة. باختصار؛ هناك علاقات متبادلة في كلتا الحالتين. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣٠، عدد ١٧/٨/١٩٠٣، ص ١٠)



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الأنبياء



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٤: ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾

يتناجى الكفار فيما بينهم ويقولون ما هو الزائد في هذا الذي يدّعي النبوة، فهو ليس إلا رجل بسيط. فهل تقعون في شرك السحر وأنتم تعلمون. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٤-٢٤٥)

(٢٤٥ الحاشية رقم ١١)

يا أيها الناس هل تقعون في السحر وأنتم تعلمون. (حقيقة الوحي، الخزائن

الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٧٤)

الآية ٥: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

قال الرسول ربي يعلم كل قول سواء أكان في السماء أو في الأرض لأنه هو السميع والعليم الذي لا يخفى عنه شيء. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٥ الحاشية رقم ١١)

الآية ٦: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاتُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾

استمعوا بآذان صاغية أن لتأييد دعواي هناك آيات للعقلاء والمتدبرين لدرجة لو وظّفوا الإنصاف والعدل لوجدوا لقناعتهم ذخيرة كافية شافية من الخوارق المقنعة، غير أنه إذا كان أحد لا يريد أن يكفّ عن الإنكار - على شاكلة من رأى معجزة النبي ﷺ في استجابة الدعاء ونزول المطر بعد إمساك المطر طويلا، فقال بعد رؤية المطر: إنها ليست معجزة، إذ قد ظهرت غيمة بالمصادفة فنزل المطر - فلا علاج عندنا لأمثال هؤلاء. لأن أمثال هؤلاء ظلوا يرون الخوارق من سيدنا ومولانا ﷺ، ومع ذلك ظلوا يقولون: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ فالذي يريد أن يرى آية فعليه أن ينظر أولا إلى آية ظهوري في عين الموعد الذي ذكره سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ بلسانه المبارك؛ أي رأس القرن. ثم قد قال ﷺ: إن في زمن غلبة الصليب سيظهر إنسان يكسر الصليب، وسماه النبي ﷺ المسيح ابن مريم. (عاقبة آتهم، الخزائن الروحانية، المجلد ١١، ص ٢٨٥)

اعلموا أن الأنبياء جميعا لعنوا أولئك الذين يطلبون من الأنبياء والمبعوثين آيات يقترحونها على أهوائهم. انتبهوا إلى ما قاله عيسى عليه السلام: "جِيلٌ شَرِيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلَا تُعْطَى لَهُ آيَةٌ". كذلك الذين كانوا يطلبون من سيدنا محمد المصطفى ﷺ آيات بحسب اقتراحهم فقد سماهم القرآن الكريم ملعونين، وقد أورد القرآن الكريم ذكرهم مقرونا باللعن مرارا، كالذين قالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾^٩ أي

أرنا آيات كما أراها موسى أو المسيح. فكانوا يطلبون تارة أن يرقى في السماء، ويقولون تارة أن يكون له بيت من زخرف، ولكنهم تلقوا الجواب بالنفي دائما. اقرؤوا القرآن الكريم كله من البداية إلى النهاية لن تجدوا كافرا طلب آية من اقتراحه أن يشفي رجل شخص أو عينه أو أن يُحيي ميتا ثم فعل له النبي ﷺ ذلك بالضبط. ولن تجدوا في الإنجيل أيضا أن الكفار جاؤوا طالبين آية وأعطوها. بل قال الصحابة للنبي ﷺ مرة بأن فلانا كان حديث الزواج وقد مات بلدغ حية فأحيه. قال النبي ﷺ: اذهبوا وادفنوا أحاكم.

ملخص الكلام أن القرآن الكريم زاخر بأن الكفار الخبثاء والفساقين من مكة كانوا يطلبون من النبي ﷺ أنواع الآيات وكانوا يُجرمون من تلبية طلبهم وكانوا يسمعون اللعنات من الله ﷻ. وقرأ الإنجيل كله ترى أن طالبي الآيات الذين اقترحوها على أهوائهم كانوا دائما يسمعون كلاما قاسيا من عيسى ﷺ.

فيا صاحبي، اتق الله إذ لا يمكن الاعتماد على الحياة. إن الله تعالى يُري الآيات على يدي، ولكن بحسب سنته القديمة الجارية مع أنبيائه. مما لا شك فيه أنه حتى لو جاء أحد في حلة الشيطان ملتزما بتلك السنة لأقنعتة بالآيات الإلهية، ولكن إذا أراد أن يرى ما يخالف سنة الله القديمة فليس له نصيب من هذه النعمة، ولسوف يموت محروما حتما كما مات أبو جهل وأمثاله محرومين. (التحفة الغزنوية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٥٥٨-٥٥٩)

لقد سبق أن سأل الكفار السؤال على المنوال نفسه قائلين: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ أي إذا كان النبي ﷺ صادقا فعليه أن يرينا آيات مشابهة لما جاء به موسى وغيره من أنبياء بني إسرائيل. فقد قال المشركون يجب أن يحيي لنا أمواتنا، أو يرقى في السماء على مرأى منا، ويأتي منها بكتاب نلمسه بأيدينا، وغير ذلك، ولكن الله تعالى لم يتبعهم كالمرووسين، وما أراهم إلا الآيات التي أراد إظهارها لهم، وفي بعض الأحيان قيل لمن يطلب آية: ألا يكفيك القرآن آية؟ وكان هذا الرد

حكيمًا جدًا لأنه يفهم كل عاقل أن الآيات على قسمين، نوع يصعب التفريق بينه وبين السحر والمكر والشعوذة، بل يستحيل ذلك؛ أما النوع الثاني فيتميز كليًا عن مثل هذه الأعمال المغشوشة، ولا تشوبها شائبة أو شبهة من السحر أو المكر أو الشعوذة أو الاحتيال، ومعجزة القرآن الكريم تتعلق بهذا النوع الثاني من الآيات، فهي معجزة لامعة براقعة تلمع كاللعل المنير من جميع الجوانب والنواحي. إن تحويل العصا إلى حية ليست بآية مميزة، فقد حولها موسى كما حولها السحرة أيضًا، ولا يفتأ بعض الناس يحولونها إلى حية، ولكننا لم نعرف إلى الآن بماذا تتميز حية المعجزة عن حية السحر. كذلك من يمارس عمل التَّزْب فإنه يكسب باعًا طويلاً في سلب الأمراض سواء أكانوا من المسيحيين أو الهندوس أو اليهود أو المسلمين أو الملحدين، وأحيانًا يُبرئون الناس بمشيئة الله تعالى من بعض الأمراض المزمنة كالجدام وغيره بواسطة هذا العمل فحسب. فمن الانخداع الاعتماد كليًا على شفاء الأمراض ما لم ترافقه نبوءة من النبوءات، كذلك فإن بعض المشعوذين اليوم يقفزون في النار ويخرجون منها دون أن تمسّهم بشيء، فهل يمكن إثبات أية حقيقة من خلال أعمال الشعوذة هذه؟ ولعلكم لا تعرفون شعوذة إنزال المن والسلوى حيث يقبضون من الناس فلوسًا زهيدة، ويرشون عليهم مقابل ذلك زبيباً وغيره. أما إذا رأيت المشعوذين والسحرة من أوروبا لبايعتم على أيديهم، إذ إنهم يقطعون الرأس عن طريق خدعة خفية ثم يوصلونه بالجسد مرة ثانية. أتذكر جيداً أنه كان في منطقة "جالندهر" مشعوذاً يُدعى "مهتاب علي" -الذي تاب وباع على يدي، ودخل جماعتي في نهاية المطاف- فقد أرى في أحد المجالس في بيتي عملاً من أعمال الشعوذة، فصرخ بعض المشايخ أمثالك قائلين: إنها كرامة واضحة. أيها الشيخ! لا تثبت الحقيقة بمثل هذه الأعمال ولا سيما في عصرنا الحاضر، إذ إن هذه الأعمال تزيد الإنسان شكوكاً، لأنه كثر في زمننا هذا عدد المشعوذين والسحرة الذين قد تسموهم أصحاب الكرامات عند رؤيتكم لأعمالهم، ولكن ليس لعاقل مطلع على هذه الأمور أن

يعتبرها آيات بينة. مثلاً لو أخفى أحد ورقة صغيرة في إبطه ثم أخرج منه حمامة بدلاً من تلك الورقة فلا يعتبره صاحب كرامات إلا أمثالك، أما العاقل الذي يعرف أعمال الشعوذة معرفة كافية فلا يعتبرها كرامة، بل يصفها بالخداع وخفة اليد، لذلك ما اعتُبرت هذه الأعمال في القرآن الكريم، ولا في التوراة من آيات صدق نبي من الأنبياء بأن يلعب بالنار، أو يحول الخشب إلى حية، أو يري مثل هذه الأعمال البهلوانية، بل الذي عُدد من آيات صدقه هو أن تتحقق نبوءاته أو تصدقه نبوءة من النبوءات السابقة، لأنه لو أظهر الله تعالى على أحد أمراً من أمور الغيب عن طريق استجابة الدعاء، ثم إذا تحقق ذلك الأمر فلا بد أن يكون دليلاً على أن ذلك الشخص من المقبولين، والقول بأن المنجمين أو الرمالين أو العرافين أيضاً يشتركون في هذا الأمر هو خيانة واضحة ومخالف للتعاليم القرآنية، لأن الله جلّ شأنه يقول: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ (الجن ٢٧-٢٨). فمع أن الله تعالى قد جعل الإظهار على الأمور الغيبية علامة خاصة لمرسليه حيث أكد على ذلك بقوله: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ (غافر ٢٩)، مع ذلك فالنظر إلى النبوءة بالاستخفاف والازدراء ومطالبة تحويل الخشب إلى حية هو من عمل هؤلاء المشايخ الذين تركوا التدبر في القرآن، كما أنهم يجهلون تطورات العصر الحاضر. (الآية السماوية، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٣٩٢-٣٩٥)

إن كلمة "الأولون" توحى بأن التقدم قد حصل في هذا الزمن الراهن. فلو حوّل النبي ﷺ العصا إلى ثعبان لما كان ذلك مؤثراً لأن مثل هذه الآيات كانت نافعة في بداية الزمن. تماماً كما أن السروال الذي خيط لطفل صغير لا ينفعه عند بلوغه سن الرشد. كذلك ما كان زمن النبي ﷺ محتاجاً إلى آيات مثل سابقاتها بل كانت فيه حاجة إلى خوارق كثيرة من الدرجة العليا. لذلك تتضمن آيات النبي ﷺ سلسلة خوارق علمية. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٤١، عدد ١٠/١١/١٩٠١ م ص ٤)

لقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان مثيل موسى، فهل لكم أن تثبتوا أنه ﷺ صنع من

العصا حيّة؟ لقد ظل الكفار يثيرون الاعتراض نفسه ويقولون: ﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾. المعجزة تكون بحسب الحالة الراهنة دائما، إذ لا تكفي آيات سابقة كما لا تكفي في كل زمان آيات من النوع نفسه. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٧، عدد ٢١٢/٢/١٩٠٣ م ص ٤)

الآية ٨: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

أي اسألوا اليهود والنصارى نموذج سنن الله وعاداته إن كنتم لا تعلمون. (كتاب البراءة، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٣)

يتبين بكل صراحة من كتب سابقة نزلت على أنبياء بني إسرائيل، بل قيل بذكر الاسم أيضا بأن المراد من يأجوج ومأجوج هم الأقوام المسيحية الأوروبية. وهذا البيان مذكور في تلك الكتب بصراحة بحيث لا يمكن إنكاره أبدا. أما القول بأن تلك الكتب محرفة لذا لا يمكن الثقة ببيائها، فلن يقوله إلا من يجهل القرآن الكريم، لأن الله جلّ شأنه يقول في القرآن الكريم للمؤمنين: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٤) أي اسألوا أهل الكتاب كذا وكذا إن كنتم لا تعلمون. فإذا كانت شهادة الكتب السابقة غير صحيحة في كل شيء لما قال الله تعالى للمؤمنين أن اسألوا أهل الكتاب إن كنتم لا تعلمون. وإذا كانت الاستفادة من كتب الأنبياء حراما بتاتا لكان غير جائز كذلك في تلك الحالة أن تقدّم نبوءاتها بحق النبي ﷺ على سبيل الاستدلال. بينما ظل الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون بعدهم يقدمون هذه النبوءات حجة. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٨٣، الحاشية)

إن الله ﷻ يحثنا في القرآن الكريم ويرغبنا في أن نبحث في الأمم السابقة عن نظير كل ما علّمنا من الأمور والأحداث، فسوف نجده عندهم. فأين نبحت عن نظير اعتقاد عودة الإنسان من السماء إلى هذا العالم بعد الموت، وعند من نلتمس باكين

أن يدلنا على هذا النموذج في سنن الله القديمة؟ فليخبرنا المعارضون من فضلهم هل حدث مثل هذا الحادث في الماضي أيضا؟ وهل عاش أيُّ إنسان في الماضي أيضًا في السماء ألف عام أو ألقي عام، ثم نزل واضعًا كُفَّيه على أكتاف الملائكة؟ فلو كان ذلك من سنة الله لوجد نظيره حتما في القرون الماضية، لأن الدنيا بقي منها القليل ومضى كثير منها، وليس في المستقبل أيُّ حادث لم يسبق له نظير في الماضي، مع أن الأمر الذي من سنة الله يجب أن يكون له نظير. يقول الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي كل جديد يُقال لكم فاسألوا أهل الكتاب عنه فسوف يُخبرونكم عن نظائره. أما هذا الحادث فليس عند اليهود والنصارى أيُّ نظير له سوى قصة إيليا. وقصة إيليا تشهد على ما يُخالف هذه العقيدة وتبين أن البعثة الثانية تكون بروزية. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٣٨٩)

الآية ٩: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾

الآية الثانية التي تدل على موت المسيح ابن مريم على وجه العموم هي: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾. كذلك قول الله تعالى بوجه عام: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِيَشَرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفْإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ (الأنبياء: ٣٥-٣٦). (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية المجلد ٣، ص ٢٦٥)

الاعتقاد بحياة المسيح على عكس ما تعلنه هذه الآيات بأعلى صوته، وكذلك الاعتقاد بحياته بجسده المادي في السماء الثانية دون الحاجة إلى الطعام مثل الملائكة - على عكس مفهوم الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ - هو انحراف تام عن كلام الله المقدس. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية المجلد ٣ ص ٢٧٧-٢٧٨)

عندما نتمعق في آية يقول الله جلَّ شأنه فيها: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾، وهذا يستلزم - بحسب اعتقاد خصومنا - أن يأكل المسيح الطعام في السماء ويتبرَّز، وتيسر له هنالك الحاجات البشرية الأخرى كلها،

مثل اللباس والأواني والمأكولات وغيرها. ولكن هل يثبت كل ذلك من القرآن الكريم والحديث الشريف؟ كلا.

لا يسع خصومنا إلا أن يقولوا في الجواب بأن حياته عليه السلام في السماء تختلف عن حياة الإنسان العادية، فهو ليس بحاجة إلى أيٍّ من الأشياء التي يحتاج إليها الإنسان الساكن على الأرض، وإن جسمه الآن من نوع خاص بحيث لم يعد بحاجة إلى الطعام ولا إلى اللباس ولا إلى البول والتبرز ولا يؤثر فيه الدهر كما يؤثر في الأجساد الأرضية، ولم يعد مكلفاً بأحكام الشريعة.

وجواب ذلك أن الله تعالى يقول بكل وضوح إن هذه الحاجات جزء لا يتجزأ من الأجساد المادية كلها ما دامت حيّة؛ فقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾. والواضح جلياً أنه قد ذُكر في الآية الجزء، وأريد منه الكل؛ فمع أنه عليه السلام قد قال بأنه ما جعل جسد نبيٍّ يمكن أن يعيش بغير الطعام، إلا أنه ذكر في هذا الصدد ضمناً جميع المستلزمات والنتائج التي تعقب تناول الطعام. فإذا رُفِع المسيح إلى السماء بجسده، فلا بد أن يأكل الطعام، وأن تلازمه حاجات ضرورية أخرى أيضاً مثل البول والتبرز، لأنه لا يمكن أن يكون كلام الله كاذباً.

وإن قلتم بأن المسيح لم يصعد إلى السماء بالجسد المادي، بل دُفن ذلك الجسد في الأرض، وأن الجسد النوراني الذي أُعطيه المسيح كان بريئاً من حاجات الأكل والشرب فُرفع بذلك الجسد. قلتُ: هذا هو الموت بعينه الذي أقررقوه أخيراً، وهذا ما نعتقد به نحن أيضاً؛ وهو أن المقدّسين يُعطون جسماً نورانياً بعد الممات. والنور الذي يصحبهم، يصبح لهم جسداً وبه يُرفَعون إلى السماء. هذا ما يشير إليه الله جلّ شأنه في قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١١). أي أن الأرواح الطيبة والنورانية تصعد إلى الله تعالى، والأعمال الصالحة ترفعها أكثر، أي كلما كثرت الأعمال الصالحة رُفعت الروح أكثر فأكثر. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٣٢-٣٣٣)

ولو قرأنا الآية المذكورة آنفاً ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ مع الآية: ﴿مَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ لتوصلنا إلى نتيجة قاطعة و يقينية أن المسيح ﷺ قد مات في الحقيقة، لأنه قد ثبت من الآية الأولى أنه لا يأكل الطعام الآن، وتقول الآية الثانية إنه لا مناص للجسم المادي من أكل الطعام ما دام حيا. والنتيجة الحتمية لذلك أنه ليس حيا الآن. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٢٦)

الحق أن في هذه الآية وحدها دلالة كافية على موت المسيح؛ لأنه ما دام الجسد المادي لا يستطيع العيش بدون الطعام - كما هي سنة الله - فكيف إذن يعيش المسيح ﷺ إلى الآن بدون الطعام؟ مع أن الله جلّ شأنه يقول: ﴿وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦٣). وإذا قال قائل بأن أهل الكهف أيضا يعيشون دون الطعام، قلتُ: إن حياتهم ليست في هذه الدنيا، وقد برهن حديث صحيح مسلم الذي يتحدث عن "مائة سنة"، على موتهم بكل جلاء. لا شك أننا نؤمن بأن أصحاب الكهف أحياء مثل الشهداء، وحياتهم كاملة، ولكنهم قد نجوا من الحياة الدنيوية الناقصة والمادية. فما معنى الحياة الدنيا وما حقيقتها؟ قد يظنها الجاهل أمرا ذا بال، ويصنّف تحتها كل أنواع الحياة المذكورة في القرآن الكريم، ولا يتنبّه إلى أن الحياة الدنيوية هي أدنى درجة - وقد استعاذ سيدنا خاتم النبيين أيضا من الجزء الأَرذل منها - وتصحبها مستلزمات سخيفة وكريهة، ولو حظي الإنسان بحياة أفضل من هذه الحياة السفلى دون أن يحدث أيّ خلل في سنة الله، فلا شيء أجمل من ذلك. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٢٦-٤٢٧)

^١ يشير حضرته ﷺ إلى حديث: "وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ." (المترجم)

الآية ١٨: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوَ لَا تَتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾

"وأي فائدة لكم في حياة المسيح أيها التَّوَكِّي مِنْ غير أنكم تنصرون به النصارى؟ أفلا تنظرون إلى الزمان وقد نزلت عليكم بليّة عظمى، وتنصّر فوج من قومكم وأحبائكم، وهلكت البلاد والعباد، واهتزّ عرش الرحمن لِمَا نزل، ففضى ما قضى. ولو أراد الله أن يُنزل أحداً من السماء كما زعمتم لكان خيراً لكم أن يُنزل نبيكم المصطفى. أما قرأتم قوله تعالى ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوَ لَا تَتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾.. يعني محمداً، فانظروا نظراً." (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ١٢٦-١٢٧)

الآية ٢٣: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾

لقد أقام الله تعالى هنا دليلاً عقلياً على أنه واحد لا شريك له فقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وقال تعالى أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ...﴾ (المؤمن: ٩٢) أي لو كان في الأرض والسماء إله سوى الله الجامع للصفات الكاملة لفسدتا، لأنه كان من المحتّم أن تعمل تلك المجموعة من الآلهة في حين من الأحيان عملاً تخالف فيه بعضها بعضاً، فيتطرق الفساد إلى العالم بسبب هذه الفرقة والخلاف والفساد. وكذلك لو كان هناك أكثر من خالق لأراد كل واحد منهم خيراً لخلقه هو، ولأجاز هلاك المخلوقات الأخرى لصالح خلقه هو. ولكان من شأن هذا العمل أيضاً أن يعيث في العالم فساداً. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥١٨-٥١٩، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

حين نصف الله ﷻ برب العرش فلا نقصد منه أنه ماديّ وله جسم، ومحتاج إلى العرش. بل المراد من العرش المكان الرفيع المقدس الذي له علاقة بهذا العالم والعالم الآخر على حد سواء. أما وصف الله بأنه على العرش في الحقيقة

فيعني أنه مالك الكونين، فكما أن الإنسان إذا كان جالسا على مكان مرتفع أو صعد إلى قصر منيف وعال جدا، فيمكن أن ينظر إلى يمينه ويساره، كذلك قد سُلِّمَ -على سبيل المجاز- بأن الله ﷻ يستوي على عرش يفوق كل عال ومرتفع، بحيث لا يخفى عليه شيء في هذا العالم ولا في العالم الآخر. إلا أن هذه المكانة توصف بالعلو لإفهام عامة الناس، لأنه إذا كان الله ﷻ في الحقيقة فوق الجميع وكل شيء خائراً على قدميه فإن لذاته علاقة بالجهة العلوية. فلا أحد واقع في الجهة العلوية إلا الذي يقع تحته العالمان. وهو كالمحطة الأخيرة، بحيث يتفرع من تحته عالمان عظيمان يحتوي كل منهما على آلاف العوالم التي لا يعلمها غيره ﷻ الذي هو مستوٍ على تلك المحطة الأخيرة التي تسمى العرش. لهذا فإن أرفع مكان يُتصور، حتى في الظاهر في المحطة العليا الواقعة فوق العالمين، يسمى بالعرش في الشريعة، وهذا الارتفاع يتحقق له لكون ذاته جامعة، لتكون إشارة إلى أنه مبدأ كل فيض ومرجع كل شيء ويسجد له كل مخلوق، وهو فوق كل شيء في ذاته وصفاته وكمالاته. وإلا فالقرآن يقول: ﴿أَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٦)، كما يقول: ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد: ٥)، ويقول: ﴿نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٧)، فهذا هو نموذج التعاليم الثلاثة. (القول الحق، الخزان الروحانية المجلد ١٠، ص ٣٠٠)

الآية ٢٤: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾

ليس لأحد أن يسأل الله لماذا فعل كذا ولماذا لم يفعل كذا ولكنه ﷻ يسأل عباده عن أفعالهم وأقوالهم. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ١٩٤)

الآية ٢٧: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾

يقول المسيحيون بأن الله قد اتخذ ولدا. هو بريء من الأبناء، بل هم عباده المكرمون. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ١٧٨)

الآية ٣٠: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَيْسَ بِنَجِيِّهِ جَهَنَّمُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾

"وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَيْسَ بِنَجِيِّهِ جَهَنَّمُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ"، واشترط قولَ الظالمين بلفظ ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ ليُخرج به قومًا أصبى الحبُّ قلوبهم وهيج كروهم حتى غلبت عليهم المحوِيَّةُ والسُّكْرُ وجنُونُ العاشقين، فخرجت من أفواههم كلماتٌ في مقام الفناء النظري والجذبات^١ السماوي، وورد عليهم وارد فكانوا من الوالهِين؛ فقال بعضهم: ما في جُبتِي إلا الله، وقال بعضهم: إن يدي هذه يد الله، وقال بعضهم: أنا وجه الله الذي وجَّهتم إليه، وأنا جنبُ الله الذي فرطتم فيه، وقال بعضهم: أنا أقول وأنا أسمع، فهل في الدار غيري، وقال بعضهم: أنا الحق؛ فهؤلاء كلهم معفوون، فإنهم نطقوا من غلبة كمال المحوية والانكسار، لا من الرعونة والاستكبار، وحقَّتْ بهم سُكْرُ صهباء العشق وجذبات الحب المختار، فخرجت هذه الأصوات من خوخة الفناء لا من غرفة الخيلاء، وما نقلوا الأقدام إلى دون الله بل فنوا في حضرة الكبرياء، فلا شك أنهم غير ملومين. ولا يجوز اتِّباع كلماتهم وحرص مضاهاتهم، بل هي كلمٌ يجب أن تُطوى لا أن تُروى، ولا يؤخذ الله إلا الذين كانوا من المتعمدين المجترئين." (نور الحق، الجزء الأول، الخزان الروحانية، المجلد ٨، ص ١٠٠-١٠١)

الآية ٣١: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾

ففتقناها.. أي كانت الحقائق والمعارف قد اختفت، فكشفناها بإرسال هذا الشخص. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٧٤)

يتبين من القرآن الكريم، وتصدقه البحوث الحالية أيضا؛ أن العالم الكبير أيضا كان كصِرة إلى اكتمال خلقته، كما يقول الله جلَّ شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ

^١ سهو، والصحيح: "الجذب"، كما تدل عليه الترجمة. (الناشر)

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا. فالكافرون لم يروا تخليق السماء والأرض ولم يروا تلك الصّرة، ولكن الإشارة هنا هي إلى السماء الروحانية والأرض الروحانية التي فُتحت صرّتها أمام كفار العرب وفاضت البركات السماوية على الأرض. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٩٠-١٩٢، الحاشية في الحاشية)

...أي كانت السماوات والأرض مغلقة كصرة ففتحنهما، بمعنى أن الأرض والسماء أبدت قوتهم الكاملة. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١١٠)

"اعلموا أيها الأعزة.. أن السماء والأرض كانتا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا اللهُ، فَكُشِطَتِ السَّمَاءُ بِأَمْرِهِ وَصَدَعَتْ، وَنَزَلَتْ نَوَادِرُ وَخَرَجَتْ، لِيَتَّبِعِيَ اللهُ عِبَادَهُ إِلَى أَيِّ جَهَةٍ يَمِيلُونَ. وَتَقَدَّمَتْ نَوَادِرُ الْأَرْضِ عَلَى نَوَادِرِ السَّمَاءِ، فَاغْتَرَّ النَّاسُ بِصَنَائِعِهَا وَعَجَائِبِ عُلُومِهَا وَغَرَائِبِ فَنُوحِهَا، وَكَادُوا يَهْلِكُونَ. فَظَرَّ الرَّبُّ الْكَرِيمُ إِلَى الْأَرْضِ وَرَأَى مَمْلُوءَةً مِنَ الْمَهْلِكَاتِ، وَمَتَرَعَةً مِنَ الْمَفْسَدَاتِ، وَرَأَى الْخَلْقَ مَفْتُونًا بِنَوَادِرِهَا، وَرَأَى الْمُتَنَصِّرِينَ أَنَّهُمْ ضَلُّوا وَيُضِلُّونَ، وَرَأَى فَلَاسَفَتَهُمْ اخْتَلَبُوا النَّاسَ بِعُلُومِهِمْ وَنَوَادِرِ فَنُوحِهِمْ، فَوَقَعَتْ تِلْكَ الْعُلُومُ فِي قُلُوبِ الْأَحْدَاثِ بِمَوْقِعٍ عَظِيمٍ كَأَنَّهُمْ سُحِرُوا فَجَذَبُوا إِلَى الشَّهَوَاتِ وَاسْتِيفَاءِ اللَّذَاتِ، وَالتَّحَقُّقِ بِالْبَهَائِمِ وَالْحَشَرَاتِ، وَعَصَاوَاهُمْ وَأَبْوِيهِمْ وَأَكَابِرِهِمْ، وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَرِيَّةَ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الْخَلَاعَةُ وَالْمَجُونُ. فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَحْفَظَ عِزَّ كِتَابِهِ وَدِينَ طَلَابِهِ، مِنْ فَتَنِ تِلْكَ النُّوَادِرِ كَمَا وَعَدَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ١٠). فَأَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَأَيْدَ عِبْدِهِ، فَضْلًا مِنْهُ وَرَحْمَةً، وَأَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَقُومَ بِالْإِنذَارِ، وَأَنْزَلَ مَعِيَ نَوَادِرَ النِّكَاتِ وَالْعُلُومِ وَالتَّأْيِيدَاتِ مِنَ السَّمَاءِ، لِيَكْسِرَ بِهَا نَوَادِرَ الْمُتَنَصِّرِينَ وَصَلْبِيهِمْ، وَيَحْتَقِرَ أَدْبَهُمْ وَأَدْيِيهِمْ، وَيَدْحُضَ حُجَّتَهُمْ، وَيَفْحَمَ بَعِيدَهُمْ وَقَرِيبَهُمْ. فَمَظْهَرُ نَوَادِرِ الْأَرْضِ وَفَتْحِهَا هُوَ الَّذِي سَمِيَ بِالْذِّجَالِ الْمُعْهُودِ، وَمَظْهَرُ نَوَادِرِ السَّمَاءِ

وأنوارها هو الذي سمي بالمسيح الموعود. خصمانِ تقابلا في زمن واحد، فليستمع المستمعون." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٤٧٩-٤٨١)

"إن السماوات والأرض كانتا رَتْقًا ففُتِّقَتَا في هذا الزمان ليُبتلى الصالحون والطالحون وكلُّ بما عمل يُجْزَى. فأخرج الله من الأرض ما كان من الأرض، وأنزل من السماء ما كان من السماوات العُلى، ففريق عُلِّمُوا مكائد الأرض، وفريق أُعْطُوا ما أُعْطِيَ الرسلُ من الهدى. وقُدِّرَ الفتح للسماويين في هذا الوعى، وإن تؤمنوا أو لا تؤمنوا لن يترك الله العبد الذي أرسله للورى. ولا تُضَاع الشمس لإنكار الأعمى. فريقان يختصمان في الرشد والهوى، وفُتِّحَتْ لفريق أبواب الأرض إلى تحت الثرى، وللثاني أبواب السماء إلى سِدرة المنتهى. أما الذين فُتِّحَتْ عليهم أبواب الأرض فهم يتبعون شيطانهم الذي أغوى، والذين فُتِّحَتْ عليهم أبواب السماء فهم ورثاء النبيين وقومٌ مطهَّرون من كل شُحٍّ وهوى، يدعون قومهم إلى ربهم ويمنعونهم مما يُشْرِكُ به في الأرض والسماوات العُلى." (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ١٢٧-١٢٩)

... أي كانت السماء والأرض مربوطتين كحزمة، وكانت أسرارها مخفية، ففكَّكناهما في زمن المسيح، وكشفنا أسرارهما. (الحكومة الإنجليزية والجهاد، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ١٧)

أليس من الحق أن الأرض فُتِّقَتْ في هذا الزمن فتقًا انكشفت به آلاف الحقائق الجديدة والخواص والأجهزة، فكيف يمكن أن تبقى السماء رَتْقًا وهناك نبوءة من الأنبياء السابقين تخبر عن فتق السماء وتلقِّي الأولاد والنساء أيضا الإلهام من الله في زمن المسيح الموعود. (الحكومة الإنجليزية والجهاد، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧ ص ١٧، الحاشية)

الآية ٣٤: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

ما يظنه علماء الفلك الأوروبيون المعاصرون، وهم فلاسفة أوروبا، عن وجود السماوات لا يتعارض مع بيان القرآن الكريم؛ فمع أن القرآن الكريم لم يعتبر السماوات قطبا محضا، إلا أنه لم يعتبر المادة السماوية التي تملأ القطب مادة صلبة وكثيفة ومتعسرة الخرق أيضا، بل عدها مادة ليّنة وكثيفة مثل الهواء أو الماء وتسبح فيها النجوم إذ يقول جلّ شأنه: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤١)، غير أن الإغريق حسبوا السماء أجساما كثيفة وطبقات متراكمة مثل قشر البصل، وعدّوا سماء الطبقة الأخيرة التي تحيط بالطبقات كلها منتهى المخلوقات جميعا، ويسمونها "فلك الأفلاك" و"المحدّد" أيضا، وهي تدور مع ثلاث سماوات أخرى تسمى "المدير" و"الجوزهر" و"المائل" -بحسب زعمهم- من المشرق إلى المغرب، وتدور السماوات الأخرى من المغرب إلى المشرق. ويزعمون أن الفلك "المحدّد" هو منتهى معمورة العالم بحيث لا خلاء بعدها. وكأن الله تعالى جعل من ممالكه المقبوضة جدارا ليس وراءه شيء من الخلاء.

لا يخفى ما يرد على رأي الإغريق هذا من اعتراضات. ولا ترد من حيث القياس فحسب بل تكذبهم التجربة أيضا. وما دامت المناظير في أيامنا هذه تكشف النجوم البعيدة أيضا وتُري الشمس والقمر وكأنهما على بُعد بضعة أميال فقط، فمن الغريب حقا أنه مع أن السماء، بحسب زعم الإغريق، جوهرٌ كثيف لدرجةٍ ليست قابلة للخرق والالتام، وكبيرة بحيث لا مجال للمقارنة بينها وبين الشمس والقمر من حيث ضخامتها، ولكنها مع ذلك لم تُشاهد بالمناظير الحالية. وإن لم تشاهد السماوات البعيدة لكان من المفترض أن تشاهد السماء الدنيا على الأقل وهي الأقرب من بينها. فمما لا شك فيه أن صورة العالم العلوي التي رسمها الإغريق ليست صحيحة،

وتقع عليها اعتراضات لا يمكن التخلص منها بأيّ حال.

أما حقيقة السماوات التي بيّنها القرآن الكريم فهي الأصح والأصوب ولا تقوم للإنسان قائمة دون قبولها، وكل ما يقال على العكس من ذلك فهو مبني على الجهل البحت أو التعصب المحض. إن القرآن الكريم لا يعتبر السماوات طبقات كثيفة مثل الفلاسفة اليونانيين، ولا يعدّها مثل بعض الجهال قطبا محضا ليس فيه شيء؛ فإن خطأ الشق الأول ظاهر من الناحية العقلية كما قلنا قبل قليل. أما الشق الثاني القائل بأن ليس للسماء وجودا ماديا قط وهي ليست إلا قطبا محضا، فيثبت أيضا أنه خطأ محض بناء على الاستقراء؛ لأننا لو أردنا البحث والتحقيق بواسطة تجاربنا الاستقرائية عن الجوّ الذي يتراءى لامعا أكثر مقارنة مع النجوم، لتبين بوضوح تام أن سنة الله أو قانون الله هو أنه ﷻ لم يترك أيّا من الأجواء خاليا محضا. فمن يخرق طبقات الهواء جالسا في المنطاد يمكن أن يشهد أنه كلما صعد إلى الأعلى في الجو لم يجد جزءا منه فارغا، فمن شأن هذا الاستقراء أن يعيننا كثيرا على الفهم أن تحديد السماء في حدود ليس صحيحا، وكذلك ليس صحيحا أيضا أن المراد من السماء هو الجوّ الفارغ أو القطب فقط ولا توجد فيه مادة مخلوقة. فبقدر ما وصلت تجارب رؤيتنا لم نر قطبا مجردا، فأنتى لنا أن نحكم بما يعارض استقراءنا المستمر ونقول بأن بعد هذا الجو المملوء هناك أنواع جوّ خالية تماما؟ هل هناك أيّ دليل ينافي الاستقراء الثابت؟ كلا. فكيف نقبل إذا وهما لا أصل له؟ وأنتى لنا أن نترك دليلا قاطعا بغير دليل مخالف وغالب؟

وإضافة إلى ذلك إن في ذلك إساءة إلى الله تعالى وكأنه كان عاجزا عن الخلق العام والكامل، لذلك خلق خلقا قليلا وترك بقية الجوّ غير المتناهي على حاله. ولا أفهم أيّ دليل قطعي ويقيني وقع في أيدي الذين يعتقدون بالقطب وحده أو يمكن أن يعتقدوا ضد الثبوت الاستقرائي القائل بأنه ما من جوّ يخلو من جوهر لطيف؟ إذا كان أحد يعتقد أنه لا يوجد بعد بعض الكرات المادية إلا القطب الذي لا نهاية

له، فتم عليه حجتنا بصراحة تامة نتيجة حجتنا الاستقرائية. والمعلوم أن معظم ما ثبت في هذه الدنيا فقد بُني على الاستقراء؛ فمثلا قولنا بأن للإنسان عينين، ولسانا وأذنين، ويخرج من رحم المرأة، ويكون طفلا ثم يشب ثم يشيخ حتى يموت في نهاية الأمر بعد أن ينال عمرا معينا، وكذلك قولنا بأن الإنسان ينام ويأكل وينظر بالعين ويشم بالأنف ويسمع بالأذنين، ويمشي بالقدمين ويعمل باليدين، وله رأس بين الأذنين، وكذلك هناك مئات الأمور الأخرى من هذا القبيل، وما اكتشفناه من أنواع الخواص في كل نوع من النباتات والجمادات والحيوانات؛ فهذه كلها لم يكن لها من سبيل سوى وسيلة الاستقراء؟

ولو كان لأحد كلام في الاستقراء لانقلبت كل هذه العلوم رأسا على عقب. وإذا خالجت قلوبهم شبهة أنه إذا كان للسموات وجودٌ فلماذا لا تُرى إداً؟ فجوابه أنه ليس شرطاً أن يكون كل وجود مرئياً. وأتى للكيان اللطيف أن يُرى؟ وأتى لمنظارٍ أن يكتشف وجوده؟

باختصار، إن الله تعالى عدّ السماوات كيانا لطيفا جدا. هذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي أن كل نجم يسبح في سمائه التي هي مداره. والحق أن الله تعالى لا يعدّ عرشه كـ "محدد" الإغريق، ولم يعتبره محدودا، بل عدّه طبقة عليا بحيث لا طبقة أعلى منها كيفاً وكمّاً. وليس الأمر مستحيلا ولا محالا للمخلوق وللموجود بل الأقرب من القياس أن الطبقة التي تُسمّى عرش الله لا بد أن تليق بالله وغير محدودة، مثل الله، من حيث سعتها.

ولو طُرح اعتراض أنه قد ورد أيضا في القرآن الكريم أن السماوات ستنتشق في وقت من الأوقات، فإذا كانت السماوات مادة لطيفة فما معنى انشقاقها إداً؟

فجوابه: إن المراد من "السماء" في القرآن الكريم في معظم الأحيان هو: "كل ما في السماء" بما فيه الشمس والقمر والنجوم كلها. وإضافة إلى ذلك إن كل جرم سواء أكان لطيفا أم كثيفا هو قابل للخرق، بل اللطيف يقبل الخرق أكثر، فما

الغربة لو حدث نوع من الخرق في مادة السماوات بحكم الرب القدير والحكيم؟ وذلك على الله يسير.

وفي الأخير جدير بالتذكر أيضا أنه من الخطأ الفادح حمل ألفاظ القرآن الكريم كلها على الظاهر. إن كلام الله جلّ شأنه مليء بالاستعارات الدقيقة لكونه بالغا الدرجة العليا من البلاغة؛ فإنّ الخوض في البحث عن كيفية حدوث انشقاق السماوات وانفجارها يُعدّ تدخلا بغير حق في مفاهيم هذه الكلمات الواسعة، وليس لنا إلا أن نقول بأن هذه الكلمات وغيرها من هذا القبيل تشير إلى فناء العالم المادي. إنّ ما يهدف إليه كلام الله هو أن هذا العالم المادي سيفنى بعد تكوينه. وكل ما بُني سوف يُمزَّق، وكل تركيب سيفكك، وكل جسم يتشتت ويصير ذرات، ويصيب الفناء كل جسد وصاحبه. ويتبين من عدة آيات في القرآن الكريم أن كلمات الانفجار والانشقاق الواردة في القرآن الكريم بحق السماوات لا تؤخذ بحرفيتها كما بحق جسم صلب وكثيف، فيقول الله جلّ شأنه: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر: ٦٨) أيّ سيطوي الله تعالى السماوات بيمينه عند فناء الدنيا؛ فلو كان المراد من شقّ السماوات هو الشق بالمعنى الحرفي، لعارضته كلمة "مطويات" وأعطت معنى مغايرا ومنافيا تماما لأنها لا تتضمن معنى الشق، بل تذكر الطّي فقط. وهناك آية في سورة الأنبياء وهي: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

وقد أورد الإمام البخاري حديثا كلماته: "وتكون السماوات بيمينه" جدية بالإمعان، أيّ أن المراد من الطّي أن الله تعالى سيخفي السماوات في يمينه. وكما أن هذه الأسباب ظاهرة حاليا والمسبب مخفي، أما عندها فسيكون المسبب ظاهرا وتختفي الأسباب في زاوية العدم، وكل شيء يرجع إليه ويختفي في تجلياته القاهرة، وسيترك كل شيء مقامه ومركزه وتحل محلّها التجليات الإلهية. وبعد فناء العلل الناقصة وانعدامها تظهر العلل التامة والكاملة للعيان. وإلى ذلك أشير في قوله تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٢٧-٢٨) وقوله ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (المؤمن: ١٧) أي سيفني الله تعالى كل شيء بتجلياته القاهرة ويظهر وحدانيته. وليس المراد من وعود الله تعالى أن يقول شيئاً اعتباطياً ثم يضطر لتحقيقه في كل الأحوال، لأن هذا النوع من الوعود لا يليق بعظمة الله الحكيم العليم، بل هذه خاصة الإنسان ضعيف البنيان الذي لا وعد من وعوده يخلو من موانع التكلف والضعف والاضطرار وقلة الحيلة، ومع كل ذلك يكون رهين الصدف وليس مبني على العلم واليقين والحكمة الأزلية. أما وعود الله تعالى فتصدر بحسب مقتضى صفاته الأزلية، وأن مواعيده فرع من فروع حكمته غير المتناهية.

وإذا اعترض هنا أحد وقال: لماذا حدّد الله تعالى السماوات في سبع سماوات، وما السبب في ذلك؟ فجوابه: الحقيقة أن هذه إشارة إلى تأثيرات مختلفة تجذبها نجوم مختلفة من طبقات سماوية مختلفة، ثم تُلقى بهذه التأثيرات على الأرض. فهذا ما هو مصرّح به في الآية: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق: ١٣) أي خلق الله سبع سماوات وكذلك سبع أرضين مثلهن، ثم ألقى تأثير السماوات السبع الذي ينشأ فيها بأمر الله على سبع أرضين لتعلموا أن الله تعالى قادر على خلق كل شيء وعلى إدارة كل نظام، وقادر قدرة تامة على إنجاز أعماله بشتى الطرق والأساليب، لكي تتوسع علومكم وتتقدموا في مختلف العلوم والفنون، وتنشأ عندكم علوم الفلك والطبيعة والطب والجغرافيا وغيرها، وتوجهكم إلى عظمة الله؛ فتعلموا كيف يحيط علم الله وحكمته الكاملة بكل شيء، وكيف تتعلق السماء وما فيها مع الأرض بتركيب أبلغ وترتيب أحكم، وكيف أعطى الله تعالى الأرض قوة مستقبلية وأعطى السماء وأجرامها قوة مؤثرة.

وليكن واضحاً أنه كما يتنزل الأمر من السماء بكلا الوجهين، المادي والروحاني،

وتنزل توجهات الملائكة إلى الأرض ممزوجة مع تأثيرات الأجرام السماوية، كذلك ومن أجل الاستقبال أُعْطِيت الأرضُ وأهلها كلتا القوتين، الروحانية والمادية، وذلك لتحقيق المساواة التامة بين المستقبلات والمؤثرات.

والمراد من الأرضين السبع هو طبقاتها السكنية السبع التي بعضها تحت بعض نسبيا. وليس في غير محله إن سَمَّينا الطبقات السبع باسم الأقاليم السبعة. ولكن لا ينخدعنَّ القراء الكرام هنا بتقسيم الأقاليم السبعة الذي تم بحسب العلوم الإغريقية - حيث أخذه من كتبهم الفلاسفة المسلمون أيضا في صدر الإسلام - أنه صحيح تماما وكامل، لأن ما أقصده من التقسيم هنا هو التقسيم الصحيح الذي لا تخرج أية معمورة عن نطاقه، بل تدخل فيه كل منطقة من مناطق الأرض. لا يهمنا إن كان هذا التقسيم الصحيح والكامل قد تمَّ إلى الآن أم لا، بل أقصد أن الفكرة بأنَّ الأرض يجب أن تُقسَم إلى سبعة أجزاء - التي ذهب إليها معظم الناس - كانت حصًّا إلهاميا وشاهدة على تقسيم الله تعالى.

وإذا اعتُرض على أن خلق الله للسموات والأرض في ستة أيام - كما ورد في القرآن الكريم مرارا - يدل على ضعفه، لأن كل شيء يجب أن يحدث على إثر إرادة الله فوراً، كما يقول تعالى بنفسه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٣) أي أنه إذا أراد الله لشيء أن يكون فإنَّ في أمره قوةً وقدرة بأن يقول للشيء الذي له وجود علمي بحسب علمه: كُنْ، فيكون.

وجواب هذه الشبهة هو أن مفهوم القدرة والقوة لا يستلزم أن يحدث ذلك الشيء هكذا اعتباطا بلا أدنى تأخير، ولا يدخل في مفهوم الإرادة أن يحدث الشيء المراد في الوقت نفسه حتمًا، بل سُسِّمَتِ القدرة والإرادة قدرةً كاملة وإرادة كاملة حين تتحقق بحسب مشيئة الفاعل الحقيقية عاجلا أم آجلا. فمثلا إذا كان أحد قادرا على المشي السريع وعاجزا عن المشي البطيء فلا يمكن عدّه كامل القدرة على المشي، بل الذي يملك قدرة على المشي السريع والبطيء كليهما هو الذي سيُعَدُّ كامل القدرة. أو إذا

كان أحد يمدّ يده دائما ولا يستطيع أن يقبضها، أو ييقى واقفا ولا يقدر على الجلوس ففي كل هذه الحالات لا يمكننا أن نُعده قويا، بل نعدّه مريضا ومعتلا.

فلباب القول إن القدرة لا تتحقق بوجه كامل إلا إذا كان صاحبها قادرا على كِلا الشقين؛ أي على السرعة والبطء. أما إذا كان قادرا على شقّ دون غيره فتلك ليست قدرة بل هو عجزٌ وضعف. واللافت أن معارضينا لا يرون قانون الله في الطبيعة بأنه ينزل قضاءه وقدره سريعا أحيانا وبطيئا أحيانا أخرى. وثابت أيضا أن صفات الغضب تظهر في معظم الأحيان على جناح السرعة، أما صفات اللطف فيبطء وتأخير. فمثلا يكتمل الإنسان ببقائه في البطن تسعة أشهر، أما الموت فلا حاجة له لأيّ بطء قط؛ فيكفي الإنسان إسهال واحد من الكوليرا لموته أو رحيله إلى عالم البقاء بعد أن يلفظ قليلا من الماء متقيئا، والجسد الذي اكتمل ماديا ونفسيا في سنوات طويلة يخلّذه في لمح البصر.

والآن أكتفي فيما كتبته ردا على هذا الاعتراض، ففيه كفاية، ولكن لا بد من التذكير بالتفصيل أن الإرادة الكاملة أيضا تقتضي كِلا الشقين، السرعة والبطء، مثل القدرة الكاملة تماما. فمثلا كما نستطيع أن نعقد إرادة أن يتحقق أمرٌ كذا وكذا حالا، كذلك نستطيع أن نعقدها أن يحدث ذلك بعد عشر سنوات. إن القطار والبرقيات وغيرها من الوسائل الكثيرة التي اكتُشفت ولا تزال تُكتشف في هذه الأيام، كانت دون أدنى شك في إرادة الله وعلمه منذ الأزل، ولكنها لم تظهر للعيان إلى آلاف السنين. إذًا، فالإرادة كانت موجودة منذ الأزل ولكنها ظلت طيّ الخفاء، ثم ظهرت في وقتها المناسب. وعندما حان الأوان سخر الله تعالى قوما لهذه البحوث والتحقيقات، ونصرهم حتى نجحوا في مساعيهم. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٣٨ - ١٧١، الحاشية في الحاشية)

هناك نقطة أخرى جديرة بالانتباه، ألا وهي أن الناس من النوع الثالث الذين

لهم علاقة كاملة مع الله تعالى ويتلقون وحيا كاملا خالصا، لا يستوون من حيث استقبال الفيوض الإلهية، كما لا تتساوى دائرة قواهم الفطرية، بل منهم مَن تكون دائرة قوته الفطرية أضيق، ومنهم مَن تكون دائرته أوسع منها، ومنهم مَن تكون دائرته أوسع كثيرا، وهناك مَن تفوق سعة دائرته التصور والخيال. يحظى بعض الناس بعلاقة قوية مع الله تعالى، وبعضهم علاقتهم معه ﷻ أقوى، ومنهم مَن لا تدرك الدنيا طبيعة علاقتهم معه، ولا يصل كنهها عقل. إنهم يغرقون في حب محبوبهم الأزلي فلا تبقى ذرة من وجودهم. وكل هؤلاء الحائزين على تلك المراتب لا يسبقون دائرة قواهم الفطرية بحسب الآية: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فلا يقدر أحد أن ينال نورا أكثر من قوته الفطرية ولا يسعه أن يعكس في نفسه صورة روحانية للشمس موهبته الفطرية، فيصغر هذا الوجه لأحد ويكبر لآخر بسبب النقص أو الازدياد في المواهب الفطرية. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٢٧-٢٨)

الآية ٣٥: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾
 معنى هذه الآية أن جميع الناس خاضعون لسنة الله تعالى الموحدة، وما نجا إلى الآن من الموت أحد، ولن ينجو في المستقبل أيضا. ومن معاني "الخلود" في اللغة؛ البقاء في حالة واحدة على الدوام، لأن التغيُّر تمهيد للموت والزوال. فتبين من نفي الخلود أن كل شخص مصيره إلى الموت، ومردّه إلى أرذل العمر بسبب تأثير الزمن. ومن هنا يتبين موت المسيح ابن مريم نتيجة امتداد الزمن، وتحولِه شيخا فانيا. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٧-٢٨-٢٩)

الآية ٣٨: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾
 أي العجلة في طبيعة الإنسان. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٥، الحاشية رقم ١١)

الآية ٣٩: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

أي يسأل الكفار متى سيتحقق هذا الادعاء؟ أخبرونا بتاريخ العذاب إن كنتم صادقين. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢٥٣)

الآية ٤٣: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾

أي قل للكافرين والعصاة بأنه لو لم يكن الله متحلياً بصفة ﴿الرَّحْمَنِ﴾ لما حظيتهم بالحماية من العذاب. أي من بركة رحمانية الله تعالى أنه يمهل الكافرين والملحدين ولا يؤاخذهم سريعاً. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٤٩، الحاشية رقم ١١)

الآية ٤٥: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾

يشير بعض الناس عن الطاعون أن أكبر عدد من الذين يموتون هم من الفقراء، أما كبار المعارضين فما زالوا محفوظين. ولكن سنة الله هي أن أئمة الكفر يُطش بهم في النهاية. فمثلاً إن العذابات التي نزلت بداية في زمن موسى عليه السلام بقي فرعون محفوظاً منها جميعاً. فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، أي تكون البداية من العوام ثم يُطش بالخواص فيما بعد. وحكمة الله في إنقاذ البعض هي أنه يكون مقدراً لهم أن يتوبوا في الأخير أو أن يُسلم بعض من أولادهم. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٥، عدد ٢٤ / ٤ / ١٩٠٢ م، ص ٧)

فزبدة الكلام أن من سنة الله الجارية نزول أنواع الآفات من السماء كلما أتى أحد من الله وكُذِّب، ومعظم الذين يُطش بهم فيها لا تكون لهم أية علاقة بذلك التكذيب. ثم يُطش بأئمة الكفر رويداً رويداً، وفي نهاية الأمر يأتي دور كبار الأشرار. وإلى هذا الأمر يشير الله تعالى في الآية: ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ

أَطْرَافَهَا﴾ أي نأتي الأرضَ رويدا رويدا. وفي كلامي هذا ردُّ أيضا على بعض السذج الذين يقولون إن المشايخ هم الذين كذبوا ولكن الذين ماتوا بالطاعون هم الفقراء من الناس. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٦٦)

الآية ٥١: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾

إن بيان القرآن المجيد لا يقتصر على السماع فقط، بل إن فيه براهين عقلية عظيمة لتفهم الناس، وليس بين كل ما عرضه من عقائد ومبادئ وأحكام شيء فيه جبرٌ وتحكمٌ، بل إن جميع مبادئه وقواعده - كما ذكر الله فيه بنفسه - منقوشة في فطرة الإنسان. وقد سمي القرآن "الذكر" كما في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ .. أي هذا القرآن ذا البركة لم يأت بأمر مُحدث، وإنما يُذكر الإنسان بكل ما هو مودَعٌ في فطرته، وما هو مرسوم في صحيفة الطبيعة. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٣٣)

الآية ٧٠: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾

لو عُدَّت قدرات الله الكاملة وربوبيته التامة منحصرة في قوانين محدودة وثابتة لاستلزم ذلك أن يُعَدَّ محدودا الشيء الذي سبق أن عدَّ غير محدود. فمن خطأ أتباع برهمو سماج الفادح أنهم يريدون أن يُقحموا قدرات الله اللامتناهية وربوبيته في دائرة تجاربهم الضيقة ولا يدرون أن الأمور التي تخضع لقانون ثابت ومحدد تقتضي أن يكون مفهومها محدودا. ولكن الحكم والقدرات الموجودة في ذاتٍ غير محدودة يجب أن تكون غير محدودة كذلك. هل لعاقل أن يقول إن الله القادر القدير يعرف عملية الخلق بطريقة كذا وكذا فقط وليس أكثر من ذلك؟ هل يمكن أن تُقاس قدراته غير المتناهية بمقياس بشري أو هل يمكن أن تعجز عن التصرف في العالم حكمه المبنية على القدرة المطلقة وغير المتناهية؟ لا شك أن يده القوية مهيمنة على كل ذرة، وليس قيام مخلوق من المخلوقات وبقاؤه نتيجة خلقه الذاتي المحكم، بل هو بفضل وبركته

ﷻ. وهناك مجالات كثيرة لإظهار قدراته الربانية، فلا نهاية لها داخلها ولا حد لها خارجها أيضا. فكما يمكن أن يخلق الله تعالى أسبابا خارجية لإزالة الحرارة من النار المشتعلة فتزول حدتها، كذلك يمكن أن يخلق الله ﷻ في النار نفسها أسبابا لإزالة صفة الإحراق منها تؤدي إلى اختفاء خاصة الإحراق منها لأنه لا شيء مستحيل أمام حكمه وقدراته غير المتناهية. وحين اعترفنا بأن حكمه وقدراته غير متناهية وجب أن نؤمن أيضا أنه من المستحيل أن نخطط بجميع حكمه وقدراته علما. فلا يمكن أن نسئ لحكمه التي لا حد لها وقدراته قانونا. والشيء الذي لا نعلم حدوده نكون عاجزين عن الإحاطة به علما. والمعلوم أننا كدائرة ضيقة وصغيرة جدا من عالم بني آدم، ولا نخطط بهذه الدائرة الضيقة أيضا علما، فمن غباوتنا الشديدة أن نقيس حكم الله تعالى وقدراته غير المحدودة بهذا المقياس الصغير بل الأصغر. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٨١-٤٨٨، الحاشية رقم ١١)

إن أثر اعتراض أنه لو اعترفنا أن حكمة الله غير المتناهية قادرة على سلسلة التغير غير المتناهية إلى أشياء أخرى لارتفع الأمان من حقائق الأشياء، فمثلا لو قلنا أن الله قادر على أن يسلب من الماء شكله الفيزيائي ويحل محله وضع الهواء النوعي، أو يسلب وضع الهواء النوعي ويحل محله وضع النار النوعي، أو يسلبه من النار ويحوّله إلى وضع الماء النوعي لأسباب خفية لا يعلمها إلا هو ﷻ، أو يحول التراب في جوف الأرض إلى ذهب نتيجة تصرفاته الدقيقة أو يحول الذهب ترابا لارتفع الأمان ولضاعت العلوم والفنون. فجوابه أن هذه الفكرة باطلة تماما لأننا نرى أن الله تعالى يدخل العناصر وغيرها في مئات أنواع التغيرات نتيجة حكمه الكامنة. فانظروا إلى الأرض مثلا كيف تحدث فيها تغيرات مختلفة نتيجة أنواع من التغيرات، فمنها يخرج سم الفأر والترياق، ومنها يخرج الذهب والفضة وغيرها من الجواهر الثمينة المختلفة. ومنها تصعد الأبخرة فتتكوّن أشياء مختلفة في جو السماء. ومن تلك الأبخرة يهطل الثلج ومنها يتكوّن البرد، ويتولّد البرق والصواعق. وقد

ثبت أن رماذاً أيضاً يسقط من جو السماء أحياناً. فهل تبطل العلوم بسبب هذه الأحداث أو يُرفع عنها الأمان؟ وإذا قلت: لقد أودع الله تعالى طبيعة هذه الأشياء قدرة على هذه التغيرات كلها سلفاً لقلتُ في الجواب: متى وأين قلتُ بأن الأشياء المتنازع فيها ما أودعت هذه القدرة المشتركة؟ بل المذهب السليم والصادق هو أن الله الذي هو واحد في ذاته قد خلق الأشياء كلها كشيء واحد لتدل على وحدانية خالق واحد. باختصار، قد وضع الله تعالى فيها بحسب الوحدة نفسها قدرة على التغير بمقتضى قدرته غير المحدودة فلا نرى شيئاً من المخلوقات سَلِمَ من التحول إلى حالة أخرى إلا الأرواح التي جُعِلت مصداقاً لـ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (الجن: ٢٤) بناءً على سعادتها أو شقاوتها وقد حدّد لها وعدُّ الله تعالى خِلقةً لا تبدّل. بل لو تعمّقت في الموضوع أكثر لوجدتم أن مبدأ التغير يعمل عمله باستمرار في كل جسم أيضاً. وقد أثبتت البحوث في علوم الطبيعة أن جسم الإنسان يتغير تماماً في غضون ثلاثة أعوام، وكأن الجسم السابق يتبخّر ذراتٍ. خذوا الماء أو النار مثلاً، فهما أيضاً لا يخلوان من التغير ويحكمهما نوعان من التغير. أولاً: تخرج بعض الجزيئات وتضاف إليها أخرى جديدة. ثانياً: الجزيئات التي تخرج تتولد ولادة جديدة بحسب قدراتها. باختصار، إن من سنة الله أن يتلي هذه الدنيا الفانية بدورات التغيرات. ويتبين بنظر دقيق أن هذه الأشياء كلها وحدة واحدة من حيث ماهيتها الحقيقية بسبب وحدانية الله مبدأ الفيض، وإن كان الإنسان لا يستطيع أن يكون خالقها بوجه كامل. وأتّى له أن يكون كذلك لأن الله تعالى الحكيم القدير لم يحوّل أحداً ليحيط بأسرار حكمته غير المتناهية.

وإذا قلت: أين التغير في الأجرام السماوية لقلتُ: لا شك أنها أيضاً تتضمن مادة التغير والتحلل - وإن لم ندركها نحن - لذلك فإنها معرضة للزوال والفناء في يوم من الأيام. وبالإضافة إلى ذلك يثبت بالنظر إلى ظاهرة التغير في آلاف الأشياء أنه ما من شيء يخلو منه، لذا عليك أن تنكر أولاً التغيرات الأرضية ثم يمكن أن تتوجّه إلى السماء.

توکار زمین را نکوساختی کہ با آسمان نیز پرداختی

أي: هل أنجزت كل شيء على الأرض على ما يرام حتى تريد الآن التدخل في أمور السماء؟

فما دمنّا نشاهد أنواع التغيرات كل يوم- كما تقتضي وحدانية الله تعالى أيضا أن يكون منبع هذه الأشياء ومبدؤها واحدا، وكذلك لا تقوم ألوهية الله التامة إلا إذا كان له تصوّف تام في كل ذرة- فإن استبعاد هذه التغيرات والاعتراض بأنه سيُرفع الأمان بسببها وتضييع العلوم ليس إلا خطأ فادحًا. أما قولنا بأن الله جلّ شأنه قادر على أن يستخدم الماء مكان النار، ويستعمل النار مكان الماء فلا يعني ذلك أنه لا يستخدم في ذلك حكمته غير المنتهية وأنه يستعمل الاستبدال، لأنه من المعلوم أن فعل الله لا يخلو من الحكمة، ويجب ألا يخلو منها بالفعل، فنقصد من هذا القول أنه عندما يريد الله استخدام الماء مكان النار أو العكس سيفعل ذلك بالحكمة التي تحكم كل ذرة في العالم، سواء أدركناها أم لم ندركها. والمعلوم أن العمل المبني على الحكمة لا يضيّع العلوم بل يؤدي إلى تطويرها. انظروا مثلا إلى صناعة الثلج الاصطناعي أو الضوء الكهربائي فهل يُرفع بهما الأمان أو تضييع العلوم؟

هنا يجدر الانتباه إلى سرّ آخر أيضا وهو أن الخوارق التي تظهر على أيدي الأولياء أحيانا كأن لا يُعرقهم الماء أو لا تضرهم النار، فالسر في ذلك أن الله الحكيم القدير- الذي لا يمكن للإنسان أن يحيط بأسراره اللامتناهية- يُري أحيانا تجلّي قدرته عند تركيز أوليائه وأحبابه ومقربيه فيتصرف تركيزهم في العالم. فالأسباب الخفية التي يمكن أن يؤدي اجتماعها إلى منع حرارة النار من تأثيرها، سواء أكانت تلك الأسباب تتمثل في تأثيرات الأجرام العليا أو تكون هناك مثلا خاصية كامنة للنار نفسها أو ميزة مكنونة في جسد الإنسان أو تكون مجموعة من تلك الخواص؛ فتتنشّط تلك الأسباب نتيجة ذلك التركيز والدعاء، فيبدو للعيان أمر خارق للعادة ولكن هذا لا يؤدي إلى رفع الثقة عن خصائص الأشياء ولا يسفر عن ضياع العلوم. بل الحق أن ذلك علّم بحد ذاته من جملة العلوم

الإلهية، فهو في محله. فمثلاً إن امتلاك النار صفة الإحراق بحد ذاتها في محله تماماً. بل قولوا إن شئتم إنها مواد روحانية تتغلب على النار وتُظهر تأثيرها وهي خاصةٌ بوقتها ومحلها. إن عقل الدنيا المادية لا يقدر على استيعاب حقيقة أن الإنسان الكامل يكون مهبطاً لتَجَلِّي روح الله. وعندما يأتي على الإنسان الكامل وقت ذلك التجلي تماماً يخشاه كل شيء كخشية الله. فألقوه عندئذ إن شئتم أمام وحش كاسر أو في النار فلن يصاب بضرر، لأن روح الله تعالى حينئذ تكون غالبية عليه. وقد عاهد كل شيء أن يخشاه. إن هذا آخر أسرار المعرفة الإلهية الذي لا يمكن استيعابه بدون صحبة الكاملين. وحيث إنها ظاهرة دقيقة المآخذ ونادرة الوقوع فليس كل فهِمٍ مَطْلَعاً على هذه الحكمة. ولكن تذكروا أن كل شيء يلبي نداء الله تعالى، وكل شيء تحت تصرف الله تعالى، وخیوط كل شيء مطوية بيد الله ﷻ. إن حكمته لا تعرف الحدود، وتبلغ كنه كل ذرة، وفي كل شيء خواص بقدر قدرات الله تعالى. ومن لا يؤمن بذلك فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الأنعام: ٩٢). ولأن الإنسان الكامل يكون أتمَّ مَظْهَرٍ للعالم كله، لذا ينجذب إليه العالم كله بين فينة وفينة. إنه عنكبوت العالم الروحاني، والعالم كله خيوطه. وهذا هو سرُّ الخوارق.

برکاروبار ہستی اثری ست عارفان را
ز جہان چہ دید آں کس کہ ندید ایں جہان را

أي: للعارفين تأثير في نظام هذا العالم، ومن لم ير هذا العالم فماذا رأى من الدنيا؟
(بركات الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٧-٣١، الحاشية)

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ أي يا نار الحمى كوني برداً وسلاماً. (نزول المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٥٣٨١٦٠، والبراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٢، الحاشية رقم ١)

من الواضح والمتحقق أن سيدنا ومولانا النبي ﷺ جاء حاملاً صفات إبراهيم ﷺ وطبيعته؛ فكما أن إبراهيم ألقى نفسه في النار لحبه التوحيد ثم نجا كلياً نتيجة صوت: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ كذلك ألقى نبينا ﷺ نفسه، لحبه التوحيد، في

نار الفتنة التي اضطرت في الأقوام كلها، أي في الدنيا كلها بعد بعثته ﷺ، ثم أنقذ من تلك النار كلياً بصوت الله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٨). (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١٥، ص ٤٧٦، الحاشية)

الحق أن الله تعالى لا يفعل أي فعل بطريقة غير عادية، بل إنه يخلق له الأسباب، عرفناها أم لم نعرفها. باختصار، الأسباب تكون موجودة هناك حتمًا، لذا فإن معجزة شق القمر أو معجزة ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ ليستا خارجتين عن الأسباب، بل هما نتاج أسباب خفية جدا، وهي مبنية على علوم حقيقية لا يقدر على إدراكها أصحاب النظر القصير المشغوفون بالفلسفة المظلمة. إنه لما يحيرني أنه ما دام عدم العلم بشيء لا يستلزم عدم وجود ذلك الشيء، فكيف يتجاسر الفيلسوف المتعالم الغبي على نفي تلك المعجزات الحقيقية نتيجة جهله بأسبابها؟ غير أن مذهبنا هو أن الله تعالى قادر على أن يُطلع عبدا من عباده على تلك الأسباب الخفية إن أراد، ولكنه ليس ضروريا. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٣٧)

يقول السيد عبد القادر الجيلاني بأنه عندما يريد المؤمن أن يصير مؤمنا؛ فلا بد أن تحل به آلام وابتلاءات لدرجة أن يحسب الموت قريبا منه. وعندما يبلغ هذه الحالة وتهيج رحمة الله تعالى يصدر الحكم: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ هذا هو القول الحق والأخير. ألم تسمع: إذا كان الله لك فلا خوف عليك. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٦، عدد ٢٤/١٢/١٩٠٢م، ص ٢)

إن اعتقادي هو أن الدعاء هو كل شيء. ولقد توصلت إلى نتيجة بعد التجارب المتكررة في هذا السن المتقدم بأنه لا حقيقة لأي شيء سوى الله. لا يستطيع أحد أن يحول الأبيض أسود ولا القديم جديدا. فيجب على الإنسان ألا يترك التوكل من يده. صحيح أن الإنسان يقلق بمقتضى البشرية. والأنبياء أيضا يشاركون في ذلك. قد أصاب النبي ﷺ أيضا اضطراب في بدر، لكن الفرق بين العامة والأنبياء هو أن اضطراب الأنبياء لا يتسم بيأس أبدا، بل يكونون واثقين جدًا بأن الله ﷻ لن

يضيعهم أبداً. أما أنا فلو ألقى بي في النار المضطربة فأؤمن بأني لن أضيع. صحيح أنني سأقلق على أنها نار ولكن ألمي سيقى قوياً بأني سوف أسمع حالا نداء ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ بينما يتسم قلق الآخرين بياس إذ لا يتوقعون من الله شيئاً، وهذا كفر. والخوف الذي ينشأ بمقتضى البشرية يدفعه الإيمان ويذبه. (بدر، مجلد ٢، رقم ٨، عدد ١٣/٣/١٩٠٣ م، ص ٦١)

الأوامر نوعان. فهناك أمر شرعي يمكن أن يخالفه المرء، والأوامر الأخرى كونية لا يمكن معارضتها، كما قال ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، ففي ذلك لا يمكن المعارضة، إذ لم يكن من وسع النار أن تخالف هذا الأمر أبداً. فالأوامر التي أعطاه الله ﷻ للإنسان في صورة الشريعة، مثل قوله ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أو ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (البقرة: ٤٦) حين يداوم عليها لمدة تنتقل هي الأخرى من الصبغة الشرعية إلى الكونية، ثم لا يكون من وسعه أن يعارضها. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٥، عدد ١٠/٧/١٩٠٣ م، ص ١٥)

(قيل للمسيح الموعود عليه السلام بأن الناس يعترضون على إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار، فقال:)

إن الأساس الحقيقي لاعتراضهم انتقاد المعجزات والحوارق، أنا بفضل الله أدعي، ولذلك قد بعثني الله ﷻ لأثبت صدق القرآن الكريم، بإظهار جميع المعجزات والحوارق التي ذكرها القرآن الكريم للأنبياء شخصياً. أنا أدعي أنه إذا ألقاني قوم من الدنيا في النار، أو أراد أن يصيبني بأي عذاب خطير أو مصيبة فسوف يعصمني الله منها حتما حسب وعده....

ذات يوم أثناء إقامتي في سيالكوت كنت جالسا مع عدد من الأصحاب في بيت إذ نزلت صاعقة وامتلأ البيت كله دخانا وانشقت عتبة الغرفة- التي كان شخص يجلس بجانبها- كأنها شقت بالمنشار، لكنه لم يتضرر أبداً ضرر. والجدير بالانتباه أن الصاعقة أصابت في اليوم نفسه معبد شيفاله لـ "تيجا سنغ" أيضا حيث كان الطريق ملتويا طويلا

داخله وكان يجلس في نهايته شخص فأصابته الصاعقة من خلال تلك الملتويات وأحرقته وحولته إلى فحم تماما، أفليس ذلك تصرفا إلهيا؟ حيث أنقذ شخصا وأهلك آخر، لقد وعدني الله ﷻ "والله يعصمك من الناس" وأنا أؤمن بذلك.

فليجرب ذلك أي معارض وليشعل النار وليلقنا فيها فلن تحرقنا النار أبدا، وسوف يعصمنا الله ﷻ حتما بحسب وعد. لكن ذلك لا يعني أن نرتمي بأنفسنا في النار. إذ ليس ذلك دأب الأنبياء بل قد قال الله ﷻ ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة ١٩٦). فنحن لا نرتمي في النار عن عمد وإنما هذا الوعد الإلهي في الحماية مقابل الأعداء، أنهم إذا أرادوا أن يحرقونا فلن تحرقنا النار أبدا. لذا إنني أرى أنه لا داعي للتكلف والتأويل، فنحن نؤمن أن له ﷻ تصرفات ظاهرية أيضا كما له تصرفات باطنية. بل من أجل ذلك قد ألهمني الله ﷻ سلفا "آگ سے ہمیں مت ڈرا، آگ ہمارى غلام بلکہ غلاموں کی غلام ہے؟" أي: لا تخوّفني من النار، فإن النار خادمة لنا، بل خادمة خدامنا. فليس هناك طريق آخر للإيقان الكامل بذاته ﷻ سوى أن يتجلى بنفسه. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤٧، عدد ١٦/١٢/١٩٠٣ م ص ٣٧٣)

لما كانت في هذا العالم أيضا جنة يعطاها المؤمن فبحسبها يحدث هنا تغيير أيضا، حيث يوهب له نوع خاص من الهيبة، بتأثير التجليات الإلهية، ويُمنع من ثوائر النفس الأمارة، ويعطى سكينۃ النفس المطمئنة والطمأنينة، وتجاب أدعيته حتى يقال في حقه "يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا" كما قيل بحق سيدنا إبراهيم ﷺ ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، وعند صدور هذا النداء تُبرد جميع ثوائره، ويجد في الله راحة واطمئننا ويحدث فيه تغيير، وما لم يحدث هذا التغيير تعد الأركان من الصلاة والصيام والشهادة والزكاة وغيرها شكلية وللاستعراض فقط، وليس فيها أي روح أو قوة. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٤ م، ص ٦)

الأحكام والأوامر نوعان، أحدهما ذو صبغة شرعية مثل: أقيموا الصلاة، وآتوا

الزكاة، ولا تسفكوا الدماء وما إلى ذلك، وهذا النوع من الأحكام يتضمن نبوءة أن بعض الناس سيخالفونها، فمثلاً قيل لليهود ألا يحرفوا التوراة، وكان فيه نبأ أن بعضهم سيحرفونها، وهذا ما حدث. فهذا أمر شرعي، وهو مصطلح شرعي. أما النوع الثاني من أوامر الله فهو أمرٌ كونيٌّ، ومثل هذا الأوامر تكون ذات صلة بالقضاء والقدر، ومثاله قول الله تعالى ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ وقد تحقق تمامًا. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٢، عدد ٣٠/١١/١٩٠٥ م، ص ٢)

إن نار الفتنة والفساد تُضرم ضد كل نبي، وهي التي تتخذ دائماً منحى بحيث يُظهر الله تعالى إزاءها قدرته المعجزة تأييداً لنبيه. أما إخماد النار المادية على إبراهيم عليه السلام فليس بأمر عسير على الله تعالى، بل مثل هذه الأحداث تقع في الدنيا دائماً. ولا حاجة بنا إلى كثير من البحث والتدقيق في أحداث حدثت مع إبراهيم عليه السلام إذ قد مضى عليه آلاف السنين، بينما أنا أرى وأجرب بنفسي مثل هذه الأحداث في هذا الزمن أيضاً. ذات مرة كنتُ في مدينة سيالكوت، وكان المطر ينزل يوماً، فنزلت صاعقة وضربت الغرفة التي كنت جالساً فيها، فامتألت الغرفة بالدخان وبرائحة كرائحة الكبريت، ولكن لم تصبني بضرر. ثم نزلت الصاعقة نفسها وفي الوقت نفسه على معبد هندوسي باسم معبد "تيجاسنغ"، وكان "تيجاسنغ" جالساً في المعبد وسط عدة جدران ملتوية على شكل حلزوني حيث يطوف بها الهندوس بحسب تقليدهم، فدخلت الصاعقة في المعبد ومرت بكل هذه الطرق الملتوية ووصلت إلى تيجاسنغ، فأحرقته حتى صار أسود اللون كالفحم. فترى أن نار الصاعقة نفسها قد أحرقته، ولكنها لم تصبني بضرر، لأن الله تعالى حماني.

هذا، وهناك حادث آخر وقع معي في سيالكوت: كنتُ ذات ليلة نائماً في الطابق الثاني من بيت، وكان ينام في الغرفة نفسها نحو خمسة عشر أو ستة عشر شخصاً آخرون. فسمعتُ صوتاً غريباً ينبعث من العارضة الخشبية التي تحمل السقف، فأيقظتُ أصحابي وقلت يبدو أن العارضة على وشك أن تنكسر، فلنخرج

من هنا فوراً. قالوا: ربما هناك فأزُّ يُحدث هذا الصوت، فلا داعي للقلق، وعادوا إلى سباتهم. ثم سمعت الصوت نفسه بعد هنيهة، فأيقظتهم ثانية، ولكنهم لم يكثرثوا لقولي. ثم سمعت الصوت مرة ثالثة، فأيقظتهم قسراً وأخرجتهم من الغرفة. وخرجت منها بعدهم، وما إن وضعت قدمي على الدرج الثاني إلا وسقط السقف، وانهار معه سقف الطابق الأول أيضاً وكسر الأسرة كليةً، ولكننا نجونا جميعاً. هذه هي حماية الله المعجزة، حيث بقيت العارضة دون الانهيار إلى أن خرجتُ من الغرفة.

كذلك عثرتُ مرةً على عقرب ميت على سريري داخل لحافي. وفي مرة أخرى عُثِر على عقرب حي يمشي داخل لحافي، ولكن الله نجاني من ضررها في كلتا المراتين. وذات مرة أصابت النار ثوبي على حين غرة مني، فرآها شخص آخر وأخبرني بها وأطفأها. فليس عند الله تعالى طريق واحد لإنقاذ الناس، بل عنده طرق كثيرة. وثمة أسباب كثيرة وراء خاصية الحرارة والإحراق في النار أيضاً، بعضها خافية لم يطلع عليها الناس، كما لم يكشفها الله تعالى على العالم بحيث تزول صفة الإحراق من النار؛ فلا غرابة في أن النار بردت على إبراهيم. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٢٠، عدد ١٠/٦/١٩٠٧م، ص ٣-٤)

الآية ٨٠: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَّمْنَا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾

..فهّمنا سليمان أي هذا العبد المتواضع. (البراهين الأحمدية، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٧٠، الحاشية في الحاشية رقم ٤)

الآية ٨٨: ﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

راجع فتح البيان وتفسير ابن كثير ومعالم التنزيل، أي اقرأ تفسير سورة الأنبياء وسورة يونس وسورة الصافات. وقرأ بتدبر الصفحة ١٨٨ من التفسير الكبير ليتبين

لك سبب الابتلاء، ألا إنما السبب أن يونس ﷺ كان قد زعم أن العذاب سينزل حتما. فلو كان هناك أي شرط من الله لما تعرض لهذا الابتلاء. فقد كتب صاحب التفسير الكبير "إنهم لما لم يؤمنوا أوعدهم بالعذاب، فلما كُشف العذاب منهم بعدما توعدّهم، خرج منهم مغاضبا." أي قد أُنذر قومه بالعذاب حين كان قد يؤس من إيمانهم. فلما رفع عنهم العذاب خرج غاضبًا. فقد تبينت الحقيقة الأصلية من هذه التفاسير أن يونس ﷺ بذل جهودا كثيرة أولا ليؤمن به قومه، فلما رأى جهوده عديمة الجدوى ويئس منهم نهائيا وعَدّهم بعد تلقي الوحي من الله بأن العذاب سينزل عليهم خلال ثلاثة أيام، وإن القول الأول الذي سجله صاحب التفسير الكبير قد أساء الشيخ الغبي فهمه، ولم يفكر أن بعده في الصفحة ١٨٨ وردت عبارة تؤكد أن نبوءة عذاب الموت كانت بلا أي شرط. وهذا القول الأخير هو قول المفسرين وابن مسعود والحسن والشعبي وسعيد بن جبير ووهب. ونقول مرة أخرى إن تأخر موعد تحقق الوعد ثابت من نصوص القرآن القطعية اليقينية كما تشهد على ذلك بقوة آية: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ (الأعراف: ١٤٣). فتأخر مواعيد الوعيد التي تدل على نزول العذاب وإلغاء العذاب بالتوبة والاستغفار والصدقات ثابت باتفاق جميع الأنبياء عليهم السلام، فقد ثبت تأخر هذه المواعيد بدرجة أولى، وإنكار ذلك من عمل السفه الغبي لا أهل البصيرة.

ويقول صاحب التفسير الكبير في صفحة ١٦٤ من تفسيره: "إن ذنبه - يعني ذنب يونس - كان لأن الله تعالى وعده إنزال الهلاك بقومه الذين كذبوه، فظن أنه نازل لا محالة، فلأجل هذا الظن لم يصبر على دعائهم، فكان الواجب عليه أن يستمر على الدعاء لجواز أن لا يهلكهم الله بالعذاب". فتكلم الآن أيها الشيخ، بأي جلاء ثبت أن يونس النبي كان يظن أن وعد الإهلاك نافذ لا محالة، وهذا ما جلب له الابتلاء إذ تأخر الموعد. وإن لم تكتف بهذا فراجع تفسير "الدر المنثور" للإمام السيوطي لسورة الأنبياء: قال: "أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس

قال: لما دعا يونس على قومه أوحى الله إليه أن العذاب يصيبهم.... فلما رأوه جأروا إلى الله ودعوا، وبكى النساء والولدان، ورغت الإبل وفصلائها، وخارت البقر وعجاجيلها، ولغت الغنم وسخالها، فرحمهم الله فصرف ذلك العذاب عنهم، وغضب يونس - زعما منه أن الله كان قد وعد بإنزال العذاب قطعاً، فلماذا أخلف - فقال: كذبت، فهو قوله: ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾. انظروا قد ابتلي يونس لدرجة أن خرج من فمه "كُذِبْتُ.." أي لماذا نزل عليّ الوحي الذي لم يكن ليتحقق نبوءته. فلو كان هناك شرط لهذا الوعد لما تفوّه يونس بجملة: "لم تتحقق نبوءتي" مع أنه كان قد اطلع على رجوع قومه إلى الحق. وإن قلت إن يونس لم يكن قد وصله خبر إيمانهم ورجوعهم، وكان يشك أنهم رغم كفرهم نجوا من العذاب لهذا قال: "لم تتحقق نبوءتي" فأردّ على هذه الشبهة رداً مفحماً قد سجله السيوطي في تفسير آية: ﴿وَإِنْ يونس.. الخ﴾ وهو: وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لما بعث الله يونس عليه السلام إلى أهل قريته، فردّوا عليه ما جاءهم به، فامتنعوا منه، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه: إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا، فاخرج من بين أظهرهم. فأعلم قومه الذي وعد الله من عذابه إياهم، فقالوا: ارمقوه فإن هو خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم. فلما كانت الليلة التي وعدوا العذاب في صبيحتها، أدلج فرآه القوم، فحذروا فخرجوا من القرية إلى يراز من أرضهم، وفرقوا بين كل دابة وولدها. ثم عجوا إلى الله، وأنابوا واستقالوا، فأقالهم وانتظر يونس عليه السلام الخبر عن القرية وأهلها. حتى مر مار فقال: ما فعل أهل القرية؟ قال: فعلوا أن نبههم لما خرج من بين أظهرهم عرفوا أنه قد صدقهم ما وعدهم من العذاب، فخرجوا من قريتهم إلى يراز من الأرض، ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها، ثم عجوا إلى الله، وتابوا إليه فقبل منهم، وآخر عنهم العذاب. فقال يونس عليه السلام عند ذلك: لا أرجع إليهم كذاباً أبداً، ومضى على وجهه.

أي قد بعث الله يونس إلى قرية فلم يؤمنوا به، وتوقفوا. فأوحى الله ﷻ إلى يونس أنه سينزل عليهم العذاب في يوم كذا، فأخبر يونس قومه جيدًا أن عذاب الله سيأتيهم في يوم كذا، ثم خرج من عندهم. فلما حل عليهم الليل الذي كان العذاب سينزل عليهم بعدها صباحًا رأى القوم آثار الخطر فخافوا وخرجوا إلى ميدان واسع في حدود أراضيهم، وفصلوا عن كل حيوان ولده. أي قد اخترعوا هذه الحيلة لإثارة رحمة الله الرحيم ليتوب عليهم بحيث أبعدوا الرضع عن الأمهات سواء كانوا للبشر أو الحيوانات ورموها بمعزل عنهن. فترتب على ذلك الفراق ضجة القيامة في ذلك الميدان، حيث أصابت الأمهات رقة متناهية بسبب فصل الرضع عنهن وتركهم في الغابة بمعزل. كما قد أثار الأولاد هم الآخرون ضجة مؤلمة نتيجة انفصالهم عن الأمهات الحبيبات وإحساسهم أنهم بعيدون عنهن. وبذلك امتلأت قلوب الجميع تألمًا ورفعوا أكف الضراعة إلى الله، وسألوه العفو. فعفا عنهم الإله الرحيم - الذي وسعت رحمته كل شيء - إثر ملاحظة حالهم البئيس. بينما يونس كان في الطرف الآخر ينتظر مآل تلك القرية وأهلها، حتى مرَّ به مسافر فسأله كيف حال هذه القرية؟ فقال له إنهم قد خرجوا إلى ميدان واسع في أراضيهم وفصلوا كل ولد عن أمه، وفي هذه الحالة رفعوا هتافات الضراعة والبكاء وتابوا إلى الله فسمع الله ضراعتهم وأخر عنهم العذاب. فقال يونس بعد سماع هذا القول: ما دامت توبتهم قد قبلت وأُخِّر عنهم العذاب فلن أتوجه إليهم كذابًا. فخرج من ذلك البلد خشية التكذيب. قل لي أيها الشيخ، هل اقتنعت أم ما زال هناك نقص؟ فالبديهي أنه إذا لم يكن الوحي بنزول العذاب قطعيا وكان قد أخبر القوم جانبًا آخر للإيمان لما خافوا وما تألموا في الميدان هكذا، بل ظلوا مطمئنين بوعده تأخر العذاب نتيجة إيفائهم بالشرط. وكذلك لو كان يونس ﷻ على علم من الله أن العذاب سيتأخر نتيجة الإيمان لما قال: لن أرجع إلى القوم إذ قد صرت كذابا في نظرهم، مع أنه كان قد سمع أن القوم تابوا وآمنوا، فلو كان وحيه يتضمن هذا الشرط أيضا لكان عليه أن يفرح لأن النبوة

تحققت، لا أن يخرج من وطنه ويعرض نفسه لطامة كبرى. فكل كلمة من القرآن تدل على أنه ابتلي ابتلاء شديدا، والحديث فسر تفصيل الابتلاء. وإذا كان أي شيخ أو شاب ما زال ينكر فهذا تمرده صراحة. (أنوار الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ١١٩-١٢٤)

إن كتاب يونان - أي يونس - النبي الموجود في الكتاب المقدس قد ورد في إصحاحه ٣: {فَابْتَدَأَ يُونَانُ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ (أي نينوى) مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَنَادَى وَقَالَ: «بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تَنْقَلِبُ نَيْنَوَى». فَأَمَّنْ أَهْلُ نَيْنَوَى بِاللَّهِ وَنَادَوْا بِصَوْمٍ وَلَيْسُوا مُسُوْحًا مِنْ كِبِيرِهِمْ إِلَى صَغِيرِهِمْ... فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ أَعْمَاهُمْ أَتَّهُمْ رَجَعُوا عَنْ طَرِيقِهِمُ الرَّدِيقَةَ، نَدِمَ اللَّهُ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي تَكَلَّمَ أَنَّ يَصْنَعُهُ بِهِمْ، فَلَمْ يَصْنَعْهُ. } (يُونَان ٣ : ٤، ٦، ١٠) وورد في الإصحاح ٤: {فَعَمَّ ذَلِكَ يُونَانَ غَمًّا شَدِيدًا، فَأَغْتَاظَ. وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «فَالآنَ يَارَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لِأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي» } (يُونَان ٤ : ١-٣).

انظر الآن أيها الشيخ بفتح العينين، كيف ثبت من سفر النبي يونس قطعا أن عذاب الموت تأخر، كما ثبت يقينا أنه لم يكن مع تلك النبوءة أي شرط. ولهذا كان يونس قد تمنى الموت حزينا. ... بهذا العفو قد استؤصلت عقيدة كفارة النصراري أيضا، لأن قوم يونس كانوا قد نجوا بالتوبة والاستغفار فقط. أما يونس فقد كان يريد أن ينزل عليهم العذاب حصرا. (أنوار الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ١٢٣-١٢٤، الحاشية)

"أنتم تعلمون يا أولي الألباب، أن قوم يونس عُصِمُوا من العذاب، مع أنه لم يكن شرط التوبة في نبأ الله رب الأرباب، ولأجل ذلك ذهب يونس مغاضبا من حضرة الكبرياء، وتاه في فلووات الابتلاء، ولذلك سماه الله يُونَسَ لأنه أُونِسَ بعد الإبلان، وفاز بعد اليأس، وما أضاعه أرحم الراحمين. فلا شك أن البلاء كله ورد عليه لعدم الشرط في نبأ الرحمن، ولو كان شرط يعلمه لما فرّ كالغضبان، ولما تاه كالمبهوتين. ولما

ترك يونس بسوء فهمه الاستقامة والاستقلال، وتحرى الجلاء والانتقال، أدخله الله في بطن الحوت، ثم نبذه الحوت في عراء الشبوت، ورأى كل ذلك بما أعلن ضجر قلبه بالحركة من المقام، وفارق مقره من غير إذن الله العلام، وفعل فعل المستعجلين. وإدخاله في بطن الحوت كان إشارة إلى مُحَاوَةِ صَدَرَ منه كالمبهوت، وكذلك سماه الله ذا النون، بما ظهر منه حِدَّةٌ وُثُوْنٌ، بالغضب المكنون، ولا يليق لأحد أن يغضب على رب العالمين.

فالحاصل أن قصة يونس في كلام الله القدير، دليل على أنه قد يؤخَّر عذاب الله من غير شرط يوجب حكم التأخير، كما أُخِّرَ في نبأ يونس بعد التشهير، فكيف في نبأ يوجد فيه شرط الرجوع؟ ففكّر بالخضوع والخشوع، ولا تنسَ حظك من التقوى والدين. وإن قصة يونس موجودة في القرآن والكتب السابقة والأحاديث النبوية، وليس هناك ذكر شرط مع ذكر العقوبة، وإن لم تقبل فعليك أن تُرينا شرطاً في تلك القصة، فلا تكن كالأعمى مع وجود البصارة. واعلم أن الشرط لم يكن أصلاً في القصة المذكورة، ولأجل ذلك ابتلي يونس وصار من المومنين، ونزلت عليه الموموم، وأخذه الضجر المذموم، حتى استشرف به التلف، ونسي كلَّ بلاء سلف، وظنَّ أنه من المُفْتَتِنين. فما كان سبب افتنانه إلا أنه استيقن أن العذاب قطعي لا يُردّ، وأنه سيقع في الميعاد كما يودّ، فانقضى الميعاد وما استنشى من العذاب ريحاً، وما استغشى لباساً مريحاً، فأضجره هذا الدُّكار، واستهوته الأفكار، وكان رأى القوم غالين في المراء، ومُتَبَرِّين بالإباء، فحسب أنه من المغلوبين. فقال لن أرجع إليهم كذَّاباً ولن أسمع لعن الأشرار، وما رأى طريقاً يختاره، فألقى نفسه في البحر الزخار، فتداركه رحمُ ربّه والتقمه الحوت بحكم الله الجبار، ورأى ما رأى بقلب حزين. فمن المعلوم أنه لو كان شرط في نزول العذاب، لما اضطر يونس إلى هذا الاضطراب، وما فر كالمُتندمين. أما تقرأ كتب الأولين وقول خاتم النبيين؟ أبتجد فيها أثراً من الشرط؟ فأُخْرِجْ لنا إن كنت من الصادقين.

فالآن ما رأيك في أنباء قُيِّدَتْ بشرط الرجوع والتوبة؟ أليس بواجب أن يرضى الله شروطه بالفضل والرحمة؟ (عاقبة آثمهم، الخزائن الروحانية، المجلد ١١، ص ٢٢٥-٢٢٨)

إن الله كريم، وتأخير موعد الوعيد إلى وقت آخر نظرا إلى التوبة والرجوع هو عين الكرم. ولما كان التأجيل من سنة الله الكريم من منطلق وعده الأزلي المذكور في جميع كتبه المقدسة فلا يمكن تسميته إخلافا بالوعد بل هو إيفاءه بعينه لأن ذلك يؤدي إلى تحقق وعد الله المذكور في سنته. بل كان إخلاف الوعد لو أُلغي الوعد العظيم الشأن لسنة الله تعالى. ولكن هذا لا يمكن بحال لأن ذلك يستلزم بطلان كتب الله كلها. (مجموعة الإعلانات، مجلد ١، ص ٤٣٧، الحاشية)

القرآن الكريم زاخر بتعليم أنه إذا كانت التوبة والاستغفار قبل نزول العذاب يزول موعد نزوله. لقد جاء في الكتاب المقدس عن أحد ملوك بني إسرائيل أنه قد سبق أن نزل وحي واضح بحقه بأنه لم يبق من حياته إلى ١٥ يوما، ثم يموت، ولكن الله تعالى استبدل وعده لـ ١٥ يوما إلى ١٥ عاما نتيجة دعائه وتضرعه. لقد سجل المفسرون هذه القصة بل سجلوا أحاديث أخرى كثيرة أيضا من هذا القبيل ذكرها مدعاة للإطالة كثيرا. بل إضافة إلى زوال الوعيد الذي يدخل في كرم الله تعالى ذهب أكابر الصوفية إلى أن الوعد أيضا يمكن أن يزول أحيانا. وإن زواله يكون مدعاة لارتقاء درجات أولياء الله. انظروا "فيوض الحرمين" للشاه ولي الله، و"فتوح الغيب" للسيد عبد القادر الجيلاني. إن زوال المواعد والوعيد سنة الله التي لا يسع أحدا إنكارها إلا من كان جاهلا شديدا الجهل. لقد وعد موسى ثلاثين ليلة لنزول التوراة ولم يكن هناك شرط مع الوعد ولكنه لم يبق على حاله بل زيدت عليه عشرة أيام، مما أدى إلى وقوع بني إسرائيل في فتنة عبادة العجل. فلما كان ثابتا بالقطع من النص الصريح أن الله تعالى يستطيع أن يلغي موعد الوعد أيضا الذي لم يصرح معه بأي شرط فإن التأخير في موعد الوعيد عند التوبة يدخل في لطفه ﷻ. لقد قلت

من قبل بأنه لو زال موعد العذاب نتيجة التوبة والاستغفار فهذا لا يسمّى إخلاف الوعد لأن الوعد العظيم من سنة الله. فلما تحققت سنة الله كان ذلك إيفاء بالوعد لا إخلافه. (مجموعة الإعلانات، المجلد ١، ص ٤٤٦-٤٤٧)

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ اعلموا أن المراد من الوعد هو ما تقرر في علم الله كوعد، وليس الذي يحسبه الإنسان وعدا قاطعا بحسب زعمه هو. لذا الألف واللام الذي ورد في "الميعاد" يفيد العهد، أي الأمر الذي سُمّي وعدا في إرادة الله القديمة وهو غير متبدّل سواء أعلم الإنسان بتفاصيله أم لا. وإلا من الممكن أن البشارة التي يحسبها الإنسان وعدا يكون فيها شرط مخفي وعدم تحقيقه يستلزم عدم تحقق البشارة لأن إظهار الشروط ليس حقا واجبا على الله. لقد كتب الشاه ولي الله في هذا البحث بالإسهاب، كذلك فضّله الشيخ عبد الحق الدهلوي أيضا على خير ما يرام في شرح فتوح الغيب وقال بأن تضرع النبي ﷺ ودعائه بإلحاح في معركة بدر كان ناتجا عن فكرة إمكانية وجود الشروط المخفية في مواعيد الله وبشاراته. وهذه سنة الله لكي تبقى هيبته وعظمته مستولية على عباده الخواص.

خلاصة الكلام أن الله تعالى لا يخلف مواعيده، هذا لا شك فيه بل تتحقق كما هي في علمه ﷻ، ولكن الإنسان ناقص العقل يفهمها كأن فيها إخلافا لأنه لا يكون مطلعا على بعض الشروط الخفية التي تحوّل النبوءة إلى حالة أخرى. ولقد كتبت من قبل أنه لا بد من الانتباه في النبوءات الإلهامية إلى أنها تتحقق بحسب الشروط المذكورة في سنة الله وكتابه ﷻ سواء أوجدت في إلهام ولي أم لا. (مجموعة الإعلانات، المجلد ١، ص ٤٤٧-٤٤٨، الحاشية)

الدعاء جنة عظيمة لإحراز النجاح. لقد نجا قوم يونس عليه السلام من عذاب آتٍ نتيجة التضرع والبكاء. أرى أن المحاولة هي المغاضبة، والحوث هو السمك، والنون هو التسرع والسمك أيضا، فحالة يونس عليه السلام تلك كانت مغاضبة. الواقع أنه عندما لم ينزل العذاب على القوم خطر ببال يونس خاطر الشكوى بأن نبوءته ودعائه

ذهبا سدّي، وأن قوله لم يتحقق، وهذه كانت حالة مغاضبته. وفي ذلك درسٌ بأن الله تعالى قد يغيّر قدره، وأن التضرع والابتهاال والصدقات تُلغي عقوبة الجريمة الثابتة. ومن هنا استُمدّ مبدأ إخراج الصدقات، وهذه الطرق ترضي الله تعالى. المال هو الكِبْدُ في علم الرؤى، فإخراج الصدقات هو بمنزلة الفداء بالنفس، فعندما يدفع المرء الصدقات يؤكد صدقه وثباته أيما تأكيد! والحق أن الكلام لا ينفع المرء شيئاً ما لم يؤكد به عمله. وإنما تسمى الصدقة صدقةً لأنها تضع العلامة على الصادقين. ورد في "الدر المنثور" في سوانح يونس عليه السلام أنه قال الله تعالى: كنتُ أعلم سلفاً أنه إذا جاءك أحد ستترحم عليه، وهو يماثل الحديث القدسي:

ايس مشتم خاك را گر نه بخشم چه كنم

أي: إن لم أغفر لهذه الحفنة من التراب فماذا أفعل؟ (الحكم، المجلد ٢، رقم ٢، عدد ٦/٣/١٨٩٨ م، ص ٢)

الآية ٩٠: ﴿وَزَكْرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾

أي لا تتركني وحيداً واجعلي جماعة. (الحكم، المجلد ١١، رقم ٣، عدد: ٢٤/١/١٩٠٧ م، ص ٩)

الآية ٩٢-٩٥: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ * إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾

حين أحصنت مريم فرجها من غير المحرم، أي تحلت بمنتهى العفاف، جزيناها على ذلك بحيث رزقناها ولداً قد خلُق من نفخ روح القدس. وفي ذلك إشارة إلى أن خلق الأولاد في العالم على نوعين، (١) أحدهما من يؤثر فيهم نفخ روح القدس، وهؤلاء الأولاد هم أولئك الذين تكون أمهاتهم عفيفات وطاهرات الأفكار عندما

تستقر في أرحامهن النطفة. فهؤلاء الأولاد يكونون أطهارا، ولا يكون للشيطان نصيب فيهم. (٢) النوع الثاني أولئك النساء اللاتي أوضاعهن في أغلب الأحوال سيئة وخبيثة، فيتخذ الشيطان من أولادهن نصيبا كما تشير إلى ذلك الآية: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (الإسراء: ٦٥) بحيث وجه الخطاب إلى الشيطان أن يكون شريكهم في الأموال والأولاد. أي سوف يجمعن أموال الحرام وينجبن أولادا خبيثين. فمن الخطأ الاعتقاد أن نفخ الروح يخص عيسى ﷺ دون غيره. كلا بل إن هذه الفكرة قريبة من الكفر والعياذ بالله. إنما الحقيقة الأصلية أن القرآن الكريم بيّن نوعين من الاشتراك في ولادة الناس: (١) أحدهما اشتراك روح القدس، وذلك عندما لا تكون السفالة والخبث مستوليين على أفكار الوالدين، (٢) والثاني اشتراك الشيطان، وذلك عندما يستولي الخبث والسفالة على أفكارهما، وإلى ذلك تشير الآية: ﴿لَا يَلِدُوا إِلَّا فَاَجِرًا كَفَرًا﴾ (نوح: ٢٨). فلا شك أن عيسى ﷺ كان من أولئك الذين لا تكون ولادتهم نتيجة مسّ الشيطان ولا من نفخ إبليس. أما ولادته بدون الأب فهذا أمر آخر لا يمت إلى روح القدس بصلة... إنما أولاد روح القدس من يستقرون في أرحام أمهاتهم نتيجة اختلاط الرجال والإناث كاملي العفاف. ومقابلهم أولاد الشيطان، هذا ما شهدت به جميع الكتب الإلهية دوما. ومعنى بقية الآية هو أنا جعلنا مريم وابنها آية لبي إسرائيل وللذين يفهمون، وفي ذلك إشارة إلى أن الله بخلق عيسى بدون أب فهم بني إسرائيل أن النبوة قد انقطعت في بني إسرائيل عقابا على أعمالهم السيئة لأن عيسى ليس إسرائيلي من قبل الأب. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٩٧-٢٩٨)

أي لقد هدى الله مرأة أخصنت فرجها من غير محرم فقال ﷻ: ﴿نَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ أي للدنيا كلها. وقال الله تعالى ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاغِبُونَ﴾.

(شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣١٠)

قال ﷺ رداً على سؤال: إنكم تقدمون دليلاً على أن مريم لم تتزوج مدى عمرها أنه قد ورد في القرآن الكريم: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: وقد أطلقت كلمة "المحصنات" على السيدات المتزوجات أيضاً في القرآن الكريم حيث جاء فيه: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ والعبارة: ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ تعني أنها حفظت نفسها من الزنا، فكيف يُستبطن منه أنها لم تتزوج مدى حياتها؟ (الحكم المجلد ٦، رقم ٣٦، عدد: ١٠/١٠/١٩٠٢م، ص ١٠)

القرآن الكريم أصلح أخطاء كلاً القومين (اليهود والنصارى) وأخبر المسيحيين أنه ﷺ كان رسول الله وليس بإله، ولم يكن ملعوناً بل كان قد رُفع. وأخبر اليهود أنه لم يكن زانياً، بل كانت مريم صديقة ونُفخت فيها الروح لأنها: ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤، عدد ٣١/١/١٩٠٢م، ص ٣)

قال ﷺ في الرد على اعتراض المعارضين على أن جملة ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ تنافي مقتضى التحضر: الذين يؤمنون بالله خالقاً هل يحسبون هذا الخلق لغوا وباطلاً؟ عندما خلق تلك الأعضاء هل كانت هناك أية حضارة موجودة؟ إذا كانوا يؤمنون بالله خالقاً ولا يعترضون على الخلق فلماذا الاعتراض على هذا القول؟ يجب الانتباه هل استخدام هذه الكلمة في لغة العرب ينافي التحضر في أعرافهم؟ ما دام الأمر ليس كذلك فلا يحق لأصحاب لغة أخرى أن يحسبوا منافية للتحضر بحسب أعرافهم. فالكلمات العرفية والمصطلحات تختلف من مجتمع إلى آخر. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢م، ص ١٠)

لقد ضرب الله تعالى للمؤمنين مثلاً في القرآن الكريم، أحدهما مثل امرأة فرعون التي كانت تستعيز بالله تعالى من زوجها فرعون. وهذا مثل المؤمنين الذين ينهزمون أمام أهواء النفس ويرتكبون الأخطاء، ثم يندمون ويتوبون ويستعينون بالله تعالى. إن أنفسهم تضايقهم، كما كان فرعون يضايق امرأته. إنهم يملكون نفساً لؤامة، ويسعون جاهدين لاجتناب السيئات دائماً.

والنوع الثاني من المؤمنين هم قوم يتبوؤون درجة أعلى من الأولين، فلا يكفون عن السيئات فقط، بل يعملون الحسنات أيضا. وقد ضرب الله مثلهم بمريم عليها السلام قائلا: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾. وكل مؤمن يحوز الكمال في التقوى والطهارة يصبح مريم بصورة بروزية، وينفخ الله فيه روحه الذي يصبح ابن مريم. وقد استنبط الزمخشري أيضا من هذه الآية هذا المعنى وقال إنها آية عامة في معناها. ولئن لم تفسر هذه الآية بهذا المعنى فقد ورد في الحديث أن لا أحد مصون من مس الشيطان إلا مريم وابنها، وهذا يستلزم تأثير الشيطان على جميع الأنبياء - والعياذ بالله. فالحق أن هذه الآية إشارة إلى أن كل مؤمن يحرز الكمال تُنفخ فيه روح الله، فيصبح ابن مريم. والحق أن في هذه الآية نبوءة بولادة ابن مريم في هذه الأمة. الغريب أن الناس يسمون أولادهم محمدا وعيسى وموسى ويعقوب وإسحاق وإسماعيل وإبراهيم، ويرون ذلك جائزا، ولكنهم لا يجيزون لله تعالى أن يسمي أحدا عيسى أو ابن مريم. (الحكم، مجلده ٥، رقم ٢٨، عدد ٣١/٧/١٩٠١م، ص ٤)

من يستطيع أن ينكر أنه قد حدثت في العالم انقلابات عظيمة بعد الزمن الأول. كان الناس في بداية الزمن قلة وكانوا يسكنون في بقعة صغيرة من الأرض، ثم انتشروا إلى أقصى أطراف الأرض واختلفت اللغات وازداد عدد السكان إلى درجة أن صار كل بلد كعالم آخر لغيره من البلدان. أفلم يكن ضروريا في هذه الحالة أن يرسل الله ﷻ نبياً ورسولا منفصلا في كل بلد دون أن يكتفي بكتاب واحد؟ غير أنه عندما انقلب العالم من أجل الوحدة والاجتماع من جديد وتيسرت لأهل بلد أسباب اللقاء والاجتماع مع أهل بلد آخر واكتشفت أنواع الوسائل والأسباب للتعارف المتبادل عندها آن الأوان لثرف الفرقة بين الأمم ويُجمع الجميع على كتاب واحد. عندئذ بعث الله تعالى نبياً واحدا للعالم كله ليجمع الأمم كلها على دين واحد، وليجعلهم في النهاية أيضا أمة واحدة كما كانت في البداية.

إن بياننا هذا كما يطابق الأحداث الواقعة كذلك يوافق قانون الله في الطبيعة السائد في الأرض والسماء. فمع أنه تعالى قد وهب الأرض تأثيرات مختلفة، والقمر تأثيرات مختلفة وأودع كل كوكب قوى مختلفة ولكنه مع هذه الفُرقة جعلهم تحت نظام واحد وجعل الشمس قائد النظام كله التي استقطبت الكواكب كلها كقائمه. فالذي يتأمل يستطيع أن يدرك من ذلك أنه كما توجد الوحدة في ذات الله تعالى كذلك يريدنا ﷺ في البشر أيضا الذين حُلقوا للعبادة إلى الأبد. الفُرقة بين الأمم التي نشأت في الناس في الزمن الوسيط بسبب كثرة نسلهم كانت في الحقيقة تمهيدا لخلق الوحدة الكاملة، لأن الله تعالى أراد أن يخلق في البشر أجزاء الوحدة أولا ثم يدخل الجميع في دائرة الوحدة الكاملة. فجعل الله تعالى الأمم شعوبا مختلفة وخلق الوحدة في كل شعب. وكانت الحكمة وراء ذلك أن يسهل التعارف بين الأمم ولا تكون هناك أية صعوبة في العلاقات المتبادلة بينهم. ثم حينما حصل التعارف بين أجزاء صغيرة من الأمم قرر الله تعالى أن يجعل الأمم كلها أمة واحدة، كما يزرع أحد حديقة ويقسم أشجارها على تقسيمات مختلفة، ثم ينشئ حول الحديقة سورا ويجعل الأشجار كلها في حلقة واحدة. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فقال: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾. أي يا أيها الأنبياء في مختلف أنحاء العالم، إن هؤلاء المسلمين الذين اجتمعوا في هذه الدنيا من أمم مختلفة هم أمتكم الواحدة، وهم يؤمنون بي جميعا، وأنا ربكم فاعبدوني جميعا... إن مثل هذه الوحدة التدريجية كمثال أمر الله تعالى أن يجتمع الناس في مسجد الحي خمس مرات يوميا، ثم أمرهم أن يجتمعوا جميعا في اليوم السابع في مسجد جامع في مدينتهم، أي في مسجد يتسع للجميع. ثم أمر أن يجتمعوا من المدينة كلها والقرى المجاورة في مقام واحد أي في مصلى العيد بعد عام. ثم أمرهم أن يجتمعوا من العالم كله مرة في حياتهم في مقام واحد أي في مكة المعظمة. فكما أن الله تعالى بلغ اجتماع الأمة تدريجا إلى الكمال بمناسبة الحج إذ حدّد اجتماعات صغيرة أولا ثم هيا للعالم كله فرصة للاجتماع في

مقام واحد. كذلك هي سنة الله في الكتب الموحى بها أيضا. فقد أراد تعالى من وراء ذلك أن يبلغ دائرة وحدانية الله إلى الكمال، وذلك بخلق الوحدة في أجزاء صغيرة من بلاد مختلفة أولا ثم يجمع الجميع في نهاية المطاف في مقام واحد مثل اجتماع الحج. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٤٤-١٤٦)

الآية ٩٦-٩٧: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ* حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾

لا شك أنه لا بد لكل مؤمن - بعد ثبوت موت المسيح ابن مريم عليه السلام النبي الإسرائيلي - من الإيمان بأن النبي الميت لا يمكن أن يعود إلى الدنيا قط، لأن القرآن والحديث يشهدان بالاتفاق بأن الذي مات لن يعود إلى الدنيا على الإطلاق، ويرحله القرآن الكريم من الدنيا إلى الأبد قائلا: ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٥٩)

إن مبدأنا هو أن إحياء الأموات ليس من سنة الله، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٢٢)

وقد رُوي عن ابن عباس في حديث صحيح في معنى الآية؛ هو أن الذين توافيهم المنية حقيقةً ويموتون في الحقيقة، لا يُحيون ولا يرسلون إلى الدنيا ثانية. ولقد نُقلت الرواية نفسها عن ابن عباس في تفسير "معالم التنزيل" أيضا، تحت الآية المذكورة. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٦١٩، الحاشية في الحاشية)

لقد قال عليه السلام وبكلمات صريحة بأن الذين يموتون لا يعودون إلى الدنيا كما يقول.... ﴿حَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية المجلد ٣، ص ٤٤٥)

لقد أعلن الله تعالى مرارا وتكرارا بأن الذين يموتون لا يعودون. وفي الترمذي

حديث أن صحابيا استشهد، فتمنى على الله وقال: يا رب أُرسلني إلى الدنيا مرة أخرى، فأجابه الله تعالى: ﴿قَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ مِنِّي حَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٢٦، عدد ١٦٥٠/٧/١٩٠٠م، ص ٢)

يتبين من التدبر في القرآن الكريم أن هناك وعدين بعدم رجوع الأموات، أحدهما لأهل جهنم كما قال ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، ف"أهلكناها" تطلق على العذاب أيضا. فمن هناك يتبين أن أصحاب الحياة الفاسدة لن يعودوا إلى هذا العالم مرة أخرى. وكذلك ورد بحق أهل الجنة أيضا ﴿لَا يَبْعُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ (الكهف: ١٠٩). (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠٤٠/٣/١٩٠٤م، ص ٦)

تعني هذه الآيات أن الذين أُهْلِكُوا وُزِفُوا من الدنيا حرام عليهم أن يعودوا إليها ثانية بل هيهات لما فات. غير أنه ستكون هناك رجعة نوعا ما في زمن يأجوج ومأجوج، أي أن الناس في ذلك العصر سيشبهون بالتمام والكمال أناسا ماتوا، فلما رجعوا بأنفسهم. ولذلك فقد سُمِّيَ علماء هذا العصر يهودا وسُمِّيَ المسيح المحمدي ابن مريم. ثم سُمِّيَ خاتم الخلفاء هذا محمدا وأحمد بسبب ظهور الصفات المحمدية بوضوح، وسُمِّيَ رسولا ونبيا على سبيل الاستعارة، وسُمِّيَ بأسماء الأنبياء كلهم بدءا من آدم إلى آخرهم حتى يتحقق وعد الرجعة. (نزول المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٣٨٣، الحاشية)

"وأما قولنا إن يأجوج ومأجوج من النصارى لا قوم آخرون فتأبث بالنصوص القرآنية، لأن القرآن الكريم قد ذكر غلبتهم على وجه الأرض وقال: ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، يعني يملكون كل رفعة في الأرض، ويجعلون أعزة أهلها أذلة، ويتلعون كل حكومة ورياسة وسلطنة ودولة ابتلاع الحوت العظيم الصغار. وإنا نرى بأعيننا أنهم كذلك يفعلون، وازمحلّت رياسات المسلمين، وتطرق الضعف في دولتهم وقوتهم وشوكتهم، ويرون سلاطين النصارى كالسباع حولهم، ولا يبيتون إلا خائفين. وقد ثبت من النصوص القوية القطعية القرآنية أن كأس السلطنة والغلبة على وجه

الأرض تدور بين النصارى والمسلمين، ولا تتجاوزهم أبداً إلى يوم القيامة. كما قال الله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. " (حماسة البشرى، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢١١ - ٢١٢)

"إن الله قد وعد في الكتاب أن في آخر الأيام تنزل مصائب على الإسلام، ويخرج قوم مفسدون ومن كل حدب ينسلون، فأشار في قوله ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ أنهم يملكون كل خصب وجدب، ويحيطون على كل البلدان والديار، ويفسدون فساداً عاماً في جميع الأقطار، وفي جميع قبائل الأخيار والأشرار، ويضلّون الناس بأنواع الحيل وغوائل الزخرفة، ويلوثون عرض الإسلام بأصناف الافتراء والتهمة، ويظهر من كل طرف ظلمة على ظلمة، ويكاد الإسلام أن يزهد بتبعة، ويزيد الضلال والنور والاحتيال، ويرحل الإيمان وتبقى الدعاوي والدلال، حتى يخفى على الناس الصراط المستقيم، ويشتهب عليهم المهيع القديم. لا ينتهجون محجة الاهتداء، وتزلّ أقدامهم وتغلب سلسلة الأهواء، ويكون المسلمون كثير التفرقة والعناد، ومنتشرين كانتشار الجراد، لا تبقى معهم أنوار الإيمان وآثار العرفان، بل أكثرهم ينخرطون في سلك البهائم أو الذياب أو الثعبان، ويكونون عن الدين غافلين. وكل ذلك يكون من أثر يأجوج ومأجوج، ويشابه الناس العضو المفلوج كأنهم كانوا ميتين." (سر الخلافة، الخزائن الروحانية، المجلد ٨، ص ٣٦٤ - ٣٦٥)

"﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ - يعني يكون لهم الغلبة والفتح لا يدان بهم لأحد- ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، ... والمراد من ﴿كُلِّ حَدَبٍ﴾ ظفّرهم وفوزهم بكل مراد، وعروجهم إلى كل مقام، وكوّنهم فوق كل رئاسة قاهرين." (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ٢٧٨ - ٢٧٩)

لم يذكر الله تعالى في القرآن الكريم كلمة الدجال المعهود.... كما في الأحاديث، بل ذكر مساعي النصارى المليئة بالفتن بدلا من الدجال. ففي الآية: ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ أيضا إشارة إلى ذلك. (شهادة القرآن الخزائن الروحانية المجلد ٦، ص ٣٦٠)

... حتى تُفْتَحَ يأجوج ومأجوج. وإذا رأيتم يأجوج ومأجوج غالبين في الأرض فاعلموا أن الوعد الصادق لانتشار الدين الحق قد اقترب. والوعد هو: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾. أي سيظهر الحق بكل قوة وشوكة. تتلخّص كل هذه الآيات في أن أدياناً كثيرة ستنتشر في الزمن الأخير وتظهر فرق كثيرة، عندها يخرج قومان دينهم المسيحية، وسينالون العلو من كل نوع. (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٣١٠)

الحق أن القرآن الكريم أيضاً قد أدلى بنبوءة مثلها عن زمن المسلمين الراهن والمماثل لزمن المسيح ﷺ من حيث المدة والمستلزمات الأخرى كما يقول ﷺ: ﴿مَنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، أي من كل حدب ينسلون إلى الإسلام ويفسدون في أرضه ويتملكون بلاده ويجعلون أعزة أهلها أذلة. تعني هذه الآية أن قوم النصارى الذين هم فرقة يأجوج ومأجوج يسعون إلى بلاد الإسلام من كل ارتفاع ويحززون الغلبة ويسيطرون على البلاد الإسلامية رويدا رويدا حتى تبقى السلطنة الإسلامية بالاسم فقط كما هو الحال في هذه الأيام.

انظروا إلى تطابق الأحداث كيف شابه زمن مصائب الإسلام ودمار المسلمين الديني والدنيوي زمن اليهود في عهد المسيح ﷺ. ثم انظروا كيف تطابقت نبوءة القرآن عن ضعف السلطنة الإسلامية وغلبة المعارضين مع النبوءة التي وردت في التوراة عن انحطاط السلطنة الإسرائيلية. (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٥٩)

لقد ذكر الله في القرآن الكريم.... عصيان اليهود أكثر من مرة وأشار بالتواتر إلى أن هذا ما ستؤول إليه حالة عامة المسلمين وعلمائهم في الزمن الأخير. ثم بيّن أن النصارى سيحززون الغلبة في الزمن الأخير وستنتشر مفسد كثيرة على أيديهم، فتثور الفتن من كل حدبٍ وصوب، ويسعون من كل مرتفع، أي سيظهرون قوتهم وعروجهم وعلوّهم، ويحززون العلو من حيث القوة والسلطنة المادية أيضاً، وتكون الحكومات والولايات الأخرى ضعيفة مقابلهم. وينالون العلو والتقدم في العلوم

والفنون أيضا إذ يكتشفون أنواع العلوم والفنون ويخترعون صنائع نادرة وعجيبة. يبلغون الذروة في المكائد والمكر وحسن الإدارة وتكون همهم عالية من حيث المهمات الدنيوية وإنجازها. ويفوقون الجميع في نشر دينهم والسعي والجهد لترويجه. كذلك يفوقون جميع الأمم من حيث تدبير المعاشرة والمعاملة والتجارة والتقدم في الزراعة. باختصار، يسبقون الجميع في كل شيء. هذا هو معنى: ﴿مَنْ كُذِّبَ حَذَبٌ يَنْسَلُونَ﴾ لأن "الحَذَب" يعني الأرض المرتفعة، ومعنى النسل: السبقُ والمشي السريع. أي سيبسبون جميع الأمم في كل ما يُراد من الشرف والعلو. وهذه هي العلامة الواضحة لقوم آخرين الذين سُمُّوا يأجوج ومأجوج، وهذه هي علامة فئة القساوسة ذوي الفتن الذين اسهم الدجال المعهود، لأن الحَذَب هو الأرض المرتفعة، ففي ذلك إشارة إلى أنهم سيحظون بكافة أنواع العلو الأرضي ولكن سيحزمون من العلو السماوي. (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٦١-٣٦٢)

ألا ترون أن السلطنة المسيحية تلتهم بلاد الدنيا كلها، وهي حائزة على كل نوع من العلو وينطبق عليهم: ﴿مَنْ كُذِّبَ حَذَبٌ يَنْسَلُونَ﴾؟ أما حالة الإسلام فمتدهورة كتدهور حالة اليهود في زمن المسيح ﷺ. (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٧٣-٣٧٤)

النوع الثاني من المخلوقات الذي هو علامة المسيح الموعود هو ظهور يأجوج ومأجوج، ولقد وُصفت بعض شعوب البلاد الغربية بيأجوج ومأجوج في التوراة، وحُدد زمن ظهورهما زمن المسيح الموعود. وإن القرآن الكريم قد كتب من علامتهما ﴿مَنْ كُذِّبَ حَذَبٌ يَنْسَلُونَ﴾، أي سيتمتعون بكل تفوق أرضي وسوف ينتصرون على كل قوم. وثانياً أشير إلى العلامة أنهم يوظفون النار بمهارة في أعمالهم، أي ستكون معاركهم بواسطة النار وتسير محركاتهم بواسطة النار، وسيحوزون على مهارة كبيرة في استخدام النار. لهذا السبب سُمُّوا يأجوج ومأجوج. لأن الأجيح هو لهيب النار، وإن خلق الشيطان أيضا من النار كما يتبين من الآية: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ﴾، لهذا لها

علاقة فطرية بيأجوج ومأجوج. ولهذا السبب يتجلى اسم الشيطان الأعظم بهذا القوم، ويصلحون ليصبحوا مظهره الأتم. (التحفة الغولروية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٧٦-٢٧٧)

هناك لطيفة تجدر بالذكر هنا يتبين منها أنه قُدِّر في العلم الإلهي زمنٌ تعود فيه الأرواح الميتة بروزا، وهي أن الله تعالى قد أنبأ في القرآن الكريم - في سورة الأنبياء، الجزء السابع عشر - ما مفاده أن الهالكين سيعودون إلى هذا العالم مرة أخرى في زمن يأجوج ومأجوج، وذلك في الآيات: ﴿وَحَرَّامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾* حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ. (التحفة الغولروية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٩٧)

أي أن الذين أهلكناهم قد حرّمنا عليهم العودة إلى هذا العالم. أي لا يستطيعون العودة إلى هذا العالم ولا بروزا، حتى تأتي أيام يستولي فيها يأجوج ومأجوج على الأرض وتحقق لهم الغلبة في كل مجال لأن الترقيات الكاملة لقوى الإنسان الأرضية تنتهي عند يأجوج ومأجوج، وبذلك فإن نمو قوى الإنسان الأرضية المستمرة منذ البدء يبلغ كماله بوجود يأجوج ومأجوج فقط. لهذا فإن زمن ظهور يأجوج ومأجوج يدل دلالة قاطعة على زمن الرجعة البروزية، لأن زمن يأجوج ومأجوج يدل على استدارة الزمن التي تتطلب الرجعة البروزية. فبحسب اعتقاد رجعة المسيح ابن مريم، هذا هو زمن البعثة الثانية لعيسى المسيح، فقد تحققت تلك البعثة الثانية بروزا. (التحفة الغولروية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣١٥-٣٢١)

المراد من يأجوج ومأجوج القوم الذين سيتمتعون بقوى أرضية على وجه الكمال، وتنتهي عليهم دائرة تقدّم القوى الأرضية. إن يأجوج ومأجوج مشتقة من الأجيح، وهو لهب النار. وهذا سبب التسمية نظرا للوازم خارجية؛ حيث أشير فيه إلى أن النار ستُسحَّر لهم وأنهم سيوظّفون النار في حياتهم المدنية المادية،

وستكون رحلاتهم البرية والبحرية بالنار، وستكون حروبهم أيضا بالنار، إن محرقاتهم وتجاراتهم كلها ستسير بالنار. والسبب الثاني لتسمية يأجوج ومأجوج هذه هو نظرا لخواصهم الداخلية، وهو أنه ستكون في طباعهم مادة نارية غزيرة، أي ستكون تلك الأقوام متكبرة جدا، وستبرز الخصائص النارية في سرعتهم ونشاطهم ودهائهم. وكما أن التراب حين يبلغ كماله التام يتحول جزؤه الذي يضم مادة نارية إلى جوهر مثل الذهب والفضة والأحجار الكريمة الأخرى. فالآية القرآنية تعني هنا أن في طباع يأجوج ومأجوج كمالاتا تاما للجوهر الأرضي، مثلما يكون الكمال التام في الجواهر المعدنية والفلزات. وهذا يبرهن على أن الأرض أخرجت خصائصها النهائية وأسمى جواهرها بموجب الآية: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَاطَهَا﴾ (الزلزلة: ٣). وهذا برهان على استدارة الزمان، أي عندما يتكاثر يأجوج ومأجوج فسيفهم أن الزمن قد أكمل دائرته، وأن الدائرة الكاملة تلزمها الرجعة البروزية. وإن انتهاء الكمال الأرضي على يأجوج ومأجوج يدل على أن خلق آدم ابتداء من "الألف" الذي هو أول حروف كلمة آدم، وانتهى على الياء، الذي هو على رأس كلمة يأجوج ومأجوج وهو آخر أحرف الهجاء. فهكذا بلغت هذه السلسلة كمالها الطبيعي ابتداء من الألف وانتهاء على الياء.

وملخص الكلام أن في الآية الكريمة إشارة إلى أن علامة الرجوع البروزي، الذي هو ضروري لاستدارة دائرة خلق بني آدم، أن يتم ظهور يأجوج ومأجوج وخروجهما على وجه أقوى وأتم، وأن لا يقدر أحد على مقاومتهما. لأن كمال الدائرة يلزم تحقق موضوع: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَاطَهَا﴾ على وجه الكمال، ويتم ظهور جميع القوى الأرضية وبروزها. وإن وجود يأجوج ومأجوج دليل كامل على أن القوى الأرضية والقدرات التي فطر عليها الإنسان قد ظهرت كلها، لأن اللبنة الفطرية لهؤلاء القوم قد أشعلت عليها النار في أتون الكمالات الأرضية بما لا يشك فيه أحد. ونظرا لهذا السر قد سَمَّاهم الله يأجوج ومأجوج، لأن تراب فطرتهم

ورث تماما المادة النارية تدريجيا كجواهر المناجم. والواضح أن ترقيات التراب تنتهي عند الجواهر والفلزات المعدنية. عندئذ تنشأ في تلك الجواهر والفلزات المعدنية مادة نارية كثيرة بالمقارنة مع التراب العادي. كأن كمال التراب النهائي يقرب الشيء الحائز على الكمال إلى النار، ثم تعطى لنفس المخلوق بسبب الجذب بين المتجانسين اللوازم النارية الأخرى والكمالات أيضا. باختصار؛ إن الكمال الأخير لبني آدم هو أن تدخل فيهم المادة النارية بكثرة، وهذا الكمال يوجد في أجوج ومأجوج. وإن المهارة التي أحرزتها هذه الشعوب في الدنيا والتدابير الدنيوية، والرقى الذي أكسبه هؤلاء للحياة الدنيوية والازدهار، لا يخطر ببال أحد أكثر منه. فلا شك أن ما يصدر من أجوج ومأجوج هو خلاصة قوى الإنسان الأرضية. لهذا فإن ظهور أجوج ومأجوج وبروزهم وحيازتهم على الكمال في جميع قواهم علامة لظهور جميع قدرات الإنسان الأرضية، وأن دائرة الفطرة الإنسانية قد اكتملت، ولم تبق لها أي حالة منتظرة. فلهذا الوقت كانت الرجعة البروزية حتمية، لذا صار من العقيدة الإسلامية، أن الرجعة البروزية لأكثر الأخيار والأبرار من الزمن الماضي ستتحقق عند ظهور أجوج ومأجوج وازدهارهم وفتحهم. وكما يركز أهل السنة من المسلمين على هذه المسألة فهي من عقائد الشيعة أيضا، لكن المؤسف أن كلا الحزبين غافل عن فلسفة هذه المسألة. فالسر الحقيقي لضرورة الرجعة في زمن استدارة دائرة خلق بني آدم، أي في نهاية الألف السادس، هو أن اتجاه نقط الخلق نحو نقطة بدء الخلق أمر إلزامي. لأن أي دائرة لا تكتمل ما لم تبلغ النقطة التي ابتدأت منها، وإن الجزء الأخير للدائرة يلزم الرجعة بالضرورة. لكن العقول السطحية لم تكشف هذا السر، واخترعت بدون حق العقيدة المخالفة لكلام الله التي هي عودة جميع أرواح السعداء والأشقياء في الحقيقة إلى هذا العالم من جديد. ولكن تجلّى من هذا البحث أن الرجعة ستكون بروزية فحسب لا حقيقية؛ فالناحاش - الذي اسمه الآخر الخناس أيضا - الذي

أعطيت له كنوزُ العالم وكان قد جاء إلى حواء أولاً وأغراها بدجله بحياة أبدية، سيظهر مرة أخرى بروزا في الزمن الأخير، وسيغري أناسا ذوي طبع أنثوي وناقصي العقل بحياة أبدية مقابل أن يعدوه بأن يتركوا التوحيد. لكن الله كما كان قد نصح آدم في الجنة أن كل ثمرة قد أُحلت له فليأكل رغداً، وحذره أن يقترب من تلك الشجرة المحرمة؛ كذلك وعد الله في القرآن الكريم: ﴿وَيَعْفِرْ مَا دُونَ ذَلِكَ...﴾ (النساء: ٤٩) أي كل ذنب سيُغفر إلا الشرك فلن يغفره الله؛ فلا تقربنَّ الشرك ولتعدّوه الشجرة المحرمة. فالناحاش نفسه الذي كان قد جاء إلى حواء قد ظهر في هذا العصر بروزا وقال: كُلُوا رَغداً من الشجرة المحرمة هذه ففي ذلك تكمن الحياةُ الأبدية. وكما أن الذنب في البداية جاء من المرأة، كذلك في الزمن الأخير قد قَبِلَ الناس ذوو الطبع الأنثوي وسوسةً الناحاش. فبروز الناحاش هذا كان قبل كل البروزات.

ثم إن البروز الثاني الذي كان ضروريا بعد يأجوج ومأجوج هو بروز المسيح ابن مريم، لأنه بسبب علاقته بروح القدس عدُوُّ الناحاش وذلك لأن الأفعى تستعين بالشیطان. أما عيسى بن مريم فبروح القدس، وإن روح القدس ضد الشيطان. فحين ظهر الشيطان كان لا بد أن تظهر روحُ القدس أيضا لإبطال تأثيره. وكما أن الشيطان أبُو السيئة فإن روح القدس أبُو الحسنة. ففي فطرة الإنسان عاطفتان مختلفتان (١) إحداهما الحافز على السيئة الذي يُولد في قلب الإنسان أفكارا سيئة، فتنشأ فيه أفكارُ السوء والظلم. وهذا الحافز من الشيطان ولا أحد يرفض أن الإنسان مفطور على هذا الحافز. وإن كانت بعض الشعوب ترفض وجود الشيطان لكنهم لا يستطيعون إنكار هذا الحافز. (٢) والحافز الثاني هو على البرِّ الذي به تنشأ في قلب الإنسان الأفكارُ الحسنة والرغبة في إحراز الحسنات، وهذا الحافز من روح القدس. وصحيح أن هذين الحافزين موجودان في الإنسان منذ خُلِق، إلا أنه كان مقدرا للزمن الأخير أن يتدفق هذان الحافزان

كلاهما بكل قوة. فوُلد اليهود بروزا في هذا الزمن ووُلد المسيح ابن مريم أيضا بروزا. فخلق الله حزبا يدفع إلى السيئة وهو الناحاش الأول نفسه وقد ظهر الآن بروزا، كما خلق الحزب الآخر المحرض على البر والحسنة وهو حزب المسيح الموعود. باختصار؛ إن البروز الأول هو حزب الناحاش والبروز الثاني هو المسيح وجماعته، والبروز الثالث حزب اليهود الذين عُلِّمنا الدعاء: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ في الفاتحة أن لا نكون منهم. والبروز الرابع بروز الصحابة عليهم السلام الذي كان ضروريا بموجب الآية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (الجمعة: ٤)، وبهذا الحساب يبلغ عدد هذه البروزات مئاة الألوف، لهذا يسمى هذا الزمن زمن الرجعة البروزية. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٢١-٣٢٥، الحاشية)

والمعلوم أن يأجوج ومأجوج قومان ذُكرا في كتب سابقة. والسبب وراء هذه التسمية هو أنهما يستخدمان "الأجيح" أي النار بكثرة، ويحرزان غلبة كبيرة في الأرض، وسيملكان كل علوٍ. عندها ستقوم السماء بإحداث تغيير كبير وستأتي أيام الصلح والوئام. (محاضرة سيالكوت، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢١١)

وكما ذُكرت في القرآن الكريم فتنة المسيحية كذلك ذُكر يأجوج ومأجوج أيضا. والآية: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ تشير إلى غلبتهم على الأرض كلها. الآن، لو اعتُبر الدجال والمسيحية ويأجوج ومأجوج أقواما مختلفة تظهر في زمن المسيح الموعود لتعاضم التناقض أكثر. ولكن يُفهم من التوراة بوضوح تام أن فتنة يأجوج ومأجوج إنما هي فتنة المسيحية في الحقيقة لأنها سُمِّيت في التوراة بيأجوج. إذن، فقد سُمِّي قوم واحد بثلاثة أسماء نظرا إلى حالات مختلفة. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٩٨)

لقد ذُكر قوم يأجوج ومأجوج ذُكر إجمالا في القرآن الكريم، بل ذُكر أيضا بأنهم سيسيطرون على الأرض كلها في الزمن الأخير كما يقول ﷺ: ﴿وَهُمْ مِنْ

كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٧). أما الظن أن يأجوج ومأجوج ليسوا من بني آدم بل هم خلق آخر فليس إلا جهلا لأن القرآن الكريم ذكر المخلوقات العاقلة - الذين يستخدمون العقل والفهم ويستحقون الثواب أو العذاب - على نوعين فقط:

(١) البشر، الذين هم أولاد آدم ﷺ. (٢) الجِنَّة. لقد سَمِّيت فئة الناس بـ "معشر الإنس" وسَمِّيت فئة الجِنَّة بـ "معشر الجن". فإذا كان يأجوج ومأجوج الذين وُعدوا بالعذاب في زمن المسيح الموعود يدخلون في معشر الإنس بمعنى أنهم أناس فالقول بأنهم خلق غريب وبأن آذانهم طويلة إلى هذه الدرجة وأيديهم طويلة إلى درجة كذا وسيُنجبون بكثرة إنما هو فعل الذين عقلهم سطحي بحثٌ ومثل الصغار. وإذا ثبت في هذا الموضوع حديث صحيح فسيكون على سبيل الاستعارة فقط. كما نرى أن آذان الأقوام الأوروبية طويلة دون شك بمعنى أن الأخبار من مناطق بعيدة تتناهى إلى آذانهم بواسطة البرقيات. كذلك قد أعطاهم الله تعالى أيادي طويلة من حيث التمرس في الحروب البرية والبحرية لدرجة لا يدان لأحد بقتالهم. والتوالد والتناسل عندهم أكثر من الأمم الآسيوية بكثير. فلما أثبتت الأحداث الحالية أن هذا هو معنى هذه الأحاديث، والعقل لا يقبل فقط هذا المعنى بل يتمتع به فما الحاجة إلى اعتبارهم خلقا غريبا يفوق الإنسان، وغير معقول تماما ومناف لقانون الطبيعة الجاري للناس منذ القدم؟ وإن قلتُم إن يأجوج ومأجوج من الجِنَّة وليسوا أناسا، فهذا حُرق أكبر لأنه إذا كانوا من الجِنَّة، فكيف كان ممكنا أن يعرقلهم جدار بناه الإسكندر؟ ما دامت الجِنَّة يصلون إلى السماء كما يتبين من الآية: ﴿فَأَتَّبَعُهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (الصافات: ١١) أفلم يكونوا قادرين على التسلق على جدار الإسكندر؟ وإن قلتُم بأنهم نوع من السباع التي لا تعقل، قلتُم: لماذا إذاً وُعد في القرآن والأحاديث بإنزال العذاب عليهم، لأن العذاب ينزل نتيجة الذنوب فقط؟ كذلك إن خوضهم الحروب وغلبتهم على

الجميع وإطلاق السهام إلى السماء في نهاية المطاف يدل بوضوح على أنهم ذوو العقول بل يفوقون الجميع من حيث العقل الدنيوي.

يوجد في الأحاديث تناقض ظاهري إذ جاء فيها من ناحية أن يأجوج ومأجوج ينتشرون في الأرض في زمن بعثة المسيح الموعود، وقيل من ناحية أخرى بأن الأمة المسيحية تكون حينها غالبية في العالم كله كما يفهم من الحديث: "يكسر الصليب" أيضا أن الأمة الصليبية ستكون في ارتقاء وازدهار في ذلك الزمن. كذلك يفهم من حديث آخر أن الرومان، أي المسيحيين، سيكونون الأكثر عددا وقوة في ذلك الزمن لأن السلطنة الرومية في زمن النبي ﷺ كانت مسيحية كما يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (الروم: ٣-٤) والمراد من الروم هنا أيضا هي السلطنة المسيحية. ثم يتبين من بعض الأحاديث أن الدجال سيكون غالبا في الأرض كلها في زمن المسيح الموعود وسيحيط بالأرض كلها إلا مكة المعظمة.

فليخبرني الآن أحد من المشايخ كيف يمكن إزالة هذا التناقض؟ فإذا غلب الدجال على الأرض كلها أين ستكون السلطنة المسيحية؟ وكذلك أين سيكون يأجوج ومأجوج الذين يخبر القرآن الكريم بعموم سلطنتهم؟ فهذه هي الأخطاء الواقع فيها مكفروننا ومكذبونا هؤلاء. توحى الأحداث الواقعة بأن هاتين الصفتين أي صفة يأجوج ومأجوج وصفة الدجال موجودتان في الأمم الأوروبية لأن تعريف يأجوج ومأجوج المذكور في الأحاديث هو أنه لا يدان لأحد بقتالهما، والمسيح الموعود أيضا سيلجأ إلى الدعاء فقط. وهذه الصفة توجد في الحكومات الأوروبية بكل وضوح، ويصدقها القرآن الكريم أيضا كما يقول: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٧) أما الدجال فقد ورد في الأحاديث أنه سيستخدم الدجل وينشر الفتنة الدينية في الدنيا. وهذه الصفة مذكورة في القرآن الكريم كصفة القساوسة المسيحيين كما يقول تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٧).

يتبين من هذا البيان كله أن هؤلاء الثلاثة واحد في الحقيقة، لذلك عَلِّمنا في سورة الفاتحة للأبد دعاء أن نستعِذ بالله من فتنة المسيحيين، ولم يقل الله تعالى أن استعِذوا من الدجال. فلو كان الدجال غيرهم وكانت فتنته أكبر من فتنة القساوسة لما عَلِّم في كلام الله- بترك الفتنة الكبرى جانباً- إلى يوم القيامة دعاء أن استعِذوا من فتنة المسيحيين، ولما قيل أيضاً بأن الفتنة المسيحية خطيرة جداً تكاد السماوات يتفطرن منها وتخرّ الجبال هُدّاً، بل لقليل بأن فتنة الدجال هي التي تكاد السماوات يتفطرن منها. الإنذار عن فتنة صغيرة وغض النظر عن فتنة كبرى غير معقول كلياً. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٨٤-٨٧، الحاشية)

إنهم بعد ﴿مِنْ كُلِّ حَذَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ سيحاربون الله، وكأنهم في الحرب مع الله الآن. وهذه استعارة بأنه إذا بلغ ازدهارهم درجة لا يسع دولة أن تقوم مقابلهم عندها يرغبون في محاربة الله. المراد من محاربة الله أنه لا تضرع فيهم ولا ابتهاج ولا انتباه إلى حقيقة الدعاء، بل يعتمدون على الأسباب كلياً، ويقاومون القضاء والقدر. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٧، عدد ١٧/١٠/١٩٠٢م، ص ١٢)

يجب على المرء في هذه الآونة أن يفكر جيداً ويرى إذا كانت الفتنة المسيحية هي التي تضلّ مئات آلاف الناس بعد أن صارت مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ حَذَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، واتبعت شتى الأساليب والطرق لانتشارها. لقد آن الأوان للرد على السؤال الذي يطرح نفسه: أي اسم أطلق رسول الله ﷺ على مصلح هذه الفتنة؟ يزداد الصليب قوة على قوة يوماً بعد يوم، وتقام معسكراته في كل مكان، وتنتشر في أقطار نائية في العالم بعد إقامة مراكزها هنالك. إن لم يكن هناك أي دليل آخر، فإننا مضطرون للاعتراف بضرورة مجيء مصلح لإخماد نار هذه الفتنة. ونشكر الله تعالى أنه لم يجعل أمرنا مقتصرًا على الضرورات المحسوسة المشهودة فقط، بل إنه تعالى قد أنبأ -من أجل إرساء

عظمة رسوله ﷺ وشرفه - نبوءات كثيرة تبين بجلاء أن رجلاً سيأتي في هذا العصر، واسمه المسيح الموعود ومهمته كسر الصليب. ومن منطلق هذا الترتيب يضطر كل سليم الفطرة للاعتراف - على الأقل - بأن لا مناص من أن يأتي رجل سماوي، وأن تكون مهمته في هذه الظروف كسر الصليب. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠٣م، ص ٣)

في قول الله ﷻ: ﴿مَنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ كفاية للإظهار أنهم سيتمكنون من إرغام جميع القوى الأرضية، وإلا فما معناه غير ذلك؟ فهل ستقفز تلك الأقوام على الجدران والتلال؟ كلا، بل معناه أنهم يسيطرون على جميع ولايات الدنيا وسلطانها ولن تقدر أي قوة على مقاومتهم.

إن التفسير الذي تؤيده الأحداث هو التفسير الصحيح وحده. فقد بين الله معاني هذه الآية من خلال الأحداث، فلو كانت ثمة حاجة إلى قوة سيف مقابلهم، كان ينبغي أن يكون المسلمون متمكين من فنون الحرب وأن تكون البلاد الإسلامية غالبية على العالم كله في هذه الأيام هي الأخيرة التي يعلق عليها العالم الإسلامي جُلَّ آماله، وكان يجب ألا يقدر أحد على مواجهتهم. لكن القضية تبدو معاكسة تمامًا. هذا العصر تمهيد أو عنوان من الله. إن فتح المسلمين وانتصارهم لن يتحقق بالأسلحة المادية، بل سوف تعمل لهم القوة السماوية، ووسيلتها الدعاء. (بدر، مجلد ٢، رقم ١١، عدد ٣/٤/١٩٠٣م، ص ٨٤)

لقد حصل لي الالتفات كثيرًا إلى آية ﴿مَنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ وتدبرتها كثيرًا، فأحد معانيها أنهم سيفرضون السيطرة على جميع السلطات والولايات والحكومات ولن يقدر أيُّ على مقاومتهم.

والمعنى الثاني هو أن الحذب يعني الارتفاع والنسل يعني الركض، أي سوف يصعدون كل ارتفاع، و﴿كُلِّ﴾ هنا تفيد الشمول، أي سوف يقفزون كل ارتفاع، فالصعود على مرتفع يتطلب القوة والهمة، ومعلوم أن أكبر ارتفاع وأقواه هو ارتفاع

الدين. فالإنسان يستطيع كسر كل سلسلة، لكن للتقاليد والدين سلسلة لا يقدر على كسرها غيرُ ذي همة عالية وإرادة قوية.

فمن هذا الربط نستشف بشارة أن هؤلاء في نهاية المطاف سوف يتمكنون من اعتلاء مرتفع الدين والتقليد هذا أيضًا بحرية وهمة، وأخيرًا سيدخلون في الإسلام بانتظام. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٣، عدد ١٠٠٤/٤/١٩٠٣م، ص ١٤)

لقد تأملت في هذه الآية كثيرًا فوجدتها تعني أنهم سينحدرون من كل مرتفع. ويتبين من ذلك أن هناك أمرين، أولهما أنهم سيغلبون كل دولة. والثاني: أن الإنسان لا يستطيع أن يبلغ الارتفاع ولا يقدر على تسلقه دون قوة وشجاعة، وأن الغلبة على الدين أيضًا بمنزلة علو. يبدو أنه سيأتيهم زمان حين يعرضون عن الدين أي دينهم التلثي، ويطأونه تحت أقدامهم. ومن هنا أشم رائحة انضمامهم إلى الإسلام. لقد تحقق الأمر الأول، والآن سيتحقق الأمر الثاني بإذن الله. هذه الأمور تتحقق بإرادة الله. عندما يريد الله؛ تنزل الملائكة وتطهر القلوب بقدر كفاءة أصحابها. عندها تتحقق كل هذه الأمور. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٤، عدد ٢٤٤/٤/١٩٠٣م، ص ١٠٥)

الآية ٩٩: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾

أن كثيرا من الناس يعتبرون السب وبيان الواقع شيئا واحدا، ولا يفرّقون بين الأمرين. بل يعتبرون كل كلام يحتوي على بيان الأمر الواقع ويكون في محله تماما؛ شتائم، لكونه محتويا على شيء من المرارة التي تستلزم قول الحق. بينما مفهوم السباب والشتائم هو ما كان خلاف الواقع، وقد قيل كذبا وللإيذاء المحض. وإن جاز حمل كل كلام قاسٍ وجارحٍ محمل الشتيمة بناء على مرارته وقسوته وإيذائه، فلا بد من الاعتراف أن القرآن كله مليءٌ بالشتائم، لأن كلمات الاستنكار والاحتقار واللعن

والطعن التي استخدمت في القرآن الكريم في حق الأوثان ليست مما تفرح لسماعه قلوب عبدة الأوثان على الإطلاق، بل مما لا شك فيه أن قلوبهم قد ثارت غضبا لسماعها. ألا يُعَدُّ قول الله تعالى وهو يخاطب كفار مكة: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ شتيمة بحسب مبدأ اختلقه المعترض من عنده؟ (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ١٠٩)

.... أي سوف تُلقَوْنَ في جهنم أنتم وآلهتكم الباطلة الذين نصَّبوا أنفسهم آلهة مع كونهم من البشر. والثاني: الأصنام والأنصاب، إذ لولاها لما وُجِدَت جهنم أصلا. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٩٣)

الناس من الصالحين والطالحين كلهم كانوا إخوة قبل بعثة الأنبياء، وبعد بعثة النبي يحدث امتياز بينهم حيث ينفصل الأشقياء عن السعداء. فلو لم يقرأ النبي ﷺ على المعارضين القول الإلهي ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ لما أبدى الكفار هذه المعارضة، لكنهم ثاروا عند سماع مثل هذه الكلمات بحق آلهتهم. (بدر، مجلد ٦، رقم ٤٥، عدد ٧/١١/١٩٠٧م، ص ٧)

الآية ١٠٢-١٠٣ ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾

المراد من هاتين الآيتين هما عزير والمسيح عليهما السلام، ويتبين دخولهما الجنة، الأمر الذي يُثبت موتهما بكل تأكيد. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣٥-٤٣٦)

... أي أن الذين حققوا الجدارة بدخول الجنة بحسب وعدنا فهم أبعادوا عن الجحيم وهم في اللذات الخالدة في الجنة. وقد كتب جميع المفسرين أن هذه الآية هي بحق عيسى عليه السلام، وثبت منها بصراحة وبدهاء أنه في الجنة، فثبت أنه قد توفى. وإلا كيف وصل إلى الجنة قبل الوفاة؟ (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٣٨٨)

ما يثبت من كتاب الله هو أن الطاعون رجزٌ ويصيب الكافرين دائما. وصحيح أيضا أن الجحيم خاصة بالكفار، أما بعض المؤمنين الآثمين الذين سئلون فيها فمن أجل التمهيد والتطهير فقط، وسيبعد عباد الله الأصفياء عنها حسب وعده تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ كذلك إن الطاعون أيضا نوع من جهنم، يُلقى فيها الكفار للتعذيب. أما المؤمنون الذين ليسوا معصومين ولا بُرّاء من المعاصي فإن الطاعون الذي سماه الله تعالى جهنم وسيلة لتطهيرهم، فيمكن أن يصاب به المؤمنون الأقل درجة الذين يحتاجون إلى التزكية، أما الحائزون على أعلى مراتب قرب الله وحبه تعالى فلن يدخلوها أبدا. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٥٤٤)

الآية ١٠٥: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾

.... في هذا المقام أورد الإمام البخاري حديثاً كلماته جديرة بالإمعان وهي: "وتكون السماوات يمينه"، أي أن المراد من الطيّ أن الله تعالى سيخفي السماوات يمينه. وكما أن الأسباب ظاهرة حالياً والمسبب محتفٍ ولكن عندها سيكون المسبب ظاهراً وتختفي الأسباب في زاوية العدم. وكل شيء يرجع إليه ويختفي في تجلياته القاهرة. وسيترك كل شيء مقامه ومركزه وتحلّ محلّها التجليات الإلهية. وبعد فناء العلل الناقصة وانعدامها تظهر العلل التامة والكاملة للعيان. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٥٢-١٥٤، الحاشية في الحاشية)

الآية ١٠٦: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾

المراد من الأرض هنا هو أرض الشام، انظر: المزمور ٣٧. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦١، الحاشية رقم ١١)

هل لعقل سليم أن يعزو فكرة سخيصة إلى الله تعالى بأنه اهتم بهذه الأمة إلى ثلاثين عاما فحسب ثم تركها تهيم في الضلالة إلى الأبد، والنور الذي ظل يُريه منذ القدم في مرآة الخلافة في أمم الأنبياء السابقين لم يرد إراءته في هذه الأمة؟ هل له أن يعزو هذه الأمور إلى الله الرحيم الكريم؟ كلا.

ثم تشهد الآية الكريمة التالية بكل وضوح على خلافة الأئمة: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ فإنها تعلن بصوت عال أبدية الخلافة الإسلامية، لأن كلمة "يرثها" تقتضي الدوام. والسبب في ذلك أنه لو كان الدور الأخير للفُسق لعدَّ هؤلاء القوم ورثة الأرض وليس الصالحين. والمعلوم أن الذي يأتي بعد الجميع هو الذي يرث الجميع. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية المجلد ٦، ص ٣٥٤)

يتضح من هذه الآية بجلاء أن المراد من "الأرض" هو أرض الشام وهي ورثة الصالحين ولا تزال تحت سيطرة المسلمين. لقد قال الله تعالى: ﴿يَرِثُهَا﴾ ولم يقل "يملكها". يتضح من ذلك أن المسلمين هم الذين سيرثونها، وإن وقعت تحت سيطرة أحد في وقت من الأوقات ستكون تلك السيطرة مثل إعطاء الراهن ملكه تحت تصرف المرتهن. هذه هي عظمة النبوة الإلهية. ما دامت أرض الشام أرض الأنبياء لذا لا يريد الله أن تُنتهك كرامتها لتكون ميراث غيرهم. لقد قال تعالى: ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، ومعناه أن يكونوا ثابتين على الصلاح على الأقل.

لقد قسم الله المؤمنين في القرآن الكريم في ثلاث درجات: الظالم، المقتصد، السابق بالخيرات. هذه مدارجهم وكلهم داخلون في الإسلام. الظالم هو الذي توجد فيه أخطاء وتقصيرات كثيرة. والمقتصد يكون في عراك بين النفس والشيطان فيغلب تارة ويُغلب تارة أخرى. تصدر منه بعض الأخطاء ويتحلى بالصلاح أيضا. أما السابق بالخيرات فهو الذي يجتاز كلتا هاتين الدرجتين ويسبق في الخيرات بصورة دائمة،

ويحظى بالصلاحية الكاملة ويكون قد غلب النفس والشيطان. فيسميهم القرآن الكريم كلهم مسلمين.

انظروا إلى جماعتنا مثلاً فعددها يربو على مئة ألف نسمة وقد جاؤوا كلهم من معارضينا. والذين يبايعون كل يوم يأتون من بينهم. لولا السعادة والصلاح فيهم لما خرجوا منهم. تصلني رسائل كثيرة من المبايعين يقولون فيها بأننا كنا نشتمك من قبل، ولكننا نتوب الآن ونرجو أن تغفوا عنا. باختصار، إذا كانت قدم المرء على جادة الصلاح فهو يُعدّ من الصالحين. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/٢١٩٠٢م، ص ٧)

الآية ١٠٧: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾

أي في ذلك تعليم حقيقي للعابدين. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٥٤)

هو حكمة بالغة وفيه بيان كل شيء. (الحق مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، المجلد ٤، ص ٣٠)

الآية ١٠٨: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

لقد أرسلناك للنظر إلى العالمين برحمة وفتح عليهم باب النجاة. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٥١)

الجدير بالذكر أنه كما كان لله يدا الجلال والجمال، فاقترداً بذلك قد وهب الله ﷺ نبينا الكريم ﷺ أيضاً يدي الرحمة والشوكة كلتيهما لكونه مظهراً أتم لله ﷻ. فإلى يد الجمال تشير آية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨)، أما يد الجلال فتشير إليها آية ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: ١٨)، فلما كان الله ﷻ يريد أن تتجلى صفتا النبي ﷺ هاتان في وقتهما فقد أظهر ﷻ جلاله (ﷻ) بواسطة الصحابة ﷺ، وأوصل

صفة الجمال إلى الكمال بواسطة المسيح الموعود وجماعته، وإلى ذلك تُشير آية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (التحفة الغولوية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٦٨، الحاشية)

لقد أرسلناك رحمة بالعالمين. وفي العالمين يدخل الكفار والملحدون والفساق والفجار أيضاً، وقد فتح عليهم باب الرحمة أنهم يستطيعون أن ينالوا النجاة بعملهم بتعاليم القرآن الكريم. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزائن الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٦٨-٣٦٩)

"قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، ولا يستقيم هذا المعنى إلا في الرحمانية، فإن الرحيمية يختص بعالم واحد من المؤمنين." (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨)

لم نُرسلك رحمة لقوم معين بل رحمة بالعالمين كلهم. فكما أن الله تعالى رب العالمين كذلك النبي ﷺ هو رسول للعالمين ورحمة للعالمين وإن مواساته تشمل العالمين كلهم وليست خاصة بقوم دون قوم. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٨٨)

العصر الذي وُلد فيه نبينا الأكرم ﷺ، اقتضت فيه حالة الدنيا في ذلك العصر الرحمة بشدة، إذ كانت الأخلاق والأعمال والمعتقدات قد صارت معدومة عندها، فسُميت هذه الأمة مرحومةً لأن وضع الدنيا كان يقتضي رحمة الله بشدة، ومن أجل ذلك قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ولا شك أن الذي يؤمر بالمرور بأرض الثعابين، أي يكون عرضةً لأهوال عظيمة وآفات شديدة، هو الجدير بالرحمة. فسُميت هذه الأمة بالمرحومة لأنها جديرة بالرحمة. إن الذي يُعهد إليه مهمة صعبة يستحق الرحمة. لقد كان على النبي ﷺ أن يواجه أشراراً كُباراً وجُهاً لا يترصون به الدوائر. ثم إنه ﷺ كان أُمِّيًّا، كما قال ﷺ: نحن الأميون الذين لا يعرفون الحساب. فكان على الأميين

أن يواجهوا أمماً شريرة خبيرة بنسج المكاييد والشرور، ومن أجل ذلك سُمِّيَنا بالأمة المرحومة. فكم بالحري بالمسلمين أن يفرحوا بأن الله تعالى قد عَدَّهم أهلاً بالرحمة. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٤٧)

بما أن نبينا الأكرم ﷺ قد بُعث للتربية الروحانية لكافة الناس في العالم، فكان متحلياً بهذه الميزة على أكمل وجه. وهذه مرتبة قد شهد بها القرآن الكريم بحق النبي ﷺ في آيات عديدة، حيث نَعَتَه إزاء صفات الله بصفات مماثلة، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨)، وقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٤٣)

وليكن معلوماً أيضاً أن كلام كل شخص يكون بقدر همته وعزيمته، كلما كانت عزيمة المرء وأهدافه سامية كان كلامه عالي المرتبة. وتلاحظ الصفة نفسها في الوحي الإلهي أيضاً، أي كلما كان الموحى إليه ذا عزيمة عالية نزل عليه الكلام الإلهي بالدرجة نفسها. ولما كان نطاق قوة النبي ﷺ وعزيمته وكفاءته واسعة جداً، فإن كلام الله الذي تلقاه كان عالي المرتبة جداً، ولن يولد شخص بمثل ﷺ وعزيمته وكفاءته، لأن دعوته ما كانت لزمن محدد أو قوم معينين مثل الأنبياء الذين سبقوه، لذا قيل بحقه ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وقيل أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ فأنتي لأحد أن يباري مَنْ كان نطاق بعثته ورسالته واسعاً إلى هذا الحد؟! (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٠، عدد ٣١ / ٥ / ١٩٠٣م، ص ٢)

اعلموا أن الله تعالى أراد بإرسال الكتاب المجيد وبعثة النبي ﷺ أن يرحم العالم رحمة عظيمة كما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٩، عدد ١٧ / ٣ / ١٩٠٥م، ص ٦)

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ كان النبي ﷺ يستحق هذا الوصف إذا كان قد أبدى كل نوع من الأخلاق لإيصال الهدى، وهذا ما حدث فعلاً؛

إذ قد أكمل حضرته ﷺ مهمة الإصلاح بالأخلاق والصبر والرفق والضرب ودعا الناس إلى الله تعالى، ولم يدخر جهدا في إعطاء المال، وتوظيف اللين، وتقديم الأدلة العقلية والمعجزات. فمن وسائل الإصلاح الضرب أيضا، كما تنذر الأم الطفل في وقت من الضرب، فقد وظّف ﷺ هذا الطريق أيضا. فالضرب أيضا رحمة من الله، حيث أن الله يفهم به أولئك الذين لا يفهمون بأي طريقة أخرى، لكي ينجوا.

حين ذكر الله ﷻ أربع صفات له في مستهل الفاتحة، فقد استخدمها رسول الله ﷺ كلها الأربع في تبليغ الرسالة، فمثلا وردت أولا ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي الربوبية العامة. فإلى ذلك تشير ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ثم هناك تجلي الرحمانية، إذ لا بديل لفيوضه، وكذلك صفات أخرى. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٩، عدد ٧/٨/١٩٠٣ م، ص ٢٢٦)

كان النبي ﷺ مظهرا لصفات الله الأربع كلها الواردة في سورة الفاتحة. فمثلا الصفة الأولى هي ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وكان النبي ﷺ مظهرا لها أيضا حيث قال الله ﷻ في حقه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ فكما كان "رب العالمين" يقتضي الربوبية العامة كانت فيوض النبي ﷺ وبركاته وهدايته وتبليغه تشمل الدنيا بأسرها والعالمين كلهم. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٩، عدد ١٠/٨/١٩٠٣ م، ص ٧)

الآية ١١٠: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَذْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾

لقد جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنْ أَذْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾، أي لا أعلم هل وقت نزول العذاب قريب أم بعيد، وهذا يبين بصراحة أن موعد العذاب لا يحدّد دائما. (بدر، مجلد ١، رقم ٨، عدد ٥/٢٥/١٩٠٥ م، ص ٦)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير

سورة الحج



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الآية ٢: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾

لا ننكر أن الساعة تعني القيامة أيضاً، إلا أنها تعني هنا سكرات الموت، لأنه وقت الانقطاع التام، حيث ينقطع المرء دفعة واحدة عن كل ما يحبه ويرغب فيه، ويصيبه زلزال من نوع غريب، وكأنه يكون في قبضة شيء خفي. فجلُّ سعادة المرء تكمن في أن يكون مستعداً للموت، وألا يحب الدنيا ومُتعتها بحيث يؤذيه الانفصال عنها في ساعته الأخيرة. وقد قال الشاعر عن هذه الأشياء:

اين همه را به كشتنت آهنگ گاه بصلح كشند و گاه بجنگ

أي أن كل واحد من هذه الأشياء يريد أن يهلكك، تارةً بالصلح وأخرى بالحرب.

(الحكم، مجلد ٤، رقم ٤٦، عدد ١٢/٢٤/١٩٠٠ م، ص ٢)

الآية ٣: ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

لقد تنزل الأموات بأشكالها المختلفة مثل الطاعون والأوبئة والقحط والزلازل، فعندما تحلّ المصائب من هذا القبيل يفقد أهل الدنيا صوابهم ويتعرضون لأشدّ الحزن والمصيبة ولا يجدون أي مخرج منه، ولقد أشير إلى ذلك في القرآن الكريم: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ بل الحق أن الخوف الشديد والهَمّ قد أفقدهم الصواب، ولم تبقى لهم همة. وفي هذه الأوضاع لا يبقى الصبر في أحد غير المتقي. لا يمكن لأحد أن يصبر في الأمور الدينية بدون التقوى، فعند حلول البلاء لا يقدر على الصبر غير المتقي، الذي يدمج رضاه برضا الله ﷻ. فما لم يكن عند الإنسان إيمان قوي سلفاً يتعثر لأدنى خسارة ويكون ملحداً ولا تبقى له أي علاقة بالله، ولا يتحمل المصيبة. ينكر أهل الدنيا عند مواجهة المصائب وجود الله ﷻ. (بدر، مجلد ٧، رقم ٢، عدد ١٦/١/١٩٠٨ م، ص ٤)

الآية ٦: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتَّقَى وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدِّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾

. أي؛ يا بني آدم أنتم حزبان، فمنكم من يموت قبل الشيخوخة أي لا يصل إلى سن متقدم جداً ليصبح شيخاً فانياً، بل يموت قبل تلك المرحلة؛ ومنكم حزب آخر يصل أصحابه إلى مرحلة الشيخوخة؛ أي يصابون بحالة أَرْدَلِ العمر المقرفة والمنقرة، فيصبحون كطفل عديم الفهم مع كونهم من العلماء والعاقليين، وينسون في لمح البصر

كل ما تعلّموه مدى العمر.

فما دام الله تعالى قد قسم بني آدم إلى حزينٍ فقط من حيث أسلوب الحياة، فلا يمكن أن يبقى المسيح ابن مريم خارجاً عن أحد هذين القسمين مثل بقية البشر. علماً أن هذا ليس قانون المشرعين الدينيين حتى يقدر أحد من الناس على ردّه، وإنما هي سنة الله التي بيّنها الله جلّ شأنه بنفسه بصراحة تامة.

فمن منطلق هذا التقسيم الإلهي يجب أن ينطبق على المسيح عليه السلام إما مبدأ: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى﴾ فيكون الآن جالساً بعد الموت في جنة الخلد على عرشٍ ذكره بنفسه في الإنجيل. أو إذا لم يمت إلى الآن فلا بد أن يكون قد بلغ أرذل العمر بتأثير الزمن، وبذلك فإن وجوده أو عدمه سيّان بسبب حدوث الاختلال في حواسه. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٦٥-٢٦٦)

يقول الله تعالى في هذه الآية إن سنة الله جارية فيكم بطريقتين اثنتين فقط؛ يموت بعضكم قبل وصوله إلى العمر الطبيعي، والآخرون يصلون إلى الأجل الطبيعي، إذ يُردُّون إلى أرذل العمر كي لا يعلموا من بعد علم شيئاً. إن هذه الآية أيضاً تدل على موت المسيح ابن مريم لأنها تبرهن أن الإنسان لو قدّر له عمر طويل، لطالت حياته يوماً بعد يوم حتى يبلغ أرذل العمر، فيغدو جاهلاً مثل طفل صغير، ثم يموت. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٢٨-٤٢٩)

من المسلّم به لدى الفريقين أن سنة الله الجارية عموماً هي أن يموت كل إنسان في غضون مدة العمر الطبيعي المحدد للإنسان. وهذا ما بينه الله تعالى أيضاً في آيات عديدة في القرآن الكريم كما يقول: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾. أي تطراً عليكم حالتان اثنتان فقط، أولاهما أن بعضكم يموتون قبل الهرم، والبعض يبلغون أرذل

العمر فلا يعلمون من بعد علمهم شيئاً. الآن، لو أُعلن عن أحد على النقيض من النص الصريح أنه قد مضت عليه مئات أضعاف العمر الطبيعي ولكنه لم يمت ولم يبلغ أرذل العمر ولم يؤثر فيه امتداد الدهر قيد ذرة، فالمعلوم أن مسؤولية إثبات كل هذه الأمور تقع على الذي يدّعيها أو يعتنق هذه العقيدة لأن القرآن الكريم لم يذكر عن الإنسان قط أن بعض الناس ينالون عمراً أطول بمئات الأضعاف من عمر البشر الطبيعي، ولا يردّهم الدهر إلى أرذل العمر نتيجة تأثيره فيهم ولا يجعلهم مصداقاً لـ ﴿نُكِّسَهُ فِي الْخَلْقِ﴾. فلما كان هذا الاعتقاد يخالف تماماً تعليم سيدنا ومولانا ﷺ فالذي يدّعي هذا الاعتقاد فإن مسؤولية الإثبات تقع عليه. فالموت في أثناء العمر الطبيعي بحسب تعليم القرآن الكريم، وحدوث التغيرات المختلفة في فترات العمر المختلفة بسبب تأثير الدهر لدرجة الوصول إلى أرذل العمر بشرط البقاء على قيد الحياة أمر طبيعي وحقيقي يلازم طبيعة الإنسان، والقرآن الكريم زاخر بهذا البيان. (الحق مناظرة دلهي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٠)

كذلك قد ثبت موت عيسى ﷺ من آية ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ﴾، لأنه لم ترد في القرآن الكريم جملة "منكم من صعد إلى السماء بجسمه العنصري ثم يرجع في آخر الزمان" مع وجود التكرار فيه. فإذا كان من الحق أن عيسى ﷺ كان قد صعد إلى السماء بجسمه المادي فإن حصر القرآن الكريم هذا سيبقى ناقصاً، لأن الله ﷻ لم يذكر الصعود إلى السماء في هذه الآية أو في آية أخرى، وإذا كان هذا أيضاً من سنة الله تعالى فكان من الواجب ذكره لاكتمال البيان، فلما ذُكر في القرآن الكريم عدة مرات إماتة الشباب أو الشيوخ ولم يُذكر إسكان البعض في السماء أيضاً بمحاذاة ذلك، فهذا يدل على أن إسكان أحد في السماء بالجسم المادي ليس من سنن الله ﷻ. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٣٨٥-٣٨٦)

الآية ١٢: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾

إن استجابة الدعاء حق ولكن الله لم يقطع سلسلة الموت والوفاة قط. هذا ما كان في عصر كل نبي. الذين يشترطون لإيمانهم أن يُجاب دعاؤهم وتحقق أمنيتهم أغبياء جدا. قد ورد عنهم في القرآن الكريم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾. (بدر، مجلد ١، رقم ١٦، عدد ١٩٠٥/٧/٢٠، ص ٣)

الآية ١٨-١٩: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾

المسلمون الذين آمنوا اعتصموا بالتوحيد الخالص، أما اليهود الذين أشركوا واتخذوا الأولياء والأنبياء قضاة لحاجاتهم، وأشركوا المخلوقات مع الله ﷻ، والصابئون الذين يعبدون النجوم، والنصارى الذين اتخذوا المسيح ابن الله، والمجوس الذين يعبدون النار والشمس، وغيرهم من المشركين المتورطين في أنواع الشرك سيحكم الله تعالى بينهم يوم القيامة. والله شهيد عليهم جميعا ولا يخفى عليه أن عبدة المخلوق على الباطل. من البديهي تماما ويمكن لكل شخص أن يدرك بأدنى انتباه أن ما في السماء والأرض من الأجرام الفلكية والأجسام الأرضية والنباتات والجمادات والحيوانات والعناصر الأخرى مثل القمر والشمس والنجوم والجبال والأشجار والحيوانات المتنوعة والناس الذين يسجد لهم المشركون كل هذه

الأشياء تسجد لله؛ أي كل هذه الأشياء محتاجة إلى الله ﷻ لوجودها وبقائها وخاضعة له بتذلل. ولا يمكن أن تستغني عنه ولو للمح البصر.

فإن طلب الحاجات من الأشياء التي هي محتاجة بحد ذاتها ضلال مبين. وبعض الناس الذين يختارون طريق التمرد لا يخلون أيضا من التذلل، لأن عذاب أصناف الآلام والأسقام والأفكار والهموم يحل بهم في الدنيا باستمرار، وقد أعد لهم عذاب الآخرة أيضا. ففي أي شيء غير الله توجد صفة "الغني" و"الصمد" حتى يتخذة أحد معبودا له؟ ولأنه لا يتصف أحد سوى الله تعالى بصفة "الغني" و"الصمد" فهذا يثبت أن عبدة المخلوق كلهم على الباطل. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزانة الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢٤-٥٢٥، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ٢٧: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَظَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

"قوله تعالى: ﴿إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ دليل على كون مكة أول العمارات، فلا تسكت كلمتي وكن من المتيقظين. فحاصل المقالات أن مكة كانت أول العمارات، ثم خربت من الحادثات وسيل الآفات." (من الرحمن، الخزانة الروحانية، المجلد ٩، ص ٢٣٣)

الآية ٣١: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾

لا أرى هنا حاجة لأنصحكم بألا تسفكوا دما، إذ لا أحد يُقدِّم على سفك الدم بغير حق إلا من كان شريرا. وإنما أقول: لا تقتلوا الحق بالإصرار على عدم الإنصاف، واقبلوا الحق وإن وجدتموه عند طفل صغير. وإذا وجدتكم الحق عند خصمكم فاتركوا منطقكم الجاف فوراً وقوموا على الحق واشهدوا شهادة حق. يقول

الله جلّ شأنه: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، أي اجتنبوا الزور، لأنه ليس أقل من رجس الأوثان. كلّ ما يصرف وجوهكم من قبلة الحق فإنه وثنٌ في سبيلكم. فاشهدوا شهادة حقّ ولو كانت على أبويكم أو إخوتكم أو أصدقائكم، ولا تمنعنكم عداوة عن العدل والإنصاف. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٥٠)

لقد جعل القرآن الكريم قول الزور مساويا لعبادة الأوثان كما يقول: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾. (نور القرآن رقم ٢، الخزائن الروحانية، مجلد ٩ ص ٤٠٣)

أي اجتنبوا عبادة الأصنام وقول الكذب.. بمعنى أن الكذب أيضا صنم يعتمد عليه الكاذب ولا يتوكل على الله. فالكاذب يترك بكذبه ربه. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٦١)

اجتنبوا الأوثان وقول الزور لأن كلاهما نجس. (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٥٧)

إن أكل الحرام لا يضرُّ بقدر ما يضرُّ قول الزور، ولكن يجب ألا يفهم أحد من ذلك أن أكل الحرام لا ضير فيه، إذا فهم أحد هكذا فهو يخطئ خطأ فادحا. وإنما أقصد أن أحدا إذا أكل لحم الخنزير في حالة الاضطرار فهذا جائز، ولكنه لو أفق بلسانه بحلّ لحم الخنزير فإنه يخرج عن الإسلام بعيدا؛ إذ يُحلُّ ما حرم الله.

باختصار، لقد تبين من ذلك أنّ خسارة اللسان وضرره خطير جدا، لذا فمن واجب المتقي أن يمسك لسانه جيدا، فلا يتفوه أبدا بما يتنافى مع التقوى. فسيطروا على ألسنتكم، بدلا من أن تسيطر هي عليكم، ولا تنفوهوا بكلام سخيف. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١١، عدد ٢٤/٣/١٩٠١ م، ص ٤)

لقد عدّ القرآن الكريم قول الزور نجاسةً ورجسا فقال: ﴿اجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، وقد ذكر الله هنا الزور مقابل الأوثان. والزور وثنٌ

حقاً، وإلا لما ترك أحدُ الصّدق ومال إلى غيره. كما أنّه لا حقيقة للوثن، كذلك ليس تحت الزور إلا بريق زائف. الكاذبون يفقدون مصداقيتهم إلى حد أن يظن المرء أنّ هناك شيئاً من الكذب والزور في قولهم ولو صدقوا. وإذا ما أراد المعتادون على الكذب التخلّي عنه، لن يجدوا ذلك سهلاً؛ بل تلزمهم المجاهدة إلى مدة حتى يعتادوا على قول الصدق. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣١، عدد ٢٠٨/١٩٠٢م، ص ٢)

لقد سمّى الله تعالى الكذب رجساً وأكد على اجتنابه فقال: ﴿اجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي عدّ الكذب مثل عبادة الأوثان. فكما يُخضع شخص غبي رأسه أمام حجر تاركا عبادة الله كذلك يتخذ الكذب وثنا لتحقيق مرامه تاركا الصدق والحق. لذلك عدّ الله تعالى الكذب مثل عبادة الأوثان وذكر العلاقة بينهما. فكما يتحرى عابد الأوثان النجاة عند الوثن كذلك يتخذ الكاذب وثنا من عنده ويظن أنه سينال النجاة بواسطته. كم تردّت الحالة! بحيث إذا قيل لهم: لماذا تعبدون هذا الوثن؟ اتركوا هذه النجاسة، قالوا: كيف نتركه، إذ لا تقوم لنا بدونه قائمة. أيّ شقاوة أكبر إذ يحسبون الكذب مدار حياتهم؟! ولكني أقول وأؤكد لكم أن الصدق هو الذي ينتصر في نهاية المطاف، وفيه الخير والفتح....

اعلموا يقينا بأنه لا شيء نحسّ مثل الكذب. يقول الناس الماديون عادة بأن الصادقين يُسجنون. ولكن كيف أقبل ذلك؟ إذ قد رُفعت عليّ سبع قضايا ولم أضطر إلى كتابة كلمة واحدة كاذبة بفضل الله تعالى. وليخبرني أحد هل جعلني الله أتعرض لهزيمة في واحدة منها؟ إن الله تعالى يؤيد الصادق وينصره من عنده. هل يمكن أن يعاقب الله ﷻ صادقا؟ لو حدث ذلك لما تشجع أحد في العالم على قول الصدق، ولا ترفع الإيمان بالله ولمات الصادقون وهم أحياء. الحق أن بعض الناس عندما يعاقبون عند صدق المقال لا يكون سببه عائدا إلى قولهم الصدق بل يكون ناتجا عن بعض سيئاتهم الأخرى الخفية أو عن كذب آخر لأن الله تعالى يعلم سلسلة

سيئاتهم وشروورهم، أي تكون لهم أخطاء أخرى كثيرة فيعاقبون على خطأ منها.
(الحكم، مجلد ١٠، رقم ١٧، عدد ١٧/٥/١٩٠٦م، ص ٤-٥)

الآية ٣٣: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

قال عليه السلام عن نوم المرء موجّها قدميه إلى القبلة المعظمة أم لا: هذا لا يجوز لأنه ينافي التعظيم.

قال السائل: لم يُمنع ذلك في الأحاديث.

فقال عليه السلام: هذا ليس دليلاً، فلو وقف أحد واضعاً قدميه على القرآن الكريم بحجة أنه لم يُمنع ذلك في الحديث فهل يصبح ذلك جائزاً؟ كلا. ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٢٥-٢٦، عدد ٧/٣١-١٠/٨/١٩٠٤م، ص ١٤)

الآية ٣٨: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْبَرُوا اللَّهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾

الصادقون يُرفعون إلى الله تعالى روحاً وروحانية، وليس أن تصل إلى الله تعالى لحومهم ودماءهم وعظامهم. لقد قال تعالى بنفسه: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ أي تصل إليه منكم روح الأعمال الصالحة وطهارتها.
(إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٤٧)

وإن قانون الطبيعة الجاري منذ القدم هو أن كل هذه الأشياء تتأتى بعد المعرفة الكاملة. إن أصل الخوف والحب والتقدير هو المعرفة التامة. فمن أُعطي المعرفة التامة فقد أُعطي الخشية والحب الكاملين أيضاً. وكلّ من أُعطي الخشية الكاملة والحب التام فقد نُجّي من الذنب الناشئ عن التجاسر. نحن لا نعتمد لهذا الخلاص على أيّ دم، ولا نحتاج إلى أيّ صليب ولا إلى أية كفارة، بل نحن بحاجة إلى توضحية واحدة، ألا وهي التوضحية بنفوسنا التي تشعر فطرتنا بالحاجة إليها. وهذه التوضحية

تُدعى بتعبير آخر "الإسلام". والإسلام يعني تسليم العنق للذبح. أي وضع الروح على عتبة الله طوعاً وانصياعاً. هذا الاسم الجميل هو روح جميع الشرائع السماوية وجذر التعاليم ونواتها. إن تسليم العنق للذبح طوعاً وبقناعة حقيقية يتطلب حباً كاملاً، والحبُّ الكامل يتطلب معرفة كاملة. وهكذا فإنَّ كلمة الإسلام تُشير إلى أنَّ التضحية الحقيقية تحتاج إلى معرفة كاملة وحبِّ كامل وليس إلى شيء آخر. لقد أشار الله تعالى إلى هذا الأمر في القرآن الكريم فقال: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾، لذا فاخشوني واتقوني. (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٥١-١٥٢)

إنَّ طهارة القلوب هي التضحية الحقيقية. اللحم والدم لا يمثلان تضحية صادقة. حيثما يذبح العوائم الدواب يذبح الخواص القلوب. ولكن الله تعالى لم يمنع تلك التضحيات أيضاً ليعلم أن لها أيضاً علاقة مع الإنسان. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤٢٤)

لقد وضع الله تعالى في الشريعة الإسلامية نماذج كثيرة للأحكام الضرورية، فقد أمر الإنسان أن يضحي بنفسه في سبيل الله بكل قواه وبكل وجوده. فقد جعلت القرايين الظاهرية نموذجاً لتلك الحالة، ولكن الغرض الحقيقي هو هذه التضحية كما يقول الله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾. أي اتقوا الله كأنكم تكدون تموتون في سبيله. وكما تذبحون القرايين بأيديكم كذلك اذبحوا نفوسكم أيضاً في سبيل الله. كلما كانت التقوى أدنى من هذه الدرجة كانت ناقصة. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٩٩، الحاشية)

إن الله تعالى لا يحب القشر بل يقبل الروحانية والمغزى، لذلك قال: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى﴾. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٢٥-٢٦، عدد

إن لم يصحب الصلاة والصوم الظاهري الإخلاص والصدق فلا ميزة فيهما. الرهبان والمنتسكون أيضا يقومون بمجاهدات كبيرة. يلاحظ كثيرا أن بعضهم يتحملون مشاق كثيرة ومصائب شديدة حتى تضر سواعدهم، ولكن هذه المشاق لا تهبهم نورا ولا ينالون سكينه أو اطمئنانا بل تسوء حالتهم الباطنية أكثر من ذي قبل. يقومون بمجاهدات جسدية لا علاقة لها بالباطن ولا تؤثر على روحانيتهم، لذلك قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى﴾. الحق أن الله تعالى لا يحب القشر بل يريد المغزى. في هذا المقام يُطرح سؤال أنه إذا كان اللحم والدم لا يصله فما الحاجة إلى التضحيات أصلا؟ كذلك إذا كان الصوم والصلاة يتعلقان بالروح فما الحاجة إلى الحركات الظاهرية؟ وجوابه: صحيح تماما أن الذين يتخلون عن استخدام الجسم لا تقبلهم الروح أيضا ولا يتولد فيها الخشوع والعبودية التي هي الغاية المتوخاة. والذين يستخدمون الجسد فقط ولا يشركونه الروح هم أيضا مرتكبون خطأ خطيرا. الرهبان والمنتسكون يدخلون في القسم نفسه. لقد أنشأ الله تعالى علاقة بين الروح والجسد، والجسد يؤثر في الروح..... باختصار، إن السلسلة الروحانية والمادية تمشيان جنبا إلى جنب. عندما يتولد الخشوع في الروح يتولد في الجسم أيضا، لذا عندما يتولد التواضع والخضوع في الروح تظهر آثاره في الجسم تلقائيا، كذلك عندما يقع تأثير خاص في الجسد تتأثر به الروح أيضا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٨، عدد ٢٨/٢/١٩٠٣ م، ص ٢-٣)

الآية ٣٩-٤١: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ* أَدْنَى لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ

وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ

أي لقد أراد الله أن يدفع سوء الكفار وظلمهم عن المؤمنين أي يأذن لهم بالقتال الدفاعي... فيأذن الله للمؤمنين الذين صال عليهم الكفار صولا بعد صول ليقتلوهم، ويأمرهم الله أن يقاوموا الكفار لأنهم مظلومون وأن الله على نصرهم قدير وإن كانوا قلة. هذه هي الآية الأولى في القرآن الكريم التي أذن فيها للمسلمين بمواجهة الكفار. ففكروا بأنفسكم ماذا يُستنبط منها؟ هل يُستنبط منها السبق إلى القتال أم المقاومة والدفاع عن النفس في حالة الاضطرار والمظلومية؟ (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٩١-٣٩٢)

لا يوجد في القرآن الكريم تعليم الإكراه قط. لقد بدأ الكفار بإيذاء المؤمنين مئات أنواع الإيذاعات، قتلوهم، نفوهم من الوطن، ثم لاحقوهم. وحين تجاوز الظلم الحدود، واستحقت جرائمهم العقوبة في نظر الله أنزل الله تعالى الوحي فقال: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾. أي الآن يسمح الله للمسلمين الذين ظلموا وخطط لقتلهم ليتصدوا. فلما استحق العرب القصاص - بناء على سفكهم الدماء من قبل بغير حق، ونتيجة قتلهم المسلمين بأشنع الطرق - وصاروا جديرين بأن يقتلوا كما قتلوا الأبرياء بغير حق وبأشد أنواع التعذيب، وأن يعاملوا كما عاملوا يجعلهم الأبرياء عرضة للدمار بإخراجهم من أوطانهم، وسلب أموالهم وعقاراتهم، ونهب بيوتهم. ولكن الله تعالى صفح عنهم وخفف عنهم كثيرا رحمة منه وقال ألا يقتل أولادهم ولا نساؤهم، وخفف عليهم أيضا بأنه لو آمن أحدهم طوعا قبل القتل لرفع عنه العقاب الذي كان يستحقه بسبب جرائمه السابقة وسفك الدماء. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٦٢-٢٦٣)

لم تكن حروب الإسلام كما يغزو ملك قوي قوما ضعيفا ويقتلهم بلا هوادة، بل حقيقتها أنه عندما ظل نبي الله المقدس وأتباعه يتحملون الأذى على يد المعارضين

إلى مدة طويلة حتى قُتل كثير منهم، وأهلك كثير منهم بأشنع أنواع التعذيب حتى خططوا لقتل نبينا الأكرم عليه السلام أيضا. وحملوا كل هذه الانتصارات على أن أوثانهم آلهة صادقة. ولم يتركوا النبي عليه السلام في سلام بعد الهجرة أيضا بل جاءوا للقتال قاطعين مسافة ثمانية منازل. عندها أمر المسلمون بالقتال درءاً لهجومهم ولتأمين الذين كانوا في أيديهم كالأسرى، ولإثبات زيف الآلهة التي حُمِلت الفتوحات السابقة على تأييدها، ... وما كانت تهدف على الإطلاق إلى أن يُدخَلَ الناس في الإسلام بالتهديد بالقتل. بل الحق أنهم كانوا قد استحقوا القتل سلفاً نتيجة جرائمهم المتنوعة وسفكهم الدماء. وكان من أنواع الصفح والتخفيف التي أبداهها الرب الرحيم تجاههم أنه لو وُفِّق أحدهم للإسلام لنجا. أين الإكراه في ذلك؟ بل قد صدرت الفتوى بقتل العرب نتيجة جرائمهم السابقة. ومع ذلك حُفِّف عنهم ألا يُقتل أولادهم ولا شيوخهم ولا نساؤهم، وألا يُقتلوا هم أنفسهم أيضا في حالة إيمانهم. (الحرب المقدسة، الخزانة الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٤٤-٢٤٥)

الذين قَتَلُوا بالسيوف قَتَلُوا بها، والذين نهبوا الفقراء بغير حق نهبوا. فقد حصدوا ما زرعوا، بل عوملوا بِلين ورفق متزايد، الأمر الذي يُعْتَرَض عليه اليوم بأنه لماذا عوملوا بهذه الطريقة إذ كان يجب أن يقتلهم جميعا. (الحرب المقدسة، الخزانة الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٧٦)

لا بد من النظر إلى سلسلة الحروب. وإن لم تتأملوا في سلسلتها لوقعتم في أخطاء فادحة عمدا أو سهوا. الحقيقة أن الكفار خططوا أولا لقتل نبينا الأكرم عليه السلام، ثم أخرجوه من مكة في نهاية المطاف نتيجة صولاتهم، ثم لاحقوه. وحين تجاوزت المعاناة حدودها كان الأمر الأول الذي نزل للقتال هو: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلُمُوا ... إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾. (الحرب المقدسة، الخزانة الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٥٤-٢٥٥)

الإسلام لم يسبق برفع السيف بل كان رفعه بقدر الضرورة لإرساء دعائم الأمن فقط، ولم يأمر بقتل النساء والأطفال والرهبان، بل إن الذين سبقوا بسِلِّ السيف على الإسلام

فُتِلُوا بالسيف، وأن التوراة هي التي أعطت تعليم الحرب بالسيف أكثر من غيرها، وبسببها قُتِلَ النساء والولدان بأعداد لا تُعَدُّ ولا تُحصى. إنه محض ظلم أن يستاء ذلك الإله من حروب الإسلام التي اضطر لخوضها نبي الله الطاهر ﷺ لكونه مظلوماً أو لإرساء دعائم الأمن. (حجة الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٤٦-٤٧)

ما كانت غزوات النبي ﷺ تهدف إلى قتل الناس بدون داعٍ، وإنما لأن الظالمين أخرجوه وأصحابه من ديار آبائهم، وقتلوا الكثير من رجال المسلمين ونسائهم دون ذنب، ومع ذلك كانوا لا يكفون عن الظلم، وكانوا يمنعون تعاليم الإسلام من الانتشار.. لذلك اقتضى القانون الرباني لحفظ الأمن أن يحفظ المظلومين من الفناء، فتم القتال بالسيف ضد من شهروا السيف.

فلم تكن حروبه ﷺ إلا إخماداً لفتنة القتل السفاكين.. ودفعاً لشهرهم عن المظلومين. ولقد قامت الحرب حين كان الظالمون ييغون القضاء على أهل الحق. ولو لم يتخذ الإسلام حينئذ تلك الوسائل حفاظاً على النفس، لهلك آلاف الأبرياء من أطفال ونساء بغير حق.. ولقضي على الإسلام. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٥٠-٤٥١)

"اعلموا أن قتل الناس من غير تفهيمٍ وتبليغٍ وإتمام حجة أمرٍ شنيع لا يرضى به أهل فطنة، ولا نور فطرة، فكيف يُعزى إلى الله العادل الرحيم، والمنان الرؤوف الكريم؟ ولو كان هذا جائزاً لكان أحق به سيدنا خير البرية، وقد سمعتم أنه صبر مدة طويلة على تناول الكفرة الفجرة، ورأى منهم كثيراً من الظلم والأذى، وأنواع الشدة والصعوبة، حتى أخرجوه من البلدة، ثم أهرعوا إليه متعاقبين مُغاضبين بنية القتل والإبادة، فصبر صبراً لا يوجد نظيره في أحدٍ من رُسل حضرة العزة، حتى بلغ الإيذاء منتهاه، وطال مداه، فهناك نزلت هذه الآية من الله السميع الخبير: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ فانظروا كيف صبر رسول الله وخير الرسل على ظلم الكفرة إلى برهة من الزمان، ودفع بالحسنة السيئة حتى تمت حجة

الله الديان، وانقطعت معاذير الكافرين. فاعلموا أن الله ليس كقصّاب يعبط الشاة بغير جريمة، بل هو حلیم عادل لا يأخذ من غير إتمام حجة. " (عاقبة آتهم، الخزائن الروحانية، المجلد ١١، ص ١٣٨-١٤٠)

إن حصول المعارك مع اليهود والنصارى ثابت من تعليم القرآن الكريم، غير أن المسلمين لم يبدأوا هذه المعارك قط، فهذه المعارك لم تكن بنية إدخال الناس في الدين قسراً، بل قد حصلت عندما خلق أعداء الإسلام أسباباً لها بإيذائهم المسلمين أو مساعدة المؤذنين. فحين ظهرت الأسباب منهم أرادت الغيرة الإلهية أن تعاقب هؤلاء الشعوب، وحتى في هذه العقوبة راعت الرحمة الإلهية جانب الرفق؛ فأعلنت أن من أسلم أو دفع الجزية فسوف ينجو من هذا العذاب. وهذه الرخصة أيضاً كانت تابعة لقانون الطبيعة الذي سنّه الله ﷻ، فعندما تنزل أي مصيبة من وباء أو قحط في صورة العذاب، فإن الضمير الإنساني من تلقاء نفسه يتوجه إلى دفع هذا العذاب بالدعاء والتوبة والتضرع ودفع الصدقات والتبرعات. فهذه العادة دائمة، ومن هنا نستنتج أن الله الرحيم بنفسه يُلهم الناس الوسائل لدفع العذاب، كما أزيل العذاب مراراً عن بني إسرائيل بدعاء موسى ﷺ. باختصار؛ كانت الحروب الإسلامية عذاباً للمعارضين غليظي الطبع، وحتى فيها قد تُترك طريق الرحمة مفتوحاً. فمن الانخداع الزعم أن الإسلام خاض الحروب لنشر التوحيد، والجدير بالانتباه أن الإذن بالحروب بدأ لمجرد العقاب حين عقدت الشعوب الأخرى العزم على الظلم والمقاومة. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزائن الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٥١)

الإسلام لم يُحْض في قتال اليهود ليؤمنوا بالتوحيد قسراً بل كانت شرور أعداء الإسلام أنفسهم مدعاة لهذه الحروب؛ إذ قد رفع بعضهم السيف أولاً لقتل المسلمين وبعضهم ساعدوهم وبعضهم قاوموا بغير حق نشر دعوة الإسلام، فبسبب هذه الدواعي كلها وللقضاء على المفسدين وعقابهم ودفع الشر كان الله ﷻ قد أذن في قتال هؤلاء المفسدين حصراً. أما الزعم بأن النبي ﷺ قد امتنع

عن قتال الأعداء في الحياة المكينة الممتدة على ١٣ عاما لأنه لم يكن قد جمع جمعا، فهذا الزعم ظلم محض وفكرة فاسدة. فلو كان أعداء النبي ﷺ امتنعوا عن المظالم وأعمال سفك الدماء التي صدرت منهم في مكة على مدى ١٣ عاما ولم يكونوا قد خططوا هم أنفسهم لقتل النبي ﷺ أو إخراجهم من الوطن، وكان النبي ﷺ قد هاجر إلى المدينة عن طيب خاطره دون أن يهاجمه الكفار، لكان لهذه الظنون السيئة محل. غير أن معارضينا أيضا يعرفون جيدا أن نبينا ﷺ ظل يصبر على قسوة الأعداء كلها واضطهادهم طول ١٣ عاما، وكان يوصي الصحابة أيضا بشدة أن لا يردّوا السيئة، فقد سفك الأعداء دماء كثيرة، أما ضرب الصحابة المساكين الفقراء وإيذاؤهم وإصابتهم بجروح بليغة خطيرة فلم يكن لها أي حد، وأخيرا هاجموا النبي ﷺ بنية القتل، فعندئذ حمى الله نبيه ﷺ من شر الأعداء وأوصله سالما آمنا إلى المدينة، وبشّرهُ بأن الذين رفعوا السيف أولا سيقتلون بالسيف نفسه. فتأملوا قليلا بإنصاف وعقل هل يمكن أن يُستنبط من هذه الأحداث كلها أن النبي ﷺ حقق أمنيته التي كان يخفيها في القلب من قبل عندما اجتمع معه جمع؟ الأسف أشد الأسف على ما آل إليه مآل مؤيدي الدين المسيحي بسبب التعصب الديني، فلا يفكرون أي جمع كان قد اجتمع معه ﷺ عند أول معركة بعد الهجرة في بدرٍ حين لاحقهُ أهل مكة، إذ كان عدد المسلمين الرجال قد بلغ ٣١٣ فقط، وكان معظم الحاضرين في ميدان بدر شبابا في مقتبل العمر وعديمي الخبرة. فالجدير بالتدبر؛ هل يتصدى الإنسان للقضاء على جميع أبطال العرب واليهود والنصارى ومئات الألوف من الناس اعتمادا على هذا العدد القليل من الناس؟! فمن الجلي الواضح أن ذلك الخروج لم يكن نتيجة المكاييد والخطط التي يفكر فيها المرء للقضاء على الأعداء وانتصاره عليهم، لأنه لو كان كذلك لكان من الضروري أن يشكّل جيشا قوامه ٣٠ أو ٤٠ ألفا من المقاتلين على أقل تقدير، ثم يقاتل به مئات الألوف من الناس. فالجلي البين أن

هذا القتال كان بأمر من الله ﷻ وقت الاضطراب، لا اعتماداً على الوسائل المادية. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزان الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٦٤-٣٦٥)

"فلما أصاب المسلمين الذلة الأولى في مكة وعدهم الله بقوله ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾، وأشار في قوله ﴿عَلَىٰ نَصْرِهِمْ﴾ أَنَّ العذاب يصيب الكفار بأيدي المؤمنين، فأنجز الله هذا الوعد يوم بدر وقتل الكافرين بسيف المسلمين." (الخطبة الإلهامية، الخزان الروحانية، المجلد ١٦، ص ٢٧٠، ص ٢٧٧)

الإسلام لا يأذن برفع السيف إلا في حرب دفاعية، أو في محاربة الظالمين المعتدين عقاباً لهم، أو في الحرب التي تُشَنُّ حفاظاً على الحريات المشروعة. والحروب الدفاعية إنما هي تلك التي يُلجأ إليها لردّ عدوان العدو الذي يهدد حياة الناس. (المسيح الناصري في الهند، الخزان الروحانية، المجلد ١٥، ص ٤)

لقد قاسى نبينا ﷺ في مكة وبعد الهجرة منها أذى كثيراً على أيدي الكفار، وبخاصة في السنوات الثلاث عشرة التي قضاها في مكة، وكابد صنوف الظلم والاضطهاد التي تصورها يدفع الإنسان على البكاء؛ ولكنه ﷺ لم يرفع السيف على أعدائه، ولم يردّ على كلامهم اللاذع إلا بعد أن قُتل كثير من أصحابه وأعزّائه بكلّ قسوة ودون هوادة؛ كما تعرّض هو ﷺ لصنوف الإيذاء البدني، حتى إنهم احتالوا لقتله بالسم، ودبروا مكائد فاشلة عديدة للقضاء عليه. فلما حان وقت الانتقام الإلهي تأمر رؤساء مكة وزعماءها جميعاً على قتله والقضاء عليه نهائياً؛ حينئذ أخبره الله الذي يحمي أحبّاءه والصدّيقين الصالحين أنه لم يبق في هذه البلدة إلا الشر، وأن أهلها قد أجمعوا على قتله، فعليه أن يغادرها عاجلاً؛ عندها هاجر ﷺ إلى المدينة امتثالاً لأمر الله تعالى. ومع ذلك لم يكفّ الأعداء عن ملاحقته، بل تعقبوه وأرادوا بإلحاح شديد أن يسحقوا الإسلام سحقاً. فلما تفاقم شرّهم واستوجبوا العقاب

لقتلهم كثيراً من الأبرياء، أذن الله للمسلمين بقتال هؤلاء الكافرين دفاعاً عن أنفسهم، وحمايةً لحرية الخيار. وكان هؤلاء الأشرار وأعوانهم، بسبب إراقتهم للدماء البريئة عدواناً وظلماً دونما قتال أو حرب مشروعة، وبسبب استيلائهم على أموال المقتولين، قد استوجبوا المعاملة القاسية نفسها، ومع ذلك فإن نبينا ﷺ قد عفا عن جميع هؤلاء الأشرار عند فتح مكة. ولذلك فإن الزعم بأن النبي ﷺ أو أصحابه قد شنوا الحرب لأجل نشر الدين، في حين من الأحيان، أو أكرهوا أحداً على قبول الإسلام، لخطأً فاحش وظلم عظيم. (المسيح الناصري في الهند، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٩-١٠)

إذن فكيف يمكننا أن نصم بالإكراه والجبر ديناً يُعلّمنا كتابه القرآن الكريم بصراحة تامة أن ﴿لا إكراه في الدين﴾؟ وهل يحقّ لنا أن نتّهم بعقيدة الإكراه ذلك النبي العظيم الذي ظل يوصي أصحابه طول ثلاثة عشر عاماً في مكة المعظمة، بأن لا يقابلوا الشر بالشر، وأن يظلوا متمسكين بأهداب الصبر؟ نعم، لما تجاوز عدوان الأعداء الحدود كلها، وتألّبت جميع الشعوب للقضاء على دين الإسلام، اقتضت غيرة الله أن يُقتل بالْحُسام مَنْ يرفع الحسام؛ وإلا فإن القرآن لم يعلم الإكراه مطلقاً. ولو كان الإكراه من تعاليم الإسلام لما استطاع أصحاب النبي ﷺ أن يقدموا عند الاختبارات أسوة الصديق والوفاء كالمؤمنين الصادقين. وإن وفاء أصحاب سيدنا ومولانا ونبينا ﷺ لأمر غني عن البيان كلية؛ إذ لا يخفى على أحد أن مواقف صدقهم ووفائهم قد بلغت من العظمة ما لا نظير له في الأمم الأخرى. إن هذه الأمة الوفية لم تتخلّ عن صدقها ووفائها حتى تحت ظلال السيوف، بل أبدت في سبيل الوفاء لنبيها المقدّس العظيم من الصدق ما لا يمكن أن يتحلّى به أي إنسان إلا إذا كان قلبه وصدوره منورين بالإيمان.

وجملة القول أنّ لا إكراه في الإسلام، وأن الحروب الإسلامية لا تخرج عن ثلاثة أقسام:

الدفاعية، أي دفاعًا عن النفس.

القصاصية، أي عقابًا لمن يسفك الدماء.

التحريرية، أي توطيدًا للحرية الدينية، وكسرًا لشوكة القوى العدوانية التي كانت تقتل المسلمين بسبب إسلامهم. فبما أن الإسلام خالٍ من أي تعليم لإدخال الناس فيه قسرًا أو تهديدًا بالقتل فَنَبَتَ أن الانتظار لظهور مهدي سَقَاك أو مسيح سَقَاك أمرٌ لغو باطل على الإطلاق؛ إذ من المستحيل أن يُبعث أحد ليسفك الدماء من أجل إدخال الناس في الإسلام خلافًا للتعاليم الإسلامية. (المسيح الناصري في الهند، الخزانة الروحانية، المجلد ١٥، ص ١١-١٢)

أستطيع القول حلفا بالله إن نبينا الأكرم عليه السلام لم يستخدم الإكراه قط لجعل الناس مسلمين، ولم يسلط السيف ولم يُصَب أحدًا بأذى إدخالًا في الدين. بل الحق أن جميع الحروب التي خاضها النبي عليه السلام وأصحابه آنذاك كانت إما دفاعًا عن النفس أو لتوطيد دعائم الأمن في البلاد، أو إضعافًا للذين يسعون للحيلولة دون انتشار الإسلام ويقتلون الذين أسلموا، ما لم يخضعوا لسلطة الإسلام تائبين عن هذا الأسلوب الشرير. أين يمكن العثور في ذلك الزمن على حرب شُنَّت لإدخال الناس في الإسلام كرها؟ بل الحق أن رحمة الله تعالى شملت الأقوام الجديرة بالعقاب التي سفكت دماء كثيرة وساعدت السفاكين، واستحقت القتل بمقتضى العدل نتيجة جرائمها. وقد حُفِّف عنهم رحمة بهم أنه لو أسلم هؤلاء المجرمون بصدق القلب لُغْفِي عن جرائمهم الشنيعة السابقة. وقد أُعْطِيَ هؤلاء المجرمون خيارًا أن يستفيدوا من القانون المبني على الرحم إذا شَاءُوا. (ترياق القلوب، الخزانة الروحانية، المجلد ١٥، ص ٢٤٦)

فلما كان المسلمون في أوائل الإسلام قليلين، فإن أعداءهم الذين كانوا يرون أنفسهم أكثر من فرق أخرى مالا وعددا وأعلى شرفًا ومرتبة، عادوا الصحابة أشدَّ عدا، بسبب التكبر الذي يكون راسخا عادة في طبائع مثل هذه الفرق وقلوبهم

وأذهاهم، ولم يُعجبهم أن تستوي هذه الغرسة السماوية على أصولها. فظلوا يستنزفون الجهود للقضاء على أولئك الأبرار، ولم يدّخوا جهدا في إيذائهم واضطهادهم، إذ كانوا يخافون أن ترسخ أقدام هذا الدين، فيؤدي ازدهاره وتقدمه إلى تدمير دينهم وقومهم، فدفعهم هذا الخوف الذي تملكهم إلى ممارسة أعمال الظلم الشنيع والجور الشديد، فأهلكوا الكثير من المسلمين بأساليب مؤلمة ومؤذية جدا، واستمرت أعمال الظلم هذه لمدة طويلة تقدّر بثلاثة عشر عاما، ومُزّق عباد الله الأوفياء - الذين هم فخر بني نوع البشر - إربا إربا بسيف أولئك الأشرار الهمجيين بمنتهى القسوة ودون هوادة، ودُبح الأولاد اليتامى والنساء العاجزات المسكينات في الأزقة والشوارع. ومع ذلك كان التأكيد من الله ﷻ أن لا يقاوموا الشر، فامتنع أولئك الأبرار المقربون من المقاومة. فاحمّرت الأزقة بدمائهم فلم يتدمروا ولم يشتكوا، ودُبحوا كالقرايين ولم يتأوهوا. سالت دماء رسول الله الطاهر المقدس - عليه صلوات السماء والأرض بعدد لا يُحصى - مرارا نتيجة رميه بالأحجار، فتضرج جسده المبارك بالدماء، فتحمل جبل الصدق والاستقامة جميع هذه الآلام والأذى بمنتهى الحب وانشرح القلب. بيد أن التحلي بالصبر والتواضع هذا، زاد الأعداء تجاسرا وعنادا باستمرار، فاعتبروا هذه الجماعة المقدسة صيدا لهم. عندئذ ذكّر ذلك الإله - الذي لا يريد أن يتجاوز الظلم والجور في الأرض الحدود - عباده المظلومين؛ فثار غضبه على الأشرار، وأخبر بكلامه الطاهر، القرآن الكريم، عباده المضطهدين قائلا: إني بصير بكل ما تواجهونه وكل ما يُفعل بكم، فما أنا آذن لكم من اليوم بالمقاومة، وأنا الله القادر لن أترك الظالمين بدون عقاب. فسُمّي هذا الإذن بتعبير آخر بالجهاد. ونصّ هذا الإذن الإلهي الموجود إلى الآن في القرآن الكريم هو: ﴿إِذْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ* الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، بيد أن هذا الإذن كان خاصا بزمان ووقت وغير دائم، لقد كان يخص الزمن الذي كان معتنقو الإسلام فيه يُذبحون كالأغنام والشيء. (الحكومة الإنجليزية والجهاد، الخزانة الروحانية، المجلد ١٧، ص ٥-٦)

وأن نبينا ﷺ لم يرفع السيف على أحد قط إلا على الذين هم رفعوا السيف أولاً، وقتلوا بمنتهى القسوة والغلظة الرجال الأتقياء والنساء والأولاد، وآذوهم وقتلوهم بأساليب مؤلمة تسيل العيون دمعةً بقراءتها اليوم أيضاً. (الحكومة الإنجليزية والجهاد، الخزانة الروحانية، المجلد ١٧، ص ٨)

إن رسول الله ﷺ لم يبادر في رفع السيف قط في زمنه، بل قد تحمّل الأذى بأيدي الكفار لمدة طويلة، وتمسك بصبرٍ لا يقدر عليه كل البشر. كما تحلّى أصحابه هم الآخرون بالمبادئ السامية نفسها؛ فصدقوا وصبروا بحسب ما علّموا الصبر على الأذى، فديسوا تحت الأقدام ولم يشتكوا، ومُزّق أولادهم أمام أعينهم إرباً وغدّبوا بالنار والماء، لكنهم امتنعوا عن مقاومة الشر كأطفالٍ رضّع. فمن ذا الذي يمكن أن يُثبت أن أمة من أمم الأنبياء في العالم تمسكت وامتنعت عن مواجهة الشر بسبب الحكم الإلهي فقط - مع قدرتهم على الانتقام - كما فعل أصحاب النبي ﷺ؟ من ذا الذي مجّزه إثبات أنه قد سبقت في العالم جماعة أخرى صبرت على إيذاء العدو الشرس الهمجي واضطهاده ثلاثة عشر عاماً على التوالي مع بسالتها وجمعيتها وقوة ساعدها وقدرتها على المقاومة ووجود جميع لوازم الرجولة والمروءة فيها؟ إذن، إن صبر سيدنا ومولانا وصحابته لم يكن ناجماً عن أي عجز واضطرار، بل كان صحابته الفدائيون يتحلون في أيام الصبر أيضاً بالشجاعة نفسها التي أبدوها بعد الإذن للجهاد، إذ في بعض الأحيان هزم ألف شاب مائة ألف جندي محنك للعدو، فقد تحقّق ذلك ليعرف الناس أن صبرهم على إيذاء الأعداء وسفك الدماء في مكة لم يكن لجبنهم أو ضعفهم. بل كانوا قد تخلّوا عن المواجهة بأمر من الله ﷻ فقط، واستعدوا للذبح كالأغنام والشيء.

(الحكومة الإنجليزية والجهاد، الخزانة الروحانية، المجلد ١٧، ص ١٠)

بعض الناس الذين يعادون الحق عندما يسمعون مثل هذا التعليم يعترضون - إن لم يجدوا اعتراضاً آخر - أنه إذا كان الإسلام يعلم المواساة فلماذا خاض النبي ﷺ الحروب؟ ولكن هؤلاء الجهال لا يعلمون أن الحروب التي خاضها النبي ﷺ كانت

بعد تحمل إيذاء شديد إلى ١٣ عاما متتالية، ومع ذلك كانت حروبه دفاعية فقط؛ فقد ظل يتحمل الإيذاء على أيديهم إلى ١٣ عاما، فقد قُتل المسلمون رجالا ونساء، وعندما وصل ﷺ إلى المدينة لم يتوقف هؤلاء الظالمون عن إيذائه هنالك أيضا، فأمر الله تعالى القوم المظلومين بالمقاومة وذلك أيضا لئِنُقَذ الخلق من شر الأشرار، وليُفتح المجال لقوم صادقين. لم يُرد النبي ﷺ أدنى شر لأحد قط، بل كان رحمة متجسدة. لو أراد بأحد سوءا لكان بإمكانه بعد أن حاز الشوكة والغلبة أن يقتل جميع أئمة الكفر الذين آذوه على الدوام، وكان موقفه سيكون مبررا تماما من منطلق العدل والعقل. (خطابات الجلسة السنوية عام ١٩٠٤، ص ٢٨)

القرآن كله يعلن مرة بعد أخرى أن لا إكراه في الدين، وبيّن جليّا أن الحروب في عهد النبي ﷺ لم تكن لنشر الدين قسرا، بل كانت لسببين: إما عقابا للذين قتلوا كثيرا من المسلمين وأخرجوا بعضهم من وطنهم وظلموهم ظلما كبيرا، كما يقول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنِ اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾؛ أي يؤذن للمسلمين الذين يحاربهم الكفار بالرد على عدوانهم لكونهم مظلومين، وإن الله قادر على أن ينصرهم؛ أو كانت تلك الحروب دفاعية، أي كانت تُشنّ ضد أولئك الذين كانوا يهاجمون المسلمين للقضاء على الإسلام، أو كانوا يمنعون قسرا انتشار الإسلام في بلادهم، فحاربهم المسلمون دفاعا عن النفس، أو لإرساء الحرية في البلاد. وبدون هذه الأسباب الثلاثة لم يَشَنَّ النبي ﷺ ولا خلفاؤه الأطهار أي حرب مطلقا، بل الحق أن الإسلام نفسه تعرّض لظلم الآخرين بما لا مثيل له بين الأمم. (سفينة نوح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٩، ص ٧٤)

إن كثيرا من المسلمين يهاجموني قائلين بأن في جماعتك عيبا وهو أنك تلغي الجهاد. ولكن الأسف كل الأسف أن قليلي الفهم هؤلاء يجهلون حقيقة. إنهم يسيئون إلى الإسلام وإلى النبي ﷺ الذي لم يرفع السيف قط لنشر الدين. ولما بلغت مظالم المعارضين له ولجماعته ذروتها، وقتلوا من أصحابه ﷺ المخلصين رجالا ونساء،

ولاحقوه إلى المدينة أيضا، عندها أمر ﷺ بالدفاع. لم يرفع النبي ﷺ السيف، بل رفعه أعداؤه. وقد أدماه الكفار الظالمون في بعض الأحيان من رأسه ﷺ إلى أخمص قدميه، ولكنه مع ذلك لم يتصدَّ لهم.

اعلموا جيدا أنه لو كان رفع السيف فريضة واجبة في الإسلام؛ لرفعه النبي ﷺ في مكة. ولكن الأمر ليس كذلك، بل الحق أن السيف رُفع حين لاحقه العدو المعتدي إلى المدينة. في ذلك الوقت كان العدو حاملا سيفاً، أما اليوم فلا.

... لا يُستخدَم ضد الإسلام اليوم إلا القلم، فماذا عساه يكون مَنْ يرد على

القلم بالسيف؛ غيباً أم ظالماً أم ماذا؟

ولا تنسوا أيضا أن النبي ﷺ رفع السيف على ظلم الكفار واضطهادهم الذي تجاوز الحدود كلها، وذلك للدفاع فقط؛ وهو أمر يميزه قانون كل دولة متحضرة. وقد أُجيز في قانون تعزيزات الهند أيضا أن يدافع المرء عن نفسه. فلو داهم لصٌ بيتاً وهاجم أهله وأراد قتلهم؛ فإن قتله دفاعاً عن النفس ليس جريمة.

فلما بلغت الأمور حدَّ قتل أصحاب النبي ﷺ المخلصين، وقُتلت المستضعفات من النساء دون هواده وحياء؛ أفلم يكن من الحق أن يعاقب السفاكون؟ فإذا كان في مشيئة الله تعالى في ذلك الوقت ألا يبقى للإسلام أي أثر، فكان من الممكن ألا يُرفع السيف قط، ولكنه ﷺ أراد أن ينتشر الإسلام ويكون وسيلة لنجاة الدنيا؛ لذلك رُفع السيف عندئذ دفاعاً فقط. أقول بكل تحدٍّ وقوة بأن رفع الإسلام السيف في ذلك الوقت ليس محل اعتراض حسب تعليم أي دين أو من حيث مقتضى الأخلاق. إن الذين يعلمون إدارة الحدِّ الآخر بعد تلقي اللطمة على الحدِّ الأول؛ لا يمكنهم أيضا أن يصبروا، كذلك الذين يرون قتل الحشرات ذنباً؛ هم أيضا لا يقدرّون على الصبر، فلماذا الاعتراض على الإسلام إذن؟!

أقول أيضا بكل وضوح إن الجهلاء من المسلمين الذين يقولون بأن الإسلام انتشر بقوة السيف؛ إنما يفترون على نبي معصوم ﷺ، ويسيئون إلى الإسلام. اعلموا

جيدا أن الإسلام قد انتشر دائما بتعليمه المقدس وهديه وثمرات أنواره وبركاته ومعجزاته. وقد نشرته آياتُ النبي ﷺ العظيمة والتأثيرات الطيبة لأخلاقه الكريمة. وإن تلك الآيات والتأثيرات لم تنقطع بل هي موجودة في كل زمن بصورة متجددة. لذلك أقول بأن نبينا ﷺ حيٌّ؛ لأن تعاليمه وإرشاداته تؤتي أُكلها كل حين. فسيقدم الإسلام في المستقبل أيضا بالأسلوب نفسه وليس بغيره. فلمّا لم يُرفع السيف لنشر الإسلام قط فيما مضى، فإن مجرد التفكير بذلك الآن يُعدُّ ذنبا؛ لأن الجميع يعيشون في الوقت الحالي بالأمن والسلام، وتوجد أسباب ووسائل كافية لنشر دينهم.

أقول بأسف شديد إن المسيحيين وغيرهم من المعترضين لم يتدبروا الحقيقة قط عند شتّهم الهجمات على الإسلام. كان عليهم أن يدركوا أن أعداء الإسلام كلهم كانوا في ذلك الزمن عاكفين على استئصال شأفة الإسلام والمسلمين، وكانوا ينسجون المكاييد ضده مجتمعين ويؤذون المسلمين. فماذا كان على المسلمين أن يفعلوا مقابل تلك المعاناة والمصائب إن لم يحموا أنفسهم؟!

لقد وردت في القرآن الكريم آية: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾. وهذا يدلُّ على أن المسلمين أمروا بذلك، وأذن لهم بالمواجهة دفاعا عن أنفسهم حين تجاوز الظلم بهم الحدود كلها. وكان ذلك إذنا في ذلك الزمن، ولم يكن أمرا دائما. (محاضرة لدهيانة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٧٢-٢٧٤)

القرآن الكريم لم يعلم الظلم والاعتداء بل أذن للمظلومين فقط أن يحاربوا وينهبوا أموال الأعداء كما نهب الأعداء أموالهم ولا يعتدوا. فأية وقاحة وعدم أمانة أن يتَّهموا القرآن دون مبرر أنه قد أمر بالقتل والنهب فور نزوله دون أن تصدر من الخصوم جرائم. لا نجد في القرآن الكريم كله أية آية بهذا المعنى. أما إذ وجد الآريون فيه آية تأمر بقتال الخصم دون ظلمه وقيامه بجرائم أخرى فحرام عليهم الطعام ما لم يقدّموها. أما تقديم الآية بالقص واللصق وقطعها عن سياقها وجعلها تفيد موقفهم إنما هو عمل الأشرار والوقحين والأوباش. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿أَذِنَ

لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٢٠٣﴾. (ينبوع المعرفة، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٠٣-٢٠٤)

أوضح أمرا آخر لهؤلاء الجهلة الذين يوجهون - دون مبرر - إلى كلام الله تهمة الإكراه. فأقول بأن جميع كفار مكة وأهل القرى والسكان في الجوار كانوا قد قتلوا عديدا من المسلمين بغير حق حين كان النبي ﷺ في مكة المعظمة، ولم تكن هناك أية حرب جارية، فكان دم هؤلاء المظلومين في أعناق أولئك الظالمين. والحق أنهم كانوا جميعا مشتركين في هذا الذنب لأن بعضهم كانوا قاتلين وبعضهم أصحاب أسرارهم وبعضهم كانوا معاونيهم لذا كانوا يستحقون القتل عند الله لأن تجاسرهم كان قد تجاوز الحدود كلها. إضافة إلى ذلك كان أعظم ذنبهم أنهم ارتكبوا محاولة قتل النبي ﷺ وكانوا قد عقدوا عزمًا قويا على أن يقتلوه ﷺ. فكانوا يستحقون القتل في نظر الله نتيجة تلك الجرائم، وكان قتلهم هو العدل بعينه، لأنه سبق أن ارتكبوا القتل ومحاولة القتل. ولقد ظل النبي ﷺ يعظهم وينصحهم ماكنّا فيهم إلى ١٣ عاما متتالية ويريههم آيات سماوية، وبالتالي تمت عليهم حجة الله؛ لذا فقد أمر الله الرحيم والكريم بحقهم أنهم وإن كانوا يستحقون القتل في كل الأحوال نتيجة جرائمهم، إلا أنه لو أسلم أحدهم بعد سماعه كلام الله فسوف يُرفع عنه القصاص، وإلا سيُقتلون عقوبة على جرائمهم التي هي القتل ومحاولة القتل. قولوا الآن بالله عليكم، أيّ إكراه في ذلك؟ كان هؤلاء القوم يستحقون القتل على أية حال نتيجة جريمة القتل ومحاولة القتل ولكن القرآن الكريم خفف عليهم بأنه يمكن أن يُرفع عنهم القصاص في حال إسلامهم، فأيّ إكراه في ذلك؟ لولا هذا التخفيف لكان قتلهم ضروريا على أية حال، لأنهم سبق أن ارتكبوا القتل ومحاولة القتل كما يقول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾. أي لم يؤذن للمسلمين بمواجهتهم إلى مدة امتدت إلى ١٣ عاما. وعندما قُتل كثير من المسلمين وارتكب الكفار جريمة

محاولة قتل النبي ﷺ أيضا عندها أذن للمسلمين بمقاومتهم بعد تحملهم المصائب إلى ١٣ عاما. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٣٣-٢٣٤)

يفعل الله تعالى في وقت معين أمرا معيّنًا لبعض المصالح والحكم، ثم لا يفعله حين يصبح ذلك الأمر مثار الاعتراض. فلم يرفع نبينا ﷺ السيف في أول الأمر، وتعرض لأشد أنواع العنف والأذى. إن ١٣ عاما مدّة يصبح فيها الطفل بالغًا. حتى ولو طرحنا من هذه المدة ١٠ سنوات لكانت أيضا مثل فترة معاناة المسيح ﷺ. تعرض نبينا ﷺ في هذه الفترة الطويلة لكل نوع من الأذى، وفي نهاية المطاف حين خرج من وطنه مهاجرا قام الأعداء بمطاردته، ولما أوى ﷺ إلى بلد آخر لم يتركوه أيضا. فلما بلغ السيل الزبى نزل الأمر بإنقاذ المظلومين من أيدي الظالمين، فقال الله تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾، أي لقد أذن الله بالقتال للذين فُرضت عليهم الحرب بغير حق وأخرجوا من بيوتهم ظلماً لمجرد قولهم: ربنا الله. فهذه هي الحاجة التي ألجأت النبي ﷺ لرفع السيف وإلا فما كان ليرفعه أبدا. أما عصرنا هذا فقد رُفع فيه القلم ضدنا، وأودينا بالقلم إيذاء شديدا، ولذلك فالسلاح الذي حملناه ضد العدو هو القلم. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٥٥-٥٦)

إن حروب الإسلام (في زمن النبي ﷺ) كانت دفاعية كلها وانتهت في عشرة سنوات فقط. (الحكم، مجلد ٣، رقم ١، عدد ١٠/١/١٨٩٩م، ص ٨)

كان من الأسباب الداعية إلى الحروب الدفاعية والقتال الظاهري في صدر الإسلام أن الأعداء ما كانوا يجيئون من يدعوهم إلى الإسلام بالأدلة والبراهين، إنما كانوا يردّون عليه بالسيف، فحُمِل السيف مقابل السيف على سبيل الاضطرار. أما اليوم فلا يُردّ على الإسلام بالسيف، بل يُطعن فيه بالقلم والأدلة، ومن أجل ذلك أراد الله تعالى الآن أن يُستخدَم القلم مكان السيف ويُهزم الأعداء بالكتب. لذا فلا يجوز لأحد الآن أن يسعى للرد على القلم بالسيف.

گر حفظ مراتب نہ کنی زندگی

أي: إذا لم تراعى المراتب أصبحت زنديقا. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٦٨)

لم يشأ الإسلام قط أن يُرفع السيف دوماً ضرورة ولا حاجة. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٦٩)

القول بأن الإسلام قد انتشر بحدّ السيف باطل كل البطلان. لم يرفع الإسلام السيف ما لم يَرِ السيف مسلّواً أمامه. لقد ورد في القرآن الكريم صراحةً أن عليكم أن تقاتلوا أعداء الإسلام بنفس السلاح الذي يهاجمون به الإسلام. يقول هؤلاء إن المهدي حين يأتي سيلجأ إلى السيف. وهو قول باطل. أين السيف الذي يُستلّ ضد الإسلام اليوم؟ (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤٤، عدد ٢٦/٧/١٩٠٨م، ص ٣)

يقول المعارض العديم الفهم إن الإسلام يُنشر بالجهاد، ولكني أقول إنه قول باطل. إن تعاليم الإسلام الكاملة هي سبب نشره. لا حاجة لنشر الإسلام إلى سيف وسان. إن الحروب في أوائل الإسلام كانت دفاعية فقط. لقد أخطأ الذين يقولون إن الهدف من تلك الحروب كان إكراه الناس على الإسلام خطأ فادحاً. إن إيماني أن الإسلام لم يُنشر بحدّ السيف، كلا بل إن تعاليمه التي تتميز بميزة الإعجاز هي التي تجتذب إليها القلوب. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٨، عدد ١٧/٥/١٩٠١م، ص ٤)

يمكنني أن أثبت أن الحروب الإسلامية كانت دفاعية كلها ولم تكن فيها الشدة والقسوة قط مثل حروب موسى ويوشع. ولو أنهم قالوا إن حروب موسى ويوشع كانت تمثل عذاب الله لقلنا: لماذا لا يقرّون بأن الحروب الإسلامية أيضاً كانت تمثل عذاب الله؟ ما هو سبب ترجيح حروب موسى؟ الحق أن في حروب الإسلام تخفيفاً كبيراً مقارنة مع حروب موسى. الحق أن هؤلاء الكفار كانوا يجهلون نواويس الله، فرحمهم الله تعالى كثيراً بالمقارنة مع أعداء موسى، لأنه غفور ورحيم.

والميزة الأخرى في الحروب الإسلامية بالمقارنة مع حروب موسى هي أن أهل مكة الظالمين آذوا النبي ﷺ وأصحابه أشدّ الأذى، وعدّبوهم تعذيباً شديداً إلى ١٣ عاماً متتالية، فقتل العديد منهم، ومات بعضهم نتيجة تعذيب شديد. ولا يخفى على دارسي التاريخ أن الكافرين قتلوا بعض النساء المسكينات بتعذيب شديد بحيث ربطوا امرأة بجملين وساقوهاما باتجاهين متعاكسين ومزقوها جزأين. لقد تحمل النبي ﷺ وجماعته الطاهرة هذا الإيذاء والتعذيب والمعاناة بكل صبرٍ وجلدٍ إلى ١٣ عاماً متتالية. لم يتوقف الظالمون عن ظلمهم عند هذا الحد، بل خططوا أخيراً لقتل النبي ﷺ. وعندما هاجر ﷺ من مكة إلى المدينة بعد أن أخبره الله تعالى بمكيدتهم الشريرة، لاحقوه هنالك. وعندما جاءوا لغزو المدينة أخيراً أمر الله تعالى نبيه ﷺ بصدّ هجمتهم، فآن أوان أن يذوق أهل مكة عذاب الله مغبة شرورهم وتجاسرهم، وتحقق ما وعده الله به من قبل بأن هؤلاء القوم إن لم يرددعوا عن شرورهم فسيُهلكون بعذاب الله.

لقد ذكر الله تعالى سبب هذه الحروب في القرآن الكريم صراحة وقال: ﴿أَذِنَ لِّلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (الحج: ٤٠-٤١)، أي قد أذن بالمقاومة للذين هاجمهم الأعداء لقتلهم. وقد أذن لهم لأنهم ظلّموا، وإن الله قادر على حماية هؤلاء المظلومين. إن المظلومين قد أخرجوا من ديارهم ظلماً، وليس ذنبهم إلا أنهم قالوا ربنا الله. فهذه الآية التي بدأت بها سلسلة الحروب الإسلامية.

والتخفيف الذي تراه في الحروب الإسلامية لا يمكن العثور على نظيره في حروب موسى ويوشع. إن قتل مئات الآلاف من الأطفال الأبرياء في حروب موسى وقتل المسنين والنساء، وحرق المزروعات أمرٌ ثابت من التوراة. أما نبينا الأكرم ﷺ فمع أنه قد واجه على يد هؤلاء الأشرار أنواع الكروب والشدائد التي لم يرها أحد من قبل، إلا أنه نهي في الحروب الدفاعية عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ وعن التعرض للرهبان وعن حرق المزارع والأشجار المثمرة وهدم المعابد.

فَقَارِنْ الْآنَ لَتَرَى أَيِ الْكَفَّتَيْنِ رَاجِحَةٌ؟ (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٢م، ص ٤-٥)

كانت الحروب الإسلامية دفاعية كلياً. فعندما تجاوز إيذاء الكفار وشرهم الحدود كلها أمر الله تعالى بمعاقتهم. أما الحروب التي شنها المسيحيون في أوقات مختلفة باسم الدين فأبي شهادة أو حكم من الله كان ييدهم ليشنوها بناء عليه؟ بل كانوا مأمورين بإدارة الخد الآخر بعد تلقيهم اللطمة على الخد الأول. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢م، ص ٣)

إن استخدام السيف في الزمن الراهن إنما هو بمنزلة إشهار السيف على الإسلام نفسه. الوقت الحالي هو لفتح القلوب، وهذا لا يمكن تحقيقه بالإكراه. إن الاعتراض أن النبي ﷺ رفع السيف أولاً باطل تماماً. لقد صبر ﷺ والصحابة إلى ١٣ عاماً متتالية وظلوا يتحرون الصلح دائماً على الرغم من ملاحقة الأعداء وكانوا يودون ألا تندلع الحرب بأي حال. الأمم المشتركة التي طلبت الصلح والأمن أُعطيتهما دائماً وعُقد الصلح معها. لقد حاول الإسلام تفادي الحرب بكل الطرق. لقد ذكر الله تعالى بنفسه سبب الحرب في القرآن الكريم بأنه لما كان هؤلاء الناس مظلومين بشدة وأوذوا بكل طريق؛ أذن الله حينها ليقاتلوا ضد الظالمين (بدر، مجلد ١، رقم ١٠، عدد ٢/١/١٩٠٣م، ص ٧٤)

لا بد من الحرية في الأمور الدينية. يقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. لا يوجد مثل هذا الكلام في الإنجيل قط. ما هو السبب الحقيقي للحروب؟ لقد أساء الناس الفهم، لو كان هناك أمر بشن الحروب لكان معنى ذلك أن ١٣ عاماً للنبي ﷺ قد ضاعت إذ لم يرفع السيف فور بعثته، بل الأمر هو بقتال المحاربين فقط. لم يتبن الإسلام مبدأ المبادرة بالحرب قط. ماذا كان سبب الحرب؟ فقد بينه الله ﷻ بنفسه فقال: ﴿ظَلِمُوا﴾. فلما رأى الله تعالى أن المسلمين مظلومين أذن لهم بالقتال، ولم يأمر قط أن هذا هو وقت رفع السيف لذا عليكم أن تدخلوا الناس في الإسلام

قهرًا، بل قال بأنكم مظلومون فقاوموهم الآن، جميع القوانين تأذن للمظلوم أن يقاوم حماية نفسه. (بدر، مجلد ٢، رقم ١-٢، عدد ٢٣ - ٣٠ / ١ / ١٩٠٣ م، ص ٣) اعلّموا جيدًا أنه لم يعد الآن زمن الحروب الدينية لأن الحروب التي نشبت في زمن النبي ﷺ لم تكن لإدخال الناس في الإسلام قهرًا بل كانت دفاعية. عندما أودى المسلمون بشدة وأخرجوا من مكة وقتل كثير منهم، عندئذ أمرهم الله تعالى ليقاوموهم بالأسلوب نفسه، فكانت تلك الحروب دفاعًا عن النفس. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٣، عدد ٢٤ / ٩ / ١٩٠٥ م، ص ٩)

من العبث تمامًا الاعتراض على الجهاد الإسلامي والقول بأن تلك الحروب كانت لترويج الدين ونشر الإسلام، لأن ﷺ تحمّل إيذاء شديدًا على يد كفار مكة إلى ١٣ عامًا متتالية، وتحمل أصحابه المخلصون أيضًا وضوحًا بأرواحهم. وأذى الكفار بعض السيدات المسكينات اللواتي لا حول لهن ولا قوة إيذاءً مخجلًا، وكذلك اضطرّ ﷺ للهجرة، ثم لاحقه الكفار هنالك أيضًا. وعندما تجاوز خبثهم وشرهم واضطهادهم للمسلمين الحدود كلها أمر الله تعالى المسلمين أن يقاتلوهم لوضع حد لتصرفاتهم وللدفاع. فالآية الأولى التي أمر فيها بالجهاد هي: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ كان المسلمون مظلومين، ولم يبدؤوا بالحرب بل كفار مكة هم الذين بدأوا بالفساد. وحين بلغت شرورهم الغاية أمر الله تعالى النبي ﷺ بمواجهتهم من أجل الدفاع عن أنفسهم. فمن العبث الاعتراض أن تلك الحروب كانت من أجل الدين. لو كانت من أجل الدين فقط لما ترك الكفار على حالهم إن أدوا الجزية. أكرر وأقول بأنه لا يمكن للمسيحيين أن يثيروا مثل هذا الاعتراض، فليفحصوا أنفسهم أولاً وسيعلمون أن حروب موسى كانت أكثر من الحروب الإسلامية. وما داموا يحسبون عيسى إله موسى أيضًا، والعباد بالله، فإن تهمة هذه الحروب لا تزال قائمة عليهم ولا سيما أن تلك الحروب كانت أقسى وأدمى من الحروب الإسلامية. فقد روعي في الحروب الإسلامية الأطفال والنساء والمستين ولم يقتلوا، أما في حروب

موسى فلم يُهتَم بهذه الأمور قط. لم تُخدم المعابد الدينية ولم تُقطع الأشجار المثمرة في الحروب الإسلامية، أما في حروب موسى كانت الأشجار المثمرة تباد. باختصار، الحروب الإسلامية ليست شيئا يُذكر مقارنة مع حروب موسى. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠، عدد ١٧/١١/١٩٠٥م، ص ١٠)

لم يرفع النبي ﷺ السيف من أجل الدين قط، بل أراد الله أن يعذب المنكرون بعد إتمام الحجة. تلك الحروب كانت دفاعية، ولقد ظل حضرته يواجه الأذى إلى ١٣ عاما، وضحّى الصحابة بأرواحهم. ولقد رأى المنكرون آيات متتالية وظلوا ينكرون، فأهلكهم الله بعذاب الحروب. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٧، عدد ٢١/٢/١٩٠٣م، ص ٨) كان الظالمون في زمن نبينا الأكرم ﷺ يهاجمون الإسلام بالسيف وأرادوا أن يقضوا عليه بالسيف، فالذين رفعوا السيوف قُتلوا بها. فكانت تلك الحروب دفاعية فقط. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٩، عدد ٩/٥/١٩٠٧م، ص ٦)

لم يبادر نبينا الأكرم ﷺ بالحرب بل الكفار هم الذين سبقوا فيها، فقد سفكوا الدماء، وآذوا وعذبوا إلى ١٣ عاما متتالية. عندما صار الصحابة رضي الله عنهم عرضة للظلم الشديد أذن لهم الله تعالى بالانتقام كما قال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾ وقال أيضا: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾. كان الناس في ذلك الزمن وحوشا وسباعا إلى أقصى الدرجات؛ إذ كانوا يسفكون الدماء، ويشنون الحروب ويصبون أنواع المظالم، ويؤذون ويسرقون وينهبون كالنهاب وقطاع الطريق، وكانوا قد عزموا على الإيذاء وسفك الدماء، عندئذ أذن الله بمعاقة هؤلاء الظالمين، وهذا ليس ظلما بل هو عين العدل والإنصاف.

لقد بذلوا قصارى جهودهم لقتل النبي ﷺ، نسجوا ألوان المكائد حتى اضطر للهجرة إلى المدينة، ثم لاحقوه ﷺ إلى المدينة وعقدوا العزم على قتله. فلباب القول إن نبينا الأكرم ﷺ صبر وتحمل الأذى إلى مدة طويلة، عندها قرر الله ﷻ أنه يؤذن لكم بمعاقة الذين صَبَّوا عليكم ظلما بعد ظلم، وآذوكم أشد الإيذاء. وقال أيضا

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾. وُلد نبينا الأكرم عليه السلام يتيما وفقيرا لا حول له ولا قوة، فأُتي كان له أن يحب الحروب. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣٣، عدد ١٧/٩/١٩٠٧م، ص ١٠)

من الاجحاف الشنيع وصف الإسلام بأنه ظالم، مع أن هؤلاء القائلين هم أنفسهم ظالمون حيث يعترضون على الإسلام باطلا دون تفكر وتأن، ولا يفهمون مع أننا شرحنا مرارًا وتكرارًا أن جميع الحروب والمعارك التي خاضها المسلمون كانت بقصد الدفاع عن المال والنفس بعد التضايق جدًا من مظالم كفار مكة. ولم يصدر من المسلمين أي تصرف لم يرتكبه الكفار أولاً. وليس ذلك فحسب بل قد أمر النبي عليه السلام بمقتضى أخلاقه الواسعة المسلمين بالتخلي عن بعض التصرفات المقرفة في المقابل. فمثلاً كانت في الكفار تسود عادة كريهة جدًا بحق موتى المسلمين، لكن النبي عليه السلام نهى المسلمين منعًا باتًا عن هذا الفعل القبيح. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٢، عدد ٢٦/٣/١٩٠٨م، ص ٨)

الحقيقة أن النبي عليه السلام قد واجه في ذلك الزمن أشد المشكلات، فقد تعرض عدد كبير من أعزائه وأصدقائه المخلصين لسيوف الأعداء الظالمين ورماحهم، حيث أصابوا المسلمين ذكورا ونساء بكل أنواع العذابات المخجلة، حتى خططوا لقتل النبي عليه السلام نفسه، فلاحقوه وأعلنوا جائزة لمن يقتله. فلجأ النبي عليه السلام إلى غار، ولم يدخروا جهدا في الملاحقة، لكن الله تعالى بقدرته عصم النبي عليه السلام مع كونه أمام أعينهم وذرا الرماد في عيونهم. وأخيرا حين تجاوزت مظالم الكفار كل حدود ولم يشبعوا من اضطهادهم حتى إخراج المسلمين من ديارهم، نزل الأمر من الله: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ فقد أذن الله تعالى للمسلمين برفع السيف، وأثبت بذلك أن الكفار كانوا في الحقيقة ظالمين وكانت فتنهم قد تجاوزت حدودها كما كان صبر المسلمين أيضًا قد بلغ منتهاه. فأمر الله تعالى بأن يُقتل حملة السيف بالسيف حصرا. وقال لهم: صحيح أن عدد هؤلاء المسلمين قليل وهم

ضعفاء لكنني سأنصرهم لكونهم مظلومين وأهلككم بأيديهم. فبعد هذا الحكم انتشرت هيبة أولئك القليلين-الذين عُذُّوا أذلاء مهانين ولم يكن أحد يؤيدهم وينصرهم، والذين كانوا قد أُوذوا وعُذِّبوا كثيرا بأيدي الكفار- في مشارق الأرض ومغاربها، وإن الله بنصرهم قد أثبت للعالم أنهم كانوا مظلومين فعلا. فألقوا نظرة فاحصة وادرسوا الموضوع من كل جوانب لتأكدوا هل كان المسلمون في ذلك الوقت مظلومين فعلا أم لا؟ فلو لم يأذن الله ﷻ للمسلمين القليلين الضعفاء برفع السيف في ذلك الوضع الحرج الخطير دفاعا عن أنفسهم، ولم يسمح لهم بالحرب الدفاعية، فهل كان ينبغي أن يقضي عليهم نهائيا ويمحو آثارهم؟ في هذه الحال والأوضاع كان من حقهم شرعا وعرفا أن يرفعوا السيف. ومع ذلك تثار عليه الاعتراضات إلى هذا اليوم. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٩، عدد ١٨/٦/١٩٠٨م، ص ٦-٧)

إن الحروب التي خاضها النبي ﷺ كانت دفاعية فقط. فعندما تجاوزت المظالم المنصبة عليه ﷺ وعلى أصحابه الحدود وأُوذوا بشدة، عندئذ أذن لهم الله تعالى بمواجهة المعتدين. فالآية الأولى المتعلقة بالجهاد هي: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ...﴾. فهؤلاء المظلومون أُخرجوا من أوطانهم بغير حق ولم يكن لهم ذنب إلا أن قالوا ربنا الله: إذن، فالحروب التي خاضها النبي ﷺ نشبت حين بلغت مظالم الكفار منتهاها. (الحكم، مجلد ٤٦، عدد ٢٤/١٢/١٩٠٢م، ص ٩)

بعض الناس الذين يعادون الحق عندما يسمعون مثل هذا التعليم يعترضون -إن لم يجدوا اعتراضا آخر- أنه إذا كان الإسلام يعلم المواسة فلماذا خاض النبي ﷺ الحروب؟ ولكن هؤلاء الجهال لا يعلمون أن الحروب التي خاضها النبي ﷺ كانت بعد تحمل إيذاء شديد إلى ١٣ عاما متتالية، ومع ذلك كانت حروبه دفاعية فقط؛ فقد ظل يتحمل الإيذاء على أيديهم إلى ١٣ عاما، فقد قُتل المسلمون رجالا ونساء، وعندما وصل ﷺ إلى المدينة لم يتوقف هؤلاء الظالمون عن إيذائه هنالك أيضا، فأمر

الله تعالى القوم المظلومين بالمقاومة وذلك أيضا لِيُنْقِذَ الخلق من شر الأشرار، وليُفْتَحَ المجال لقوم صادقين. لم يُرد النبي ﷺ أدنى شر لأحد قط، بل كان رحمة متجسدة. لو أراد بأحد سوءًا لكان بإمكانه بعد أن حاز الشوكة والغلبة أن يقتل جميع أئمة الكفر الذين آذوه على الدوام، وكان موقفه سيكون مبررا تماما من منطلق العدل والعقل. ومع أنه كان من حقه من منطلق الأعراف والعقل والإنصاف أن يقتلهم ولكنه عفا عن الجميع. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣، عدد ١٩٠٥/١/٢٤، ص ٤)

النبوة الرابعة عشر المذكورة في الصفحة ٢٣٩ نفسها من البراهين الأحمدية: "هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله، لا مبدل لكلمات الله. ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير". هذه الآيات القرآنية نزلت إلهاما بحق هذا العبد المتواضع، والمراد من "رسوله" المأمور والمبعوث الذي ظهر لتأييد دين الإسلام. وملخص هذه النبوة أن الله ﷻ بعث هذا المأمور كي يغلب الإسلام بيده على جميع الأديان، فلا بد أن يتعرض هو وجماعته في البداية للظلم والاعتداء غير أن الفتح في نهاية المطاف حليفهم ويصبح هذا الدين بمساعيه غالبا على سائر الأديان، وجميع الملل الأخرى ستَهْلِكُ عن بَيِّنَةٍ. (السراج المنير، الخزان الروحانية، المجلد ١٢، ص ٤٢-٤٣)

إن المعارضين لم يتدبروا الحقيقة قط عند شتّهم الهجمات على الإسلام. كان عليهم أن يدركوا أن أعداء الإسلام كلهم كانوا في ذلك الزمن عاكفين على استئصال شأفة الإسلام والمسلمين، وكانوا ينسجون المكائد ضده مجتمعين ويؤذون المسلمين. فماذا كان على المسلمين أن يفعلوا مقابل تلك المعاناة والمصائب إن لم يحموا أنفسهم؟! لقد وردت في القرآن الكريم آية: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلُمًا﴾. وهذا يدلُّ على أن المسلمين أُمرُوا بذلك، وأذن لهم بالمواجهة دفاعا عن أنفسهم حين تجاوز الظلم بهم الحدود كلها. وكان ذلك إذنًا في ذلك الزمن، ولم يكن أمرا دائما. (بدر، مجلد ٢، رقم ٥١، عدد ١٩٠٦/١٢/٢٠، ص ١١)

أقول يقينا بأن غلبة الإسلام سوف تتحقق في كل الأحوال؛ وقد بدت أماراتها. غير أنه صحيح تماما أن هذه الغلبة ليست بحاجة إلى سيف أو بندقية، ولم يرسلني الله بالأسلحة. والذي يفكر بهذه الطريقة في هذا العصر فإنه صديقٌ أحق للإسلام. إن هدف الأديان هو فتح القلوب دائما، وهذا الهدف لا يُنال بالسيف. لقد قلت مرارا بأن السيف الذي رفعه النبي ﷺ كان للدفاع فقط، وذلك حين تجاوز الأعداء والمنكروين كل الحدود في الظلم، واحترت الأرض من دماء المسلمين عديمي الحيلة. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٤١، عدد ٣٠٦/١١/١٩٠٦م، ص ٥)

"وقد بيّنّا لك أن الحرب ليس من أصل مقاصد القرآن ولا من جذر تعليمه، وإنما هو جوّز عند اشتداد الحاجة وبلوغ ظلم الظالمين إلى انتهائه واشتعال جور الجائرين. ولكم أسوة حسنة في غزوات رسول الله ﷺ، كيف صبر على ظلم الكفار إلى مدة يبلغ فيه صبي إلى سن بلوغه، فصبر. وكان الكفار يؤذونه في الليل والنهار. ينهبون أموال المؤمنين كالأشرار، ويقتلون رجالهم ونساءهم بتعذيبات تتحدر بتصورها دموع العيون وتقشعر قلوب الأخيار، وكذلك بلغ الإيذاء إلى انتهائه حتى همّوا بقتل نبي الله، فأمره ربه أن يترك وطنه ويهرب إلى المدينة مهاجرا من مكة، فخرج رسول الله ﷺ من وطنه بإخراج قومه. ومع ذلك ما كان الكفار منتهين، بل لم يزل الفتنة منهم تستعِرُّ، ومحجّة الدعوة تَعِرُّ، حتى جلبوا على رسول الله ﷺ خيلهم ورجلهم، وضربوا خيامهم في ميادين بدر بفوج كثير قريبا من المدينة، وأرادوا استئصال الدين. فاشتعل غضب الله عليهم ورأى قبح جفائهم وشدة اعتدائهم، فنزل الوحي على رسوله وقال: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾، فأمر الله رسوله المظلوم في هذه الآية ليحارب الذين هم بدأوا أول مرة بعد أن رأى شدة اعتدائهم وكمال حقدهم وضلالهم، ورأى أنهم قوم لا يرجى بالمواعظ صلاح أحوالهم. فانظر كيف كان حرب رسول الله ﷺ. وما حارب نبي الله أعداء الدين إلا بعدما رآهم سابقين في الترامي بالسهم والتجالد بالحسام، وما كان الكفار مقتولين

فقط بل كان يسقط من الجانبين قتلى، وكان الكفار ظالمين ضالين. " (نور الحق، الخزانة الروحانية، المجلد ٨، ص ٦٤-٦٥)

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَدَمْتَ صَوَامِعَ وَيِيعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾. هنا يقول الله تعالى بأنه هو يضمن حماية هذه المعابد كلها. ومن واجب الإسلام أنه إن سيطر المسلمون على بلد مسيحي مثلاً فعليهم ألا يتعرضوا لمعابدهم بل يمنعوا هدم كنائسهم. والتعليم نفسه يُفهم من أحاديث النبي أيضاً لأنه يتبين من الأحاديث أنه كلما كَلَّفَ قائد جيش المسلمين بمواجهة قوم كان يؤمر بالآلا يتعرض لمعابد المسيحيين واليهود وزوايا رهبانهم. فيتبين من ذلك بُعد الإسلام عن طرق العناد وأنه يحمي كنائس النصارى ومعابد اليهود كما يحمي المساجد. غير أنه لم يرد الله الذي هو مؤسس الإسلام أن يفنى الإسلام نتيجة هجمات الأعداء فأذن بالحرب الدفاعية وأذن بالمواجهة دفاعاً عن النفس. (ينبوع المعرفة، الخزانة الروحانية المجلد ٢٣، ص ٣٩٣-٣٩٤)

إنهم أناس أخرجوا من ديارهم بغير حق، وليس لهم جريمة إلا أن قالوا ربنا الله، فلولا دفع الله شر بعض بتأييد بعض لفست الأرض. (الحرب المقدسة، الخزانة الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٥٥)

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. انظر الآن يا صاحبي، فقد جاءت هنا أيضاً نون التوكيد الثقيلة في نهاية: ﴿لَيَنْصُرَنَّ﴾، ولو استنبطنا منها معنى أن الله تعالى يقول هنا بأنه لو نصرنا أحد في المستقبل لنصرناه، لكان هذا المعنى فاسداً تماماً ومنافياً لسنة الله المستمرة لأن من سنته جلّ شأنه المستمرة منذ خلق بني آدم هي أنه ينصر الناصرين. كيف يمكن القول بأنه تعالى لم يلتزم بهذه السنة في الماضي ولكنه سيلتزم بها في المستقبل المجهول، وكان هذا وعداً بحتاً إلى يومنا هذا ولم يُعمل به إلى الآن؟ سبحانه، هذا بهتان عظيم. (الحق، مناظرة دلهي، الخزانة الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٤)

الآية ٤٨: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾

كانت الحاجة ماسة لحجيء المسيح في هذا العصر، كذلك كانت هناك حاجة ماسة إلى الملائكة الذين يُنْزَلُونَ للإحياء، لأن موتا روحانيا وغفلة قد سادت العالم كله، وفتر حب الله جلَّ شأنه وعمَّت القسوة والعكوف على الدنيا، وظهرت للعيان جميع الأوجه التي كان المسيح ابن مريم بسببها جاء إلى الدنيا لتأييد التوراة. وقد خرج الدجال بقوة متناهية. وحلَّت منذ ولادة آدم ﷺ نهاية الألفية السادسة وهي بمنزلة اليوم السادس بحسب مضمون الآية: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، فكان ضروريا أن يولد في هذا اليوم السادس آدم الذي هو مثل المسيح من حيث ولادته الروحانية؛ فأرسلني الله تعالى مثيلا للمسيح وكآدم للألفية السادسة. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٤٢-٣٤٤)

أما هذا العبد الضعيف الذي أرسله الله تعالى بصفة آدم، فقد جعل له آية أن خلقي في الألفية السادسة، التي تمثل اليوم السادس؛ أي في نهاية الألفية التي تماثل وقت العصر، كما يقول ﷺ: ﴿إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾. وكان من المقدر أن يُبعث ابن مريم - الذي سُمِّيَ آدم في الإنجيل والقرآن الكريم أيضا - في نهاية الألفية السادسة، وذلك على غرار آدم ﷺ. إذن، فأنا الوحيد الذي ظهر في الألفية السادسة منذ ولادة آدم الأول. لقد ثبت من أحاديث كثيرة أن عمر بني آدم سبعة آلاف سنة، وأن آدم الأخير سيولد - على غرار آدم الأول - في نهاية الألفية السادسة التي هي بمنزلة اليوم السادس، فأنا الذي قد وُلِدْتُ، فالحمد لله على ذلك. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٧٥-٤٧٦)

كانت ولادتي في نهاية الألفية السادسة بحسب التقويم القمري الذي هو التقويم الحقيقي عند أهل الكتاب. وإن ولادة المسيح الموعود في نهاية الألفية السادسة كانت مقدرة عند الله منذ البداية لأن المسيح الموعود خاتم الخلفاء، ولا مندوحة من

الانسجام بين الأول والأخير. ولما كان آدم عليه السلام قد خُلِقَ في نهاية اليوم السادس فكان ضروريا - نظرا إلى العلاقة المذكورة أعلاه - أن يولد الخليفة الأخير أيضا الذي هو آدم الأخير في نهاية الألفية السادسة. والسبب في ذلك أن كل يوم من أيام الله السبعة يساوي ألف عام كما يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ويتبين من الأحاديث الصحيحة أيضا أن المسيح الموعود سيولد في الألفية السادسة. ولذلك لم يتجاوز أصحاب الكشف في تحديد زمن المسيح الموعود الألفية السادسة، وحددوا القرن الرابع عشر الهجري وقتاً لظهوره كأقصى حدّ. ولم يشبهه أصحاب الكشف من المسلمين المسيح الموعود - الذي هو الخليفة الأخير وخاتم الخلفاء - بآدم من حيث ولادته فحسب أنه سيولد في نهاية الألفية السادسة كما وُلِدَ آدم في نهاية اليوم السادس، بل ذكروا أيضا أنه سيولد يوم الجمعة مثل آدم، ويولد توأما. أي كما وُلِدَ آدم توأما، إذ وُلِدَ آدم أولا ثم وُلِدَتْ حواء بعده كذلك سيولد المسيح الموعود أيضا توأما. فالحمد لله والمنة على أي مصداق نبوءة جميع الصوفيين. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٢٠٨-٢٠٩)

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ فما دام يتبين من كلام الله تعالى أن الأيام سبعة ففي ذلك إشارة إلى أن عمر نسل الإنسان سبعة آلاف سنة. وقد كشف الله عليّ أنه قد مضى على نسل الإنسان إلى عهد النبي ﷺ حسب التقويم القمري من ألوف السنين بقدر ما تساويه سورة العصر بحسب حساب الجمل، لأن الله تعالى قد عدّ الحساب بحسب التقويم القمري. ومن هذا المنطلق قد مضى من عمر نسل الإنسان في عصرنا الحالي ست آلاف سنة، وغر الآن بالألفية السابعة. فكان ضروريا أن يولد مثل آدم أو المسيح الموعود بتعبير آخر في نهاية الألفية السادسة التي تمثّل يوم الجمعة الذي وُلِدَ فيه آدم، كذلك خلّقي الله. فهكذا وُلِدَتْ في الألفية السادسة. (حقيقة الوحي،

معنى هذه الآية أن يوما عند الله كآلف سنة بحسب حسابكم. (التحفة الغلورية،

الخزائن الروحانية المجلد ١٧، ص ٩٢، الحاشية)

﴿إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾. فلما كان عدد الأيام سبعة فقد

حُدِدَ في هذه الآية عمر الدنيا بسبعة آلاف سنة، وذلك بدءا من زمن آدم الذي نحن أولاده. يتبين من كلام الله ﷻ أن الدنيا كانت موجودة قبل ذلك أيضا، ولكن لا نستطيع القول من كان هؤلاء الناس ومن أي نوع كانوا. يبدو أن دائرة الدنيا تنتهي على سبعة آلاف سنة، لذا فقد حُدِدَت سبعة أيام في الدنيا دلالة على هذا الأمر، فكل يوم يمثل ألف عام. لا ندري كم دورة مضت على الدنيا وكم من الأوامر ظهورا في أزمنتهم. ولما كان الله تعالى هو الخالق منذ القدم؛ فنقبل ونؤمن بأن الدنيا قديمة من حيث نوعيتها، ولكنها ليست قديمة من حيث هويتها.

من المؤسف حقا أن يعتقد المسيحيون بأنه لم يمض على خلق الله الدنيا وخلقها السماوات والأرض إلا ستة آلاف سنة، وبأن الله ﷻ كان دون أي عمل قبل ذلك؛ أي كان عاطلا منذ الأزل. ولكن لا يسع عاقلا أن يقبل هذا الاعتقاد. أما اعتقادنا الذي علمنا إياه القرآن الكريم فهو أن الله تعالى خالق منذ الأزل، وقادر على أن يهلك السماء والأرض ملايين المرات ويخلقها مرة أخرى كما كانت إذا أراد ﷻ. ولقد أخبرنا أيضا أن سلسلة البشر الحالية بدأت بمجيء آدم إلى الدنيا؛ الذي جاء بعد أمم سابقة وكان والدنا جميعا. وإن الدورة الكاملة لعمر السلسلة الحالية هي سبعة آلاف سنة. وإن السبعة الآلاف سنة هذه عند الله كسبعة أيام عند الناس. اعلّموا أن سنة الله حددت أن تكون دورة كل أمة سبعة آلاف سنة. وللإشارة إلى هذه الدورة حُدِدَت سبعة أيام للناس.

باختصار، إن سبعة آلاف سنة محددة كدورة عمر بني آدم. وقد مضى من الدورة الحالية نحو خمسة آلاف سنة إلى عهد نبينا الأكرم ﷺ. أو قل إن شئت بتعبير آخر؛ إنه قد مضى نحو خمسة أيام من أيام الله، وقد أشير إليها في القرآن الكريم بحساب

الجمّل لحروف سورة العصر؛ فحين نزلت في زمن النبي ﷺ كان قد مضى على زمن آدم بقدر مجموع أحرف هذه السورة المباركة وفق حساب الجمّل. ووفقاً لهذا الحساب قد مضت إلى الآن ستة آلاف سنة من عمر البشر وبقيت ألف سنة. لقد ورد في القرآن الكريم، بل في معظم الكتب السابقة أيضاً أن المرسل الأخير الذي سيأتي حاملاً صفات آدم ويُسمّى باسم المسيح؛ سيُخلق في نهاية الألفية السادسة حتماً كما خلق آدم في نهاية اليوم السادس. إن في هذه الآيات كفاية للمتدبرين. وتقسيم هذه الألفيات السبع بحسب القرآن الكريم وكتب الله الأخرى؛ هو أن الألفية الأولى تكون لانتشار الخير والهداية، والألفية الثانية لسيطرة الشيطان، ثم الألفية الثالثة لانتشار الخير والهداية، والألفية الرابعة لغلبة الشيطان، ثم الألفية الخامسة لانتشار الخير والهداية. (هذه هي الألفية التي بُعث فيها سيدنا ومولانا خاتم الأنبياء محمد المصطفى ﷺ لإصلاح الدنيا، وصُفد الشيطان) ثم الألفية السادسة هي زمن إطلاق سراح الشيطان وتسلطه الذي بدأ بعد القرون الثلاثة وانتهى على رأس القرن الرابع عشر. ثم الألفية السابعة هي ألفية الله ومسيحه؛ وهي زمن كل خير وبركة وإيمان وصلاح وتقوى وتوحيد وعبادة الله، وزمن كل نوع من الحسنة والهداية. ونحن الآن على رأس الألفية السابعة. ولا يوجد موطئ قدم لمسيح آخر بعد ذلك؛ لأن عدة العصور سبعة فقط، وقد قُسمت بين خيرٍ وشرٍ. ولقد بيّن الأنبياء جميعاً هذا التقسيم، بعضهم إجمالاً وبعضهم تفصيلاً. (محاضرة لاهور، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٨٤-١٨٦)

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، وهذا ما ظل ينبئ به الأنبياء جميعاً بوضوح تام. كما قلت قبل قليل؛ يتبين بوضوح تام من حساب الجمّل لأحرف سورة العصر أن النبي ﷺ قد بُعث في الألفية الخامسة بعد آدم. فمن هذه الناحية؛ إن هذا الزمن الذي نحن فيه هو الألفية السابعة. وإضافة إلى ذلك لا يسعني إنكار ما كشفه الله تعالى لي بوحيه، ولا أرى سبباً لإنكار ما اتفق عليه أنبياء الله الأطهار

جميعا. فما دامت الأدلة موجودة إلى هذا الحد، ويتبين من القرآن والأحاديث الشريفة أيضا بلا أدنى شك أن هذا العصر هو الزمن الأخير، فأى شك بقي في كونها الألفية الأخيرة، ولا بد من مجيء المسيح الموعود على رأس الألفية الأخيرة. (محاضرة سيالكوت، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٠٩-٢١٠)

لقد ثبت من الكتب السابقة والأحاديث الصحيحة أن عمر الدنيا بدءا من آدم ﷺ هو سبعة آلاف سنة. وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في آية: ﴿إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ولقد ألهمني الله تعالى أن المدة التي مضت من زمن آدم ﷺ إلى زمن النبي ﷺ بحسب التقويم القمري هي بقدر ما يتبين من أعداد هذه السورة (سورة العصر) وفق حساب الجمل. فمن هذا المنطلق نحن الآن في الألفية السابعة منذ زمن آدم بحسب التقويم القمري، وتدل على نهاية الدنيا. وهذا العدد الذي يُستنبط من أحرف سورة "والعصر" بحسب حساب الجمل يُطابق تقريبا حساب اليهود والنصارى أيضا بالتمام والكمال، غير أنه ينبغي الانتباه إلى التقويم القمري والشمسي. ويُستنبط من كتبهم أن ظهور المسيح الموعود ضروري في الألفية السادسة التي انصرمت منذ سنوات عديدة. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ١٤٦-١٤٧ الحاشية)

لقد خلق الله تعالى آدم وقت العصر في اليوم السادس أي يوم الجمعة. هذا ما ثبت من التوراة والقرآن والأحاديث. ولقد حدّد الله تعالى سبعة أيام للناس. وإن يوم الله - مقابل تلك الأيام - يساوي ألف عام. وقد استنبط انطلاقا من ذلك أن عمر الدنيا من آدم ﷺ هو سبعة آلاف سنة. والألفية السادسة التي تقابل اليوم السادس إنما هو يوم ظهور آدم الثاني. بمعنى أنه من المقدّر أن تتلاشى روح الدين من الدنيا في الألفية السادسة، وسيصبح الناس غافلين جدا وبعيدين عن الدين. عندها سيأتي المسيح الموعود لإقامة سلسلة الناس الروحانية، وسيظهر مثل آدم الأول في نهاية الألفية السادسة التي هي يوم الله السادس. فقد ظهر ذلك المسيح وهو هذا

الذي يبلغ الحق الآن بواسطة هذا المقال. والهدف من وراء تسميتي آدم هنا هو أن الفرد الكامل في سلسلة البشرية بدأ من آدم وانتهى على آدم كذلك، لأن وضع العالم دوري، وإن كمال الدائرة يكمن في أن تنتهي على النقطة التي بدأت منها. لذا كان ضروريا أن يسمّى خاتم الخلفاء آدم. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢٦٠، الحاشية)

وكما أن هناك قانوناً إلهياً في نواميس الطبيعة حيث يتناوب الليل والنهار بحيث لا تبديل ولا تغيير في هذا القانون، كذلك تأتي على الدنيا عصور يخيم فيها الليل الروحاني أحيانا، وتطلع الشمس وينبلج النهار أحيانا أخرى. فالألفية التي مضت كانت ليلاً من حيث الروحانية، وقد سماها النبي ﷺ فيجاً أعوج، وكانت تمثّل يوماً واحداً عند الله تعالى كما يقول: ﴿إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾. في أثناء هذه الألفية غشي العالم كله رداءً ظلمة خطيرة، وقد استخدمت فيها أنواع الخطط والمكايد والحيل لتشويه سمعة نبينا الأكرم ﷺ ونشأت ألوان الشرك والبدعات في الذين يسمّون مسلمين. ولقد قال النبي ﷺ عن هذه الفئة: "ليسوا مني ولست منهم". وهذه الليلة التي امتدت إلى ألف عام كما قال الله تعالى قد انقضت، وقد قدّر الله تعالى الآن أن يعطي نصيباً من النور لكل من استطاع ذلك من أهل الدنيا، إذ ليس كل شخص قادراً على نبيله. وقد أرسلني مأموراً على رأس هذا القرن لأحيي الإسلام. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠٢ م، ص ٤)

يتبين من القرآن الكريم صراحة أن هذا هو الزمن الذي سمّاه الله ستة أيام. فكان من الضروري أن يخلق آدم في الجزء الأخير من اليوم السادس، وإلى ذلك يشير الإلهام المسجل في البراهين الأحمدية "أردت أن أستخلف فخلقت آدم".

ثم قال ﷺ: ﴿إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾. إن الألفية السابقة كانت عصر الظلام نظراً للأخلاق السيئة والأعمال الخبيثة، لأن الفسق والفجور

كان سائداً فيها، ولذلك استثنى النبي ﷺ ثلاثة قرون بقوله: "خير القرون قرني ... وبعده يبقى ألف سنة حصراً، إذ بدون ذلك لا يمكن التوفيق في الأحاديث، وبذلك يتم التطابق مع الكتب السابقة أيضاً، ويتحقق القول أيضاً: إن الشيطان سيبقى حراً طليقاً لألف سنة، فكم تحقق هذا الأمر أيضاً. الإنجليز أيضاً بسبب ذلك يثيرون الضجة أنه ينبغي أن يأتي المسيح ثانية في هذا الزمن حصراً، فهذه المسألة قد استقامت بحيث لا يسع أي دين إنكارها. فهذه آية علمية يتعذر الهروب منها. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤٤/٤/١٩٠٣ م، ص ٦)

قد ذكرت مئات السنين في كتاب النبي دانيال بكلمة "أسبوع"، وعُبر عن عمر الدنيا أيضاً بأسبوع. المراد من الأسبوع هنا هو سبعة آلاف سنة إذ يساوي يوم ألف سنة كما ورد في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾. (بدر، مجلد ٦، رقم ٨، عدد ٢١/٢/١٩٠٧ م، ص ٤)

الآية ٥٣: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

الإلهام إما أن يكون من الرحمن أو من الشيطان. فلو توجه المرء إلى استكشاف أمر ما، أو إلى الاستخارة أو الاستخبار، واضعاً في الحسبان أفكاره وأهواء نفسه، ولا سيما إذا كانت في قلبه أمنية كامنة أن يتلقى كلمة خير أو شر بحق أحد بحسب رغبته هو؛ لتدخل الشيطان عندئذ في أمنيته حتماً، ولجرت على لسانه كلمة تكون من الشيطان. وفي بعض الأحيان يحدث هذا التدخل في وحي الأنبياء والرسل أيضاً، ولكنه يُنسخ فوراً. هذا ما يشير إليه الله جلّ شأنه في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣٩)

إنه مما يخالف سنن الله الطبيعية أن يعطّل الشياطين عن أعمالهم المخصصة لهم. يقول الله جلّ شأنه في القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. أي عندما يريد الرسول أو النبي شيئا نتيجة حماسه القلبي، فإن الشيطان يتدخل فيه. ولكن الوحي المتلو بما فيه من الشوكة والهيبة والنور التام؛ ينسخ هذا التدخل ويؤري مشيئة الله تعالى صافية ونزيهة. وهذه إشارة إلى أن الأفكار التي تنشأ في قلب نبي والخواطر التي تخطر بباله، إنما هي وحي كلها في الحقيقة، ويشهد على ذلك القرآن الكريم حيث يقول: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٤-٥). ولكن وحي القرآن الكريم يمتاز امتيازاً كلياً عن أي وحي آخر ينزل من الله تعالى بالمعنى فقط. وإن أقوال النبي كلها تدخل في عداد الوحي غير المتلو، لأن بركة روح القدس ونوره يحالف النبي دائماً ويكون كل قول من أقواله مليئاً ببركته، وتوضع في كلامه تلك البركة بروح القدس. فكل كلام يتفوه به النبي نتيجة التركيز التام وفكره الكامل يكون وحيًا دون شك. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٣٥٢-٣٥٣)

سئل ﷺ: هل القرآن الكريم نزل بالكلمات الموجودة حالياً أم ماذا؟

فقال: لقد نزل بهذه الكلمات، ونزل من الله تعالى في حلته الحالية. أما الاختلاف في القراءات فهذا أمر آخر. القراءة بإضافة "ولا مُحَدَّثٌ" في ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ قراءة شاذة وفي حكم الحديث الصحيح. كما يكون وحي النبي والرسول محفوظاً كذلك يكون وحي المحدث أيضاً محفوظاً كما يتبين من الآية المذكورة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢م، ص ٦)

يظن البعض أنه لو حدث خطأ في فهم إلهام ما؛ لارتفع الأمان، ونشأ الشك أن ذلك النبي أو الرسول أو المحدث قد يكون مخدوعا في ادّعائه. ولكن هذه الفكرة سفسطائية جدا ولا يقول بمثل هذه الأقوال إلا مَنْ كان شبه مجنون. وإذا كان هذا هو اعتقادهم فعليهم أن ينكروا نبوة جميع الأنبياء لأنه ما خلا نبي إلا وقد أخطأ في اجتهاده حيناً من الأحيان. خذوا المسيح ﷺ مثلاً، الذي أُلِّه خطأ، إن معظم نبوءاته مليئة بالأخطاء. فمثلاً قد ادّعى ﷺ أنه سينال كرسي داود، وما كان لادّعائه هذا معنى إلا أنه اعتمد على إلهام مجمل وظن أنه سيصبح ملكاً... بل تصحب النبي مئات الأنوار التي يُعرف بسببها، وبها يتبين صدق دعواه. فلو حدث الخطأ في اجتهاده فلا يحط ذلك من شأن النبوة شيئاً. فمثلاً إذا حسبت العينُ إنساناً ثورا من بُعدٍ فلا يمكن القول بأنه لا فائدة من العين، أو أن رؤية العين ليست جديرة بالثقة.

فإن مثل ادّعاء النبي وتعليمه كمثال عين ترى الأشياء من قريب فلا تخطئ في رؤيتها ومعرفتها. وإن مثل الخطأ في بعض الأمور الاجتهادية كمثال عين ترى الأشياء من بعيد وقد تخطئ في معرفتها. فيمكننا أن نقول على الأساس نفسه أن عيسى ﷺ كان يتمنى الملكوت لصالح اليهود، ولكن الشيطان خدعه كما ذُكر في الآية: ﴿إِلَّا إِذَا مَتَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾، وألقى في قلبه طمعا بعرش داود. ولكن لما كان ﷺ مقرباً عند الله وحببيبه؛ فلم يبق ثابتاً على وسوسة الشيطان وعلم سريعا أن ملكوته سماويٌّ وليس أرضيًّا.

على أية حال، كان اجتهاد المسيح خاطئاً، ولا بد أن يكون الوحي الإلهي صحيحاً ولكنه أخطأ في فهمه... بل الحق أن اليقين الذي يُرسَّخ في قلب النبي عن نبوّته تلمع أدلته مثل الشمس، وتجتمع بالتواتر حتى يصبح الأمر بديهياً تماماً. ولو حدث خطأ في الاجتهاد في الأمور الفرعية الأخرى فلا يضر هذا اليقين شيئاً.

(إعجاز أحمدى، الخزان الروحانية المجلد ١٩، ص ١٣٢-١٣٥)

الآية ٥٦: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾

"فثبت من قوله وَلَا يَزَالُ .. أعني ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ أن العلامات القطعية المزيلة للمرية، والأمارات الظاهرة الناطقة الدالة على قرب القيامة.. لا تظهر أبدا، وإنما تظهر آيات نظرية التي تحتاج إلى التأويلات، ولا تظهر إلا في حُلل الاستعارات، وإلا فكيف يمكن أن تنفتح أبواب السماء وينزل منها عيسى أمام أعين الناس وفي يده حربة، وتنزل الملائكة معه." (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٣٠٣)

الآية ٦٤: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾

أنزل من السماء ماء فاخضرت به الأرض الكاحلة. (الرد على ثلاثة أسئلة لمسيحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٣٠، الحاشية)

الآية ٧٢: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾

أي هناك آيات لإثبات النبوة ولكنها لا تنفع لإثبات الألوهية. ثم يقول تعالى بأنه ليس لديهم دليل عقلي على اعتقادهم هذا حتى يثبت هذا الاعتقاد. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ١٧٩)

الآية ٧٤: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾

... أي الذين يسألون مرادهم من المخلوقات هم ضعيفو العقل. والمخلوقات

التي عُدَّت آلهة ضعيفة القدرة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢٣، الحاشية رقم ٣)
يعني أن عابدي هذه الآلهة ضعافُ العقول. أما الآلهة نفسها فهي ضعيفة القوة والحيلة. فهل يمكن لمثل هؤلاء أن يكونوا آلهة حقيقيين؟ (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٧٤-٣٧٥)

الآية ٧٥: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

أي أن المشركين لم يقدروا الله حق قدره، ويزعمون أن نظام الله لا يمكن أن يجري بدون الشركاء، مع أن الله تعالى صاحب القدرة التامة والغلبة الكاملة. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية المجلد ص ٥٢٣-٥٢٤، الحاشية رقم ٣)

تذكروا أن كل شيء يلبي نداء الله تعالى، وكل شيء تحت تصرف الله تعالى، وخيوط كل شيء مطوية بيد الله ﷻ. إن حكمته لا تعرف الحدود، وتبلغ كنه كل ذرة، وفي كل شيء خواص بقدر قدرات الله تعالى. ومن لا يؤمن بذلك فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الأنعام: ٩٢). ولأن الإنسان الكامل يكون أتمَّ مظهرٍ للعالم كله، لذا ينجذب إليه العالم كله بين فينة وفينة. إنه عنكبوت العالم الروحاني، والعالم كله خيوطه. وهذا هو سرُّ الخوارق.

ترجمة بيت فارسي: "في نظام هذا العالم تأثير لمئات العارفين، فماذا رأى من الدنيا من لم ير هذه الحالة". (بركات الدعاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٠-٣١، الحاشية)

ما هو سبب كون المسلمين محل غضب؟ إنما السبب هو أنهم يقولون بلسانهم إنهم آمنوا ولكن ليس في قلوبهم شيء. هذا هو معنى الآية: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. (بدر، مجلد ١، رقم ٥-٦، عدد ٢٨/١١/١٩٠٢م، ص ٣٦)

إنما الإله مَنْ يكون أقوى من كل قوي وغالبا على الجميع. لا أحد يقدر على القبض عليه أو على ضربه. إن الذين يقعون في أعمال خاطئة كهذه لا يعرفون عظمة الله تعالى، ولا يدركون ما هي الصفات الواجبة للإله.

أما قوله "المؤمن" فيعني أنه واهب الأمان، والذي يقيم الدلائل على توحيدهِ وكمالاتهِ. وفي هذا إشارة إلى أن المؤمن بالإله الحق لا يخزى أبدا أمام مجلس من المجالس، كما لن يخجل أمام ربه، ذلك لأن معه أقوى البراهين. أما عابد الإله الباطل فهو دائما في مشكلة كبيرة، وبدلا من بيان الأدلة يسوق كل لاغية واهية مدعيا أنها من الأسرار الغامضة، هروبا من خزي الاستهزاء، وإخفاءً لأخطاء تأكد زيفها. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٧٥)

الذين يظنون أن من المستحيل أن يأتي الموت على الإله المصطنع، هم لم يؤمنوا بالله، وينطبق عليهم تماما مضمون: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٦، عدد ١٧/٥/١٩٠٤م، ص ٣)

الآية ٧٩: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾

الحق أن المعين والنصير الحقيقي هو الإله الذي شأنه: نعم المولى ونعم الوكيل ونعم النصير. إن الدنيا ونصرتها تكون أمامهم كالميت ولا أهمية لها حتى بقدر حشرة ميتة. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٣، رقم ١، ص ٨ عدد: ١/٨/١٩٠٤م)

جاء شيخ وطرح سؤالا بأن الله تعالى سمانا مسلمين، فلماذا سميت فرقتك "الأحمدية"؟ هذا ينافي قول الله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

فقال ﷺ في الجواب: الإسلام اسم طاهر جدا، وهذا هو الاسم الذي ورد في القرآن الكريم. ولكن كما جاء في الحديث الشريف فقد افترق المسلمون في هذه الأيام إلى ٧٣ فرقة وكل فرقة تسمي نفسها: "مسلمين". ومنهم فرقة الروافض الذين يشتمون جميع الصحابة رضي الله عنهم إلا بضعة منهم، ويسبون زوجات النبي ﷺ الطاهرات، ويسبئون إلى أولياء الله ومع ذلك ييقون مسلمين. الخوارج يسبئون إلى علي وعمر رضي الله عنهما ومع ذلك يسمون مسلمين. وفي بلاد الشام فرقة اسمها اليزيدية، وهم يسبون الإمام الحسين ﷺ ويدعون أنهم مسلمون. فنظرا إلى هذه المصيبة اختار السلف الصالح لأنفسهم أسماء مثل الشافعي والحنبلي وغيرهما بُغية تمييز أنفسهم من غيرهم. وهناك فرقة جديدة لأتباع مذهب الطبيعة ظهرت للعيان مؤخرا، تنكر كل شيء مثل الجنة والجحيم والوحي والملائكة لدرجة أن السيد سيد أحمد كان يزعم أن القرآن الكريم نتيجة أفكار النبي ﷺ وقد آلف هذه القصص بعد أن سمعها من المسيحيين. إذن، قد سمينا هذه الفرقة "الأحمدية" لتمييز أنفسنا من الفرق الأخرى.

بينما كان ﷺ يلقي كلمته طرح الشيخ سؤالا آخر فقال: لقد جاء في القرآن الكريم: ﴿لَا تَفَرَّقُوا﴾، وأنت خلقت الفرقة؟

فقال ﷺ أنا لا أخلق الفرقة بل جئت لرفعها، أما إذا كانت في تسمية "الأحمدية" إساءة فهناك إساءة في تسمية "الشافعي" و"الحنبلي" أيضا، ولكن هذه الأسماء اختارها الأسلاف الذين تعدونهم صلحاء. وشقي ذلك الذي يعترض عليهم ويسيء إليهم. لقد اختاروا هذه الأسماء من أجل التمييز فقط... نحن مسلمون، والأحمدية اسم للتمييز فقط.

إذا كان الاسم هو "الإسلام" فقط، فكيف يتم التمييز؟ يريد الله أن يشكّل جماعة ولا بد من تمييزها عن غيرها. ولا تترتب فائدتها بغير التمييز ولا يحدث التمييز بتسمية "المسلم" وحدها. لقد بدأت البدعات في زمن الإمام الشافعي وابن حنبل وغيرهما أيضا، فلولا هذه الأسماء حينذاك لاستحال التمييز بين أهل الحق وغيرهم

ولظلّ آلاف السبعين مختلطين. فالأسماء الأربعة كانت بمنزلة سُور حول الإسلام. ولولا هؤلاء لأصبح الإسلام ديناً مشتبهاً فيه ولما بقي التمييز بين أهل البدعة وغيرهم. لقد حان الأوان بحيث يوجد في كل بيت مذهب جديد. نحن لا ننكر كوننا مسلمين ولكن اخترنا هذا الاسم لرفع الفُرقة.

لقد اختلف النبي ﷺ مع أهل التوراة وأحدث فُرقة في نظر عامة الناس، ولكن الحق أن الله تعالى هو الذي يُحدث هذا النوع من الفُرقة. عندما يزداد الزيف والغش يريد الله تعالى أن يجعل تمييزاً...

الذين ينكرون اسم الإسلام أو يعدّون هذا الاسم عاراً أحسبهم ملعونين. ما ابتدعتُ شيئاً بل كما كان هناك أسماء مثل الحنبلي والشافعي وغيرهما، كذلك "الأحمدية" أيضاً اسم، بل في اسم "أحمد" تكمن صلة مع مؤسس الإسلام سيدنا أحمد عليه السلام ولا توجد هذا الصلة في أسماء أخرى. إن أحمد هو اسم النبي ﷺ. الإسلام هو الأحمدية، والأحمدية هي الإسلام. لقد سُمّي المسلم محمدياً في الحديث الشريف^١. فأحياناً تكثر الكلمات ولكن يكون المعنى هوَ هو. "الأحمدية" علامة فارقة. هناك طوفان ثائر في هذه الأيام لم يحدث مثله منذ البداية إلى اليوم. لذا كان لا بد من اختيار الاسم. من كانوا مسلمين عند الله فهم الأحمديون. (بدر، مجلد ١، رقم ٣٢، عدد ٣/١١/١٩٠٥م، ص ٣-٤)



^١ مسند أحمد، أول مسند البصريين، حديث أبي برزة الأسلمي. وسنن أبي داود، السنة، في الحوض. (الناشر)

فهرس المواضيع

الصفحة	الموضوع
١	القرآن يدحض كل الوسوس والأفكار الفاسدة
٢	جواب اعتراض: جاء في القرآن أن الإلهام ينزل بلسان كل قوم فلماذا تتلقاه بالعربية حصراً؟
٤	عندما تبلغ معارضة الأنبياء ذروتها يطلبون الحكم من الله بالتركيز التام
٦	في ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة...﴾ شبه الله كلمة الإيمان بشجرة مثمرة وبيّن ثلاثاً من علاماتها
٦	في ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة...﴾ جعل كمال الكلام الطيب مرتبطاً بثلاثة أشياء
١١	خواصُّ الناس أفضل من خواص الملائكة
١٣	علّمت في القرآن أدعية بصيغة المفرد والجمع كليهما
١٣	تحددت الحضارة السابقة في الألفية السادسة
١٧	سيظل الله يرسل خلفاء النبي ﷺ بين حين وآخر لحفظ القرآن
١٨	في ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ إشارة إلى بعثة المجدد
١٨	بحسب الوعد ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ حفظ الله كلامه على أربعة أوجه
٢٠	في ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ إشارة إلى زمن المسيح الموعود
٢١	سُمّي القرآن الكريم "ذكراً"

٢٦	إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يحدد لها دينها شرح ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾
٣٠	القرآن قانون لا يتبدل، وهو لكل قوم ولكل زمان
٣١	أمة "الجان" كانت موجودة قبل آدم
٣٣	ثلاث علامات للإنسان الكامل
٣٤	من سُمي في الأحاديث دجالا وصفه الله باسم الشيطان
٣٥	خلق مثل آدم في الزمن الأخير لقتل الشيطان
٣٨	تفسير حديث: ما من مولود إلا والشيطان فيه حين يولد إلا مريم وابنها
٣٩	الرد على قول آتهم إن الإسلام يعتقد بأن الخير والشر من الله
٣٩	تفسير حادث أخذ فيه الشيطان عيسى عليه السلام إلى جبل
٤٢	ما السر في سبعة أبواب للجحيم وثمانية للجنة
٤٣	مذهب الشيعة بوجود عداوة شديدة بين الصحابة والرد عليه
٤٤	استحالة الخروج من الجنة والعودة إلى الدنيا بحسب ﴿وما هم منها بمخرجين﴾
٤٦	المراد من اليقين في آية ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾
٥١	الرحم بغير مقابل
٥٣	﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ...﴾ دليل على وفاة المسيح
٥٥	حكّم عيسى عليه السلام بنفسه في قضية النزول من السماء
٥٧	بيان كتب بني إسرائيل السابقة أن المراد من يأجوج ومأجوج هم أقوام مسيحية في أوروبا
٥٨	كان شأن الصحابة كالملائكة
٥٩	شرح سقوط عبادات العابد الكامل

٦٠	في ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ إشارة إلى أن إصلاح الفساد المنتشر في أعمال الناس مرتبط بكلام الله
٦١	في ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ دليل على كون خاتم الأنبياء نبيا صادقا
٦٣	القائلون بنزول وحي غير تشريعي
٦٤	العسل شفاء للناس
٦٥	ركعات صلاة الضحى
٦٥	علاقة الروح بالجسم
٦٥	الطريق الوسط هو عدُّ ذات الله بين التشبيه والتنزيه
٦٦	الإضافة إلى تعليم القرآن بواسطة الأحاديث المعمول بها، أي السنن المتوارثة
٦٨	معنيان لـ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ الأول: طاعة الخالق، والثاني: مواساة البشر
٦٩	ثلاث مدارج إيصال الخير: العدل، الإحسان، إيتاء ذِي الْقُرْبَى
٧١	كمال البلاغة في ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى...﴾ هو أنها تشمل حقوق الله وحقوق العباد أيضا
٨٣	ثلاثة آراء اليهود والنصارى بشأن نزول القرآن على النبي ﷺ
٨٦	شروط التوبة عند تفوه المرء بكلمة الكفر مكرها وهو مؤمن
٨٧	الربا غير مسموح به في الاضطرار أيضا
٨٧	القياس في الدين ممنوع بتاتا إلا ما يُستنبط من القرآن والحديث
٨٨	معنى المجادلة الحسنة
٩٠	المتقي يتحلّى بمفهوم ترك الشرك، والمحسن يريد إفاضة الخير
٩٥	لم يكن المعراج بالجسم المادي بل كان كشفا من الدرجة العليا

٩٦	الآية: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى...﴾ تشمل المعراج من حيث الزمان والمكان
٩٩	في ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا...﴾ إشارة إلى فترتين: فترة التأييدات والآفات، وفترة البركات ونشر التعاليم المقدسة
١٠٠	معراج النبي ﷺ منقسم على ثلاثة أقسام: سير المكان، وسير الزمان وسير الالامكان ولا الزمان
١٠٠	إشارة لطيفة في لفظ مسجد الحرام والمسجد الأقصى الذي قيل عنه: ﴿باركنا حوله﴾
١٠٣	من أسماء نبينا ﷺ "عبد" أيضا
١٠٦	﴿جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾، أي انتشار الضلال الذي يشبه الليل وانتشار الهداية الذي يشبه النهار
١٠٧	كلمة طائر في ﴿كُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ استعارة، والمراد منها العمل أيضا
١٠٨	النبي لا يسبب العذاب بل العذاب يقتضي نبيا ليتم الحجة
١٠٩	نبوءة عن المسيح الموعود في: ﴿وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا﴾
١١١	الكفر لا يوجب العذاب في الدنيا، بل يوجه تجاوز الحدود في الشر والاستكبار
١١٢	الخطاب في ﴿فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما...﴾ هو للنبي ﷺ ولكن مرجعه الحقيقي عائد إلى الأمة
١١٣	سيُسال الإنسان إن استخدم أعضائه وقواه في غير محلها
١١٧	كل ذرة من السماء والأرض تحمد الله تعالى وتقدسه
١١٧	معنى التسبيح في ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾
١١٩	القول بأن تأثير السحر وقع على النبي ﷺ يسبب سلب الإيمان
١٢٠	الطاعون نار خرجت من الشرق كما روي عن النبي ﷺ

١٢١	نبأ الطاعون موجود في القرآن بكلمات صريحة
١٢٤	عذاب الطاعون سيكون بطريقتين
١٢٥	الآيات نوعان: للتخويف والتعذيب، وللتبشير والتسكين
١٢٧	معنى ﴿وما منعنا أن نرسل الآيات إلا أن كذب الأولون﴾
١٢٧	﴿وما منعنا أن نرسل الآيات...﴾ تثبت المعجزات ولا تنفيها
١٢٩	الولادة نوعان: ما فيه تأثير نفخ روح القدس، وما فيه نصيب الشيطان
١٢٩	الخطاب في ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ موجّه إلى الشيطان
١٣٠	معنى حديث: لم يسلم من مس شيطان إلا عيسى وأمه
١٣٢	معنى ﴿من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى﴾ أن أساس حياة الجنة وحياة الجحيم يبدأ من هذه الدنيا
١٣٥	ما هي وسيلة اليقين الكامل في هذا العصر
١٤١	كيف يُعقل أن يكون أحدا من الأولياء ثم يتركه الله أعمى بحيث لا يقدر على معرفة نبيه ﷺ
١٤٢	إن معراج المؤمن وكماله هو أن يبلغ مرتبة العلماء
١٤٨	مواقيت الصلوات الخمس، خمس تغيرات تلازم حياة الإنسان
١٥١	إن النبي ﷺ أتم مظهر للألوهية
١٥٢	المراد من الحق والباطل في ﴿قل جاء الحق وزهق الباطل﴾
١٥٤	اعتقاد الآريين أن الأرواح كلها أبدية وغير مخلوقة
١٥٤	إذا كانت الأرواح أبدية بنفسها فلا دليل على وجود الله
١٥٧	في ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ رد على قول: المسيح كلمة الله
١٥٧	دلائل قوية وقاطعة في القرآن على كون الأرواح حادثة ومخلوقة
١٥٩	لم يخاطب النبي ﷺ في ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ بل الكفار
١٦١	المراد من خلق الروح في الرحم

١٦٣	القرآن يعدّ الروح مخلوقة وفانية
١٦٦	علاقة الأرواح مع القبور
١٧١	الروح ثلاثة أنواع: الروح النباتية، الروح الحيوانية، الروح الإنسانية
١٧٢	دعوة منكري معجزات القرآن للمبارزة
١٧٤	ادعاء القرآن معجزة البلاغة
١٧٥	رد الله على سؤال الكفار عن صعود النبي ﷺ إلى السماء
١٧٩	نشر فكرة رفع المسيح إلى السماء بالجسد هَجُؤُ النبي ﷺ
١٨٧	﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ تحول دون صعود المسيح إلى السماء حيا
١٨٩	معنى الصعود والنزول بحسب ذوق المتصوفين
١٩٠	معنى ولاية الله تعالى
١٩١	جاء في الحديث أنه إذا رأيتم الدجال فاقرأوا أوائل سورة الكهف
١٩١	أي حزب هو المراد من الدجال
١٩٣	المراد من الرقيم في ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم﴾
١٩٤	كلمة "أوى" تعني في العربية أن يأمن أحد بعد تعرضه للمصائب
١٩٥	﴿وَلَمْ تَظَلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي لم تنقص
١٩٧	معنى ﴿كان من الجن﴾ أن إبليس كان من الجن لا من الملائكة
١٩٩	ما ينزل على أحد إلهاما من الله يكون العمل به واجبا
٢٠٠	دحض منكري الإلهام أنه إذا كان الإلهام حقا وصحيحا، كان أصحاب النبي ﷺ أحق وأولى به، مع أنه لم يثبت تلقيهم إياه
٢٠١	من الخطأ تماما القول بأن إلهامات الصحابة ليست ثابتة
٢٠٤	إن الله لا يأبه بالخبثاء بعد حلول العذاب بهم، أما الصالحين فيراعي شأنهم بمبدأ: ﴿كان أبوهما صالحا﴾

٢٠٦	أنا ذو القرنين لهذه الأمة بحسب الوحي الإلهي "جري الله في حلل الأنبياء"
٢٠٧	أخبر الله في هذه القصة أن ذا القرنين وجد ثلاثة أقوام
٢٠٨	الأول عند مغرب الشمس في عين حمئة وهم النصارى
٢١٠	الثاني: بإزاء الشمس الحارقة، وهذه حال المسلمين الآن
٢١١	الثالث: قوم ثالث التمسوا أن ينقذهم من يأجوج ومأجوج، هذا قومنا الذي جاء إلى المسيح الموعود
٢١٤	ذو القرنين: من شهد قرنين، أثبت المفتي المحترم اجتماع ١٦ أو ١٧ قرنا في زمني
٢١٧	ذو القرنين المذكور في القرآن غير الاسكندر الرومي
٢٢٠	الرد على سؤال: ورد في القرآن أن ذا القرنين وجد الشمس تغرب في عين حمئة
٢٢٣	يأجوج ومأجوج هم النصارى الأوروبيون والروس
٢٢٤	المراد من أذن يأجوج ومأجوج الطويلة مهارتهم في التجسس
٢٢٥	المراد من ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾
٢٣١	الأحاديث تبين أن زمن يأجوج ومأجوج هو زمن المسيح الموعود
٢٣٧	بيانات كتب بني إسرائيل السابقة على ثلاثة أنواع
٢٤٢	المراد من ﴿نفخ في الصور فجمعناهم جمعا﴾ أن مبعوثا سيُبعث
٢٤٦	لم يُذكر الذنب في ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾
٢٤٨	المخلوقات بحسب معانيها المجازية كلمات الله كلها
٢٥١	رؤية الله تعالى ممكنة في هذه الدنيا
٢٥٢	السّر في ﴿قل أنا بشر مثلكم﴾
٢٥٣	إن عباد الله وأصفياه يتحلون بمقتضيات البشرية
٢٥٥	القرآن الكريم يفتح باب مجيء أمثال أنبياء بني إسرائيل
٢٥٦	الآية: ﴿سلام عليه يوم وُلد﴾ تدل بصراحة على أن الحماية من مس الشيطان ليست خاصة بابن مريم

٢٥٧	السبب وراء تسمية "مريم"
٢٥٨	المراد من الناس في: ﴿وَلْنَجْعَلْهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ هم فرقة "الصدوقيين"
٢٥٩	لم يرد في القرآن أن مريم كانت أخت هارون
٢٦٠	الآية ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ تثبت موت المسيح
٢٦٢	لو كانت أحداث الرفع والنزول في ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ...﴾ صحيحة لوجب بيانها
٢٦٣	جاء بحق النبي إدريس ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ ولكن العلماء يقولون بموته
٢٦٦	ثلاثة معان للآية ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا...﴾
٢٧٢	معنى ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ...﴾
٢٧٥	دحض اعتراض على: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾
٢٧٧	الرد على سؤال: هل الله في السماء؟
٢٧٧	ما من مجاهدة أكبر من الصلاة
٢٧٨	المعنى اللغوي للحب
٢٧٩	رعاية المراتب
٢٨٠	دليل على وجود الله في: ﴿ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه...﴾
٢٨١	من يجعلهم الله أئمة تودع قوة الإمامة في طبيعتهم
٢٨٢	الدليل على وفاة المسيح في: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾
٢٨٣	أين كانت جنة آدم؟
٢٨٤	إن الله لا يتقيد بقواعد الصرف والنحو التي وضعها الناس
٢٨٤	العلو نوعان: العلو الشيطاني، وعلو عباد الله الخواص
٢٨٥	ما رأيك في سحر أطلقه الكفار على النبي ﷺ؟
٢٨٧	كما ينحل الجسم ويرد عليه الموت كذلك تتغير الصفات الروحانية ويرد الموت على الروح

٢٩٠	قوة البسطة في العلم ضرورة للإمامة وميزتها الحتمية
٢٩٢	أربعة ذنوب ارتكبتها حواء
٢٩٣	لا يؤاخذ المرء على أفكار تخطر في باله ما لم يعزم عليها
٢٩٤	﴿معيشة ضنكا﴾ هو ما سيتمثل في الزقوم يوم القيامة
٢٩٧	الرد بالنفي على سؤال الناس الأنبياء آية بحسب اقتراحهم
٢٩٨	الآيات نوعان
٣٠٠	الاستفادة من كتب أنبياء بني إسرائيل السابقة جائزة
٣٠١	استدلال على وفاة المسيح من آية: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾
٣٠٤	لو اتخذنا ولدا لاتخذنا محمدا ﷺ
٣٠٤	الدليل العقلي في ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ على وحدانية الله تعالى
٣٠٤	معنى كون الله رب العرش
٣٠٦	السبب في وضع شرط ﴿من دونه﴾ في ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكُمْ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ﴾
٣٠٦	تصدق البحوث الحالية أن العالم الكبير كان كصُرة إلى اكتمال خلقتة
٣٠٩	أفكار الباحثين الأوروبيين عن السماء لا تخالف القرآن
٣٠٩	يحسب الإغريق السماء أجساما كثيفة
٣١١	معنى ﴿كل في فلك يسبحون﴾
٣١٢	معنى ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾
٣١٧	دحض اعتراض أن معظم المالكين بالطاعون فقراء بينما قام المشايخ بالتكفير
٣١٧	﴿تأتي الأرض نقصها من أطرافها﴾ أي يكون الابتداء من العوام ثم يُطش بالخواص
٣١٨	المراد من الذكر في ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾

٣١٩	دحض اعتراض لو آمنة أن حكمة الله غير المتناهية قادرة على تغييرات غير المتناهية لارتفاع الأمان من حقائق الأشياء
٣٢٠	التغير يعمل باستمرار في كل جسم، ويحكمها نوعان من التغير
٣٢٣	معجزة ﴿يا نار كوني بردا وسلاما﴾ لا تخرج عن الأسباب
٣٢٤	الأحكام والأوامر نوعان: الشرعية والكونية
٣٢٤	الرد على اعتراض الآريين على إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار
٣٢٥	لا تخوفوني من النار، فإن النار خادمة لنا بل خادمة خدامنا
٣٢٨	فهم يونس أن العذاب سينزل حتما، ولو كان من الله شرط لما تعرض للابتلاء
٣٢٨	زوال مواعد الوعد والوعيد
٣٣١	العفو عن قوم يونس استأصل كفارة النصارى
٣٣٣	إذا كانت التوبة والاستغفار قبل نزول العذاب لزال العذاب
٣٣٤	المراد من النون والمغاضبة في ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا﴾
٣٣٦	نوعان من الشراكة في ولادة البشر: شراكة روح القدس، وشراكة الشيطان
٣٣٧	الرد على الدليل من ﴿والتي أحصنت فرجها﴾ أن مريم لم تتزوج مدى حياتها
٣٣٧	دحض اعتراض المعارضين أن ﴿أحصنت فرجها﴾ ينافي التحضر
٣٣٧	ضرب القرآن للمؤمن مثلين: مثل امرأة فرعون ومثل مريم
٣٣٨	عندما انقلب العالم للوحدة والاجتماع أرسل الله نبيا واحدا فقط للعالم كله ليخلق الوحدة الكاملة
٣٤١	جواب الله على أمنية صحابي أن يُرسل إلى الدنيا ثانية
٣٤١	وعدان عن عدم عودة الموتى: لأهل جهنم: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، ولأهل الجنة: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا جَوْلًا﴾
٣٤١	أجوج ومأجوج من النصارى
٣٤٢	المراد من ﴿وهم من كل حذب ينسلون﴾

٣٤٤	علامتان ليأجوج ومأجوج
٣٤٥	سبب تسمية يأجوج ومأجوج
٣٤٧	رجعة نحاش والمسيح ابن مريم البروزية
٣٤٨	رجعة نحاش والمسيح ابن مريم واليهود والصحابة البروزية
٣٤٩	نودي ثلاثة أقوام (الدجال والنصرانية ويأجوج مأجوج) بثلاثة أسماء نظرا إلى حالات مختلفة
٣٥٠	الزعم أن يأجوج ومأجوج ليسوا بني آدم بل خلق آخر جهل
٣٥٣	معنيان لـ ﴿من كل حذب ينسلون﴾
٣٥٥	المراد من ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى...﴾ غزير والمسيح
٣٥٦	النبوءة عن انعدام هذا العالم
٣٥٧	تبين الآية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ أن الخلافة الإسلامية دائمة
٣٥٧	المراد من ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ هو أرض الشام
٣٥٧	قال الله في ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا...﴾ "يرثها" ولم يقل "يملكها"
٣٥٧	قال: ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ أي يجب أن يكونوا صالحين
٣٥٨	كان النبي ﷺ رحمة متجسدة للعالم
٣٦١	﴿إِنْ أَذْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ يبين بصراحة أنه لا يُخبر تاريخ محمد لكل عذاب
٣٦٣	المراد من الساعة في ﴿إِنْ زَلْزَلَتِ السَّاعَةُ...﴾ هو سكرات الموت
٣٦٤	المعنى الصحيح لكون الناس سكارى في ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى...﴾
٣٦٥	﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ﴾ تدل على وفاة المسيح ابن مريم
٣٦٧	مخطئون جدا من يجعلون إيمانهم مشروطا بقبول دعائهم

٣٦٧	دليل وحدانية الله أن كل شيء يسجد له
٣٦٨	﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ دليل على كون مكة أول العمارات في العالم
٣٦٩	تحكموا في لسانكم ولا يحكم فيكم لسانكم حتى تقولوا ما شئتم
٣٧٠	القرآن يُعَدُّ الكذب مثل عبادة الأوثان
٣٧١	نوم المرء موجّها قدميه إلى القبلة لا يجوز لأنه ينافي التعظيم
٣٧٣	إذا كانت التقوى وحدها تصل إلى الله دون اللحم والدم فما الحاجة إلى القرابين
٣٧٤	أُذِنَ للمؤمنين بالحروب الدفاعية
٣٧٤	لا يوجد في القرآن تعليم الإكراه قط
٣٧٥	لم يبادر الإسلام برفع السيف بل رفعه لإقامة الأمن فقط عند الحاجة
٣٧٨	دحض اعتراض أن النبي ﷺ لم يحارب إلى ١٣ عاما ما لم يحرز القوة والجمعية
٣٨١	أنواع الحروب الإسلامية: للدفاع، للمعاقبة، ولإرساء الحرية
٣٨١	أحلف بالله أن نبينا ﷺ لم يرفع السيف ولم يُكره أحدًا للدخول في الإسلام
٣٨١	مظالم الكفار وإذن المسلمين بالجهاد
٣٨٣	دحض اعتراض: لو علّم الإسلام المواساة لما خاض النبي ﷺ حروبا
٣٨٤	ما خاض خلفاء النبي ﷺ الحروب إلا للمعاقبة، وللدفاع، وحماية النفس فقط
٣٨٤	دحض اعتراض: إنكم تلغون الجهاد
٣٨٦	انتشر الإسلام دائما بتعليمه المقدس والهداية وثمراته ومعجزاته، وسينتشر في المستقبل أيضا بالطريقة نفسها دون غيرها
٣٨٧	استحق الكفار القتل بجرائمهم ورخص القرآن أن القصاص سيُرفع عنهم في حال إسلامهم
٣٨٩	لا يصح القول إن المهدي سيستخدم السيف عند مجيئه

٣٩١	إن استخدام السيف الآن يعني إطلاق السيف على الإسلام
٣٩٨	يجب على المسلمين ألا يضروا معابد الآخرين
٣٩٩	بعثني الله مثيلاً للمسيح وآدماً للألفية السادسة
٤٠١	إن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وهو عمر آدم الذي نحن أولاده
٤٠٣	يتبين من القرآن والأحاديث والكتب السابقة أن عمر بني آدم من آدم إلى النهاية هو سبعة آلاف سنة
٤٠٥	الإلهام نوعان: من الرحمن ومن الشيطان
٤٠٦	تفسير ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَمَّى الْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾
٤٠٦	هل القرآن الكريم نزل بالكلمات الموجودة حالياً
٤٠٧	دحض فكرة: لو حدث خطأ في فهم إلهام ما؛ لارتفع الأمان
٤٠٨	تفسير: ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾
٤١١	الرد على سؤال: لقد سمنا الله مسلمين، فلماذا سميت جماعتكم "الجماعة الأحمدية"، هذا ينافي قوله تعالى: ﴿سماكم المسلمين﴾



فهرس الآيات المفسرة

رقم الآية	سورة إبراهيم	الصفحة
٢	﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ...﴾	١
٥	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ...﴾	٢
٨	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ...﴾	٢
١١	﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِئَةِ اللَّهِ شَكٌّ...﴾	٣
١٦	﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ...﴾	٣
٢٥-٢٦	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً...﴾	٥
٢٧	﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ...﴾	١١
٢٨	﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ...﴾	١١
٣٤	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ...﴾	١١
٣٥	﴿وَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ...﴾	١٢
٤٢	﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ...﴾	١٣
٤٧-٤٨	﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ...﴾	١٣
٤٩	﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ...﴾	١٣
سورة الحجر		
١٠	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ...﴾	١٥
٢٢	﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا...﴾	٣٠
٢٨	﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ...﴾	٣١
٣٠	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ...﴾	٣١

٣٤	﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ...﴾	٣٧-٣٨
٣٨	﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾	٤١
٣٨	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ...﴾	٤٣
٤٢	﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ...﴾	٤٥
٤٣	﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ...﴾	٤٨
٤٣	﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ...﴾	٤٩
٤٥	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي...﴾	٨٨
٤٦	﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ...﴾	٩٥
٤٦	﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾	٩٦
٤٦	﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾	١٠٠

سورة النحل

٥١	﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا...﴾	٦
٥٣	﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ﴾	٢١-٢٢
٥٤	﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ...﴾	٢٩
٥٥	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا...﴾	٤٤
٥٨	﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ...﴾	٥١
٥٩	﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ...﴾	٥٨
٥٩	﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ...﴾	٦٠
٦٠	﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ...﴾	٦٤
٦٠	﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ...﴾	٦٥
٦١	﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا...﴾	٦٦
٦٣	﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ...﴾	٦٩

٦٣	﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي...﴾	٧٠
٦٥	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ...﴾	٧١
٦٥	﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ...﴾	٧٥
٦٦	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ...﴾	٨٩
٦٦	﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا...﴾	٩٠
٦٧	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ...﴾	٩١
٨٣	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى...﴾	٩٨
٨٣	﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ...﴾	١٠٤
٨٦	﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ...﴾	١٠٧
٨٦	﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا...﴾	١١١
٨٧	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ...﴾	١١٦
٨٧	﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمْ...﴾	١١٧
٨٧	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا...﴾	١٢١
٨٨	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ...﴾	١٢٦
٩٠	﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ...﴾	١٢٧
٩٠	﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ...﴾	١٢٩

سورة الإسراء

٩٥	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا...﴾	٢
١٠٤	﴿وَفَضَّلْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي...﴾	٥
١٠٤	﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا...﴾	٦
١٠٥	﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ...﴾	٩

١٠	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ...﴾	١٠٥
١٣	﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ...﴾	١٠٦
١٤	﴿وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ...﴾	١٠٧
١٦	﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي...﴾	١٠٧
١٧	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً...﴾	١١٠
٢٤	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ...﴾	١١١
٢٦	﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ...﴾	١١٣
٢٧	﴿وَأَتِذَا الْقُرْآنَ حَقَّهُ وَالْمُسْكِينَ...﴾	١١٣
٣٣	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً...﴾	١١٣
٣٦	﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا...﴾	١١٤
٣٧	﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾	١١٤
٤٥	﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ...﴾	١١٧
٤٨	﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ...﴾	١١٩
٥٧	﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ...﴾	١٢٠
٥٩	﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا...﴾	١٢٠
٦٠	﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا...﴾	١٢٥
٦١	﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا...﴾	١٢٩
٦٥	﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ...﴾	١٢٩
٦٦	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ...﴾	١٣٠
٧١	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ...﴾	١٣١
٧٣	﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ...﴾	١٣٢
٧٦	﴿إِذَا لَادَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ...﴾	١٤٨

١٤٨	﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى...﴾	٧٩
١٥١	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ...﴾	٨٠
١٥١	﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ...﴾	٨١
١٥١	﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ...﴾	٨٢
١٥٢	﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِيقُكُمْ...﴾	٨٥
١٥٣	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ...﴾	٨٦
١٧٢	﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ...﴾	٨٩
١٧٥	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ...﴾	٩٠
١٧٥	﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ رُحْرَفٍ أَوْ...﴾	٩٤
١٨٩	﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...﴾	٩٧
١٨٩	﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ...﴾	١٠٦
١٩٠	﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ...﴾	١٠٨
١٩٠	﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ...﴾	١٠٩
١٩٠	﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا...﴾	١١٢
<u>سورة الكهف</u>		
١٩١	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى...﴾	٦-٢
١٩٢	﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً...﴾	٨
١٩٣	﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ...﴾	١٠
١٩٤	﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا...﴾	١٧
١٩٤	﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ...﴾	١٨
١٩٥	﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ...﴾	٢٤
١٩٥	﴿كَلِمَاتِ الْجُنَّتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ...﴾	٣٤
١٩٧	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ...﴾	٥١

١٩٨	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ...﴾	٦١
١٩٩	﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً...﴾	٦٦
٢٠٤	﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ...﴾	٨٣
٢٠٦	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ...﴾	١٠٢-٨٤
٢٤٦	﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا...﴾	١٠٣
٢٤٦	﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ...﴾	١٠٦
٢٤٦	﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا...﴾	١٠٩
٢٤٧	﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي...﴾	١١٠
٢٥٠	﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...﴾	١١١
<u>سورة مريم</u>		
٢٥٥	﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ...﴾	٨
٢٥٦	﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ...﴾	١٣
٢٥٦	﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ...﴾	١٦
٢٥٧	﴿وَادْخُلْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ...﴾	١٧
٢٥٨	﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ...﴾	٢٢
٢٥٨	﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ...﴾	٢٤
٢٥٩	﴿يَا أُحْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ...﴾	٢٩
٢٥٩	﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ...﴾	٣١
٢٥٩	﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ...﴾	٣٣-٣٢
٢٦٢	﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ...﴾	٣٤
٢٦٢	﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ...﴾	٣٦
٢٦٢	﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾	٥٨
٢٦٥	﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا...﴾	٧٣-٧٢

٢٧١	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا...﴾	٨٩-٩٢
٢٧٤	﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	٩٤
٢٧٤	﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ...﴾	٩٨
سورة طه		
٢٧٥	﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	٦
٢٧٧	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى...﴾	٩
٢٧٧	﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي...﴾	١٥
٢٧٨	﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾	٢١
٢٧٨	﴿أَنْ أَفْذِيهِ فِي التَّابُوتِ فَافْذِيهِ فِي الْيَمِّ...﴾	٤٠
٢٧٩	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾	٤٥
٢٧٩	﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ...﴾	٥١
٢٨١	﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ...﴾	٥٣
٢٨١	﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا...﴾	٥٦
٢٨٣	﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ﴾	٦٢
٢٨٤	﴿قَالُوا إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ أُرِيدَانِ أَنْ...﴾	٦٤
٢٨٤	﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾	٦٩
٢٨٥	﴿وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا...﴾	٧٠
٢٨٦	﴿إِنَّهُ مَنْ بَاتَ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ...﴾	٧٥
٢٨٩	﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾	٩٠
٢٨٩	﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ﴾	٩٨
٢٩٠	﴿فَتَتَعَٰلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ...﴾	١١٥
٢٩٢	﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ...﴾	١١٦

٢٩٣	﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا...﴾	١٢٢
٢٩٤	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً...﴾	١٢٥
سورة الأنبياء		
٢٩٥	﴿لَا هِيَّةٌ فَلُوهُمْمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى...﴾	٤
٢٩٦	﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ...﴾	٥
٢٩٦	﴿بَلْ قَالُوا أَضْعَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ...﴾	٦
٣٠٠	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا...﴾	٨
٣٠١	﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ...﴾	٩
٣٠٤	﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوًا لَاتَّخَذْنَاهُ...﴾	١٨
٣٠٤	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾	٢٣
٣٠٥	﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ...﴾	٢٤
٣٠٥	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ...﴾	٢٧
٣٠٦	﴿وَمَنْ يَثْقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ...﴾	٣٠
٣٠٦	﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ...﴾	٣١
٣٠٩	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...﴾	٣٤
٣١٦	﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ...﴾	٣٥
٣١٦	﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ...﴾	٣٨
٣١٧	﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ...﴾	٣٩
٣١٧	﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ...﴾	٤٣
٣١٧	﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ...﴾	٤٥
٣١٨	﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ...﴾	٥١
٣١٨	﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى...﴾	٧٠
٣٢٧	﴿نَفَقَهُمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا...﴾	٨٠

٣٢٧	﴿وَدَا النُّونَ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا...﴾	٨٨
٣٣٥	﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا...﴾	٩٠
٣٣٥	﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا...﴾	٩٥-٩٢
٣٤٠	﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ...﴾	٩٧-٩٦
٣٥٥	﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ...﴾	٩٩
٣٥٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ...﴾	١٠٣-١٠٢
٣٥٦	﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ...﴾	١٠٥
٣٥٦	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ...﴾	١٠٦
٣٥٨	﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾	١٠٧
٣٥٨	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ...﴾	١٠٨
٣٦١	﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾	١١٠

سورة الحج

٣٦٣	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةً...﴾	٢
٣٦٤	﴿يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا...﴾	٣
٣٦٤	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّن...﴾	٦
٣٦٧	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ...﴾	١٢
٣٦٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ﴾	١٨
٣٦٨	﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ...﴾	٢٧
٣٦٨	﴿ذَلِكَ وَمَن يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ...﴾	٣١
٣٧١	﴿ذَلِكَ وَمَن يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا...﴾	٣٣
٣٧١	﴿لَن يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا...﴾	٣٨
٣٧٣	﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾	٤١-٣٩
٣٩٩	﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ﴾	٤٨

٤٠٥	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا...﴾	٥٣
٤٠٨	﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ...﴾	٥٦
٤٠٨	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾	٦٤
٤٠٨	﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ...﴾	٧٢
٤٠٨	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ...﴾	٧٤
٤٠٩	﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ...﴾	٧٥
٤١٠	﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ...﴾	٧٩

